رسائل صفي عليشاه

رسالة عرفان الحقّ

رسالة أسرار المعارف

رسالة ميزان المعرفة

تأليف

الميرزا حَسَن المُلَقَّب بصفي عليشاه نِعْمَة الله قُدِّسَ سِرُّهُ

تَرْجَمَة

د. علي عبَّاس زليخة

رسالة

عرفان الحقّ

تأليف

الميرزا حَسَن الأصفهاني

المُلَقَّب صفي علي نِعْمَةُ الله

تَرْجَمَة

د. علي عبَّاس زليخة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

لائقُ الحمدُ بالواحِدِ الَّذي حَمِدَ نَفْسَهُ بلسانِ نَفْسِهِ، إذْ لَمْ يكُنْ لِسانٌ أهلاً لِحَمْدِه. حَمِدَ نَفْسَهُ هُناكَ حيثُ لَمْ يَكُنْ لأحَدٍ حَقُّ حَمْدٍ ووجودٌ. أهْلُ الحَمْدِ الَّذينَ هُمْ مُقَرَّبو الأعتاب ومخصوصو بلاطِ المَلِكِ بإشارَةِ ***الحامِدونَ لله*** صِفاتُ تِلْكَ الذَّات، حائرونَ في التَّجَلّياتِ الذَّاتِيَّةِ لِذي الجلال، وجَلواتِ جَمالِ الحَقّ المُتعال. ثُمَّ بَعْدُ أوْجَدَ الأشياءَ، ومِنْ لِسانِ وجودِ المَوجوداتِ حَمِدَ نَفْسَهُ. مَنْ هُوَ ***صَفِيٌّ*** لِيَقْدِرَ أنْ يحيا بِمقامِ حَمْدِه؟. نَحْنُ لا نَقْدِرُ على حَمْدِ نِعْمَةٍ واحِدَةٍ مِنْهُ، فكيفَ نَقْدِرُ على حَمْدِ ذاتِه؟. إلاَّ أنَّهُ أعطى الحياةَ للطِّينِ، وَجَعَلَ في فِطْرَتِهِ العِلْمَ، وَجلا كُدورَتَهُ بِصفاءِ العَقْل، وَخَلَعَ عَلَيْهِ بِتَشْريفِ ***خَلَقَ اللهُ آدَمَ على صُوْرَتِه***، وأَمَرَهُ أنْ اعْرِفْ عَجْزَ نَفْسِكَ، واحْمِدْني بِكُلِّ لِسانٍ عَلِمْتَ ما استَطَعْت، مَعَ أنَّكَ لَنْ تَعْرِفَ حُقوقيَ نِسْبَةً إلى نَفْسِك، ولن تستطيعَ حَمْدي بِقَدْرِ أصْغَرِ نِعْمَةٍ عَلَيْك. لِهذا أحْمَدُهُ بِقَدْرِ وجودِ نَفْسي، وأسعى في صراطِ حَمْدِهِ بِحَرَكَةِ نَمْلَةٍ. وبديهِيٌّ أنَّ نِعْمَةَ الحَقّ لا نِهايَةَ لها، فلا يستَطيعُ شَخْصٌ أنْ يَتَذَكَّرَ القَليلَ مِنها، وأنْ يشْكُرَ الآلافَ مِنْها. فلائقٌ بالمَعْبودِ حَمْدٌ غَيْرُ مَحْدود، وهديَّةٌ لِروحِ النَّبِيّ المَحْمودِ وآلِهِ الكِرامِ سلامٌ غَيْرُ مَعْدود.

في هذا العَصْرِ والعالَمُ مُنَظَّمٌ، وَتَرَقّي النُّفوسِ مُسَلَّمٌ، سُلطانُ الغَيْبِ جاءَ بِهذِهِ الذَّرَّةِ الفانيَةِ، الميرزا حَسَن أصفهاني المُلَقَّبِ *صفي علي نِعْمَةُ الله*، ***أراهُ اللهُ حقائقَ الأشياءِ كما هِيَ***، مِنْ كَتْمِ الغَيْبِ إلى عَرْصَةِ الشُّهود، وأسْبَغَ عَلَيْهِ الإحسانَ بانكِشافِ أسرارِ العِرْفان، بِحُكْمِ ***خَلَقَ الإنسانَ عَلَّمَهُ البيان***.

وسابِقاً كانَ وَجَدَ قَلَمُهُ المِسْكيُّ الخِتامِ التَّوفيقَ لِنَظْمِ المَنظومَةِ المُسَمَّاةِ بِزُبْدَةِ الأسرار، المُبْتَناةِ على دَقائقِ المَعارِف، ومراتِبِ سُلوكِ السَّالِكِ العارِف. وعادَ فَعَدَّ عُمرَهُ العَزيزَ مُغْتَنَماً لِتَحْريرِ هذِهِ الرِّسالَةِ المُسَمَّاةِ ***عِرفان الحَقّ***. وقد طَلَبْتُ المَدَدَ مِنْ باطِنِ الوَلِيِّ المُطْلَقِ لِيَقَعَ في يَدِي طَرَفُ الخَيْط، ولِيُظْهِرَ لِكُلِّ ناظِرٍ بلا مَشَقَّةٍ رياضَةَ التَّفَرُّجِ في رياضِ الحقائق. بناءُ هذا الكِتابِ لَيْسَ على فَصْلٍ وباب. فَصْلُهُ التَّوحيدُ، وبابُهُ التَّأييد. كُتِبَ المَطْلَبُ بِمُقْتَضى الحالِ والمَقامِ. ليصيرَ مَقْبولَ أربابِ المَعْرِفَةِ والعُقولِ إنْ شاءَ الله.

بسمِ اللهِ تعالى شَأنُه

اِعْلَمْ أنَّ ذاتَ الحَقِّ صِرْفُ وُجُود، وأنَّ الوُجودَ بالحقيقَةِ واحِدٌ. الأشياءُ موجودَةٌ بوُجودِهِ، وبِنَشْأَةٍ واحِدَةٍ سَكْرى. وُجودٌ واحِدٌ وَأَثَرٌ مُتَعَدِّدٌ، إذا عَبَرْتَ مِنَ الأثَرِ وَصَلْتَ إلى سِرِّ الوُجود. لَيْسَ للوُجودِ ضِدٌّ لِيَظْهَرَ مَخْفِيّاً. عالٍ أظْهَرُ مِنْ كُلِّ ظاهِرٍ، ولا ظاهِرَ غَيْرُه. هُوَ الظّاهِرُ وَغَيْرُهُ أيّاً كانَ خَيالٌ. قَوْلُ غَيْرِهِ خَطَأٌ، غَيْرُهُ ما يَكونُ وأيْنَ يَكون؟.

لِمُؤَلِّفِه

فَهْمُ ذا لَيسَ شُغْلَ العَقْلِ الدّانِي أُتْرُكِ العَقْلَ فهذا وُجْداني

الوُجودُ لا مَثَلَ لَهُ ولا مَحَلّ، ولا آخِرَ لَهُ ولا أوّل. الأوَّلُ والآخِرُ مراتِبُ وُجود، والوُجودُ مِنْ حَيْثُ هُوَ غَيْرُ مَحْدُود. الوُجُودُ دائماً في تَجَلٍّ، ولا طَفْرَةَ في ظُهُورِهِ ولا تَعْطيل.

مَعْنى ***كُنْتُ كَنْزاً مَخْفِيّاً*** لَيْسَ أنَّهُ كانَ مَخْفِيّاً زَماناً ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهَر. بل يَعني أنَّ الوُجودَ الصِّرْفَ ذاتٌ، والذّاتُ وَحْدَها المُنَزَّهَةُ عَنِ اعْتِباراتِ الصِّفات. هكذا وهُوَ *الآنَ كما كانَ*. لا فَتَحَ باباً ولا أغْلَقَ حِجاباً. تَجَلّي الذّاتِ كانَ وُجوداً في الأسماءِ والصِّفات، وإظْهاراً للنَّفْسِ في تِلْكَ المِرآة.

هذِهِ الصُّوَرُ كُلُّها ليستْ غَيْرَ تَجَلٍّ، كُلُّ واحِدٍ بِجَلْوَةٍ مُتَجَلٍّ. تَجَلّي الماءِ حُبابٌ، إذا انكَسَرَ الحُبابُ فَهُوَ عَيْنُ الماء. الأشياءُ مراتِبُ الوُجود، طَلَبَها لِنَفْسِهِ، وَزَيَّنَ

كُلَّ رُتْبَةٍ بِمَظْهَر، كُلُّ شَخْصٍ فَهِمَ، وَصَل إلى مَنْفَعَةِ نَفْسِهِ. فَناءُ العارِفِ تَرْكُ مُلاحَظَةِ الاِعْتِبارات، وإدراكُ الإشارات.

العارِفُ غَطّى العَينَ عَنِ المَراتِب، ورأى الوجودَ في المراتِب. وُصولُ الدَّرويشِ نَفْيُ المَوهومِ وإثباتُ المَعْلوم. يعني الفناءُ بالله. المُرادُ مِنَ الوُصولِ كَشْفُ الحَقائق، لَيْسَ الاِتِّحادَ أو الاِتِّصالَ بِذاتِ الخالِق. *بايزيد* رَحِمَهُ اللهُ قال *وَجَدْتُ اللهَ وَعَرفْتَهُ وَلَمْ أَقْدِرْ على السَّيْرِ في مراتِبِ الخاتَم. كانَ خاطِري مائلاً للسَّيْرِ في مقاماتِ النُّبُوَّةِ وحالَتْ بِحارُ النَّار*. قالوا إذا كانَ الوُصولُ إلى الحَقِّ مُمْكِناً، فكَيْفَ لا يُمْكِنُ رُؤيَةُ كَمالِ الخاتَم؟.

أقولُ بايزيد وَصَلَ إلى حَقٍّ وَحَقيقَةِ نَفْسِهِ، لا إلى حَقٍّ وَحقيقَةِ الرَّسول. الشَّيءُ الَّذي يُمْكِنُ الوُصولُ إلَيْهِ مَحْدود، والحَدُّ مُنافٍ لِقُدْسِ المَعْبود. البِدايَةُ والنِّهايَةُ مراتِب، والمراتِبُ غَيْرُ ذاتِ الواجِب. العارِفُ تَحَرَّرَ مِنَ المراتِبِ وَجَلَسَ على سَريرِ الوَحْدَة. الكَثْرَةُ حِجابُ الوَحْدَة. ارْفَعِ الحِجابَ عَنِ الوَحْدَة. يَعني أنتَ نَفْسُكَ حِجابٌ، مِنْ حِجابِ نَفْسِكَ اخْرُجْ، لِتَجِدَ في الكَثْرَةِ عَيْنَ الوَحْدَة. المُوَحِّدُ نَهَضَ حَوْلَ كَثْرَتِه وقالَ العالَمُ عَيْنُ *ما*. *ما* في اللُّغَةِ إثباتُ نَفْيٍ. يعني الجَميعُ هُوَ و**لا إلهَ إلاَّ هُوَ**.

شِعْر

بَكَتِ القَطْرَةُ أنْ كُلُّنا مِنَ البَحْرِ سَواءْ   ضَحِكَ البَحْرُ على القَطْرَةِ أنْ كُلُّنا ماءْ

قِيْلَ للشِّبْلي في حالِ الاِحْتِضارِ قُلِ الشَّهادَة، قالَ الشَّهادَةُ نَفْيُ الغَيْرِ وإثْباتُهُ هُوَ. واجِبُ النَّفْيِ ذاكَ غَيْرُ مَوجود، وذاكَ الَّذي لا شَيْءَ غَيْرُهُ مُسْتَغْنٍ عَنِ الإثبات. كيفَ إثبات غَيْرِ الموجود، وكيفَ للمَعْدومِ إظْهارُ الوُجود؟.

لِمُؤَلِّفِه

ذاكَ المَوجودُ مُثْبِتُ ذاتِهِ وُجُودُهُ ذاكَ عَيْنُ إثْباتِهِ

وقُلْتُ أيضاً

أيْ مَنِ القَلْبُ المَكسورُ مَحَلٌّ لَكَ، العالَمُ كُلُّهُ إشعاعُ لِقائِك
يُثْبِتونَكَ بِنَفْيِ غَيْرِك، مَنْ أَنْفيْ فَهُوَ سِواكَ مَوجودٌ؟

وهُوَ تَعالى ذاتاً بِشَرْطٍ وحقيقَةً مُطْلَقٌ. ليسَ لَهُ شَرْطُ إطلاقٍ ولا قَيْدُ تَقييد. لا مُطْلَقٌ ولا مُقَيَّدٌ. لا كثيرٌ ولا واحِدٌ، مُنَزَّهٌ عَنْ جَميعِ الشُّروط، حتّى عَنِ الشَّرْطِ وَعَدَمِ الشَّرْط، مُطْلَقٌ عَنْ تمامِ القُيود، حَتَّى عَنْ قَيْدِ الإطلاق.

لِمؤَلِّفِه

العارِفُ الَّذي قالَ عَنِ الحَقِّ قال، أنَّ ذاتَ الحَقِّ ذاتُ وُجودٍ مُطْلَقٍ لَيْسَ بِذاكَ الإطلاقِ الَّذي يستَطيعُ، أنْ يقومَ بإدراكِهِ العَقْلُ الحاذِق العَقْلُ في وَصْفِ ذاتِهِ حَيرانٌ، لأَنَّهُ نَفْسَهُ ظِلُّ وَصْفِ تِلْكَ الذَّات لا بِشَرْطِيٍّ لَيْسَ شَرْطاً لِذاتِهِ، بَلْ وَصْفاً واحِداً مِنْ صِفاتِه الذَّاتُ المُطْلَقَةُ لا تَجيءُ تَحْتَ الشَّرْط، هِيَ لا بِشَرْطٍ وَمُطْلَقَةٌ مِنْ كُلِّ شَرْط

أمَّا عِلْمُ الواجِبِ تَعالى فَعَيْنُ الوُجود، والعِلْمُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَيْنُ وُجودِه. المَعْدومُ مَحروم، والمَوجودُ عَيْنُ المَعْلوم. الوجودُ في كُلِّ رُتْبَةٍ تَجَلٍّ كانَ دَليلَ عِلْمِ عَيْنِهِ. أمَرَ الحَقُّ تعالى بإيجادِ كُلِّ ما كانَ قابِلاً للوجود، وَمِنْ إيجادِ الموجوداتِ لَمْ يَزِدْ في عِلْمِهِ شَيْء. لَمْ يَجْعَلِ العَدَمَ مَوجوداً، جاءَ بالمَوجودِ مِنْ كَتْمِ العَدَمِ إلى عَرْصَةِ الظُّهُور. العَدَمُ لا يَصيرُ وُجوداً، والوجودُ لا يَصيرُ عَدَماً أبَداً. الأشياءُ تَذْهَبُ مِنْ عالَمٍ إلى عالَمٍ آخَرٍ، وتَصيرُ مُبَدَّلَةً بِتَكْميلِ الوُجود. ***خَلَقَ الأشياءَ مِنَ العَدَم*** يَعني جاءَ بالأشياءِ مِنْ عالَمِ الغَيْبِ المُطْلَق إذْ هِيَ هُناكَ أعيانٌ، ولها وُجودٌ عِلْمِيٌّ، إلى عالَمِ الشُّهُود. القُدْرَةُ لا تتعلَّقُ بالمُحال، والعَدَمُ لا يَقْبَلُ الوجودَ أبَداً. الشَّريكُ مِنَ المُحالاتِ أيضاً في كُلِّ حالٍ، وَشُبْهَةُ ابنِ كمونَه طامات. صاحِبُ العَقْلِ السَّليمِ والذَّوقِ المُستَقيم لا يَقْدِرُ على إظْهارِ تَصَوُّرِ وُجودَين، وذاكَ الَّذي أظْهَرَ التَّصْويرَ أو التَّقْريرَ كانَ مُشْرِكاً. **سُبحانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكون.**

أمَّا **القُدْرَة**، فكُلُّ فِعْلٍ قابِلٌ للوُجود، قادِرٌ مُختارٌ يفعَلُ بإرادَةِ نَفْسِه. وَذلِكَ الَّذي هُوَ غَيْرُ قابِلٍ لا إرادَةَ لَه، وذلِكَ القابِلُ تَرْكُهُ لا يُعَبِّرُ عَنْ ***إنَّ اللهَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدير***.

قُلْتُ الخَلْقُ ظُهُورُ الذَّات، والمُمْكِناتُ مرايا الصِّفات. كمالُ النَّفْسِ يَظْهَرُ بالأفْعال، وفي مَعْمَلِ قُدْرَتِه لا مَجالَ للجَبْرِ. الأشياءُ كُلُّ شَيْءٍ في مَرْتَبَةٍ واقِعٌ، وهُوُ لِتِلْكَ الرُّتْبَةِ قابِلٌ وبِها قانِع.الحَقُّ تعالى وَهَبَ فَيْضَ الوُجود لِكُلِّ قابِلِ رُتْبَةٍ رآه. الإخْتيارُ قَبولُ الوُجود، والجَبْرُ إمْدادُ الحَقِّ للمَوجود. بلا مَدَدِ وعِنايَةِ الحَقِّ تعالى لا يَسْتَطيعُ أيُّ مَوجودٍ بِحَدِّ ذاتِهِ أنْ يحيا. ذلِكَ مِنْ كَونِهِ غَيْرَ مُسْتَقِلٍ بالوُجودِ، آخَرٌ أعطاهُ الوُجود. فهُوَ إذَنْ مُحتاجٌ للعِنايَةِ وللإمْداد. المُرادُ مِنَ

الجَبْرِ باصطلاحِ أربابِ الاِطِّلاعِ والدَّراويش الإلهيّينَ نُصْرَةُ الحَقِّ للخلائق، لا الإجبارُ بِوقوعِ غَيْرِ اللاّئق. عَونُ الحَقِّ تعالى لا تَعْطيلَ لَهُ، وإلاَّ فأيُّ مُمْكِنٍ لا يستطيعُ أنْ يحيا في مَرْتَبَةِ نَفْسِه. قَبولُ الوُجودِ حِمْلٌ ثَقيلٌ، تَحَمُّلُهُ على كُلِّ مَوجودٍ عَسير، فإذا كانَ مَدَدٌ مِنْ مَعونَةِ الباري صارَ يسيراً. لِعَرْضِ فَهْمِ المَطْلَب، أَقْبِلْ مِنَ الشَّوقِ في رَقْص.

أمَّا أمْرٌ بينَ أمْرَين، فنُكْتَةٌ مَليحَة، وفي مقامِ التَّكليفِ صحيحة. دَعِ الإفراطَ والتَّفريط، وحافِظْ على اختيارِ الوَسَطِ بَيْنَ هذينِ الأمْرَينِ. يعني اِسْعَ في الطَّاعة، واطلُبِ العَونَ مِنَ الحَقّ. لا تَتْرُكْ نَفْسَكَ، ولا تَظُنَّنَ أنَّكَ قادِرٌ في أداءِ حُقوقِ المَعْبود. حاصِلُ ذلِكَ أنَّهُم لَمْ يَجْعَلوكَ مَجْبوراً، ولَمْ يَتْرُكوكَ مُخْتاراً.

إذا سِرْتَ في صِراطِ الأوامِرِ مُستَقيماً، تَصيرُ واقِفاً على الجَبْرِ الحَقيقيّ، وعلى سِرِّ (***ما شاءَ اللهُ كانَ وما لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ***)، ما يكونُ، وأنَّهُ لا إرادَةَ واختيارَ إلاَّ إرادَةَ واختيارَ الحَقِّ المُطْلَقِ. لكِنَّهُ في التَّكليفِ أعطى الخَلْقَ الإختيارَ، وَجَعَلَ العِنايَةَ في سِرِّ الإختيار، ليكونَ العابِدُ مُسْتَحِقّاً للثَّواب، والعاصي مُستوجِباً للعِقاب. الصِّراطُ المُستقيمُ ما بينَ اليسارِ واليمينِ إجْمالاً، وخيرُ الأمورِ هُوَ هذا. في كُلِّ مَرْتَبَةٍ مِنَ الوجود، الواقِفُ بِتِلْكَ المَرْتَبَةِ عارِف. الكمالُ في حِفْظِ المراتِب، ولِكُلِّ مقامٍ مُناسِب.

أمَّا الشَّريعَة، فهِيَ نَظْمُ المَمْلَكَة، فلا تَقُمْ بِعَرْضِ شؤونِ السَّلْطَنَةِ بلا آدابِ الشَّريعةِ، واحْتَرِزْ مِنْ هَتْكِ هذا النَّاموس، وإلاَّ أراقوا ماءَ وَجْهِكَ وعَلَّقوكَ بِشَعْرِ رأسِك. ذاكَ الَّذي لَهُ الطَّريقُ إلى خَلْوَةِ الشّاه، لا يرى الإسْتِخفافَ بالسَّلْطَنَةِ سَهْلاً. هُناكَ احتياجٌ لِحِفْظِ صُورَةِ كُلِّ شَخْصٍ، ذاكَ الَّذي قالَ ما الاحتياجُ

للواصِلِ، في نَظَرِهِ وَسَليقَتِهِ اعوِجاج. عِنْدَ أَهْلِ الوُصولِ تَرْكُ العَمَلِ دناءَة، وَتَرْكُ مُلاحَظَةِ العَمَلِ هِمَّة.

حافِظْ على الهِمَّةِ عالِيَةً، وأنْجِزْ كُلَّ عَمَلٍ في مقامِه. معنى **لو ظَهَرَتِ الحَقائقُ بَطُلَتِ الشَّرائعُ** ليسَ أنَّهُ إذا رَفَعَتِ الحَقيقَةُ لِواءَ الظُّهُور، وَجَبَ أنْ تنتهي الشَّريعَة. بل إذا عَرَضَ مَرَضٌ لا يكونُ مُمْكِناً القيامُ بالآداب. الحَقيقَةُ حالَةٌ إذا ظَهَرَتْ سَقَطَتِ الآداب. أي يكونُ سَلْبُ شُعور، والدَّستورُ حينئذٍ قَهْراً مَستور. فإذا عادَ إلى حالَةِ نَفْسِهِ لا يستَطيعُ تَرْكَ شَعْرَةٍ مِنْ آدابِ الشَّريعَة. الشَّريعَةُ آدابٌ وفي هذا المقامِ خَيْطُ العَنْكَبوتِ بحِساب. بِسلامٍ عامٍّ مُقَرَّبُ شاهِ جَبَروتِ السَّلْطَنَةِ يُراعي الأدَبَ أكْثَر كي يكونَ في خَلْوَةِ القُرْبِ ويكونَ مُطْمَئِنّاً. العارِفُ الَّذي تَرَكَ آدابَ الشَّريعَةِ أعطى الدَّليلَ على كونِهِ غَيْرَ مُقَرَّبٍ في البِلاط. كَثْرَةُ الألفاظِ هَوَس، فَهْمُ النُّكتَةِ كافيهِ هذا القَدْر.

أمَّا الطَّريقَة، فهِيَ تَرْكُ الآمال، وتَصحيحُ الخَيال، وتبديلُ النَّقْصِ بالكمال. إذا كانَ هذا ذَوقُكَ حَقّاً اِجْعَلِ نَفْسَكَ بلا غَرَض، واجْعَلِ البَدَلَ عِوَضاً للأصْلِ. تَواضَعْ، وأعْطِ الإنْصافَ للهِ، ولا تَطْلُبِ الإنْصاف. إذا طَلَبْتَ العوَضَ في الخَيْرِ فأنتَ طالِبُ دُنيا، وبلا أدبٍ في حَلْقَةِ أَهْلِ الحُضور. الإنسانُ حَصَلَ على المَلَكاتِ الجَميلَة، الحَيوانُ ماتَ في الصِّفاتِ الرَّذيلَة.

إذا كُنْتَ في تَرْكِ الآمالِ فأمَلُكَ بِماذا، وإذا كُنْتَ في تَصْحيحِ الخَيالِ فَغَرَضُكَ مَعَ مَن؟. ذاكَ الَّذي يصيرُ ذِكْرُ الحَقّ مَلَكَةً لَهُ، تَذْهَبُ أنانيَّتُهُ مِنْ فِكْرِه. **مَنْصور** عَنْ حَقِّ نَفْسِهِ كانَ بلا خَبَرٍ، الحَقُّ بلسانِهِ قالَ **أنا الحَقّ.**

غَيرُ الحَقِّ مَنْ يكونُ لِيَقولَ أنا الحَق؟

فإنْ قُلْتَ فِرعَونُ أيضاً أَظْهَرَ هذِهِ الدَّعوى، أقولُ تِلْكَ كانَتْ دَعْوى. أي كانَ يقولُ مِنْ وَجْهِ طَبيعَةٍ وهوىً، لا مِنْ طَرِيقِ حَقيقَةٍ وفناء. ذا مُشْعِرٌ بِأَنَّهُ ليسَ الله. هذا الفَرْقُ كافٍ. بايزيد قالَ سُبحانَ الله، جاءَ الخِطابُ أيْ رَجُلَ الطَّريقِ أظَنَنْتَ بي عَيباً لِتأتيَ بالتَّنزيه؟، نَزِّهْ نَفْسَكَ مِنْ معائبِ الوجود، وحافِظْ على تَنزيهِ نَفْسِك. اِعْقِدِ الكَمَرَ في الرِّياضَةِ حتَّى تَتَحَرَّرَ مِنَ العُبودِيَّة، وتَجْلِسَ على سَريرِ **سُبحاني ما أعْظَمَ شاني**. مُناسِبُ هذا الحالِ قَولُ إبراهيم أدْهَم: أغْلَقْتُ العَيْنَ عَنْ سَلْطَنَةِ بَلْخ، وبِعْتُ تِلْكَ بِسَلْطَنَةِ الفَقْر. قالَ لَهُ دَرويشٌ، لَعَلَّ سَلْطَنَةَ بَلْخٍ لا تَزالُ في فِكْرِك، وقد كُنْتَ وَقْتاً سُلطاناً؟، لا تَتَنَفَس نَفَسَ الدَّراويش، مادُمْتَ لَمْ تَقُمْ بِتَرْكِ الوجود.

لِمؤلِّفِه

ذَهَبَ الدَّراويشُ مِنْ هذهِ النَّاحِيَة طُفنا كثيراً ولا أثَرَ لِدرويش

الدَّرويشُ تَحَرَّرَ مِنَ العالَمَين، فَلَيْسَ يَدري أنَّ العالَمَ مَوجود. لا ***كَيْفَ*** عِنْدَهُ لِيقولَ لَكَ كيفَ كان، سِرُّهُ مَخْفِيٌّ، وحَرفُهُ غَيْرُ مَنطوق. قالَ قائلٌ ليسَ في العالَمِ دَرويش، أي الدَّرويش لا يعرِفُ عالَمَاً ولا يبقى في عالَم. لو بقيَ في مَقامٍ فَهُوَ لَمْ يَقْرَأْ صحيحاً دَرْسَ الدَّرويش، ولمْ يَثِبْ بِجوادِ الهِمَّةِ مِنْ جَدْوَلِ التَّعَيُّنات. استَمِعْ إلى مراتِبِ أهْلِ الطَّريقَة، وكُلَّ شَخْصٍ بِتِلْكَ العلامَةِ وَجَدْتَ سِرْ سالِماً مَعَهُ.

العاقِلُ أعطى التَّمَيُّز، وتحرَّرَ مِنَ الخَطَراتِ بِقُوَّةِ التَّقوى. لا يَذْهَبُ بلا خَبَر، ولا يقولُ بلا ثَمَر. **العارِفُ** نَظَرَ بعينِ الوجودِ، وَسَلَكَ الطَّريقَ بالبَصيرَة، لَمْ يَرَ

خِلافاً، ولمْ يجلِسْ اعتِراضاً. **السَّالِكُ** يسلُكُ طَريقَ نِفْسِهِ، ويحصِدُ زَرْعَ نَفْسِه. ذاكَ الَّذي هُوَ سالِكُ طَريقٍ ما شُغْلُهُ بيمينِهِ ويسارِهِ؟، هُوَ رفيقٌ للجميع، ومُنْزَوٍ عنِ الجَميع. **المَجْذوبُ** أراقَ الحَياةَ، وفَرّ مِنَ النَّفْسِ والخَلْقِ. **المُرتاضُ** لا يسعى بِمُرادِ نَفْسِه، ولا يصرُخُ مِنْ كُلِّ جُرْح. **العاشِقُ** لهُ طَبْعُ عِربيدٍ حَمَّالُ بلاء. **الفقيرُ** لا غَمَّاً يملِكُ ولا سُروراً، ولا يصيرُ في زِيادَةٍ ولا في نَقْص، ويُعطي كُلَّ ما مَلَكَ. إبليسُ يَفِرُّ مِنَ الفقيرِ ولا يختلِطُ بِه. **المُريدُ** يكونُ مُراقِباً للحَقِّ ومُصاحِباً للنَّفس، هُوَ بالنَّفْسِ مَشغولٌ، ومِنْ أنانِيَّتِهِ مَلولٌ. **المُرادُ** أوصَلَ كُلَّ حَقٍّ ولم يبقَ عاجِزاً في العطاء. **المُرْشِدُ** ماتَ عَنْ نَفْسِهِ أوّلاً، وأخَذَ الخَلْقَ في طريقِ اللهِ ثانياً. **الكامِلُ** غنيٌّ عَنِ الجَمْعِ والفَرْق، وبغَيْرِ اعتناءٍ بالجَمْعِ والفَرْق. **الصُّوفِيُّ** ما لَهُ قالٌ ولا حالٌ، ولا يَعْرِفُ الفِراقَ ولا الوِصال، ولا يَطْلُبُ الصُّلْحَ ولا الحَرْب، لا يَأخُذْ رَسْماً ولا لَوناً، ولا يصيرُ قليلاً ولا كثيراً، لا يقبَلُ وَضْعاً ولا قانوناً. **الشَّيْخُ،** مَدينَةُ عِلْمٍ وَشَخْصُ حِلْمٍ، ما عِنْدَهُ مَجْهول، ولا يجيءُ بِمَجْعول، لا بِنِعْمَةٍ يصيرُ مُنْقَلِباً، ولا بِنِقْمَةٍ يصيرُ مُضْطَرِبا. **المُرْشِدُ،** لمْ يَرْفَعْ حِجاباً عَنِ الوَجْه، ولمْ يَعْقِدْ حِجاباً على الوَجْه، هُوَ ذاكَ الَّذي كانَ، هُوَ هذا الَّذي يكون، ذاتُهُ لا ثانِيَ لها، عَفْوُهُ لا يُبقي على خَطَأ. **حُبُّ عَلِيٍّ حَسَنَةٌ لا يضُرُّ مَعَها سَيِّئَةٌ.**

مرحى لِنَظَرِهِ الطَّاهِرِ الَّذي يستُرُ الخَطَأ، كُلُّ مَنْ كانَ فانياً فيهِ، ليسَ غَيْرَ هُوَ. إذا كُنْتَ أهْلَ فَهْمٍ لا تَبِعْ رَخيصاً. قُطْبُ مَظْهَرِ الذَّات وَزُبْدَةُ المُمكِنات، مرساةُ العَرْشِ وحاكِمُ الفَرْش، هُوَ بالمَعْنى عليٌّ وبالصُّوْرَةِ وَلِيّ، بالحَقيقَةِ غائبٌ وبالوِلايَةِ نائبٌ، ذاتُهُ قائمٌ ولُطْفُهُ دائمٌ، بالعِنايَةِ هادٍ وبالهِدايَةِ مَهْدِيّ، بالظَّاهِرِ

خَلْقٌ وبالباطِنِ حَقٌّ، بجَمالِ قائدٍ وبِجلالِ درويش، والدَّروَشَةُ إشارَةٌ لِجَمْعِ الولايَة، فافْهَمْ.

لِمؤلِّفِه: إنْ فَهِمْتَ هذا البيانَ غَيرُ بَعيدٍ وإنْ لَمْ تَفْهَمْ فلا دَستورَ بَعْدَ هذا

التَّصَوُّف

قالَ البَعْضُ التَّصَوُّفُ مُشْتَقٌّ مِنَ الصُّوف، وهذا قَولٌ مَعْروف. وبعضٌ أورَدَ أنَّ أهْلَ الصِّفَةِ كانوا يُدْعَوْنَ صوفِيِّين، وبقيَ هذا الإسْم. وَبَعْضٌ قالَ أنَّ التَّصَوُّفَ مُشْتَقٌّ مِنَ الصَّفّ، يعني أنَّهُمْ مِنْ أهْلِ الصَّفِّ الأوَّلِ وقُلوبُهُمْ مَعَ الله، أو في الصِّدْقِ والصَّفاء، أو في الإيمانِ والتَّقوى، أو في الزُّهْدِ بالدُّنيا، وبَعْضٌ رَأوا الصُّوفِيَّ مُشْتَقّاً مِنَ الصَّفاءِ، وَدَعَوا أهْلَ التَّصْفِيَةِ صُوفِيِّين. وأنا الفَقيرُ مَعَ أولئكَ في أنَّ الصُّوفِيَّ مَأخوذٌ مِنْ صَفِيّ، وأسرارُ وجودِ آدَمَ في الصُّوفِيِّ ثابِتِ القَدَمِ صافي النَّفَسِ مُخْتَفِيَةٌ، وسِلْسِلَةُ التَّصَوُّفِ بلا تعطيلٍ وتوقُّفٍ مُتَّصِلَةٌ بِآدَمَ الصَّفِيّ. الحَقُّ تعالى عَرَضَ آدَمَ بِلَطيفَةِ التَّصَوُّفِ مُلَقَّباً بِصَفِيِّ الله، وأمَرَ الملائكَةَ بالسُّجودِ لَهُ بِدونِ تَكَلُّفٍ. الأرواحُ والعُقولُ المُجَرَّدَةُ الَّتي كانَتْ مُصَفَّاةً مِنْ دَرَنِ الطَّبيعَةِ جاءَتْ بالسُّجودِ بِجَذْبِ الجِنْسِيَّة، والأجسامُ المُقَيَّدَةُ الكثيفَةُ لَمْ تَكُنْ مِنْ سِنْخِ الصَّفْوَةِ، وبقِيَتْ في كُدورَةِ الأنانِيَّةِ وظُلْمَةِ النَّفْسِ شَيطانِيَّةِ السِّيْرَة، وعَنِ السُّجودِ لآدَمَ المَعْنَوي، الَّذي هُوَ في كُلِّ دَوْرٍ مُكَمِّلُ الخَلْقِ وخَليفَةُ الحَقّ أبَتْ وزادَتِ استِكباراً.

تحقيقٌ عميق، اِعْلَمْ أنَّ الإنسانَ بالصُّورَةِ عالَمٌ صَغير، وبالمَعنى عَلَمٌ كبير، وفيهِ مِنْ حقائقِ الألوهِيَّةِ والرِّسالَةِ والنُّبُوَّةِ والوِلايَةِ والخِلافَةِ واللاّهوتِ والنَّاسوتِ والجَبَروتِ والمَلَكوت علامَةٌ وإشارَة. فإذا صارَتْ مِرآةُ الوجودِ الإنسانِيّ مَصْقولَةً

ومُصَفَّاةً مِنْ زنجارِ الهَوى والعلائقِ النَّفسانِيَّةِ، صارَتْ هذِهِ المراتِبُ بِتَمامِها ظاهِرَةً فيها اِضطِراراً. الأوصافُ الحَميدَةُ والأخلاقُ المَرْضِيَّةُ ملائكَةٌ باطِنِيَّةٌ، مأمورَةٌ مِنْ ذاتِ الوُجودِ بالسُّجود، يعني بِإطاعَةِ العَقْلِ المَحمود، الَّذي هُوَ آدَمُ المَسجودُ لهُ في الباطِنِ، والخِصالُ الخَبيثَةُ الرَّديئةُ الَّتي هِيَ شياطينُ الباطِنِ، وشؤونُ النَّفْسِ الأمارَةِ علاماتُ إبليس، امْتَنَعَتْ عَنْ إطاعَةِ خَليفَةِ اللهِ المَعْنَويّ والاِنقيادِ لَهُ. أسرارُ الوُجودِ الَّتي جَعَلَها الحقُّ تعالى وَديعَةً في آدَمَ ليسَتْ غَيْرَ التَّصَوُّف. وكُلُّ شَخْصٍ اتَّصَفَ بِتمامِ أوصافِ الآدَمِيَّةِ صوفِيّ. مِنْ قَبْلِ ظُهُورِ الخَتْمِيّ المآبِ(ص) كانَتْ بَعْضُ النُّفوسِ الزَّكِيَّةِ بآدابِ وَرَوِيَّةِ التَّصَوُّف، لكِنْ بلا شُيوعٍ كامِلٍ. وعِنْدَما وَصَلَتْ خِرْقَةُ الفَقْرِ إلى سَيِّدِنا لَمْ يَدَعْ شَيئاً مِنْ كمالِ التَّصَوُّفِ مَخْفِيّاً. عليُّ بنُ أبي طالِبٍ عَلَيهِ السَّلامُ الَّذي خَاطَ خَيَّاطُ الأزَلِ هذا الثَّوبَ على قامَتِهِ، وكُلُّ صُوفِيٍّ كامِلٍ تَعَلَّمَ أسرارَ التَّصَوُّفِ كما هِيَ مِنْه. أخْرَجَ هذا الجَوْهَرَ الثَّمينَ مِنْ مَخْزَنِ الأسرارِ تَماماً، وبالجودِ الَّذي كانَ جِبِلَّتَهُ، عَرَضَهُ في بازارِ الكائنات، ليستَطيعَ كُلُّ شَخْصٍ بِقَدْرِ طاقَتِهِ الانتِفاعَ بِهِ، وَجَعَلَهُ بِمَحْضِ الكَرَمِ وديعَةً في الخُلَفاءِ مِنْ بَعْدِهِ الَّذينَ هُم:

نَسْلُهُ بلا مِزاجِ ماءٍ وطين   أكانوا مِنْ بَغدادَ أمْ مِنَ الرَّيِّ

يقومونَ بِتَكميلِ النُّفوسِ الزَّكِيَّة في كُلِّ دَوْرٍ، ويَجْعَلونَ القُلوبَ مَقبولَةً بِقَدْرِ استِعْدادِ مِرآةِ أنوارِ الشُّهود، ومجلى تَجَلِّياتِ الوُجود. النَّبِيُّ المحمودُ قالَ **الفَقْرُ فَخْري**، وَوَلِيُّ ذي الجُودِ أظْهَرَ بِدِقَّةٍ إخلاصَ العَمَلِ الَّذي هُوَ واحِدٌ مِنْ أوصافِ التَّصَوُّف. هَمَّ بِقَتْلِ كافِرٍ، وذاكَ مِنَ العَجْزِ تَفَلَ. صارَ الأميرُ غضباناً وامتَنَعَ

عَنْ قَتْلِه، وهذا إرشاد، أي رأيْتُ نَفسيَ مشغولَةً، وقد أظْهَرَتْ نَفْسها، لَمْ أصِرْ غافِلاً عَنها، وَشَدَدْتُ اللجامَ في فَمِها أنْ **فاخْرُجْ فإنَّكَ رَجيم.**

قيلَ: عَجَباً *ذاكَ الَّذي يتعهَّدُ البَدَنَ بهذا الشَّكْل، متى يكونُ مِنْهُ حِرْصٌ على خِلافَةٍ وإمارة*

ولكُلِّ واحِدٍ مِنْ أهْلِ التَّصْفِيَةِ في معنى التَّصَوُّفِ بيان، ومِنْ مقامِ نَفْسِهِ إشارَةٌ وبُرهان.

قالَ عَظيمٌ: التَّصَوُّفُ خُروجٌ مِنْ كُلِّ خُلُقٍ دَنِيّ، ودُخُولٌ في كُلِّ خُلُقٍ سَنِيّ، وقالَ آخَرُ هُوَ حالَةٌ تَضْمَحِلُّ بها المَعالِمُ الإنسانِيَّةُ ، وقالَ آخَرٌ الصُّوفِيُّ لا يملِكُ شيئاً ولا يَملِكُهُ شَيْءٌ. وقالَ جُنَيْد الصُّوفِيُّ كالأرْض مهما وُضِعَ عليها مِنْ قَبيحٍ لا يطلُعُ منها غيرُ المليح، وقالَ آخَرٌ بِما يُناسِبُ حالَ نَفْسِه: **الصُّوفِيُّ يكونُ مَعَ الوارِدات** وهِيَ إشارَةٌ لِمقامِ التَّسليمِ الآتي ذِكْرُهُ إنْ شاءَ الله. وقالَ آخَرٌ الصُّوفِيُّ وَحْدانِيُّ الذَّات، لا يَقْبَلُ أحَداً ولا يقبَلُهُ أحَدٌ، وهذا المَعْنى كَشْفٌ عَنْ مَقامِ التَّجْريد وبلوغِ السَّالِكِ جَمْعَ التَّوحيد، كما قالَ الرَّسولُ المَجيد: لي وَقْتٌ لا يَسَعُهُ مَلَكٌ مُقَرَّبٍ ولا نَبيٌّ مُرْسَل، والخَلْقُ عَنْ هَذِهِ الحالِ بلا خَبَر، وعن هذا الكَمالِ بلا أثَر. وخِصالُ الصُّوفِيّ كَثيرَةٌ، ولهُ ثلاثُ خِصالٍ دائمَةُ العَمَل: **التَّمَسُّكُ بالفَقْرِ والافتِقار، والتَّحَقُّقُ بالبَذْلِ والإيثار، وتَرْكُ التَّعَرُّضِ والاختيار**، والصُّوفيُّ لا كُلْفَةَ لَهُ على النَّفْسِ ولا أُلْفَةَ لَهُ بالغَيْر، بَعيدٌ عَنْ كُلِّ شَخْصٍ بِسِرِّ التَّنْزيه، ومَسرورٌ معَ كُلِّ شَخْصٍ بِحُكْمِ التَّشبيه. **بايزيد** قالَ تَخَيَّلْتُ الخَلْقَ موتى وَصَلَّيْتُ عَلَيْهِمْ صلاةَ المَيّت، ومَرَّتْ سِنونَ لا أتَكَلَّمُ إلَّا مَعَ الحَقّ والخَلْقُ يَظُنُّونَ أنّي أُكَلِّمُهُم، والصُّوفِيُّ كأنَّهُ الشَّمْسُ تُشِعُّ لِكُلِّ كثيفٍ ولطيف، ولا تتأثَّرُ بِأيِّ قبيحٍ أو جَميل، والصُّوفِيُّ مِرآةٌ مُصَفَّاةٌ، كُلُّ مَنْ جاءَ

قِبالَتَها تُظْهِرُهُ كما هُوَ. الصُّوفِيُّ لا يَطْلُبُ أيَّ نَفْعٍ ولا يَنقُصُ مِنْ خَسارَةٍ. لا يتمنَّى ثواباً ولا يَطْلُبُ نَجاةً مِنْ عذاب، ولا يقومُ بالتَّفكيرِ بالسُّوءِ ولا تَصَوُّرِ الجَميل، لا النَّهارُ لَهُ مُضيءٌ ولا اللَّيْلُ عَلَيْهِ مُظْلِمٌ. قالوا لبايزيد صباحُكَ بِخَيْر، قالَ أنا لا صباحَ لي ولا مساء، يعني أنا خارِجَ الزَّمانِ والمكانِ، ومُستَغْرِقٌ في بَحْرٍ بلا كَيْف، والصُّوفِيُّ لا عَمَلَ لَهُ ولا مَجال، ولا أمَلَ لَهُ ولا آمال، والصُّوفِيُّ مِثْلَ جَوهَرٍ سَلامَتُهُ قِيْمَةٌ وكَسْرُهُ قُوَّةٌ وكمالُهُ كَنْزٌ ونقصُهُ دَفْعُ أذى، والصُّوفِيُّ إذا رأى عَيْباً غَطَّاهُ وأيضاً نَسِيَه، هُوَ للقبائحِ ستَّارٌ وللمكارِهِ حَمَّال، والصُّوفِيُّ لا يَسْعَدُ مِنْ مَدْحِ شَخْصٍ ولا يَخْتَلِطُ مِنْ قَدْحِ شَخْص، وكمالُ الصُّوفِيّ فَقْرٌ بَعْدَ الغِنى وفناءٌ بَعْدَ البقاء، الصُّوفِيُّ رمى الدُّنيا وخَسِرَ ذخيرَةَ الآخِرَةِ أيضاً، وصَفَّى الخاطِرَ مِن كِلتيْهِما، ولمْ يتَخِذْ مِنْ مقامٍ مَحَلَّ إقامَةٍ، وهذا مَعْنى ***الفَقْرُ سوادُ الوَجْهِ في الدَّارَيْن***. بايزيد عليهِ الرَّحْمَةُ مَرَّ بِمَقْبَرَةٍ، رأى قَحْفاً مَنقوشٌ عَلَيهِ **خَسِرَ الدُّنيا والآخِرَة**، قَبَّلَهُ وبكى، قالَ هذا رَأْسُ صوفِي. دَليلُ هذا المَعْنى عِنْدَ الفَقير أنَّهُ ما كُلُّ رَأسٍ بِقابِلِ هذِهِ الإشارَة.

مَصْرَع **لِمُؤلِّفِه:** العَظيمُ يَجِبُ أنْ يَضَعَ مِنَ الرَّأسِ نَفْعَ العالَمين.

في هذا الأمْر قَدِّمْ خِدْمَةَ شَيْخِ الطَّريقِ والمُرْشِد، ثُمَّ بَعْدَها اخْطُ في الطَّريق. مِنْ دونِ إرادَةِ شيْخِ الطَّريقِ والمُرشِدِ لا تَستطيعُ أنْ تتَقَّسَ مِنَ التَّصَوُّف نَفَساً، أو تَخْطُوَ في سُلوكِ الطَّريقَةِ قَدَماً. الصُّوفيُّ المُتَهَوِّرُ السَّائرُ بِرأيِهِ تَصَوُّفُهُ وَهْميٌّ وَعَمَلُهُ بلا فَهْم. ما دامَ لا يَعرِفُ الطَّريقَ أنَّى لَهُ السَّيْرُ في الطَّريق، **الرَّفيق ثُمَّ الطَّريق.**

ظاهِرُ التَّصَوُّفِ خِدْمَةُ شَيْخِ الطَّرِيقِ في كُلِّ حال، وباطِنُهُ إطاعَةُ العَقْلِ بِتَمامِ صِفاتِ الكمال. القَلْبُ بِخِدْمَةِ الشَّيْخِ يصيرُ حَيَّاً، والوُجودُ باتِّباعِ العَقْلِ يَصيرُ مُصَفَّى. العَقْلُ بالظَّاهِرِ شَيْخٌ جِسْماني، والشَّيْخُ بالمَعْنى عَقْلٌ مُجَرَّدٌ نورانيّ. مَصْرَعْ: كُلُّ شَيءٍ في الأعلى لَهُ صُورَةٌ في الأسْفَل

هذهِ إشارَةٌ واحِدَةٌ وإشاراتُ التَّوحيدِ لا تُعَدّ، وسَنُبَيِّنُ بَعْضاً مِنها في المقام، ونقومُ بِتَحقيقِ هذِهِ المعاني ضِمْنَ مراتِبِ الأخلاق.

أي درويشُ يلزمُ حديثٌ مُخْتَصَرٌ وحَرْفٌ مُنْحَصِرٌ. بالحديثِ المُوجَزِ كُلُّ قَلْبٍ فائز، ومِنْ طُولِ الكلامِ كُلُّ طَبْعٍ عاجِز. المَقصودُ بيانُ الحالِ لا إظهارُ الكمال. الكمالُ فَقْرُ غَفْلَةٍ وَعَجْز. إذا كُنْتَ رَجُلَ هذا البازارِ بِعِ النَّفْس، وإنْ كُنْتَ تَملِكُ القُدْرَةِ اسْعَ بِفناءِ النَّفْس. ألْقِ معلوماتِك، واصقلْ خاطِرَكَ وامحُ مِنْهُ كُلَّ ما تَعَلَّمْت. أرقِ التَّعَيُّناتِ ، وفِرَّ مِنَ وجودِ النَّفْسِ المَوهومِ. ذاكَ الَّذي تَملِكُ لَيْسَ بالعِلْمِ، إنَّهُ تَصَنُّعاتٌ لَفْظِيَّة. العِلْمُ هُوَ ذاكَ الَّذي يُحَرِّرُ الرَّجُلَ مِنْ النَّفسِ ويَصِلُ بِهِ إلى عالَمٍ بلا خَبَر. في بازارِ الفَقْرِ متاعي كساد، وعَمَلُ الغافِلينَ عَنِ النَّفْسِ بِمُراد.

قِيْلَ لِبايزيد هذِهِ الخِزانَةُ مملوءَةٌ مِنَ العِلْمِ والعَمَلِ، وهذا البحْرُ مِنْ دَمْعِ النَّظَرِ إلى اللهِ مَملوءٌ بالدُّرَر. في هذِهِ الحَضْرَةِ العِلْمُ لا عِزَّةَ لَه، والعَمَلُ لا قيمَةَ لَه. اِحْمِلْ إلى هاهُنا شَيْئاً لا يكونُ هُنا. قالَ إلهي ذاتُكَ مُنَزَّهَةٌ عَنْ الفَقْر، أيُّ شَيءٍ لَيْسَ في خَزانَةِ حَضْرَتِك؟، جاءَ الخَطابُ العَجْزُ والاِنكِسار، الذِّلَّةُ والاِفْتِقار، الفَقْرُ والعَجْزُ، الغَفْلَةُ والحَيْرَة.

(قُلْ كالملائكِ *لا عِلْمَ لنا* لِتَأْخُذَ بيَدِكَ *عَلَّمْتنا*)، العارِفُ لا خَبَرَ لَهُ عَنْ نَفْسِه، فمتى يقومُ بِإظهارِ عِلْمِه. إظهارُ العِلْمِ دليلُ عَدَمِ المَعْرِفَة، وعَرْضُ القُدْرَةِ آثارُ دُنوِّ الهِمَّة، والعارِفُ مَهْما رأى مقامَ نَفْسِهِ أعلى جلسَ أدنى.

ما دُمْتَ ترى العِلْمَ والفَضْلَ اجْلِسْ بلا مَعْرِفَة، أقولُ لَكَ نُكْتَةً لا تَرَ النَّفْسَ فهُوَ الصَّواب

قالوا لأبي الحَسَنْ الخرقاني *أينَ رأيتَ الله* قالَ *هُناكَ حَيْثُ لَمْ أرَ النَّفْس.*

أمَّا المَعْرِفَة فَعِلْمٌ بِأَسماءِ وصِفاتِ الحَقِّ تَعالى، مع الصِّدْقِ مَعَ اللهِ في جميعِ الأحوالِ والمُعامِلات، ودوامِ المُناجاة، والرُّجوعِ صَوبَ الحَقِّ في كُلِّ شَيء. يعني مُشاهَدَةُ ظُهُورِ الحَقِّ في كُلِّ المَوجودات، والرُّجوعُ إلَيْهِ بِالفَراغِ مِنَ المُمكِنات، وَصَقْلُ الخاطِرِ مِمَّا سِوى الذَّات. وكُلَّما اغتَرَبَ العارِفُ أكثَرَ عَنِ النَّفْسِ زادَتْ مَعْرِفَتُهُ بِرَبِّهِ أكثَر، والمَعْرِفَةُ قِسمان: مَعْرِفَةُ الحَقِّ ومَعْرِفَةُ الحقيقة. فمعرِفَةُ الحَقِّ هِيَ مَعْرِفَتُهُ تعالى بالوحدانيَّة، بما أظْهَرَ مِنْ صِفاتِ وأسماءِ نَفْسِهِ في الخَلْق، ومعرِفَةُ الحقيقَة طريقٌ لا إلى تِلْكَ مِنْ جِهَة. جوابُ موسى في الحقيقَةِ كانَ إرشادَ مَعْرِفَة، ولو لَمْ يَفْهَمْ الجاهِلُ ذاكَ ، لأنَّ إدراكَ الحَقيقَةِ موقوفٌ على الإحاطَةِ العِلْمِيَّة وتِلْكَ غَيْرُ مُمْكِنَة ،***الحَقُّ لا يَعْرِفُهُ سِواهُ وَمَنْ عَرِفَهُ فَبِهِ،*** أقول:

أي أعلى مِنْ أنْ يَصِلَ إليكَ الإدراك أو يَصِلَ إلَيْكَ فَهْمٌ عالٍ أو عَقْلٌ ذكِيّ
لا طريقَ إلَيْكَ بِغَيْرِ ***ما عَرَفْناك،*** العَقْلُ الَّذي وَصَلَ إلَيْكَ وَصَل *بِما* ***عَرَفْناكَ***

بَلْ إنَّ حَقيقَةَ أيِّ شَيْءٍ غَيْرُ مُمْكِنَةِ العَرْض، إذ مَحَلُّ الحَقيقَةِ الوجود. رأيتَ

طِيناً مُزَيَّناً باللَّونِ والشَّكْل، مُجَمَّلاً بالطَّعْمِ والرَّائحَة، سِرُّهُ عَنْ كُلِّ دَقيقِ فِكْرٍ مَخْفِيّ، ولَيْسَ مَعْلوماً لِشَخْصٍ، أنْ هذا اللَّونُ والعَبيرُ مِنْ أين، وهذا الأثَرُ قامَ مِمَّ، وأيَّةَ عِلَّةٍ امْتَلَكَ، فالمُوجِدُ بلا بَدَل، والصَّانِعُ لَمْ يَزَلْ، أجرى فيهِ نَوعَ العلامَةِ هذا. ونِعْمَ ما قيل:

الَّذي في سِرِّ سُوَيداءِ بنـي آدَمَ مِنْه، لا مُسَلَّمٌ لِفَلَكٍ ولا حاصِلٌ لِمَلَكٍ

وهكذا فإنَّ عُظَماءَ أهْلِ الحقيقَةِ لَمْ يتَكَلَّموا في المَعْرِفَةِ وأوردوا العَجْزَ عن بيانِها. كما قالَ مُحيي الدِّين: وَلَسْتُ أعْرِفُ مِنْ شَيءٍ حقيقَتَهُ، وكيفَ أعْرِفُهُ وأنْتُمُ فيهِ

القَطْرَةُ تَقدِرُ على الوُصولِ إلى البَحْرِ بالمَدَد، وتَقدِرُ أنْ تَصيرَ بَحْراً بالفناءِ فيه، وتَقدِرُ أنْ تقولَ أنا البَحْرُ بِنَفْيِ النَّفْسِ وإثباتِهِ هُوَ، لكِنْ ذاكَ لا يَعني أنَّها صارَتْ مُدْرِكَةً لِكينونَةِ البَحْر، ذلِكَ لأنَّ الإدراكَ التَّامَ موقوفٌ على الإحاطَة، وإحاطَةُ القَطْرَةِ بالبَحْرِ مُحال. والعارِفُ رأى الوجودَ في تمامِ المراتِبِ بِكمالِ النَّفْس، ولَمْ يَنْظُرْ إلى أيِّ مَوجودٍ بِعَيْنِ الإنكار. يَعْني ذاكَ الوُجودُ واحِدٌ يتجلَّى في الذَّرَّةِ وفي الشَّمْس، بِكَمالِ النَّفْس، ويهَبُ الفَيْضَ بِقَدْرِ المَرْتَبَة. والمَعْرِفَةُ أوَّلُها مَحَبَّةٌ وآخِرُها حَيْرَة. بَدْءُها ثناءٌ وَخَتْمُها فَناءٌ. العارِفُ في البِدايَةِ عَبَرَ مِنَ البَصَرِ، وفي النِّهايَةِ عَبَرَ مِنَ الخَلْق، أوَّلاً عَبَرَ مِنَ الأُصول وآخِراً عَبَرَ مِنَ الوُصول، والعارِفُ كُلَّ ما مَلَكَ رمى، ومِنْ كُلِّ ما رمى صَقَلَ القَلْبَ. لا يَطلُبُ شَيْئاً، ولا يزيدُ ولا ينقُصُ مِنْ شَيْء، وقالوا المَعْرِفَةُ الصَّحيحَةُ ليسَت لِعَبْدٍ بِهِ افتِقارٌ نَحوَ الله، واستِغناءٌ بِه، فهذانِ دليلانِ على بَقاءِ العَبْدِ والعارِفُ كُلُّهُ فناء. وأعْرَفُ الخَلْقِ باللهِ ذاكَ الَّذي هُوَ بِشِدَّةٍ حَيران، وقالوا: ***مَنْ كانَ باللهِ أعْرَفَ كانَ بِهِ أخْوَف***، وبايزيد قال: ***للنَّاسِ حالٌ ولا حالَ للعارِفِ لأنَّهُ مُحِيَتْ رُسومُهُ***

وغُيّبَتْ آثارُه، وأيضاً: ***إنَّ المُلوكَ إذا دَخَلوا قَرْيَةً أفْسَدوها***(*النَّمل الآية 34*)، ***فإذا أُنْزلَتِ المَعْرِفَةُ بالقَلْب خَربت أوطانُ البَشَرِيَّة***، وقال أبو حَفْص الحدَّاد: ***مُنْذُ عَرفْتُ اللّهَ ما دَخَلَ في قَلبي حَقٌّ ولا باطِلٌ***، والمَعنى أنَّ المَعْرِفَةَ موجِبَةٌ لِغَيْبَةِ العَبْد، فهوَ لا يقدِرُ على الرُّجوعِ نَحوَ الغَيْر، فكيفَ يستَطيعُ شَيءٌ أنْ يَدْخُلَ في قَلْبِهِ وهوَ لا يملكُ قلباً، العارِفُ لا يَملكُ قَلباً لِيَدْخُلَ فيهِ شَيءٌ، ولا وَعْياً ليكونَ بِهِ إدراكٌ لِشَيْء.

وحُسَين الحلاَّج قال: إذا وَصَلَ العَبْدُ إلى مقامِ المَعْرِفَة، وأرادَ إدخالَ غَيْرِ الحَقّ بالخاطِرِ لِمَرَّةٍ واحِدَةٍ ما استَطاع. قالَ ذو النُّونِ المِصريّ: انقَطَعْتُ مِنَ الماءِ في السَّفَرِ بالصَّحْراء، وصِرتُ عَطشانَ في مكانٍ بلا نباتٍ ولا ماء، ومِنْ بَعيدٍ رأيتُ حديقَةً وعِمارَةً، أوصَلْتُ نَفسي إلى تِلْكَ الحَديقَةِ، وأسرَعْتُ في التَّفَحُّصِ فَلَمْ أجِدْ هُناكَ أحَداً، شَرِبْتُ الماءَ وتَطَهَّرْتُ وبقَيْتُ مُتَعَجِّباً، وفَجْأةً نَظَرْتُ إلى سَقْفِ القَصْرِ فرأيْتُ جارِيَةً في تَمامِ الصَّباحَةِ تَنْظُرُ إليَّ، قُلْتُ أيْ جارِيَةُ مَنْ أنتِ، ولِمَنْ هذا القَصْر؟، قالَتْ أي ذو النُّون حينَ رأيْتُكَ مِنْ بَعيدٍ قُلْتُ رُبَّما أنتَ مَجنونٌ، لأنَّكَ كُنْتَ تَسيرُ كالمجانين، وحينَ جِئتَ وتَطَّهْرْتَ قُلْتُ رُبَّما أنتَ عالِمٌ، وحينَ استَغْفَرْتَ قُلْتُ أنْتَ عارِفٌ، والآنَ أرى أنَّكَ لَسْتَ أيَّ واحِدٍ مِنْ هؤلاء، لأنَّ المَجنونَ لا يتَطَهَّر. درويشٌ قالَ لبايزيد: عَجِبْتُ مِنْ شَخْصٍ عَرِفَ اللهَ فَلَمْ يُطِعْهُ، فقالَ أنا عَجِبْتُ مِنْ شَخْصٍ عَرِفَ اللهَ فأطاعَه، يعني بَقِيَ في حالٍ يَقْدِرُ بِها على الطَّاعَةِ، والعارِفُ عَبَرَ مِنَ الدُّنيا والآخِرَة، ولا يتخَيَّلُ شَيئاً. قالوا الزَّاهِدُ غَريبٌ في الدُّنيا، والعارِفُ غَريبٌ في الآخَرَة. قالَ الخَليفَةُ لِحاتِمِ الأصَمّ أيُّها الزَّاهِدُ العالِم، قالَ الزَّاهِدُ أنتَ وَقَدِ اكتَفَيْتَ بِمَتاعِ الدُّنيا، لا أنا الَّذي لا أخفِضُ الرَّأْسَ للدُّنيا والآخِرَة. مَصْرَعْ: *بِعْتُ الدُّنيا والآخِرَةَ بِنَظْرَةٍ واحِدَة*.

وقالوا العارِفُ ليسَ ذاكَ الَّذي يقومُ بِوَصْفِ المَعْرِفَةِ أمامَ أَهْلِ الآخِرَةِ، فما مَحَلُّ أَهْلِ الدُّنيا، وقالوا ***العالِمُ دونَ ما يقولُ والعارِفُ فَوقَ ما يقول***، وقالوا العارِفُ تُضيءُ لَهُ أنوارُ العِلْمِ ويرى بِها عَجائبَ الغَيْب، بايزيد قالَ ***الزَّاهِدُ سَيَّارٌ والعارِفُ طَيَّارٌ***.

وقالَ الشّبلي *أَهْلُ المَعْرِفَةِ مُستَوحِشون في الأَرْضِ، ولا يأنَسونَ بِأَحَدٍ*، والعارِفُ ما في رُؤيَتِهِ خَطَأٌ، ولا في عَزْمِهِ انحِرافٌ، ولا في نَفْسِهِ تَزَلْزُلٌ، ولا في هِمَّتِهِ حَدٌّ، ولا في خِصالِهِ عَيْبٌ، ولا في وُجودِهِ قَيْدٌ، ولا في ذاتِهِ شِرْكٌ، ولا في قَلْبِهِ غَيْرٌ، ولا في وَحْدَتِهِ خَلْقٌ، ولا في ضَميرِهِ ملالٌ، ولا في طَبْعِهِ طَلَبٌ.

أمَّا مَعْرِفَةُ الحَقِّ فَمَوقوفَةٌ على مَعْرِفَةِ النَّفْس، كما قالَ عَلَيهِ السَّلام، مَنْ عَرِفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرِفَ رَبَّه، وكُلُّ شَخْصٍ بِمَعْرِفَةِ النَّفْس جَاهِلٌ، هُوَ بِمَعْرِفَةِ الرَّبِّ أجْهَل، ومَعْرِفَةُ النَّفْسِ مِصباحُ كَشْفِ أحوالِ المَلَكُوت، ومِشكاةُ شُهُودِ أسرارِ الجَبَروت، ومِعْراجُ الوُصولِ إلى جِهَةِ اللاَّهوت، ولا يَصِلُ أحَدٌ مِنْ بَني آدَمَ لِأيِّ مقامٍ إلاّ بَعْدَ مَعْرِفَةِ نَفْسِه. وهِيَ مَعْرِفَةٌ لا تَحْصَلُ بَخَبَرٍ نَقْليّ، ولا بِنَظَرٍ عَقْلِيّ؛ حُصولُها مَوقوفُ نُورٍ يَقَعُ على القَلْبِ مِنَ الحَقِّ، وذاكَ لا يكونُ إلاَّ بالرِّياضاتِ المُتعالِيَة، والمُجاهَداتِ المُتوالِيَة، وتَجَرُّدِ القُوى مِنَ قُيودِ الهَوى؛ وبِزَعْمِ الفَقيرِ هِيَ مَحْضُ مَوْهِبَةٍ مِنْ حَضْرَةِ العِزَّة، ولا تنافِيَ هُناكَ، إذْ تَوفيقُ المُجاهَدَةِ هُوَ أيضاً مَوْهِبَة.

أمَّا المُجاهَدَةُ، فَنَقولُ أنَّ الإنسانَ أُنْموذَجُ العالَمِ الكبير، وَعَنْ مَراتِبِ الوُجودِ بِتَمامِها تَعبير، فلا بُدَّ في قَوْسِ الصُّعُودِ الَّذي مُقصودُهُ العَودَةُ مِنَ الكَثْرَةِ إلى جِهَةِ الوَحْدَةِ، والعُروجُ مِنْ أرْضِ المَجازِ إلى سَماءِ الحَقيقَةِ مِنَ العُبورِ مِنَ

المراتِبِ المَذكورَة، وقَطْعِ الوديانِ السَّبْعَةِ للسُّلوكِ بالسَّعْيِ الدَّائمِ والجَهْدِ اللاَّزِم. والموانِعُ في هذا الطَّريقِ كثيرَةٌ والأخطارُ بلا عَدٍ، وشياطينُ الباطِنِ في الكمين، وشؤونُ النَّفْسِ المُعانِدَةِ عَنْ يسارٍ ويمين، وفي كُلِّ قَدَمٍ شَبْكَةُ بلاءٍ، وفي كُلِّ نَفَسٍ نَفْثُ أفعى. مُجاهَدَةُ الطَّريقِ يَجِبُ لها رَجُلٌ مِقدامٌ لَهُ قُوَّةُ تِمساحٍ وشَجاعَةُ أَسَد. المُجاهَدَةُ حَرْبٌ مَعَ النَّفْس، وقِتالٌ مَعَ جُنودِ الجِهْل. هذِهِ المَصافُّ لا تُخاضُ بالدَّعوى، وهذِهِ المَسافَةُ لا تُطْوى بالتَّهاوُنِ. الحَرْبُ مَعَ الخَصْمِ لَيْسَتْ شُغْلَ كُلِّ جَبان، والسُّلوكُ إلى اللهِ ليسَ ظاهِراً لِكُلِّ غَيْرِ ذي ألم.

في مَنْقَبَةِ أسَدِ اللهِ الغالِب عليٍّ بنِ أبي طالِب عَلَيْهِ السَّلام

السُّجودُ للحبيبِ شُغْلٌ لِحَيْدَرَ، القَتْلُ للنَّفْسِ شِعارٌ لِحَيْدَر؛
كانَ يَومَ المِيدانِ وَقْتَ القِتال، يَذْكُرُ الحَقَّ وهُوَ يَصْرَعُ الرِّجال؛
الحَقُّ دَوماً في فِكْرِهِ حاضِر، في ثباتِهِ كُلُّ عَقْلٍ حائر؛
يَومَ الخَنْدَقِ والفِتْنَةُ في المَيْدانِ، أسْرَعَ راجِلاً إلى قِتالِ عَمْرو؛
تَبَرَّأَ عَمْرو مِنْ القِتال قال، ما لي مَعَكَ وَجْهُ قِتال؛
كانَ أبو طالِبٍ لي صَديقاً، حُبُّهُ كانَ في الفُؤادِ غالِباً؛
أنْ تكونَ مَقتولاً بِسَيفي هذا، تَقْصيرٌ بِحَقِّ الصَّداقَة مِنّي؛
قالَ عَلِيٌّ ذا خِداعٌ وَدَغَل، المَحَبَّةُ مَحْضُ ذاتِ لَمْ يَزَلْ؛
ذاكَ الَّذي حُبُّهُ واجِب، تبيعُهُ بِحُبِّ أبي طالِب؛
إذا كُنْتَ لا تُريدُ قَتْلي فأنا، راغِبٌ بِخَضْبِ سَيفي بِدَمِك؛
أو أقْبِلْ بالإيمانِ ضاحِكَ شَفَه، أو شَمِّرْ للحَرْبِ وَأَغْلِقِ الشَّفَه؛
قَتَلَهُ وَكَبَّرَ وطافَ بِرَأسِه، أصْبَحَ المَيدانُ خالِياً مِنْ شَرِّه؛
ضَرْبَتُهُ، قالَ سَيِّدُ الكَوْنَيْن أفْضَلُ مِنْ عِبادَةِ الثَّقَلَيْن

شُمَّةً مِنْ جِهادِهِ الأكْبَر، أقُولُ أيضاً بِعَونٍ مِنْهُ لي؛
كافِرٌ مَرَّةً تَفَل نَحْوَهُ، فَأَطْلَقَهُ مِنَ القَيْدِ والقَتْل؛
قالَ مِمَّ حَرَّرْتَني وأنتَ عالِم، عِلْمَ يَقينٍ بِأنَّني ظالِم؛
قالَ رامَ أنْ يُوصِلَ الأذى إلَيَّ، غَادِرٌ جاءَ إلَيَّ مِنْ أمامي؛
دَفْعُهُ كانَ أشَدَّ إلزاماً مِنْك، فَهْوَ كانَ أجْزَمَ كُفْراً مِنْكَ؛
إذا حَرَّرْتُكَ فَذاكَ لِغَزاةٍ، كانَتْ في إثْرِ ظَهْرِ أفعى؛
قَتَلْتُها بِذي الفِقارِ آخَر، قِتالُكَ عِنْدي لِوَقْتٍ آخَر؛
قَتْلُكَ عِنْدَما ينتهي تَشويشي، سَهْلٌ جِدّاً عَلَيَّ وَمُخْتَصَرٌ عِنْدي؛
قالَ أخْبِرْني عَنْ هذِهِ الحالِ كَيْفَ صارَ حالي مِنْ حالَتِكَ مُخْتَلِفاً؛
ما مِنْ أحَدٍ غيرَنا وأنا أسيرُك وقلبي وروحي خاضِعانِ لَك؛
ما مِنْ قِتالٍ في هذِهِ الصَّحْراء، لا رَجُلَ ولا كافِرَ ولا أفْعى؛
لا شَخْصَ مِنْ أمامِكَ أو خَلْفِكَ، قالَ هِيَ النَّفْسُ قَبَضَتُها حَديد؛
مِنْ تَفْلِكَ جاءَتِ النَّفْسُ صارِخَةً، تَغلي بِغَضَبٍ مِنَ التَّهَوُّر؛
الغَضَبُ مِنْ أوصافِ النَّفْسِ المَردودَة، تَرْكُهُ فَرْضُ العُقولِ المَحمودَة؛

وَلَيْسَ مَخْفِيّاً عَنْ أربابِ البَصيرَةِ أنَّ هذا الأُنموذَجَ كافٍ لِأَهْلِ السُّلوكِ في كُلِّ حال، وفي كُلِّ مقام. كانَ واعِظٌ مُريداً لأبي حَفْص الحَدَّاد، وَقَدْ أمضى زَمَناً طويلاً في مَحَبَّتِه، قالَ يوماً لأبي حَفْص، ما صِفَةٌ لَكَ مَقبولَةٌ ومَمْدوحَةٌ لأختارَها وأظَلَّ أَتَحَدَّثُ عَنها، قالَ قَدِّمِ الخَلْقَ في الخَيْراتِ على نَفْسِك، ولا تَرَ نَفْسَكَ راجِحاً في أيِّ باب. ظَلَّ ذلِكَ الواعِظُ مُدَّةً يَقومُ بِذلِكَ، يَعِظُ الخلائقَ بالمُساواة ويأمُرُ بِبَذْلِ الخَيْرات. نَهَضَ يَوماً سائلٌ في المِسْجِدِ وَسَأَلَ ثَوباً،

الواعِظُ ذاكَ على الفَورِ قَدَّمَ ثَوبَهُ وآثَرَهُ بِه، كانَ أبو حَفْصٍ حاضِراً فَعاتَبَهُ أنْ أي مَنْ عَفْواً تَرْفَعُ القَدَمَ بالمُساواة لِماذا قُمْتَ بِتَرْجيحِ نَفْسِك؟، هذِهِ العَطِيَّةُ بلا قِيْمَةٍ وأجْرُ التَّصَدُّقِ لِلْمُعْطي زائدٌ، قُمْتَ باختيارِ نَفْسِكَ وأنْقَصْتَ الخَيْراتِ للخَلْق، كانَ يَجِبُ الصَّبْرُ حَتَّى يُقْدِمَ أحَدٌ آخَرُ فإنْ لَمْ يُقْدِمْ أحَدٌ آخَرٌ قُمْتَ بِإكرامِهِ، هذِهِ دقائقُ العَمَلِ في المُجاهَدَة. لَو أرَدْتُ التَّفْصيلَ خَرَجْتُ مِنْ قانونِ الاِخْتِصارِ الَّذي كانَ بِناؤنا عَلَيْه. مَصْرَع: *أهْلُ المَعْنى تَكفيهِم الإشارَة.*

وبَعْضُ الصِّفاتِ مِنْ لوازِمِ المُجاهَدَة، ومِنَ الشَّرائطِ المُؤكَّدَةِ للمُشاهَدَة. وَسَيكونُ ذِكْرُ كُلٍّ مِنْها في مقامِهِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى. ومِنْ دُونِ تِلْكَ الشَّرائطِ المَعْهودَةِ والوسائطِ المَشْهُودَةِ فإنَّ شُغْلَ السَّالِكِ لا يكونُ شَيْئاً، والجِهادُ الأكبَرُ لا ينتَهي، والشَّرْطُ الأعْظَمُ للمُجاهَدَةِ الذِّكْرُ مَعَ الفِكْر. والذِّكْرُ الوارِدُ بالشَّرْطِ كالسَّيْفِ للرَّجُلِ المُجاهِد. الرَّجُلُ الَّذي يَذْهَبُ لِقِتالِ خَصْمٍ قَوِيٍّ بلا سِلاح، سَوفَ لَنْ يَجِدَ الفَلاح، وسوفَ يكونُ مَهْزوماً أو مأسورا. والذِّكْرُ يُحافِظُ على القَلْبِ مُتَذَكِّراً للحَقِ دائماً، ولا يترُكُ الحواسَّ للتَّفْرِقَة. ***واذْكُرْ رَبَّكَ في نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وخِيْفَةً ودونَ الجَهْرِ مِنَ القَوْلِ بالغُدُوِّ والآصال***، ولو أورَدَ شَخْصٌ أنَّ الحَقَّ بريءٌ مِنَ التَّخَيُّلِ والتَّوَهُّمِ وأنَّ العُقولَ في ساحَةِ عِزَّتِهِ ضائعَة، فأيُّ رَبْطٍ للإخْطارِ بالبال بِذاتِ ذي الجلال؟، أقول غَيْرَ ذاتِ الوُجود كُلُّ ما يكونُ عَدَمٌ وَنَفْيٌ، والوُجودُ المُطْلَقُ مَخْصوصُ الكِبرياء. شِعْر: نَحْنُ عَدَمٌ والمَوجُوداتُ صُوَرٌ ظاهِرَة، أنتَ الوُجودُ المُطْلَقُ لِوُجودِنا. يَعْني وُجودُنا وُجُودٌ وموهوم، ووُجودُ الحَقِّ ثابِتٌ وَمَعْلوم. لا شَيْءَ غَيَرُهُ لِيَجيءَ في الخاطِر، والإخطارُ بالبالِ مِنَ الذَّاكِرِ يكونُ بِهِ. هُوَ عَيْنُ وَحْدَةٍ وَصِرْفُ هَوِيَّةٍ وَمَحْضُ حَقيقَة. ***لا مَوجودَ إلاّ الله ولا أحَدَ سِوى الله ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاّ بالله***، الأسماكُ لا تَعْرِفُ البَحْرَ بالكَمِّ والكَيْف،

ولا تَستَطيعُ إدراكَهُ، لكِنْ لا شَيْءَ يَصِلُ لإدراكِها غَير الماءِ، لأنَّ غَيْرَ الماءِ عِنْدَها لا شَيء.

أمَّا بيانُ مراتِبِ الذِّكْرِ، فالوجودُ لَهُ مراتِب، ولِكُلِّ مَرْتَبَةٍ ذِكْرٌ مُناسِب. قالَ عارِفٌ ***الفِكْرُ ذِكْرُ القَلْب، والعِشْقُ ذِكْرُ الرُّوح، والمَعْرِفَةُ ذِكْرُ السِّرّ.*** ذِكْرُ البَدَنِ حَرَكَةُ الأعضاءِ بِأوامِرِ المولى، قياماً وقُعوداً، ورُكوعاً وسُجوداً. اللِّسانُ ينطِقُ بالحَمْدِ، واليَدُ تَتَصَدَّقُ، والقَدَمُ تَذْهَبُ للكَعْبَةِ، والعَيْنُ تَنْظُرُ إلى الآياتِ، والأُذُنُ تَسْمَعُ كلامَ الحَقِّ وهكذا. كُلُّ واحِدَةٍ مِنَ الجوارِحِ لَها ذِكْرٌ، والمُجاهِدُ لا عُضْوَ مِنْ أعضائهِ غافِلٌ عَنِ الذِّكْر. وهكذا خيالاً ومِثالاً وَقَلْباً وروحاً وَعَقْلاً وسِرَّاً وأوصافاً وَخُلُقاً، إلى مقامِ الوُجودِ الَّذي ذِكْرُهُ فناء. وقد ذَكَرْتُ ذلِكَ بِتَفْصيلٍ في ***زُبْدَةِ الأسرار***، فإنْ أَرَدْتَ فارْجِعْ. ولِكُلٍّ مِنْ هذِهِ المراتِبِ ذِكْرٌ مَخْصوص، إذا كانَ السَّالِكُ في غَفْلَةٍ عَنْ كُلِّ واحِدَة، لا تكونُ لَهُ مُجاهَدَة، أنتَ قُمْ بِجَمْعِ أسبابِ نَفْسِكَ وأعْمِلْ سِلاحَك، النُّصْرَةُ والعِنايَةُ مِنَ اللهِ، وأهْلُ الخِدْمَةِ مُسْتَحِقُّونَ للعَطاء.

الشَّخْصُ الَّذي أسرَعَ للخِدْمَةِ، قَطْعاً يَجِدُ المَدَدَ مِنَ الحَقّ. عَلامَةُ الذِّكْرِ نِسيانُ حُسْنِ وَقُبْحِ الخُلُق، واقتلاعُ علاقَةِ التَزييفِ مِنْ أرْضِ الطَّبيعَة، والهَرَبُ مِنَ الخَلْقِ، وَعَدَمُ الإخْتِلاطِ بِأحَدٍ، وعَدَمُ طَلَبِ الفراغِ مِنْ حالِ النَّفْس، وَعَدَمُ التَّكَلُّمِ إلاَّ عِنْدَ الضَّرورَةِ، ومِنْ شرائطِ الذِّكْرِ الجُلوسُ وحيداً، وإغلاقُ أبوابِ المُعاشَرَةِ في الوَجْه. القَلْبُ مِنَ المُعاشَرَةِ يصيرُ صَدِئاً، ومِنَ الخَلْوَةِ يصيرُ مَجْلُوَّاً. العاشِقُ المُنتَظِرُ أيُّ شُغْلٍ لَهُ مَعَ الخَلْق، والمَريضُ المُحْتَضِرُ أيَّةُ مُواساةٍ لَهُ مِنَ الغَريبِ والقَريب. ثُمَّ مِنْ شرائطِ الذِّكْرِ الإقلالُ مِنَ الطَّعام، القَلْبُ مِنَ الطَّعامِ يُصابُ بالكَسَلِ، ويصيرُ مائلاً للغَفْلَة. الرِّجالُ حَسَنو البَخْتِ أنْفُسَهُمْ

يُحاسِبون، اللَّيْلَ الأثقالَ يَحْمِلون، والنَّهارَ الأشواكَ يَأكُلون، وليسوا في أسْرِ البَطْنِ، إذا ساروا في الطَّريقِ لا يتوقَّفونَ في مكانٍ حتَّى يبلُغوا المَنزِل.

الأشخاصُ الَّذينَ يَعُدُّونَ الذِّكْرَ الخَفِيَّ بِدْعَةً ما فَعَلوا، ولَمْ ينتَقِلوا مِنَ الصُّورَةِ في طَلَبِ المعاني.

فُضولُ النَّفْسِ حِكايَةٌ يحكيها الكَثيرونَ، ساقي لا تَدَعْ شُغْلَكَ وصُبَّ الخَمْرَ بالكأس

أمَّا الفِكْرُ فَهُوَ على خَمْسَةِ أقسام، أوَّلاً في الآياتِ الإلهِيَّةِ وذاكَ مَزيدٌ في المَعْرِفَة، وثانياً في النِّعَمِ اللاَّمُتناهِيَة وذاكَ مَزيدٌ في المَحَبَّة، وثالِثاً بِوَعْدِ اللهِ الوَهَّابِ بالثَّوابِ وذاكَ مَزيدٌ بالرَّغْبَة، ورابِعاً بِوَعيدِ السُّلطانِ المَجيدِ بالعِقابِ الشَّديدِ ومِنْ ذاكَ تَجيءُ الرَّهْبَة، وخامِساً في تَفْريطِ الإنسان في جَنْبِ خالِقِ الإنْسِ والجان، وذاكَ بابٌ للخَجَلِ تَنْفَتِحُ مِنْهُ على الخاطِرِ النَّدامَة.

والفِكْرُ يَسْحَبُ الإنسانَ إلى جِهَةِ الخَيْر، وَقْتَ يكونُ التَّفَكُّرُ صَحيحاً، ويكونُ المَقْصودُ الفِرارَ مِنَ الخَلْقِ نَحْوَ الحَقِّ، والتَّفَكُّرُ أعظَمُ العِباداتِ وأهَمُّ المُعامَلات، قالَ اللهُ تعالى: **إنَّ في ذلِكَ لآياتٍ لِقَومٍ يَتَفَكَّرون**، وأيضاً: **ويَتَفَكَّرونَ في خَلْقِ السَّمواتِ والأرْض.** وقالَ عَلَيْهِ السَّلامُ: **تَفَكُّرُ ساعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبادَةِ سِتِّينَ سَنَةً**، وأيضاً: **تَفَكَّروا في آلاءِ اللهِ ولا تَفَكَّروا في الله**، وأيضاً: **تَفَكَّروا في الخَلْقِ ولا تَفَكَّروا في الخالِقِ فإنَّكُمْ لا تَقْدِرونَ قَدْرَه.** وقالَ قَومٌ الفِكْرُ **في البِدايَةِ** مُحْضِرٌ البَصيرَةَ إلى جِهَةِ الإدراكاتِ الغَيْبِيَّةِ والوارِداتِ القَلْبيَّةِ بِنَقْشِ الحُضورِ على لَوْحِ القَلْب، **وفي المُعاملاتِ** يَجْعَلُ الأعْمالَ خالِصَةً مِنْ شوائِبِ الآفاتِ بِصَفاءِ الطَّوِيَّاتِ وَصِدْقِ النِّيَّات. **وفي الأخلاقِ** يَهَبُ تَمَيُّزَ الخَصائصِ

مِنَ الرَّذائل، والتَّفْريقَ ما بَيْنَ الحَقِّ والباطِل. قالَ المُحَقِّقُ الرُّومِيّ: وَلَو أمَرَتْكَ النَّفْسُ بالصَّلاةِ والصَّومِ، النَّفْسُ مَكَّارَةٌ يَجِبُ لَكَ الفِكْر

وفي الأُصولِ الحُصولُ على دَقائقِ آدابِ الطَّريقَة، والتَّطبيقُ وِفْقاً لِقواعِدِ أحكامِ الشَّريعَة. **وفي الوَلاياتِ** نَقْلٌ مِنَ التَّلوينِ نَحْوَ التَّمكين، **وفي الحَقائقِ** وَصولٌ إلى مقامِ الشُّهُودِ والعَيان، واتِّصالٌ بِحَدِّ الانفِصالِ عَنِ الكَونَين، **وفي النِّهايَةِ** عُبورٌ مِنَ المَعْرِفَةِ إلى جِهَةِ الحَقيقَة، وَرُجوعٌ مِنَ الوَحْدَةِ للكَثْرَة، والفِكْرُ مَعْرَضُ جَمالِ المَحبوب، بِنَظَرٍ غَيْرِ مَشوب، في كُلِّ مقامٍ بما يُناسِبُ ذلِكَ المقام، بِتمامِ البَصيرَة.

هُناكَ حَرْفٌ آخَرُ لكِنَّ رُوحَ القُدُس، عَنْ قَولِهِ لَكَ قَد قالَ لي لا

أمَّا المُراقَبَةُ فَهِيَ حارِسٌ للقَلْب، وبالمُراقَبَة يَحْصَلُ مقصودُ أهْلِ القَلْب. القَلْبُ الَّذي هُوَ بلا حارِسٍ مَيْت، وقد أخَذَ ما بِهِ السَّارِق. حِراسَةُ القَلْبِ أصْلُ السُّلوك، والحارِسُ لازِمٌ لأعتابِ المُلوك. المُحِبُّ الَّذي جَلَسَ بانتِظارِ المَحبوب، أغْلَقَ البابَ بِوَجْهِ الأغيارِ مِنَ الاِضْطِرار. لِذا فالشَّخْصُ المُراقِبُ مُواظِبٌ على كُلٍّ مِنَ الحِفْظِ والانتِظار، حِفْظِ القَلْبِ مِنَ الخَطَرات، وانتِظارِ ورودِ المَحبوبِ في الحالات.

قالَ إبراهيم خَواص ذَهَبْتُ لِرُؤيَةِ الشِّبلي فرأيتُهُ جالِساً في المُراقَبَةِ وقَدْ أغْلَقَ البابَ على الأغيار، كانَ بَدَنُهُ بلا حَرَاكٍ كما لو كانَ لا يملكُ الحَرَكَة، وأجفانُهُ لا تَرِفُّ، قَلْتُ لَعَلَّهُ مَيِّتٌ وقَدْ أسْلَمَ الرُّوح، وبَعْدَ ساعَةٍ نَظَرَ إلَيَّ، قُلْتُ يا شَيْخُ ما هذِهِ الحالَةُ، قالَ أنا بِحِراسَةِ القَلْبِ مَشْغول، وفارِغٌ مِنَ الخُروجِ والدُّخول،

حتَّى لا يكونَ الغَيْرُ داخِلاً، والقَلْبُ عَنِ الحَبيبِ غافِلاً. قَلْتُ مَنْ أظْهَرَ لَكَ هذا النَّوعَ مِنَ المُراقَبَة؟، قالَ قِطَّةٌ كانَتْ تقعُدُ في الكمينِ لِفَأْرَة.

جُنَيْد قالَ أُستاذي في المُراقَبَةِ قَطَّةٌ كانَتْ تَقْعُدُ في الكمينِ لِفَأرَة، كانَتْ مُسْتَغْرِقَةً لا تَتَحَرَّكُ مِنْها شَعْرَةٌ واحِدَة، فزادَتني حَيْرَةً على حَيْرَتي، فَوَصَلَني نِداءٌ أنْ يا دَنِيَّ الهِمَّةِ لا تَرَني في مَقْصودِكَ أقَلَّ مِنْ فَأْرَةٍ، ولا تَكُنْ في العَمَلِ أقَلَّ مِنْ قِطَّةٍ، فَتَنَبَّهْتُ وَبَذَلْتُ الجُهْدَ في المُراقَبَة.

قالَ أبو حَفْص الحَدَّاد لأبي عُثْمان، وَقْتَ تَعِظُ النَّاسَ كُنْ واعِظَ نَفْسِك، فالخَلْقُ مُراقِبٌ ظاهِرَكَ والحَقُّ مُراقِبٌ باطِنَك.

والمُراقَبَةُ مُلازِمَةٌ للقَلْب بالإستِغْراقِ التَّامِّ في الذِّكْرِ الدَّائمِ والفِكْرِ المُسْتَمِرّ، بِحَيْثُ لا تَنْفَكُّ عَنِ القَلْبِ في كُلِّ حال. بايزيد عليهِ الرَّحْمَةُ قالَ كُنْتُ حارِساً لِقَلبي لِبِضْعِ سِنين وصارَ قلبي حارِسي لِبِضْعِ سِنين وأنا مُنْذُ بِضْعِ سِنينَ بلا خَبَرٍ عَنْ قَلبي، وقَلبي بلا خَبَرٍ عَنّي.

إنْ كُنْتَ سالِكاً سِرْ على هذا المِنوال   في طريقِ القَلْبِ سِرْ مِنْ صَميمِ الرُّوح

أمَّا المُحاسَبَة، فَكُلُّ شَخْصٍ لَمْ يَقُمْ بِحِسابِ النَّفْسِ في العَمَلِ تَرَكَ باقِياً، وكُلُّ شَخْصٍ لا يَعْرِفُ الحِسابَ لا يَقْدِرُ أنْ يكونَ عامِلاً. كُلُّ شَخْصٍ خَرْجُهُ أكْثَرُ مِنْ دَخْلِهِ دُنياهُ تَلَف، رأسُ مالِ الرَّجُلِ العَقْلُ، لا تَبِعْ ذاكَ بالقَليل. خُضْ في العَمَلِ وكُلْ واشْرَبْ مِنَ الدَّخْل. لَوْ مَرَّ تَمامُ عُمُرِكَ بِالعِبادَةِ الكامِلَة، ولَمْ تَغْفَلْ عَنِ الخِدْمَةِ دَقيقَةً واحِدَة، وجاءتْكَ البِشارَةُ أنَّ ذاكَ كُلُّهُ مَقْبولٌ، اعْرِفْ نَفْسَكَ مُستَوْجِبَ العُقوبَةِ، لا مُسْتَحِقَّ المَكْرُمَة، ما مَوضِعُ مَنْ خِدْمَتُهُ قَليلَةٌ، ويَعْثُرُ قَدَماً بِقَدَمٍ. وَلَو أنَّ تَمامَ ما خَلَقَ اللهُ مِنْ مَلَكٍ وإنسانٍ، صاروا قَلْباً واحِداً ولِساناً

واحِداً، ما قَدروا على أداءِ حَقِّ نِعْمَةٍ واحِدَةٍ على مَخلوقٍ واحِدٍ بلا عَونٍ وإرشادٍ لِمَرْحَمَةٍ بِأمْرٍ مِنَ الحَقّ، فأينَ مَنْ يَقْدِرونَ على طاعَتِهِ بِقَدْرِ حُقوقِه. أي إلهي صَفِيٌّ ما رَبَطَ طَرَفاً مِنْ عَمَل، على بابِ كَرَمِكَ جَلَسَ بِعَجْزٍ، لا حاجَةَ للحِساب، كُلَّ ما سَأَلْتَ عَنْهُ مِنْ حِسابي باقٍ. ***أنا عَبْدٌ مُفْتَقِرٌ وأنتَ غَنِيٌّ مُقْتَدِرٌ***، حينَ يصيرُ العَبْدُ مُتَذَكِّراً نِعَمَ المُنْعِمِ بلا حَدٍّ ولا عَدٍّ، وكَثْرَةَ احتياجِ نَفْسِهِ، لا يَعودُ مِنَ الخَجَلِ قادِراً على أداءِ الشُّكْر. مُناسِبٌ في هذا المقامِ أنْ نُبَيِّنَ مراتِبَ الشُّكْر.

في الشُّكْر، واحِدٌ مِنْ لوازِمِ الآدَمِيَّةِ شُكْرُ المُنْعِم، والكَنودُ أقَلُّ مِنَ البهائم. عُدَّ عوالِمَ النَّفْسِ وانْظُرْ إلى مراتِبِها، مِنْ نَقْلٍ إلى نَقْل، مِنْ نُطْفَةٍ إلى عَقْل، أُنْظُرْ ما فَعَلَ لَكَ الحَقُّ، وَمِنْ أينَ جاءَ بِك إلى أيْنَ، وكَيْفَ حَفِظَكَ، وأيَّةَ نِعْمَةٍ أنعَمَ عَلَيْكَ بِما يُناسِبُ كُلَّ مقام. إذا صُرِفَتِ النِّعْمَةُ بِرِضا المُنْعِمِ فالعَبْدُ شاكِرٌ، وإلاّ فناكِر. وللشَّاكِرِ عِنْدَ المُنْعِمِ احتِرام، وكافِرُ النِّعْمَةِ مِلْحُهُ حرام، وشُكْرُ النِّعْمَةِ غَيرُ شُكْرِ المُنْعِمِ الخالِص، شُكْرُ النِّعْمَةِ لِسانِيّ، وشُكْرُ المُنْعِمِ حَقَّانِيّ، ذاكَ لأجْلِ النِّعْمَةِ وهذا لأجْلِ المَحَبَّة. أُشْكُرِ النِّعْمَةَ ما دامَتِ النِّعْمَةُ، فإذا انقَطَعَتِ النِّعْمَةُ أُغْلِقِ الشَّفَة. أمَّا شاكِرُ المُنْعِمِ فلا يَخافُ زوالَ النِّعْمَةِ، كما أنَّهُ يرى النِّقْمَةَ نِعْمَةً. ولو أُعْطِيَ السُّمَّ شَرِبَهُ عَذْباً، ولو جَعَلوا ثَوْبَهُ مَنَ الشَّوكِ لَبِسَهُ أفْضَلَ مِنَ الحُلَّة. أيُّ مَطْلَبٍ ألَمَّ بِبُنيانِهِ كانَ مَحَبَّةً، وكانَ مَحبوبُهُ الأزَلِيُّ لَهُ بِهِ مُتَجَلِّياً. بِسَليقَةِ الفقير حَقُّ الشُّكْرِ أنْ يكونَ الشَّاكِرُ فانياً في مَحَبَّةِ المُنْعِم، ومِصْداقاً للعَجْز. إلهِي، صَفِيٌّ لا يَعْرِفُ قَدْرَ نِعْمَتِكَ، ولا يَقْدِرُ على شُكْرِ نِعْمَتِك. أُعْفُ عَنْ جَهْلي، وَتَفَضَّلْ على عَجْزي. أقولُ نَظْماً(تُرْجِمَ نَثْرا): سَعِدَتْ *روحٌ تَشْكُرُ الحَقّ، عَبْدُ الشَّاهِ يجِبُ أنْ يكونَ شاكِراً؛ غَيرُ الشَّاكِرِ وَلو خَدَمَ*

العُمْرَ، جَعَلَ النَّفْسَ تَسْتَحِقُّ اللَّعْنَةَ؛ الخَلْقُ يُعْطونَكَ الخُبْزَ بالمِنَّةِ، وفي جزاءٍ لِمِئَةِ خِدْمَةٍ؛ وإذا تَغافَلْتَ عَنِ الشُّكْرِ والحَمْدِ، يَحْرِمونَكِ إذْ أنتَ ناكِرٌ؛ وَمَنْ أعطاكَ الخُبْزَ والرُّوحَ والإيمانَ، وأعطاكَ نِعَماً كثيرَةً وبلا حَدّ؛ لا جزاءً لِخِدْمَةٍ وطاعَةٍ، بَلْ مَحْضَ عَطاءٍ وبِغَيرِ مِنَّةٍ؛ حقيرَةٌ نَفْسٌ لا تَشْكُرُه، ولا تَتَوَجَّهُ إلى إلهِ الجود؛ فَتَعَقَّلْ إنْ كُنْتَ ذا عَقْلٍ، ما العطايا الَّتي أعطاكَ الحَقّ؛ فَيْضُ جودِهِ أعطاكَ الوُجود، عَطاؤهُ لَكَ كانَ قَبْلَ أنْ تكون؛ مِنْ ألوفِ المقاماتِ أعطاكَ النَّقْل، مِنْ نُطْفَةٍ إلى نُطْفَةٍ إلى عَقْل؛ كانَ لَكَ في كُلِّ عالَمٍ مِنَ الوُجود، المُرَبِّي والمُنْعِمَ والمَعبود؛ حافِظاً كانَ لَكَ دونَ شَريك، كُلَّ مكانٍ مِنْ عوالِمِ الخَيْرِ والشَّرّ؛ كُنْتَ مِنْ هذا جُمْلَةً بلا خَبَر، لَمْ تَكُنْ شَيئاً وَكُنْتَ بلا ثَمَر؛ ليسَ في رأسِكَ الآنَ غيرُ هواء، ولا تَذكُرُ واحِداً مِنْ تِلْكَ العوالِمِ؛ في هذا العالَمِ الَّذي هُوَ النَّاسوت، حاصِلُ وجودِكَ غَمُّ القُوت؛ كُنْ حاضِراً فَقَدْ أعطاكَ نِعَماً كثيرَةً، أيَّ عطايا لَحْظَةً بِلَحْظَةٍ يُعطيك؛ مِنَ الأخطارِ كُلَّ لَحْظَةٍ يُحَرِّرُك، أوصَلَكَ سالِماً مِنَ الكَرَمِ؛ أعطى زَرْعَ روحِكَ مِنَ الرَّحْمَةِ الماءَ، عفا عَنْ ذَنْبِكَ وأعطاكَ الثَّوابَ؛ لو واحِدَةً مِنْ مِئَةِ أَلْفِ نِعْمَةٍ مِنْهُ، استَرْجَعَ لَحْظَةً بِحِكْمَةٍ مِنْهُ؛ أبوابُ الخَيْرِ لَكَ تَصيرُ مَسدودَةً، حَبْلُ وُجودِكَ يصيرُ مُنْقَطِعاً؛ كُلُّ واحِدَةٍ مِنْ حواسِّكَ الخَمْسِ حَكيمٌ، يأخُذُ المَدَدَ مِنَ الحَقِّ مُسْتَقِلاً؛ كُلُّ شَعْرَةٍ مِنْكَ تأخُذُ المَدَدَ مِنَ الحَقّ، النَّاكِرُ وَحْشٌ مُفْتَرِسٌ بَلْ جَماد؛ الَّذي أعطاهُ الحَقُّ العَقْلَ والرُّوح، كَيْفَ ذَهَبَ مِنْ فِكْرِهِ شُكْرُ المُنْعِمِ؛ إذا كانَ عِنْدَكَ مِنَ الدَّرْوَشَةِ إشارَة، اُشْكُرْ ما دُمْتَ تَسْتَطيعُ الشُّكْر؛ الشُّكْرُ لا يأتي باللِّسانِ وَحْدَهُ، بل يَجِبُ بالإيمانِ والعَقْلِ والرُّوح؛ لَفْظُ شُكْرِكَ لَيْسَ كاشِفاً عَنِ الشُّكْر، مِثْلُ هذا الشُّكْرِ لَيْسَ شُكْرَ عارِف؛ الشُّكْرُ يَعني أنَّ نِعْمَةَ الحَضْرَة، لا تكونُ مَصْروفَةً بِغَيْرِ الخِدْمَة؛ أعطاكَ كُلَّ شَيءٍ مِنَ الكَرَمِ، اِعْرِفْ حَقَّهُ وكُنْ بِذاكَ راضِياً؛ حقَّ كُلِّ ذي حقٍّ أَعْطَتِ

الحَضْرَة، أعطَتْ كُلَّ شَيءٍ بِحِكْمَةٍ وعدالَة؛ أنتَ لا تَقُلْ مِمَّ هذا قَليلٌ وذاكَ كثير، مِنْ أجْلِ ذاكَ الشَّهْدُ ومِنْ أجْلِيَ الإبَر؛ رأيتَ هذا فَليسَ ماؤكَ بِصاف، وإلاَّ فَعَطاءُ الحَقّ لنا بإنصاف؛ الخَلْقُ في قَبولِ فَيْضِ الوُجود، كُلُّ شَخْصٍ أخَذَ حَقَّهُ مِنْ شاهِ الجود؛ ليسَ هُنا مقامُ هذا التَّحقيق، أطْلُبْ مِنَ الحَقّ بِشُكْرِهِ التَّوفيق؛ حافِظْ على القَلْبِ بِشُكْرِهِ حاضِراً، كُنْ لِكُلِّ شَيءٍ أعطاكَهُ شاكِراً؛ شُكْرُ المُنْعِمِ إذا كُنْتَ عَبْداً، حَقٌّ على كُلِّ عُضْوٍ عُضْوٍ مِنْك؛ أعطاكَ العَيْنَ فَرَأَيْتَ إعجازَه، أعطاكَ الأُذُنَ فَسَمِعْتَ سِرَّه؛ إذا قُمْتَ بِشُكْرِهِ هكَذا فَحَقٌّ، بِناءً عَلَيْهِ تَزيدُ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ؛ يا إلهي بالشَّاكِرينَ ببابِك، الَّذينَ عَرَضوا شُكْرَنا للحَضْرَة؛ اِجْعَلْ صَفِي بالشُّكْرِ حاضِراً، الكُلُّ مِنْكَ نِعْمَةً وشاكِراً.

حَضْرَةُ موسى بالمُناجاةِ قامَ بالعَرْض: إلهي خَلَقْتَ آدَمَ بيدِ قُدْرَتِك، وَعَمِلْتَ لَهُ ما عَمِلْت، يعني أنْعَمْتَ عَلَيْهِ نِعَماً لا تُحْصى، أنتَ تَعْلَمُ ما فَعَلْت، فكيفَ يكونُ شُكْرُكَ إذَن؟، جاءَ الخِطابُ تَذَكُّرُ هذِهِ المعاني شُكْر. جُنَيْد عليهِ الرَّحْمَةُ قال: الشُّكْرُ هُوَ أنْ لا ترى نَفْسَكَ لائقَةً بالنِّعْمَة، أمَّا الحَمْدُ فأعلى مِنَ الشُّكْر، لأنَّ الشُّكْرَ ثناءٌ على المُنْعِمِ بِعطائه، والحَمْدُ ثناءٌ على المُكْرِمِ بِصِفاتِه. **إنَّ أوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ الحامِدونَ للهِ على كُلِّ حال.** والحامِدونَ أصحابُ أخلاقٍ حَميدَةٍ، إشارَةٌ وبِشارَة. والعارِفُ حامِدٌ للحَقّ بالوجودِ وشاكِرٌ بالظُّهور، يعني الحَمْدُ ذاتُ وُجودِهِ، والشُّكْرُ صِفاتُهُ وَظُهورُه. إذا تَوَجَّهْتَ لِذاتِ الوُجودِ كُنْتَ حامِداً، فلا مَحْمودَ غَيرُ الوجود، ولا حامِدَ غَيرُه. **لا مَوجودَ إلاّ الوجود، وهُوَ الحامِدُ والمَحمود،** العارِفُ هُنا يَحْمِدُ الحَقَّ بِلِسانِ الحَقّ، يعني لا حامِدَ غَيْرَ الحَقّ لِيَقولَ الحَمْد، وحينَ يكونُ العارِفُ مُلْتَفِتاً إلى صِفاتِ وجودِهِ يكونُ آتياً بالشُّكْر. مِنْ كَونِ صِفاتِهِ فانِيَةً في صِفاتِ الحَقّ، ولا وَصْفَ مِنْهُ باقٍ في

الوَسَط، لا شاكِراً غَيْرَ الحقِ رأى ولا مَشكوراً، والحَديثُ عالٍ وغيرُ مُناسِبٍ لأحوالِ العامَّة، وجِئتُ أَقَلَّ وبِمِقدارِ العُقولِ تَكَلَّمْت. لنا أكثَرُ مِنْ أنْ يُستَطَاعَ عَدُّهُ في كُلِّ نَفَسٍ مِنْ أنفاسِنا مِنَ الآفات، وأزيَدُ مِنْ أنْ يُستَطاعَ إدراكُهُ أو إحصاؤهُ مِنَ المُنْعِمِ ذي الكَرَمِ مِنَ الخَيرات، كُلُّ آفَةٍ نِعْمَةٌ، ووصولُ كُلِّ خَيْرٍ نِعْمَةٌ فَوقَ نِعْمَة. في كُلِّ آنٍ نَصيرُ خارِجينَ مِنْ وَقْتٍ وداخلينَ في وَقْتٍ آخَر، زمانٌ يمضي وزمانٌ يأتي، مِنْ كَونِهِ مَرَّ بِخَيْرٍ، يعني بِدَفْعِ بليَّاتٍ وَرِفْعِ مُهْلِكات، لائقٌ الحَمْد، ومِنْ كَونِهِ جاءَ بِخَيْر، يعني بِوُصولِ الخَيراتِ وحُصولِ النِّعْمات، لائقٌ الشُّكْر. إلهي جزاءَ زلاَّتي كُنْتُ في كُلِّ وَقْتٍ مُتَرَصِّداً الآفات، لَولا أنْ يَجِدَ بَحْرُ عَفْوِكَ التَّجاوُز، ويقومَ بِإعفاءِ ذاكَ الَّذي كُنْتُ مُسْتَحِقّاً لَه، **فَلَكَ الحَمْد**، وكُنْتُ نَظَراً لِخَطيئاتِ نفْسي يائساً مِنَ النِّعَمِ المَوجودَةِ والمَوعودَةِ والعطايا المعلومَةِ والمَخْفِيَّة، وصارَ كَرَمُكَ شامِلَ الحال وأدرَكَني، **فَلَكَ الشُّكْر**. العَبْدُ الخالِصُ عَدَّ كُلَّ ما جاءَ مِنَ المَولى نِعْمَةً، ولا يرى نَوالَ المُنْعِمِ زَهيداً وناقِصاً، إذا جاءَ العَطاءُ قَرَأَ الثَّناء، وإذا جاءَ البلاءُ رأى بِهِ الرَّحْمَةَ وَعَرَفَهُ صلاحَ النَّفْس، بالنِّعْمَةِ المَوجودَةِ قانِعٌ وشاكِر، ومِنَ النِّعْمَةِ المَفقودَةِ فارِغٌ وصابِر.لأنَّ الحَقَّ مُسْتَغْنٍ وأبوابُ نِعْمَتِهِ لِكُلِّ مُتَنَعِّمٍ مَفتوحَةٌ. لكِنَّ مَريضَ الصَّفْراءِ لا يَطْلُبُ الحَلوى، كما أنَّ الطَّبيبَ الحاذِقَ لا يُعْطيهِ إيَّاها كي يُنْجِيَهُ مِنَ الهلاك، هذِهِ أيضاً نِعْمَةٌ، ولا نِعْمَةَ مِنْكَ مَفقودَة. العارِفُ يعُدُّ العالَمَ أجزاءَ نَفْسِه، وهُوَ يقومُ بالشُّكْرِ على أيَّةِ نِعْمَةٍ تنعَّمَ بِها أيُّ شَخْصٍ، وكمالُ الشُّكْرِ في الصَّبْر، كُلٌّ مَنِ الصَّبْرُ لِحالِهِ موافِق، هُوَ في الشُّكْرِ صادِق.

أمَّا الصَّبر، فقالَ عَنْهُ أُستاذُ الطَّريقَةِ عالي المَرْتَبَةِ جُنَيْد: الصَّبْرُ تَجَرُّعُ جرعاتِ المرارَةِ بسُرورٍ لا بِعُبوسٍ وَمَضَض. الصَّبْرُ النَّاقِصُ تَرْكُ الشَّكوى مِنَ الألَمِ

والبلاء، والصَّبْرُ الكامِلُ استِقبالُ البلاءِ بِكمالِ الرّضا، والصَّبْرُ مِنْعٌ للنَّفْسِ مِنَ الجَزَعِ في خلافِ ما يَطْمَع، وعلامَةُ صَبْرِ المَرءِ أنَّهُ إذا جَلَسَ مَعَ الأصْدِقاء، وهُوَ في غَمراتِ البلاء، لا يرى شَخْصٌ تفاوُتاً في حالِهِ، والصَّبْرُ قُوتُ الرِّجالِ الشُّجْعان، وَدَليلُ قُوَّةِ الإيمان. الدَّهْقانُ الَّذي لا يَحْمِلُ حِمْلَ الصَّبْرِ لا يَصِلُ زَرْعُهُ للثَّمَر، وكُلُّ مُرادٍ بالصَّبْرِ حاصِل، وكُلُّ يَسيرٍ بالجَزَعِ مُشْكِل. الصَّبْرُ والسُّكونُ إشارَةُ العُمْق، والإستِعْجالُ علامَةُ الحُمْق. الصَّابِرُ بِعَقْلٍ عَميق، وبِعَمَلٍ دقيق. عاشِرِ الرَّجُلَ الصَّبور، واهْرَبْ مِنَ الرَّجُلِ العَجول. في هذا العافِيَة، وفي ذاكَ الآفَة. عاقِبَةُ الرَّجُلِ العَجولِ أنْ يصيرَ سريعاً ملولاً، يُعاني الشِّدَّةَ ولا يَصِلُ للرَّاحَة. والصَّبْرُ على مراتِبَ ولِكُلِ مَرْتَبَةٍ حالٌ مُناسَب، ولِكُلِّ مرتَبَةٍ نتيجَةٌ مُلائمَةٌ، وحاصِلٌ مُوافِق. الصَّبْرُ على طاعَةِ المَعْبود، نتيجَتُهُ انكِشافُ أسرارِ الوُجود، والصَّبْرُ عَنِ الشَّهْوَةِ نتيجَتُهُ العِزَّة، والصَّبْرُ على أهْلِ النِّفاقِ حاصِلُهُ طهارَةُ الأخلاق، والصَّبْرُ في البلاءِ يُنْتِجُ قُرْباً مِنَ الله، والصَّبْرُ على الجاهِلِ مُوجِبٌ صَفاءَ القَلْب، والصَّبْرُ في المُصيبَةِ ثَمَرَتُهُ السَّعَة، والصَّبْرُ في المَرَضِ عِوَضُهُ المَغْفِرَة، والصَّبْرُ مَعَ الأعْداءِ فائدَتُهُ الغَلَبَةُ عَلَيْهِم، والصَّبْرُ بانعِدامِ الحَوْلِ مَوهِبَةُ الله. دَرَجاتُ الصَّبْرِ كثيرَةٌ، ولِكُلِّ دَرَجَةٍ حاصِلٌ بِجِوارِها. إلاَّ أنَّ الصَّبْرَ مُشْكِلٌ وهُوَ شُغْلُ كُلِّ رَجُلٍ بَحْرِ قَلْب، تَحَمُّلُ هذا الحِمْلِ غَيرُ مُمْكِنٍ إلاَّ بالأُنْسِ بِذِكْرِ الحَقِّ تعالى ورؤيَةِ الدُّنيا بِغَيْرِ اعتِبار. لِهذا كُلُّ ذاكِرٍ صَبور، وكُلُّ غافِلٍ عَقور. حينَ تَعُدُّ الدُّنيا بلا قَدْرٍ، وَتَلْجَأُ مِنَ الشَّدائدِ إلى الحَقّ، يَصيرُ مُرُّ صَبْرِكَ لَذيذاً، وَحُسْنُ عَمَلِكَ جَلِيَّاً.

ويكونُ اللهُ مَعَكَ في كُلِّ حال، ولا يَجِبُ البَحْثُ عَنْهُ. والمُرادُ مِنَ البَحْثِ عَنِ اللهِ ليسَ أنْ تُظْهِرَهُ، بلْ أنْ تَصيرَ ظاهِراً مِنْ ضَياعِك. ظُهُورُهُ مُبينٌ وشُهُودُهُ مُعينٌ،

بِذاتِ نَفْسِهِ ظاهِرٌ، وبِظُهُورِ نَفْسِهِ قادِرٌ وقاهِر، الإيجابُ سَقيمٌ، وذِهْنُ القائِلِ بِهِ عَقيم، الحَقُّ بالوُجودِ فَيَّاض، لا بِمَظْهَرٍ وأعْراض. نُوْضِحُ: يَعْني كُلُّ مَوجودٍ بِحَدٍّ قابِل، وفَيْضُ الوُجودِ على قِياسِهِ نازِل. لو كانَ الفَيَّاضُ مُوجِباً لكانَ الفَيْضُ مُتَعَدِّياً حَدَّ القابِلِيَّة. الحَقُّ رافِعٌ وَخافِضٌ، فائِضٌ على الأشياءِ بالخَفْضِ والرَّفْعِ بِجودِ نَفْسِهِ. إنْ وَجَدْتَهُ حافِظْ عَلَيْهِ عَزيزاً، ولا تَعُدَّهُ مُخْتَصَراً بالاِختِصار. نأتي إلى رأسِ المَطْلَبِ ونقومُ بِبيانِ دَرَجاتِ الصَّبْر: ذاكَ الَّذي قُلناهُ عَنِ الصَّبْرِ كانَ تَعْميماً، يجِبُ صَرْفُ الهِمَّةِ للصَّبْرِ المَخْصوص، قالَ اللهُ تعالى: ***يا أَيُّها الَّذينَ آمَنوا اصْبِروا وصابِروا ورابِطوا***، يعني اصبِروا بِنُفوسِكُمْ في العُهُود، وصابِروا بَقُلوبِكُمْ في الشُّهُود، ورابِطوا بِأسرارِكُمْ في الوُجود. **اصبِروا** يعني إذا جِئتُمْ بالنَّفْسِ إلى تَمكينِ المُجاهَدَة، وَعَمِلْتُمْ بِفَريضَةِ الوِلايَة، قوموا بالوفاء، وكونوا ثابِتين، فأجْرُكُمْ مَعَ الله، **إنَّما يُوَفَّى الصَّابِرونَ أجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِساب.** **وصابِروا** يعني إذا قُمْتُمْ بِمُشاهَدَةِ الحقائق، اجْعَلوا القُلوبَ مُحْكَمَةً بالتَّجَلِّياتِ الوارِدَة، ولا تكونوا بلا صَبْرٍ فَعَدَمُ الصَّبْرِ عِلَّةُ انقِطاعِ الفُيوضات، والصَّبْرُ مُوجِبُ ازديادِ الوارِدات، **فاصْبِرْ إنَّ وَعْدَ اللهِ حَقّ. ورابِطوا** يعني إذا تَحَرَّرتُمْ مِنَ الشُّؤونِ الخَلْقِيَّة، وارتَبَطْتُمْ بالوُجودِ البَسيط، قوموا بِحِفْظِ الأسرار، وَضَبْطِ وَديعَةِ الرَّبّ. أقْبِلوا مِنَ الوَحْدَةِ إلى الكَثْرَة، وكُونوا في المَحْفَلِ في خَلْوَةٍ، فاللهُ مَعَكُم، **إنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرين.** الآنَ لي تَحقيقٌ دَقيق، ومِنَ الحَقِّ تَوفيقٌ رَفيق، ومِنْ نَفْسي لا أعْرِفُ شَيئاً، ولا أستَطيعُ تَكَلُّماً، في أوانِ هذا التَّحريرِ، هذا ما يُلْقى على قَلْبِ الفَقير، أنَّ الصَّبْرَ على سَبْعَةِ أقسام: **صَبْرٌ مِنَ الله، وصَبْرٌ إلى الله، وصَبْرٌ على الله، وصَبْرٌ مَعَ الله، وصَبْرٌ في الله، وصَبْرٌ لله، وصَبْرٌ بالله.**

أمَّا صَبْرٌ مِنَ الله، فأنْ يَجِدَ تَوفيقَ الصَّبْرِ مِنَ الله، وذاكَ صَبْرٌ في لَذَّةِ الهوى مِنْ خَوفِ الله.

وصَبْرٌ إلى الله، فَتَرْكُ الدُّنيا مِنْ حُبِّ الله، والسُّلوكُ نَحْوَ اللهِ بِمَعُونَةِ الله.

وصَبْرٌ على الله، فاستِقامَةٌ في الطَّاعَةِ، وَطَلَبُ رِضا اللهِ في سَبيلِ اللهِ والتَّوَكُّلُ على اللهِ في وُصولِ الخَيْراتِ وَحُصُولِ البَرَكات.

وصَبْرٌ مَعَ الله، في إثباتِ اللهِ ونَفْيِ ما سِواه، بِحُضُورِ الله، بِقَبولِ الله، وتَرْكُ التَّمَنِّي في الكَونِ مَعَ الله، يَعْني ***أرِنِي*** لا تَقُلْ، ولا تَطْلُبْ أكْثَرَ مِنْ حَقِّ نَفْسِك.

وصَبْرٌ في الله، في التَّجَلِّياتِ الوارِدَةِ وشُهُودِ الأسماء، وأنْ يصيرَ مُتَّصِفاً بِصِفاتِ الله.

وصَبْرٌ لله بِنِسيانِ النَّفْسِ في لِقاءِ اللهِ والكَونِ فانياً في ذاتِ الله، وتَرْكِ الأنانِيَّةِ بِظُهُورِ هَوِيَّةِ الله.

وصَبْرٌ بالله، بَقاءٌ بَعْدَ الفَناء، وَسَتْرُ أسرارِ المَوجوداتِ بِحِجابِ الشَّريعَة، والعَوْدُ مِنَ الوَحْدَةِ للكَثْرَةِ، والبَقاءُ بِبَقاءِ الله، وفي هذا المقامِ يكونُ: **واصْبِرْ وما صَبْرُكَ إلاّ باللهِ، ولا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ و لا تَكُ في ضَيْقٍ مِمَّا يَمكُرون.**

شِعْر: الصَّبرَ على جَوْرِ الرَّقيبِ ما أفْعَلُ إنْ لَمْ أفْعَل؟، لَيْسَ للعاشِقينَ مِنْ حِيْلَةٍ سِوى المَسْكَنَة.

وإنْ كُنْتَ تعرِفُ قَدْرَ النُّكْتَةِ، وتَفْهُمُ الإشارَةَ فاعْلَمْ أنَّ تمامَ الأخلاقِ الحَميدَةِ على هذهِ الشَّاكِلَةِ على سَبْعِ مراتِب، فَمِنْ ذلِكَ للسَّالِكِ سَبْعُ سِيَرٍ، تَصِلُ الأوصافُ الوُجودِيَّةُ في كُلِّ سَيْرٍ إلى كَمال، ويكونُ للسَّالِكِ في كُلِّ سَيْرٍ مقام.

جاءَ مُناسِباً في هذا المقامِ بيانُ المراتِبِ المَذكورَة، رَغْمَ أنَّهُ كانَ في النَّظَرِ أنْ يُشارَ لِهذا المَطْلَبِ في آخِرِ الكِتاب.

بِدايَةً أقومُ ببيانِ العوالِمِ وثانياً آتي إلى السَّيْر. يَجِبُ أنْ يكونَ مَعْلوماً ما المُرادُ مِنَ العوالِم، إنَّها المراتِبُ السَّبْعُ، حَيْثُ يكونُ الوُجودُ في كُلِّ واحِدَةٍ بِمُقْتَضى تِلْكَ الرُّتْبَةِ مَشْهوداً ومُتَجَلِّياً.

الأوَّلُ الوجودُ المُطْلَقُ *لا بِشَرْط*، بلا أوَّلٍ ولا آخِرٍ، *والثّاني* عالَمُ الأسماءِ والصِّفات الَّذي هُوَ التَّجَلّي الأوَّلُ لِذاتِ الوُجودِ والتَّعَيُّنُ الأوَّلُ، وباصطلاحٍ آخَرَ الفَيْضُ المُنْبَسِطُ، وباصطِلاحِ العَقْلُ الأوَّلُ ومقامُ الأحَدِيَّة، وبِعِبارَةٍ أُخْرى الوُجودُ بِشَرْط، وهُوَ شَرْطٌ أعَمُّ مِنْ شَرْطِ الإطلاقِ وَشَرْطِ التَّقييد. لَهُ وَجْهٌ أعلى هُوَ الإطلاقُ يَدعونَهُ وِلايَةً، وجَنَبَةٌ دُنيا هِيَ التَّقييدُ يُعَرِّفونَها بالرِّسالَة، كما يُعَبِّرونَ عَنْ هذينِ الوَجْهينِ بالأحَدِيَّةِ والواحِدِيَّة. تَفْصيلُ هذا مُخالِفٌ لِقانونِ الإنتِخاب، ومُنافٍ لِوَضْعِ الكِتاب. وهُوَ عِلْمٌ مَشْهُور للعالِمِ، وَشَرْحُهُ مَسطورٌ في كُتُبِ القَومِ. *والرّابِعُ* عالَمُ الجَبَروت الَّذي يُفَسِّرونَهُ بالمِثالِ المُطْلَق. *والخامِسُ* عالَمُ المَلَكوت الَّذي يُسَمّونَهُ عالَمَ الأرواح. *والسّادِسُ* عالَمُ البَرْزَخ، أعني البَرْزَخَ بَينَ المُلْكِ والمَلَكوت، الَّذي عَبَّروا عَنْهُ بالمِثالِ المُقَيَّد. *والسّابِعُ* عالَمُ النّاسوت الَّذي يُسَمّونَهُ الشُّهودَ المُطْلَقَ أو عالَمَ المُلْك.

وهذِهِ المراتِبُ السِّتُّ، يعني الأسماءُ والأعيانُ والجَبَروتُ والمَلَكوتُ والمِثالُ والمُلْكُ، تَجَلِّياتُ الوُجودِ المُطْلَقِ الَّذي ذُكِرَ أوَّلاً، والكلامُ المُعْجِزُ نِظامُ حَضْرَةِ المَلِكِ العَلّام جَلَّتْ عَظَمَتُه: **إنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذي خَلَقَ السَّمواتِ والأرْضَ في سِتَّةِ أيّام**، شاهِدٌ بالتَّمامِ على إثباتِ هذا المَعْنى، والسّالِكُ في قَوْسِ صُعودِ هذِهِ

العوالِمِ يسيرُ، ولهُ في كُلِّ مَرتَبَةٍ مِنَ المراتِبِ المَذكورَةِ مَنْزِلٌ، وأربابُ شُهُودِ الكَشْفِ يُسَمُّونَ هذِهِ المراتِبَ الأطوارَ السَّبْعَة.

أمَّا **سَيْرُ السُّلاَّك**، فالأوَّلُ **السَّيْرُ مِنَ الله.** وهُوَ، وإنْ كانَ سَيْراً مِنَ الله، سَيْرٌ كونيٌّ وَخَلْقِيٌّ، وفَيْضٌ رَحْمانيّ، هُوَ في قَوْسِ النُّزولِ بِحُكْمِ ***الرَّحْمنُ على العَرْشِ استوى***، وهُوَ كانَ بالنِّسْبَةِ لِعُمومِ الخَلْقِ وَتمامِ المَوجوداتِ مُتساوياً، ويَقَعُ قَهْراً، أمَّا مَقصودُنا مِنْ إيرادِ ذلِكَ التِفاتُ السَّالِكِ لِوَضْعِ الخَلْق، أنْ مِنْ أيْنَ إلى أيْنَ أتى، ومُجَدَّداً مِنْ أيْنَ إلى أيْنَ يَجِبُ أنْ يَذْهَب، وقَدْ جرى تِبيانُ هذا المَطْلَبِ في قَصيدَةٍ مُسْتَقِلَّة.

تَعَقَّلْ أنَّكَ جِئتَ مِنْ مُلْكِ الأعيانِ إلى الشُّهود، وأنَّ عَودَكَ مِنْ هذا السَّفَرِ إلى مَنْزِلِ الأسماء

والسَّالِكُ يَعْلَمُ أنَّهُ مِنْ بَعْدِ تكميلِ الشَّريعَةِ والتَّلَبُّسِ بِقوالِبِ الأعمالِ الصَّالِحَةِ الصُّورِيَّة، مِنْ وَجْهِ تَعظيمِ أمْرِ اللهِ بِحُكْمِ العُبودِيَّةِ وَتكاليفِ البَشَرِيَّةِ، يَجِبُ عَلَيْهِ رَبْطُ المحْمَلِ للسَّفَرِ مِنَ المُلْكِ المَجاز، وَقَطْعُ حَبْلِ العلائقِ الجِسْمانِيَّة، كمُسافِرٍ قَطَعَ علاقَتَهُ بالمَنْزِلِ والأهْلِ والمتاعِ، وَجَعَلَ الهِمَّةَ على قَطْعِ المنازِلِ وَطَيِّ المراحِل. وفي هذا السَّيْرِ تَفَتَّحُ لَهُ الأبوابُ المِثالِيَّة، وَتَضْعُفُ عِنْدَهُ التَّعَيُّناتُ الشُّهُودِيَّة، ويقومُ بالسَّيرِ في آثارِ الفِطْرَة، ويَجِدُ سِرَّ أحكامِ الشَّريعَة بِنورِ الإيمانِ. وفي هذا السَّيْرِ تَصيرُ القبائحُ المُنافيَةُ لِتَجويزِ العَقْلِ الشَّريف زائِلَةً وَخَفيفَةً، والمَحامِدُ المُوافِقَةُ لِفَتوى الشَّرْعِ المُنيرِ في نَظْمِ المُلْكِ ثابِتَةً وقَوِيَّةً. والسَّالِكُ هاهُنا، في اصطلاحِ أهْلِ النَّظَرِ، اختارَ الهِجْرَةَ مِنْ عالَمِ النَّاسوتِ الَّذي هُوَ نِهايَةُ الخَلْق، وَوَصَلَ إلى رَأْسِ مَنْزِلِ الطَّريقَة، ولو كانَتِ الطَّريقَةُ بِمَعنى الطَّريق، والسَّالِكُ إلى اللهِ قَبْلِ الوصولِ إلى مقامِ الفناء، في كُلِّ مَنْزِلٍ

وَصَلَ إِلَيْهِ، يكونُ في الطَّريق. ولكِنْ لِكُلِّ مَنْزِلٍ اِسْمٌ مِنْ قَبيلِ تَسْمِيَةِ الجُزْءِ باسمِ الكُلّ. ولِهذا سَمَّوا أَوَّلَ مَنْزِلٍ من منازل الطَّريقِ بالطَّريقة.

أمَّا **السَّيْرُ إلى الله**، الواقِعُ ثانياً، ففيهِ يَحْصَلُ التَّفَتُّحُ لأبوابِ المَلَكوت، ويصيرُ السَّالِكُ مُنْخَلِعاً كُلِّيّاً مِنْ تَعَيُّناتِ عالَمِ النَّاسوت، ويصِلُ إلى رأسِ مَنْزِلِ المَعْرِفَة، ويَرِقُّ غُبارُ الكَثْرَة، وَتَظْهَرُ نَشْأَةْ الآخِرَة، ويصيرُ مِفتاحُ مَخْزَنِ الأرواحِ باليَد، وَيَنْكَسِرُ طَلْسَمُ كَنْزِ التَّوحيد، ولا يبقى للدُّنيا قَدْرُ قَشَّةٍ في نَظَرِ العارِف، والعارِفُ كالرَّجُلِ في السَّفينَةِ المَكسورَة، يُعاني الغَرَق، بِقَلْبٍ مُضطَرٍّ، تَخلَّى عَنِ الوسائط، وتَعلَّقَ بالله، وَجَعَلَ مِنْ **(وعلى اللهِ فَلْيَتَوكَّلِ المُتَوَكِّلون)** حِرْزَهُ، وَهَرَبَ مِنَ الخَلْق كالمَجانين، بِمُقْتَضى كريمةِ **ففِرُّا إلى اللهِ مِنْهُ.** لا يبقى في نَظَرِهِ حُسْنُ وقُبْحُ الأشياءِ، وكُلَّ ما رأى كأنَّهُ لَمْ يَرَهُ، وكُلَّ ما سَمِعَ نَسِيَهُ، فكأنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ شَيئاً، خوفُهُ وَخَشْيَتُهُ يصيرانِ شَديدَين، وَوَحْشَتُهُ وَحَيْرَتُهُ يصيرانِ غالِبَيْن.

أمَّا **السَّيرُ على الله**، الَّذي هُوَ المَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ للسَّالِك، فسَيْرٌ يحصلُ فيهِ كَشْفُ حقائقِ الأشياء، وينجلي فيهِ سِرُّ الحقيقَة، ويُطْلِقونَ على هذا المَنْزِلِ اِسْمَ الجَبَروتِ الأعلى والمِثالِ المُطْلَقِ والغَيْبِ المُضاف، ويَغسِلونَ أوراقَ وُجودِ ***ما سِوى*** في هذا البَحْرِ، وشَمْسُ الوُجودِ مِنْ أُفقِ شُهودِ السَّالِكِ تُشْرِق، سَيْلُ رُبوبِيَّةِ ذي الجلال، بِكَمالِ الهَيبَةِ والاِسْتِقلال، مِنْ جِبالِ عِزَّةٍ *لا يزال*، يَنْقَلِب، ورِباطُ الأنانِيَّةِ، وبُنيانُ الحواسّ، والوُجودُ ومُكْنَةُ العارِفِ تَنْقَلِعُ مِنَ الجُذور، وتصيرُ الدُّنيا مَنْسِيَّةً والآخِرَةُ كذلِكَ، وتَذْهَبُ حَسَناتُ الأعْمالِ في ريحِ الفناء، ويفرَغُ القَلْبُ مِنَ الخَوفِ والرَّجاء، ولا يبقى مَجالٌ للقَبْضِ والبَسْطِ في حال.

بَعْدَ هذا المَنْزِلِ التَّوحيدُ، وبيانُ **السَّيْرِ مَعَ الله** بِتَأييدِ الخلاَّقِ المَجيد. في هذا السَّيْرِ يصيرُ كَشْفُ الأعيانِ الثَّابِتَةِ مُيَسَّراً للسَّالِك، وبابُ التَّوحيدِ مَفتوحاً، ويرتَفِعُ غُبارُ الكَثْرَةِ بِصَفاءِ نورِ الوَحْدَةِ مِنْ أرْضِ طينَةِ العارِف، وترجِعُ الأشياءُ المُتَكَثِّرَةُ للإمكانِ إلى جَمْعِ الأعيان، وتَصِلُ قَطَراتُ وُجودِ المُمْكِناتِ إلى بَحْرِ البَساطَةِ وَتَصيرُ مُتَّحِدَةً. هُنا يَصِلُ خِطابُ ***لِمَنِ المُلْكُ اليَومَ للهِ الواحِدِ القَهَّار***، إلى أُذُنِ وَحْدَةِ العارِف، ويَغيبُ عَنِ الوَعْيِ ويصيرُ غائباً عَنِ النَّفْسِ، ويُطْلِعُ الرَّأْسَ مِنْ بَحْرِ غَيْبِ الغُيوبِ تِمْساحُ، ***إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَديد ۰ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعيد***، وينزلُ فَلَكُ حُضورِ العارِفِ في فَمِ الغَيْبَة، ويَصِلُ إلى سَمْعِ ثُبوتِ السَّالِكِ مِنْ بَطْنِ حُوتِ اللاَّهوتِ نِداءُ، **أنا الحَيُّ الَّذي لا يَموت**، وَتَصيرُ عَيْنُهُ ثابِتَةً في عيانِ **واللهُ مِنْ ورائهِمْ مُحيط. بَلْ هُوَ قُرآنٌ مَجيدٌ. في لَوحٍ مَحْفوظ.**

أمَّا **السَّيْرُ في الله**، فَسَيْرٌ يَصيرُ فيهِ السَّالِكُ مَحْواً في شاهِدِ الأسماء، ومُتَّصِفاً بِصِفاتِ الكِبرياء. يُلقي عَنْ هَيْكَلِ التَّوحيدِ لِباسَ التَّعَيُّناتِ الكَونِيَّةِ شُهوداً وَغَيْباً، ويطوي طومارَ وُجودِ المُمْكِناتِ عِلْماً وَعَيْناً. بُستانُ وُجودِهِ بَعْدَ خَريفِ ***كُلُّ مَنْ عَلَيْها فان***، يصيرُ أخْضَرَ يانِعاً بِنَسيمِ، ***ويبقى وَجْهُ رَبِّكَ ذي الجلالِ والإكرامِ***. ويدخُلُ في خَزينَةِ ***وَعَلَّمَ آدَمَ الأسماءَ كُلَّها***، ويصيرُ عارِفاً بِسِرِّ **أوليائي تَحْتَ قِبابي لا يَعْرِفُهُمْ غَيْري**، ويُشاهِدُ جَمالَ الشَّاهِدِ الأزَلِيِّ في مِرآةِ **مِنْ رآني فَقَدْ رأى الحَقّ**، ويَحْصَلُ على مقامِ الفَناءِ في الشَّيْخ.

وفي هذا السَّيْرِ لا يبقى للمُوَحِّدِ العارِفِ مِنْ تَعَيُّنٍ غَيْرَ التَّعَيُّناتِ الإلهِيَّة.

ثُمَّ **السَّيْرُ لله**، وَشَرحُ الفناءِ في الله. في هذا السَّيْرِ لا يكونُ للعارفِ شُعورٌ بِما سِوى الذَّات. القَطْرَةُ المَحْرومَةُ الَّتي هِيَ عِبارَةٌ عَنِ الوُجودِ المَوهوم تَصِلُ إلى

بَحْرِ الوُجودِ بِحُكْمِ، ***إنَّا للهِ وإنَّا إلَيْهِ راجِعون***، وإشارَةِ ***يا أيَّتُها النَّفْسُ المُطْمَئنَّةُ. ارجِعي إلى رَبّكِ راضِيَةً مَرضِيَّةً***، ويصيرُ السَّالِكُ مِثْلَ شَخْصٍ فَرِغَ مِنْ زَحْمَةِ الطَّرِيقِ وَمَشَقَّةِ السَّفَرِ، واستراحَ في فِراشِ ***طُوبى لَهُمْ وَحُسْنُ مآب***، وشَرِبَ شَرابَ الهَوِيَّةِ مِنْ زُجاجَةِ **كمالُ التَّوحيدِ نَفْيُ الصِّفاتِ عَنْه**، وَوَضَعَ الرَّأْسَ على وِسادَةِ **سُبحانَ اللهِ رَبِّ العَرْشِ عَمَّا يَصِفون**، وَذَهَبَ بِنَومِ الفَناءِ ***في مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَليكٍ مُقْتَدِر. هُوَ الأوَّلُ والآخِرُ والظَّاهِرُ والباطِنُ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَليم.***

أمَّا **السَّيْرُ بالله،** فَبَقاءٌ بَعْدَ الفَناء، وشُهُودُ الوُجودِ المُطْلَقِ على كُلِّ الأشياءِ على وَجْهِ الكَمال. وفي هذا المقامِ يَضَعونَ للسَّالِكِ تاجَ الإرشادِ على الرَّأس، ويُرْجِعُونَهُ لِتَكميلِ العِبادِ إلى عالَمِ الخَلْق، على وَجْهٍ لا تَصيرُ فيهِ التَّعَيُّناتُ الخَلْقِيَّةُ حِجابَ مُشاهَدَةِ الذَّات، ولا يَصيرُ مَقهوراً لِشُؤونِ الكَثْرَة. وصاحِبُ هذا المقامِ مَظْهَرُ **الله** ومُرْشِدٌ مُطَّلِع، وارِثٌ للأنبياء، وخليفَةٌ لِمُحَمَّدٍ المُصْطَفى، مُعينٌ للخَلْقِ وأمينٌ للحَقّ، آدَمٌ رُوحانِيّ وَعالِمٌ رَبَّانِيّ، ودليلُ مقالاتِنا في إثباتِ المَقاماتِ السَّبْعَةِ مُبَيَّنٌ في كَلِماتِ مُعْجِزِ الآياتِ الوَلِيّ كامِلِ الصِّفات عَلَيْهِ السَّلامُ والصَّلاة، في خُطَبِهِ ومُناجياتِهِ، بِتفاوُتِ الأوقات، بِدقائقِ النِكات، وذِكْرُ تمامِ ذاكَ المَقالِ مُنافٍ لِقانونِ الاِخْتِصار، ومُخالِفٌ لِمَشْرَبِ هذا الَّذي هُوَ كالتُّراب.

في مقامِ الشَّريعَةِ بِحِفْظِ حُدودِ النُّبُوَّةِ وحِراسَةِ مراتِبِ الصُّورَةِ وتعيينِ جِهاتِ الكَثْرَةِ وتكميلِ عالَمِ الشَّهادَةِ وَسَيْرِ آثارِ الخِلْقَةِ وتعظيمِ أمْرِ الحَضْرَةِ جَلَّ جلالُه، الَّذي كانَ مِنْ لوازِمِ البَشَرِيَّةِ، بِحُكْمِ ***أطيعوا اللهَ وأطيعوا الرَّسول***، قالَ **أنا عَبْدٌ مِنْ عَبيدِ مُحَمَّد.** وفي مَرْتَبَةِ الطَّريقَةِ بِصِدْقِ الأفْعالِ وتصحيحِ الخَيالِ

والإخلاصِ في الأعْمالِ ومُراقَبَةِ الأحوالِ ولُزومِ الأدَبِ في كُلِّ حالٍ، بِحُكْمِ ***يهدي اللهُ لنورِهِ مَنْ يشاء***، أظْهَرَ لأربابِ السُّلوك صِراطَ الهِدايَةِ بِشَرْطِ المَعْرِفَةِ بالنُّورانِيَّةِ، وقالَ **أنا الصِّراطُ المُستَقيم.** وفي تَعيينِ المَعْرِفَةِ بِوصولِ سكينَةِ الإيمان إلى قُلوبِ أهْلِ الإيقانِ بِصورَةِ الإنسانِ وحُصولِ ثَمَراتِ العِرفان قالَ، **مَعْرِفَتي هِيَ عَيْنُ مَعْرِفَةِ الله**، وعلى صِدْقِ هذِهِ الدَّعوى في الإيثارِ والبَذْلِ والجود، نامَ في مَحَلِّ الرَّسولِ المَحمود. وفي مَنْزِلِ الحَقيقَةِ حَيْثُ انتفَتِ الحُجُبُ قالَ، **لو كُشِفَ الغِطاءُ**، وهُنا العَجَب. يَعني عِلْمي عَيْنُ العَيان، وعياني مُصَدِّقُ البيان، وبياني للحقائقِ بُرهان. وفي عالَمِ التَّوحيدِ إذْ رأى الأشياءَ ثابِتَةً في عِلْمِ نَفْسِهِ، وَوَصَلَ الخَطُّ إلى النُّقْطَةِ، وَرَجَعَتِ الكَثْراتُ لِجَمْعِ الوَحْدَة، قالَ **أنا عِلْمُ اللهِ وأنا النُّقْطَةُ الَّتي تَحْتَ الباء**، وفي مقامِ الأسماء الَّذي هُوَ سِرُّ حَدِّ الإمكانِ وساحِلُ بَحْرِ الله، بِحُكْمِ **وَلَهُ الأسماءُ الحُسْنى**، قال: **أنا اِسْمُ اللهِ الأعْظَمُ، وَصِفاتُ اللهِ الأقْدَمُ، أنا أوَّلُ الأشياءِ وآخِرُ الأشياءِ، أنا مُحَمَّدٌ ومُحَمَّدٌ أنا**، وفي مقامِ الوُصولِ بلا اتِّحادٍ وَحُلولٍ قال: **أنا المَعْنى الَّذي لا يَقَعُ عَلَيْهِ اِسْمٌ ولا شَبَه**، لِكُلِّ كلامٍ مكان، ولِكُلِّ نُكْتَةٍ مقام. قَولُ **بايزيد** تأسِياً بِسُلطانِ أهْلِ التَّجْريدِ، **لَيْسَ في جُبَّتي سِوى الله**، لَمْ يَكُنْ مِنْ قبيلِ الطَّامات. فإذا لَمْ يَكُنْ لَكَ ذَوقُ هذِهِ الحال، وإدراكُ هذِهِ المعاني، فعلى الأقَلِّ لا تَكُنْ مَغروراً بِعِلْمِ نَفْسِكَ، ولا تَكُنْ ساعِياً ومسروراً في إبطالِ الرِّجال، ففي هذا الشَّهْدِ الَّذي شَرِبْتَ سُمٌّ قاتِلٌ فقُمْ بالاحتياط. وإنْ كُنْتَ غَيْرَ مُصَدِّقٍ واعْتَبَرْتَ إبطالَ أهْلِ الحالِ واجِباً على نَفْسِكَ، فعلى الأقَلِّ كُنْ بلا غَرَضٍ، فالعالِمُ المُبْغِضُ أو العامِلُ المُغْرِضُ داخِلٌ في **كاذِبينَ على الله.** قالَ سنائي:

كُلُّ شَيْءٍ إلاَّ الهَوى دينٌ لَهُ شارَةٌ على الرُّوح، كُلُّ شَيءٍ يكونُ إلاَّ اللهُ صَنَمٌ فاكْسِرْه

فَلَو قُلْتَ كلامَ الحَقِّ بِأغْراضِ الطَّبيعَةِ وهوى النَّفْسِ فأنتَ بلا أجْرٍ، بَلْ أنتَ مُشْرِكٌ. وإذا كُنْتَ في الباطِلِ، فكُنْ للهِ بلا غَرَضٍ، لِيَجْعَلَكَ بصيراً بِحَق، ويُحَرِّرَكَ مِنَ الباطِل. الأصْلُ الإخلاصُ، ولأربابِ الإخلاص على بِساطِ القُرْبِ اختِصاص. والإخلاصُ تَرْكُ الرِّئاسَةِ في الطَّاعَة، وعَدَمُ مُلاحَظَةِ الخَلْقِ في العِبادَة. كُلُّ عَمَلٍ كانَ بِخُلوصِ نِيَّةٍ هُوَ طاعَة، وكُلُّ طاعَةٍ تكونُ بِرياءٍ مَعْصِيَة. أهْلُ الإخلاصِ عَمِلوا الطَّاعَةَ لِوَجْهِ الله، ولمْ يأتوا بِأغْراضِ الشِّرْكِ بالدُّنيا والآخِرَةِ إلى عَتَبَةِ الأحَدِيَّة، والمُخْلِصُ ظاهِرُهُ في العَمَلِ مُساوٍ لباطِنِه، وهُوَ ساعٍ في إخفاءِ حَسَناتِهِ وغَيْرُ ساعٍ في إخفاءِ سَيِّئاتِه.

مِنَ الأحاديثِ القُدْسِيَّةِ أو الكَلِماتِ المِعْراجِيَّةِ، **الإخلاصُ سِرٌّ مِنْ أسراري أستَودِعُهُ قَلْبَ مَنْ أُحِبُّ مِنْ عِبادي**، وبِمَشْرَبِ الفقيرِ، إخْفاءُ خِدْمَةِ الحَبيبِ عَنِ الأغيارِ إخلاصِ المُبْتَدِئ، وليسَ كمالاً ومقاماً. الإخلاصُ الحَقُّ هُوَ ذاكَ الَّذي لا يبقى فيهِ في نَظَرِ المُحِبِّ الصَّادِقِ شَيْءٌ غيرَ المحبوب. واحِدٌ مِنَ المَشايِخِ أمَرَ مُريداً بالاِحْتِطاب، ويوماً أقْبَلَ ذلِكَ المُريدُ بِحِمْلٍ مِنَ الحَطَبِ إلى الخانِقاهُ، كانَ الشَّيْخُ نائماً لكِنَّ الأصْحابَ مُستَيْقِظون، وألقى ذلِكَ المُريدُ بِحِمْلِ الحَطَبِ بِشِدَّةٍ عَنْ كَتِفِهِ، خَرَجَ الشَّيْخُ مِنَ الحُجْرَةِ للخارِجِ مُسْرِعاً، قالَ أيْ عَديمَ الأدَبِ قُمْتَ بِإظْهارِ الخَدْمَةِ؟، اِحْمِلْ هذا الحَطَبَ فإنَّكَ لَمْ تَجْلِبْهُ لأجْلِ الله، هذا الحَطَبُ لائقٌ بِطَبْخِ الهوى، لا بِطَبْخِ حِساءِ أهْلِ الفناء. اِذْهَبْ فلا زِلْتَ خاماً، وَقْتَ لا تَعْرِفُ مَنْ تكونُ تعالَ، الفُقراءُ يَضَعونَ الأيديَ والأرْجُلَ بَدَلَ الحَطَبِ في مَوقِدِ الشُّيوخ، ومِنَ الشَّوقِ لا يُنَظِّفونَ الأيديَ والأقدامَ مِنَ الحَطَب. حاصِلُ هذا أنَّ أربابَ الخُلوصِ يقومونَ بالخِدْمَةِ في مَحَلِّها ولا يَعْرِفونَ ذلِكَ إخلاصاً. الإخلاصُ العامُّ تَصْفِيَةُ العَمَلِ مِنَ الكُدورات، والإخلاصُ الخاصُّ خُروجُ الخَلْقِ

مِنَ المُعامَلات، والإخلاصُ الأخَصُّ نِسيانُ رُؤيَةِ الخَلْقِ بِدوامِ نَظَرِ القَلْبِ إلى عالَمِ الخفيَّات. كانَ دَرويشٌ يقومُ بالذِكْرِ في مَحْفَلٍ، قالوا لَهُ في هذا شائِبَةُ الرِّياء، وذِكْرُ الحَقِّ في الخَلْوَةِ أولى، قالَ إذا كانَ الخَلْقُ في النَّظَرِ فالخَلْوَةُ مِثْلَ المَحْفَل، وإذا لَمْ يكونوا في النَّظَرِ فَكُلُّ مكانٍ خَلْوَةٌ. نورُ الإخلاصِ مَخْفِيٌّ في ثلاثَةِ حُجُبٍ، الأوَّلِ حِجابِ الرِّياء، والثّاني حِجابِ الآمال، والثَّالِثِ حَجابِ العُجْب؛ وَرَفْعُ الحُجُبِ يكونُ بِثلاثَةِ أشياء: الأوَّلِ بالغَيْبَةِ عَنِ الخَلْق، يعني تَخيُّل الخَلْقِ موتى، واعْتِبارُهُمْ عَدَماً، والثَّاني بالغَيْبَةِ عَنِ العَمَل، يعني أنْ لا يرى نَفْسَهُ لائقاً بالحَضْرَة، ولا يرى طاعَتَهُ جَديرَةً بالأجْر، وأنْ يكونَ حاضِرَ الأعْتابِ كَمَنْ هُوَ بلا عَمَل، وأنْ يكونَ مِنْ أعمالِهِ خَجِلاً، كعامِلٍ مفضوحٍ، مُنْتَقَدٌ عَمَلُهُ، في مَحْضَرِ سُلْطانٍ عادِلٍ، فهُوَ مِنْ ذلِكَ مُضْطَرِبٌ يخافُ أنْ يُسْأَلَ عَنْ عَمَلِه، فإنْ لَمْ يَسألوهُ رأى تَفَضُّلاً. والثالِثِ الغَيْبَةُ عَنِ النَّفْسِ وبِها يَرْتَفِعُ حِجابُ العُجْب. كما واسْمَعْ مُجْملاً عَنْ مَعْنى **الرِّياء**، وكُنْ مِنْ ذلِكَ على حَذَر، واحْمِلْ في تَمييزِ رَذائلِ النَّفْسِ الميزانَ الكُلِّيَّ باليَد، ولا تَخْطُ خُطْوَةً غَيْرَ مَوزونَة. قالوا الرِّياءُ في النَّفْسِ أخْفى مِنْ دَبيبِ النَّمْلَةِ السَّوداءِ في اللَّيْلَةِ الظَّلْماءِ على الصَّخْرَةِ السَّوداء، ويَجِبُ العِلْمُ أنَّ الخَواصَّ، يَعني أربابَ السُّلوكِ والمُجاهَدَةِ، يُمْكِنُ أنْ يكونَ لَدَيْهِمْ رياءٌ في النَّفْسِ، وهُوَ رياءٌ لا يكونُ للعوامِّ، يعني أهْلَ الظَّاهِرِ، ولا يستَطيعونَ أنْ يتصَوَّروه. أربابُ الظَّاهِرِ في أنظارِهِمْ حَسَناتُ أنْفُسِهِم ليزدادَ النَّاسُ بِهِم رَغْبَةً. قالَ فقيهٌ لِحَكيمٍ، رأيْتُ صلاتَكَ ولَمْ يكُنْ بِها طُمَأنينَةٌ، وتجِبُ الطُّمَأنينَةُ بالصَّلاة، قالَ الحَكيمُ لَوْ رَمَيْتَ التَّصَنُّعاتِ مِنْ صلاتِكَ ما بَقِيَ أكثَرُ مِنْ هذا. أمَّا الرِّياءُ المَخْفِيُّ في زوايا النَّفْسِ فما هُوَ، وكيفَ يكون؟، مِنْ جُمْلَتِهِ أنْ يرى النَّفْسَ تَصوُّراً مَصْدَرَ خَيراتٍ ويتأسَّفُ على فُقدانِ ذلِك، مِثْلَ *لَو كُنْتُ أملِكُ ما تَرَكْتُ ذلِكَ السَّائلَ مَحروما*. تمييزُ هذِهِ

الحالِ بـ *نِيَّةُ المُؤمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ*، فيمَ يكون؟، تَمييزُهُ بِنِهايَةِ الإشكال. إذا كانَتْ نِيَّةُ هذا أنَّهُ لَنْ يَتْرُكَ السَّائلَ مَحروماً سواءً أكانَ هذا السَّائلَ أمْ غَيْرَهُ فهِيَ نِيَّةُ المُؤمِن. وإنْ كانَ أرادَ أنْ يُعْطِيَهُ لأجْلِ نَفْسِهِ لا غَيْر، فَهُوَ رياءٌ وَرُعونَةُ نَفْسٍ، إذا تأسَّفَ لِعَجْزِ المِسْكينِ فَنيَّةُ مُؤمِن، وإذا كانَ تأسُّفُهُ لِعَدَمِ تَمَكُّنِ نَفْسِهِ، يعني هذا لائقٌ بالبَذْلِ مِنّي لِماذا وَجَبَ ألاَّ أستطيع، فَهوَ عُجْبُ نَفْسٍ، فكِّرْ بِشَكْلٍ جَميلٍ وامْضِ بالعَمَل بَدَلَ النَّفْسِ وقِسْ ما بَقِيَ على هذا المِنوال. قالَ رَجُلٌ لأبي الحَسَن الخُرقانيّ، هل ثَمَّةَ دَستورٌ لأقومَ بِدَعْوَةِ الخَلْق؟، قالَ حَذارِ كي لا تَدْعُوَ لنَفْسِك، قالَ يا شَيْخُ أوَيُمْكِنُ دَعْوَةُ الخَلْقِ للنَّفْس، قالَ نَعَم لو دعا آخَرٌ وجاءَكَ الأذى فأنتَ تكونُ قَدْ دَعوتَ لِنَفْسِك، ويوافِقُ ما قالَ الشَّيْخُ الرَّبّاني حَضْرَة أبو الحَسَنْ الخَرقاني، قِيْلَ أنَّ واحِداً مِنَ السَّلاطينِ الصَّفَوِيّين سَأَلَ عالِماً عارِفاً سؤالاً فأجابَهُ عَلَيْه، وكانَ واحِدٌ مِنْ عُلَماءِ أهْلِ الظّاهِرِ حاضِراً فَرَدَّ كلامَهُ وخالَفَه، فقالَ العالِمُ العارِفُ الحَقُّ مَعَكَ أنا لَمْ أكُنْ أعْلَم، بَعْدَ ذاكَ المَجْلِسِ قالَ أصحابُ العارِفِ للعارِفِ، لِماذا قُمْتَ بالتَّصْديقِ لِجوابِهِ في حُضُورِ السُّلْطان، مادامَ الحَقُّ مَعَكَ وهُوَ جاءَ بالخَطَأِ مُتجاسِراً. قالَ هُوَ لي أخٌ في الدِّين، وبِهِ مَيْلٌ لِقُرْبِ السُّلطان، وكانَ يُريدُ أنْ يَجِدَ التَّقَرُّبَ إلَيْهِ مِنْ هذهِ الجِهَة، فيما لَمْ يَكُنْ عِنْدي هذا المَيْل، فَلَمْ أجْعَلْ مُرادَهُ ضائعاً. مِثْلُ هذا الشَّخْصِ مُريدٌ لِعَلِيٍّ بنِ أبي طالِب، وفي الجِهادِ غالِبٌ على النَّفْس. مِثْلُ هذا العَمَلِ لا يَطْلَعُ بالدَّعْوى، يَجِبُ الصِّدْقُ للرَّجُل. فاسْمَعْ ***فادْخلوا البُيوتَ مِنْ أبوابِها***، أُدْخُلْ في بَيْتِ الفَقْرِ مِنْ بابِ الصِّدْق. مَتاعُ الفَقْرِ بِأجْرِ الصِّدْقِ مُمْكِنُ الشِّراء، وإلى كُلِّ مَقْصودٍ مِنْ طَريقِ الصِّدْقِ يُمْكِنُ الوَصول. الصَّادِقُ مِنْ أيِّ مكانٍ ذَهَبَ طَريق، والكاذِبُ مِنْ أيِّ طَريقٍ ذَهَبَ ضالٌّ، وأمامَ قَدَمِهِ ألْفُ بِئر، الشَّخْصُ الَّذي سَلَكَ الطَّريقَ وَلَمْ يَصِلْ إلى المَقْصودِ، سُلُوكَهُ لَمْ يَكُنْ باستِقامَةٍ،

وَقَدْ قَطَعَ الطَّرِيقَ بالكَذِب. السُّلوكُ اسْتِقامَةٌ والطَّرِيقُ مُسْتَقيم. الشَّخْصُ الَّذي سارَ مُعْوَجَّاً ليسَ طالِبَ استِقامَةٍ وَهُوَ خاسِرٌ. قالوا لُلُقمانَ مِمَّ وَصَلْتَ إلى هذِهِ الرُّتْبَةِ، قالَ بِصِدْقِ الحَديثِ وَتَرْكِ ما لا يَعْني، والصِّدْقُ تالٍ لِدَرَجَةِ النُّبُوَّةِ كما قالَ اللهُ تعالى: ***فَأولئكَ مَعَ الَّذينَ أنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيّينَ والصِّدِّيقينَ والشُّهَداءِ والصَّالِحين،*** وَصِدْقُ واحِدٍ صِدْقُ القَولِ ولو كانَ في المَهْلَكَةِ وكانَتِ النَّجاةُ مِنْ ذاكَ مَوقوفَةً على الكَذِب، وقالوا: **الصِّدْقُ هُوَ قَولُ الحَقِّ في مواطِنِ الهلاك،** فكُنْ صادِقاً فإنَّكَ لَنْ تَجِدَ الضَّرَرَ مِنْ ذلِكَ ولو كانَ لَكِ في المَقامِ خَوفُ الخَطَر، واحْذَرْ مِنَ الكَذِبِ ولَو كانَ لَكَ في المَحَلِّ احْتِمالُ النَّفْع، فكِلا الإثْنَيْنِ تَوَهُّمٌ، وآخِراً تكونُ النَّتيجَةُ بالعَكْس. ذلِكَ لأنَّ الصِّدْقَ وُجودٌ والكَذِبَ عَدَمٌ ولا خَيْرَ في العَدَم. أمَّا صِدْقُ المَسْلَكِ فهُوَ أنْ لا يزيدَ الشَّخْصُ ذَرَّةً على خِلْقَتِه، وأنْ يُظْهِرَ نَفْسَهُ للخَلْقِ كما هُوَ حَقيقَةً. أو أنَّهُ يكونُ كما يُظْهِر، أو أنَّهُ يُظْهِرُ نَفْسَهُ كما يكون، وقد قالوا: **الصِّدْقُ هُوَ استِواءُ السِّرِّ والعلانِيَة،** والمُرادُ صِدْقُ الأفعال، أمَّا صِدْقُ الأحوالِ فذلِكَ أنَّهُ لا يُريدُ أنْ يكونَ أحَدٌ مُطَّلِعاً على سِرِّه، مِنْ دونِ إكراهٍ على هذا. يَعني صِدْقُهُ مُسْتَغْنٍ عَنْ كِلا الإثنَين. صِدْقُ الأفعالِ أنَّهُ لَو كانَتْ أسرارُهُ ظاهِرَةً كانَ يقومُ بِنَفْسِ العَمَل دُونَ أنْ يُصيبَهُ الخَجَلُ. وصِدْقُ الأحوالِ أنَّهُ يسيرُ في طَريقِهِ بِصَفاءٍ ولا يخافُ مِنَ المَوت، وأعلى مِنْ هذِهِ **إسقاطُ ما سِوى الحَقّ،** يعني أنْ يرى غَيْرَ اللهِ كَذِباً ويترُكُه.

اِعْلَمْ أنَّ العالَمَ صُورَةٌ لِحَقيقَةٍ واحِدَة، والمَوجوداتُ مَظاهِرُ وُجودٍ واحَدٍ، فإذا ما سِرْتَ قَدَماً واحِداً مُنْحَرِفاً عَنْ صِراطِ الحَقيقَةِ، بدا لَكَ العالَمُ بِتَمامِهِ مُنحَرِفاً، وظَهَرَ في نَظَرِكَ مُعْوَجَّاً. فكُلُّ ما ترى خَطَأٌ وكُلُّ ما تَقولُ باطِلٌ، وهكذا كذلِكَ على العَكْس، مِنَ الإستِقامَةِ ترى العالَمَ مُستَقيماً، وترجِعُ لَكَ الإستِقامات. إذا

عَمِلْتَ بِصِدْقٍ مَعَ اللهِ في جَميعِ المُعامَلات، اِعْلَمْ أَنَّكَ لَنْ تبقى في أيَّةِ وَرْطَةٍ أبَداً. الخلاَّقُ المَجيدُ خَلَقَ آدَمَ مُسْتَقيماً، واختارَهُ بالإِستِقامَةِ على سائرِ المُمْكِنات، وكما زَيَّنَ ظاهِرَهُ بالاِسْتِقامَة، طَلَبَ مِنْهُ الاِسْتِقامَةَ المُناسِبَةَ للخِلْقَة.

فاستَقِمْ كما أُمِرْتَ لَيْسَ تَكْليفَ ما لا يُطاق، إنَّهُ مُناسَبَةُ الخِلْقَةِ الآدَمِيَّة، يعني كُنْ كما خَلَقْتُك. إذا كانَ خُلُقُكَ موافِقاً لِخِلْقَتِكَ فأنتَ آدَمِيّ، وإلاَّ فأنتَ أقَلُّ مِنَ البهائم. الحاصِلُ أنَّ هذِهِ الطَّريقَةَ صِدْقٌ، وأنَّ طالِبَ هذا الطَّريقِ لا بَديلَ لَهُ عَنِ الصِّدْق. الشَّخْصُ الَّذي يُريدُ أنْ يُظْهِرَ للنَّاسِ أكْثَرَ مِمَّا لَدَيْه كذَّابٌ ولا ينبغي لَهُ هذا الأمْر. والأعْجَبُ أنَّ البَعْضَ لا يَعْرِفونَ كيفَ يسيرونَ في هذا الطَّريق، فحيثُما ذَهَبوا مِنْ مكانٍ قاموا بِدَعوى الإرشاد. دَعْ هذا الحَديث، إغلاقُهُ أفْضَل.

حُسْنُ الخُلُق

كونوا ربَّانِيّين، أي مُتَخَلِّقينَ بأخلاقِ الرَّبّ

لِعُلَماءِ الأخلاقِ في هذا البابِ كَثيرُ تَحقيقٍ، وما لا يُحْصى مِنَ التَّشقيق. يَجِبُ ذِكْرُ بَعْضٍ مِنْ كَلِماتِ القَومِ تَبَرُّكاً، ويجِبُ السَّيْرُ في طَريقِ الأخلاقِ مَعَ الجَماعَة. قالَ جُنَيْد الخُلُقُ سَخاوَةٌ وأُلْفَةٌ وَنَصيحَةٌ وَشَفَقَةٌ، وقالَ شَقيق البلخي الخُلُقُ **الكَظْمُ عِنْدَ الغَضَبِ والسَّخاوَةُ عِنْدَ القِلَّةِ والوَرَعُ في الخَلْوَةِ وَصِدْقُ القَوْلِ عِنْدَ مَنْ يُخافُ ويُرجى**، وقالَ **حسين مَنْصور** إنَّ مَعنى ***وإنَّكَ لَعلى خُلُقٍ عَظيمٍ*** أنَّكَ ترى الأشياءَ بِمُشاهَدَةِ الحَقّ، لا بالمُشاهَدَةِ مِنْ نَفْسِك، ذا بيانٌ عِرفانيٌّ مِنْهُ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيه.

أمَّا حَقُّ التَّحقيق: فاعْلَمْ أنَّ كُلَّ ما خَلَقَ اللهُ مِنْ مَخلوقاتٍ مَظاهِرُ وجود، وأنَّها بِنَفْسِ الوُجودِ موجودَةٌ على قَدْرِ مراتِبِها. الإنسانُ هُوَ المَظْهَرُ الكامِل، وهُوَ لِتمامِ المراتِبِ مالِكٌ وقابِل. هُوَ مالِكٌ لِوُجودِ الأوصافِ الكَمالِيَّةِ تَماماً، والإنسانُ الكامِلُ لأوصافِ الوُجودِ مِرْآةٌ مُصَفَّاة. السَّيِّدُ الخاتَمُ أكْمَلُ آدَمِيٍّ، وأوَّلُ عالِمٍ، وأعْظَمُ وأقْدَم بِحُكْمِ، **إنَّكَ لعلى خُلُقٍ عَظيمٍ،** هذا في الأخلاقِ مُسَلَّم. وفي الأُصولِ العِرْفانِيَّةِ قَرَّرنا أنَّ الصِّراطَ المُسْتَقيمَ عِبارَةٌ عَنْ خَطٍّ، وأنَّهُ ما بينَ نُقْطَتَينِ في الاستِقامَةِ مَشروطٌ بالوَحْدانِيَّةِ، ومَنوطٌ بِوَصْفِ الاِعْتِدالِ والاِسْتِواء، ولا يَقْبَلُ الاِعْوِجاجَ والاِنْحِناء. لِهذا في قَوْسِ الصُّعودِ الَّذي هُوَ عِبارَةٌ عَنِ صِراطِ الوِلايَةِ المُستَقيمِ، والاِنتِقالُ مِنْ حَضيضِ الكَثْرَةِ إلى أوْجِ الوَحْدَةِ، والعُبورُ مِنْ جَحيمِ المَجازِ إلى جَنَّاتِ الحَقيقَةِ، والعُروجُ مِنْ أرْضِ الطَّبيعَةِ إلى سماءِ المَعْرِفَةِ، تكونُ الاِستِقامَةُ للسَّالِكِ بالوجودِ بالتَّساوي بَيْنَ الطَّرَفَين، وَالتَّوَسُّطِ بَيْنَ الجِهَتَين، إذْ هُما تَعْبيرٌ عَنِ الإفراطِ والتَّفْريط. أمَّا التَّعَدّي عَنْ حَدِّ الاِعْتِدال، والاِعوِجاجُ عَنْ صِراطِ الكمال، في كُلِّ حال، فَهُوَ على خِلافِ المَقْصود. بِناءً على هذا، حُسْنُ الخُلُقِ هُوَ تَعْديلُ النَّفْسِ في كُلِّ صِفَة، وَحِفْظُ الحُدودِ في كُلِّ جِهَة. حاصِلُ ذلِكَ أنَّ خَطَّ الصِّراطِ واجِبٌ السَّيْرُ عَلَيْهِ بِطُولِه، والحَذَرُ مِنَ الاِنْحِرافِ والمَيْلِ إلى يَسارِهِ وَيَمينِه. قُلنا لَطيفَةً في هذا المَعْنى وعلى هذا السِّياقِ، مَثَلاً، الشَّجاعَةُ طَريقٌ مُبين، والتَّهَوُّرُ والجُبْنُ يسارٌ وَيَمين، والتَّواضُعُ صِراط، والتَّذَلُّلُ والتَّكَبُّرُ تَفْريطٌ وإفراط، وهكذا سائِرُ الأوصاف. هذا مَعنى **الصِّراطُ أدَقُّ مِنَ الشَّعْر،** وهذِهِ لَطيفَةُ **خَيْرُ الأُمورِ أوْسَطُها،** فاذْهَبْ في هذا الطَّريقِ الضَّيِّقِ مُستَقيماً، ولا تَكُنْ عَنْ حَدِّ الوَسَطِ مُنْحَرِفاً.

أمَّا الآثارُ واللَّوازِمُ المُتَرَتِّبَةُ على حُسْنِ الخُلُق، الَّتي بِها يَتَأَدَّبُ أَهْلُ الأخلاقِ، فأوَّلُها حِفْظُ اللِّسانِ مِنْ كُلِّ كلامٍ يكونُ مُوْجِباً للإضرار والأذى والألَمِ للخَلْق، ولا يكونُ مَمْدوحاً عِنْدَ العَقْلِ كاللَّغْوِ والكَذِبِ والتُّهْمَةِ والنَّميمَةِ والهَتْكِ وَتَتَبُّعِ العَيْبِ وَقَوْلِ الهَجْوِ وأمثالِ ذلِك. والثَّاني ضَبْطُ الجوارِحِ عَنِ الحَرَكاتِ الَّتي تَبدو في الأنظارِ غَيْرَ مُلائمَةٍ وَغَيْرَ مُستَتاغَةٍ؛ وآخَرُ الصَّبْرُ في المَصائبِ ورِعايَةُ الأقارِب، وَتَرْكُ العُبوسِ وَتَكْريمُ النُّفوس، وإسعادُ القُلوبِ وَسَتْرُ العُيوب، وحُسْنُ المُعاشَرَةِ وَرَفْعُ المُشاجَرَة، وَبَذْلُ الخَيراتِ بلا غَرَض، وإعطاءُ المالِ بلا مُلاحَظَةِ العِوَض، والأخْذُ بِيَدِ العاجِزِ بلا مِنَّة، وإعطاءُ المُحتاجِ بلا مُنْيَة، وَقَضاءُ حاجاتِ الخَلْقِ بلا مَقْصود، وأداءُ كُلِّ حَقٍّ في مقامِه، وَعَونُ الغَريبِ، وإسعادُ اليتيم، والَكَونُ حَسَناً مَعَ الجار، وإعطاءُ الطَّعامِ للمِسْكين، وَعَدَمُ نَهْرِ وَحِرْمانِ السَّائل، وَجَعْلُ الرِّفاقِ شُرَكاءَ في حُسْنِ المَعاشِ، والذَّهابُ لِعِيادَةِ مَرْضى الأحباب، والحِلْمُ في وَقْتِ الغَضَب، والكَوْنُ مُلائماً مَعَ الغُرَباء، وَعَدَمُ تَرْكِ الأدَبِ مَعَ الأهْلِ والأقْرِباء، وتَطْهيرُ الصَّدْرِ مِنَ الحِقْدِ وَسُوءِ الطَّبْع، ومُعامَلَةُ مَنْ هُمْ تَحْتَ اليَدِ كالأولادِ الأعِزَّاء، وَعَدَمُ نُطْقِ حَرْفٍ ضِدَّ الحُضَّار، وَعَدَمُ السُّلوكِ خِلافَ سِيْرَةِ النَّاس، والتَّكَلُّمُ بِمَلاحَةٍ ووَجْهٍ بَشوشٍ مَعَ الأصْدِقاء، وَعَدَمُ النَّظَرِ إلى شَخْصٍ بِعَيْنِ الحَقارَة، وَعَدَمُ انتِقادِ أقوالِ وأفْعالِ النَّاس، وَعَدَمُ إظْهارِ الملامَةِ مِنْ مِحْنَةٍ للخَلق، وَعَدَمُ تَوَقُّعِ الخَيْرِ والنَّفْعِ مِنْ شَخْص، وإيصالُ الخَيْرِ والنَّفْعِ إلى كلِّ شَخْص، وَعَدَمُ الشَّكوى مِنْ أيِّ شَخْص، وَعَدَمُ التَّحَسُّرِ على فَوْتِ مالٍ أو مَنال، وَعَدَمُ الكَونِ في وَجْدٍ مِنْ وُصولِ الخَيْراتِ الدُّنيويَّة، وَعَدَمُ الكَوْنِ في غَمٍّ مِنْ فُقْدانِ نِعْمَة، وَعَدَمُ الكَونِ في سَعادَةٍ بِمُجالَسَةِ وَصُحْبَةِ الأغنياء، وَعَدَمُ حَمْلِ الحاجَةِ لِغَيْرِ الله، وَتَحَمُّلُ أذِيَّاتِ الخَلْق، وَعَدَمُ إيذاءِ العارِفين، وَعَدَمُ الشِّكايَةِ مِنَ الفَقْرِ والفاقَةِ عِنْدَ شَخْص، وَعَدَمُ مُؤاخَذَةِ شَخْصٍ

لَيسَ تَحْتَ الإدارَةِ والأمْرِ على التَّقْصير، وتَقْديمُ العَفْوِ على الاِنْتِقامِ في حالِ الكَونِ سُلطاناً أو رئيساً مُقْتَدِراً، وَعَدَمِ إيئاسِ شَخْصٍ مِنْه، وأنْ لا يُخْلِفَ الوَعْدَ لِشَخْص، وأنْ لا يَنْقُضَ العَهْدَ، وأن لا يُفْشِيَ أسرارَ شَخْصٍ، وأنْ لا يَتَحَدَّثَ بِخُشونَةٍ وَسُرْعَةٍ وَرُعُونَة، وأنْ لا يَنْطُقَ حَرْفاً خارِجاً عَنِ الشَّأْنِ والزَّيّ، وأنْ يكونَ بريئاً مِنَ الطَّمَعِ والتَّمَنّي، وأنْ يَفِرَّ مِنْ مَحَلِّ الفِتْنَةِ والفَساد، وأنْ يرى إحسانَ النَّاسِ في حَقِّهِ عَظيماً، وأنْ يرى إيثارَ نَفسِهِ، مَهما كانَ عَظيماً، حَقيراً، وأنْ يقومَ بالإنصافِ في حَقِّ الصَّديقِ والعَدُوّ، وأنْ لا يَقومَ بِمَدْحِ الظَّالِمِ والفاسِق، وأنْ لا يَضْحَكَ بِوَجْهٍ هَتَّاكٍ بِغَيْرِ حياء، وأنْ يُجانِبَ المَسْخَرَ والتَّقْليدَ، وأنْ يَقومَ بِطَلَبِ المُعاشَرَةِ مَعَ أهْلِ الدُّنيا بِقَدَرِ الضُّرورة، وَعَدَمُ قَبولِ الأمانَةِ مِنَ الأطفالِ والنَّاسِ الجاهِلينَ إن لَمْ تكُنْ ضَرورَةٌ، وَقِسْ على هذا، فالمَحاسِنُ عِنْدَ العَقْلِ مُبَرْهَنَةٌ، والقَبائحُ مُعَيَّنَة. حُسْنُ وَقُبْحُ الأشياءِ عَقْلِيٌّ، وَمَنْ لا عَقْلَ لَهُ لا تَكْليفَ عَلَيْه. جلال الدّين الرّومي قال:

أُقْتُلْ الحَيوانَ جُمْلَةً مِنْ أجْلِ الإنسان   واقْتُلْ الإنسانَ جُمْلَةَ مِنْ أجْلِ العَقْل

كُلُّ ما قُلْتُ كانَ مُجْمَلاً، والباقي يَجِبُ أنْ تَقْرَأَ مِنْ دَفْتَرِ العَقْلِ، وتُدْرِك

أُطْلُبْ مِنَ اللهِ كُلَّ ما تُريد   العَقْلَ والأخلاقَ والعِلْمَ والوَعْي

أمَّا **الزُّهْدُ** فهُوَ بِمَعنى التَّرْكِ لِكُلِّ ما رَغِبَتْ بِهِ النَّفْسُ وَطَلَبَهُ الخَلْق. قالَ أهْلُ الحَقيقَةِ الزُّهْدُ بُغْضُ الدُّنيا والإعراضُ عَمَّا فيها، وقالَ البَعْضُ هُوَ تَرْكُ الرَّاحَةِ الدُّنيَوِيَّةِ بِطَلَبِ الرَّاحَةِ الأُخْرَوِيَّة. **جُنَيْد** عَلَيهِ الرَّحْمَةُ قالَ الزُّهْدُ خُلُوُّ البَدَنِ مِنَ الدُّنيا، وَخُلُوُّ القَلْبِ مِنْ طَلَبِها. وقالوا الزُّهْدُ هُوَ المَوتُ عَنِ الآمالِ الدُّنيويَّةِ، لا أكْلُ فُتاتِ الخُبْزِ وَلُبْسُ الثَّوبِ القديمِ البالي، والزَّاهِدُ شَخْصٌ لا يَسْعَدُ مِنْ وُجْدانِ

شَيْءٍ، ولا يَضْطَرِبُ لِفُقْدانِ شَيء، والزُّهْدُ أنَّ الدَّرويشَ لا يرى لِنَفْسِهِ أيَّ حَقٍّ بأيِّ شَيْءٍ لا يَملكُه، ولا يَطْلبُه، وكُلَّ ما عَرِفَهُ حَقَّاً لَهُ سَعى لَهُ. الزَّاهِدُ تَرَكَ الدُّنيا لِجِهَةِ العُقْبى، والعارِفُ تَرَكَ العُقْبى بِطَلَبِ الله، أمَّا العاشِقُ فأعلى مِنْ كِلتا الحالَتَيْنِ هاتَينِ، فلا يرى الدُّنيا والآخِرَةَ شَيْئاً لِيَتْرُكَه، بَلْ ولا يَذْكُرُهُما. قالَ بايزيد: وَجَدْتُ التَّوفيقَ لِكُلِّ صِفَةٍ إلاَّ الزُّهْد، لأنَّ الزُّهْدَ تَرْكُ المَيْلِ للشَّيء، ولا قَدْرَ عِنْدي للدُّنيا لأتْرُكَها، وَقَدْ وَجَدْتُ هذا التَّوفيق. قالوا لِصَفيٍّ اتْرُكِ الزُّهْدَ، الدَّرويشُ ما شُغْلُهُ بالزُّهْد؟، الدَّرويشُ ماذا يَمْلِكُ لِيَتْرُكَهُ، وماذا يطْلُبُ لِيَقولَ بَتَرْكِه؟، هُوَ ما عاشَ بلا خَبَرٍ عَنِ الحياةِ، وإذا ماتَ عَنِ الممات، لَقَدْ رَمى كُلَّ ما مَلَكَ وقامَرَ بِكُلِّ شَيْءٍ في قِمارِ المَحَبَّة.

أمَّا **التَّواضُعُ**، ***وَبَشِّرِ المُخْبِتِين***، يَعني المُتواضِعين. التَّواضُعُ رُكْنُ العُبوديَّةِ، وأصْلُ الانقيادِ والطَّاعَةِ. إبليسُ قامَ بالاعْتِراض، وآدَمُ قالَ ***إنَّا ظَلَمنا***، إبليسُ قامَ بالتَّكَبُّرِ وآدَمُ جاءَ بالعَجْز، إبليسُ لَمْ يَزِنِ النَّفْسَ بِميزانِ الوُجود، وآدَمُ حاسَبَ نَفْسَهُ بِدِقَّة. إبليسُ فَعَلَ كُلَّ ما تَوَهَّمَ، وآدَمُ كُلَّ ما مَلَكَ قَدَّمَ، إبليسُ فَتَحَ لِسانَ الجَدَلِ، وآدَمُ وَقَفَ بالعُذْر.

إبليسُ قامَ بالخِيانَةِ في نَقْدِ الوُجود، وآدَمُ قامَ بالأمانَةِ في حَقِّ الدِّيانَة. إبليسُ رأى أنانِيَّتَه، وآدَمُ قَتَلَ أنانِيَّتَه. شِعْر: *عَلَمانِ ارتَفَعا، أبْيَضٌ وأسْوَدٌ ، واحِدٌ آدَمُ والآخَرُ طريقُ إبليس*. الآدَمِيَّةُ في التَّواضُع، والإبليسِيَّةُ نَحْنُ وأنا.

في بيانِ التَّصَوُّف

قُلْنا ما هِيِ الآدَمِيَّةُ، ومَنْ يكونُ الصُّوفِيُّ.

كُلُّ مَنْ كانَ اِبْناً لِذلِكَ الأبِ كانَ بِتِلْكَ السِّيْرَةِ ذاتِها وبِذاكَ الفَضْل

قَلْبٌ رأى عَظَمَةَ وَهَيْبَةَ الحَقِ صارَ التَّواضُعُ مِنْ مَلَكاتِه، لِذا تراهُ دَوماً خاضِعاً للهِ، ومُتواضِعاً مَعَ كُلِّ شَخْص. التَّواضُعُ لَهُ عادَةٌ، ومُعاوَدَتُهُ بِإرادَة. أمَّا أعمالُ التَّواضُعِ المَجازِيَّةُ فلا حقيقَةَ لها، وتكونُ إمَّا للتَّمَلُّقِ أو لإظهارِ الإفتِخار. المُتواضِعونَ نادِرون، وأهْلُ القَلْبِ بِهذا المَعنى الدَّقيقِ حاضِرون. العارِفُ نَظَرَ إلى العَظَمَةِ وَجَلالِ الكِبْرياءِ بِعَيْنِ البَصيرَة، وَظَنَّ نَفْسَهُ أحْقَرَ مِنْ كُلِّ مَوجود. كانَ شَخْصٌ جالِساً بِوَضْعِ التَّواضُعِ، جامِعاً في الجُلوسِ بينَ كَتِفِهِ وأُذُنِه، كاسِراً عُنُقَهُ على صَدْرِه، واضِعاً يَدَيْهِ في إبْطَيْه، وَلا يَرْفَعُ عَيْنَيْهِ عَنْ رُكْبَتَيْه، ورآهُ عارِفٌ على تِلْكَ الهَيْئة، فَضَحِكَ وَوَضَعَ يَداً على كَتِفِهِ، وَيَداً على قَلْبِه، وقالَ مَحَلُّ التَّواضُعِ هُناكَ أمْ هُنا؟، وعلامَةُ المُتواضِعِ أنَّهُ لا يصيرُ مُتَغَيّراً بِتَغَيُّرِ شَخْصٍ، ولا مُفْتَخِراً بِتَوقيرِ شَخْصٍ، ولا مُنْغَمِراً بِتَحْقيرِ شَخْص، لأنَّهُ يرى هذِهِ الأمورَ اعْتِبارِيَّةً، وَهِمَّتُهُ لا تَبْقى في ضَيْقِ الطَّبيعَة، فَهُوَ يتواضَعُ بِحُسْنِ طِيْنَةٍ لا بِمُلاحَظَةِ دَفْعِ ضَرَرٍ وَجَلْبِ مَنْفَعَة؛ ذاكَ الَّذي كانَ مِنْ الخَوْفِ والطَّمَعِ تَعْبيرٌ حَيوانِيّ، لا كَمالٌ نَفْسانِيّ. أي دَرويشُ أغْلَبُ الأمورِ بِعَقيدَةِ الإشْتِباه، ونادِراً ما يكونُ شَخْصٌ مُدْرِكاً لِحَقيقَةِ العَمَل، وَذاكَ الَّذي صارَ مُدْرِكاً عَبَرَ مِنْ إدراكِهِ لِنَفْسِه، يَعني خَتَمَ على شَفَتِهِ، يَجْرَعُ الدَّمَ وَهُوَ صامِتٌ.

هذا القَدْرُ أيضاً لو لَمْ أقُلْ أيْ سَنَد انكَسَرَتْ مِنَ الضَّعْفِ زُجاجَةُ القَلْبِ

أمَّا **الأدَب**ُ، فإنَّ أهلَ الحَقيقَةِ يَرَونهُ اجْتِماعَ خِصالِ الخَيْر، وَجَمْعَ القَلْبِ بالحَقِّ، وَصَقْلَ الخاطِرِ مِنَ الغَيْر. قالَ جُنَيْد: حينَ تَصيرُ المَحَبَّةُ صَحيحَةً تَسْقُطُ شُرائطُ الأدب، وقالَ آخَرُ: في صِحَّةِ المَحَبَّةِ تَصيرُ مُراعاةُ الأدَبِ ألزَم، ويصيرُ المُحِبُّ مُلازِماً للأدَبِ أكْثَر، والكلامَانِ كِلاهُما شَريف، لكِنَّ في بيانِ

جُنَيْد نُكْتَةً لَطيفَةً، معناها أنَّ سَيْلَ المَحَبَّةِ إذا صارَ طاغِياً تَجاوَزَ الحُدودَ والثُّغور، وصارَتِ المنازِلُ خراباً، وسارَتِ الآثارُ تَحْتَ الماء.

إلى شَاطِئِ البَحْرِ تُوْجَدُ آثارٌ للأقدام، لكِنْ في البَحْرِ لا وُجودَ لِتِلْكَ الآثار

الرِّباطُ والمنازِلُ في الأرْضِ المُسَطَّحَةِ لا في البَحْرِ الزَّخّار، وهذا مَقْصودُ حَضْرَةِ جُنَيْد قُدِّسَ سِرُّه، لا أنَّهُ إذا صَحَّتِ المَحَبَّةُ كانَ إنكارُ شرائطِ الأدَبِ اختياراً، كلامُهُ عالٍ والعارِفُ قَبِل. وذاكَ الَّذي قالَ يَجِبُ مُراعاةُ شُروطِ الأدَبِ أكثَر في صِحَّةِ المَحَبَّةِ ليسَ مُخالِفاً. فَقَبْلَ الوُصولِ إلى بَحْرِ المَحَبَّةِ الَّذي هُوَ مَقامُ الإسْتِغْراق في جَلَواتِ ظُهُورِ الحَبيب واضْمِحلالِ بَصيْرَةِ القَلْبِ بِنورِ تَجَلِّياتِ جَمالِ وَجلالِ المَحبوبِ، يكونُ حِفْظُ حُدُودِ المَحَبَّةِ لازِماً، ويكونُ المُحِبُّ السَّالِكُ للأدَبِ مُلازِماً. أما في مَقامِ الإسْتِغْراق فلا يبقى أدَبٌ، والمُحِبُّ المَجْذوبُ لا يَقْدِرُ على رِعايَةِ الأدَب. في هذا المقامِ بَرَزَتْ **نَحْنُ هُوَ وَهُوَ نَحْن**، وحينَ عادَ مِنْ تِلْكَ الحالَةِ قالَ **نَحْنُ نَحْنُ وَهُوَ هُو**، هُناكَ بَذْلُ وُجود، وهُنا حِفْظُ حُدود، ذاكَ انْبِساطٌ وهذا انْضِباط، هُناكَ بَحْرٌ بلا شواطِئ، وهُنا ساحِلٌ وَشاطِئ، هُناكَ المَقْصودُ وَهُنا الطَّريق، عَنْ هُناكَ قالَ **مَنْ رآني فَقَدْ رأى الحَقّ**، وهاهُنا نَظَمَ في الأدَبِ **بما عَرَفْناك**، لِكُلِّ كلامٍ مكانٌ ولِكُلِّ نُكْتَةٍ مَقام. أهْلُ الصُّورَةِ يَرَونَ الأدَبَ حِفْظَ الجوارِحِ مِنَ الزَّائدات، وأهْلُ المَعْنى يَرَونَ الأَدَبَ طَهارَةَ القَلْبِ مِنَ الخَطَرات، وأهْلُ اللهِ يُعَرِّفونَهُ بِعَدَمِ الإلْتِفاتِ لأيِّ شَيْءٍ مُنافٍ للحُضورِ في الحَضْرَة. وبِزَعْمِ الفَقيرِ كُلُّ مَنْ رَفَعَ العَيْنَ عَنْ عَيْبِ الخَلْق يستَطيعُ السَّيْرَ في طَريقِ الأدَبِ هذا، حتَّى لَو أنَّ سالِكاً كُشِفَتْ لَهُ عُيوبُ الخَلْقِ بالرِّياضات، لكانَتْ تِلْكَ المُكاشَفَةُ شَيطانِيَّةً، وكانَ بلا أدَبٍ في مَحْضَرِ أهْلِ التَّوحيد.

المُلْحِدونَ رَأوا القبائحَ، والمُوَحِّدونَ رَأوا مَحاسِنَ الوُجودِ واضِحَةً، طالِبُ العَيْبِ فالِجٌ وَعَنْ صِراطِ التَّوحِيدِ خارِجٌ، ما لَهُ مِنْ نَفْسِهِ حَرَكَةٌ ولا مِنَ اللهِ بَرَكَة، وعلامَةُ الأَدَبِ أنَّ **العَبْدَ ذا الاِفْتِقارِ والمَسْكَنَة،** لا يَعْتَرِضُ على أفْعالِ **الرَّبِّ ذي الاِقْتِدارِ والسَّلْطَنَة،** ولا ينطِقُ حَرْفاً بِكَيْفَ ولِماذا، لا يَطْلُبُ زيادَةً في حَقِّ النَّفْسِ، ولا يقولُ كلاماً بلا ميزان. مَنْ هُوَ بلا أدَبٍ مَحْرومٌ مِنْ لُطْفِ الرَّبّ. الأَدَبُ الواجِبُ للمُريدِ نِسْبَةً للمُرادِ هُوَ أنْ يُحافِظَ على القَلْبِ طاهِراً مِنَ الخَطَر، وأنْ يقومَ بالعَمَلِ بِرِضا المُراد، قالَ سَلْمانُ الفارِسِيُّ مُخاطِباً الأميرَ عَلَيْهِ السَّلامُ **يا مِحْنَةَ أيُّوب،** فقالَ لَهُ وهلْ أنتَ عالِمٌ بِمِحْنَةِ أيُّوب؟، لَقَدْ قامَ بما كانَ قالَ بإظْهارِ المَعْرِفَة خِلافَ الأدَب:

ذلكَ الشَّخْصُ الَّذي كانَ مَعَ أيُّوب   رأى حالَ أيُّوبَ بِحُكْمِ الوُجوب

سَيْرُ السُّلاَّكِ إلى الوَلِيِّ المُرْشِدِ يُمْكِنُ بِالأدَبِ، وصَقْلُ مِرآةَ القُلوبِ مِنْ صَدَأِ الغَفْلَةِ يُمْكِنُ بالأدَبِ. تَحَدَّثْ مَعَ المُريدِ بِأَدَبْ، وأَقِلَّ التَّتَبُّعَ لِعُيوبِهِ ولو كَثُرَت، وانْظُرْ إلى خَدَماتِهِ بِعَيْنِ القَبول، ولا تَسْتَخِفَّ باسْمِهِ في الغِيابِ والحُضُور، ولا تُكَلِّفْهُ زِيادَةً عَنْ طاقَتِه، وحافِظْ على نَقْصِهِ مَسْتوراً، واسْعَ في نَجاتِهِ إذا كانَ مأسورا، ولا تُعاتِبْهُ في حُضورِ الرِّفاق، ولا تَضايَقْ في المُعامَلاتِ مَعَه، وإذا نَكَلَ عَنْ إرادَةٍ فَدَعْهُ ولا تَقُمْ بِمَذَمَّتِه، ولا تَسِمْهُ بالعَيْب، ولا تَمْنَعْ عَنْهُ الخَيْرات. ومُناسِبٌ في هذا المَقامِ ذِكْرُ تمامِ شرائِطِ الوَلِيِّ المُرْشِد.

أمّا **شرائطُ الوَلِيّ المُرْشِد،** فإنَّهُ إذا كانَ مُرْشِداً كامِلاً كانَ مِرْآةً إلهِيَّةً، ولا يكونُ فاقِداً لأيِّ كَمالٍ، ويكونُ مُطَهَّراً مِنْ تَمامِ الأوصافِ الذَّميمَة، ومُزَيَّناً بِجَميعِ

الأخلاقِ المَرْضِيَّة، إلا أنَّ هذِهِ الشُّروطَ علامات، وإرهاصاتُ المَقامات، لِكَيْ يَمتازَ الجَوْهَرُ مِنَ الشَّبَه، ويصيرَ مَعلوماً الكامِلُ مِنْ غَيْرِ الكامِل.

الأوَّلُ صِحَّةُ النَّسَب، يعني أنْ يكونَ الوُصولُ مِنَ المُراد، بِقَبولِ الإرادَةِ والخِدْمَةِ. هكذا كما قُمنا بِتَفْصيلِهِ في بيانِ التَّصَوُّف.

الثَّاني العِلْم، فالجَاهِلُ لا يستَطيعُ الوُصولَ بِنَفْسِهِ إلى مكان. والمُرادُ مِنَ العِلْمِ نُورُ الحُضور لا ظُلُماتُ السُّطور، الحاصِلُ بالإشراقِ لا بِقِراءَةِ الأوراق، أصُولُهُ مَوْهِبَةٌ وَحُصُولُهُ بالخِدْمَة.

الثَّالِثُ العَمَلُ بِمُعْتَقَداتِ نَفْسِه، يعْمَلُ بِما يأمُرُ بِهِ الآخَرين، فإنْ لَمْ يَكُنْ عامِلاً فَلَيْسَ كامِلاً، المُتَحَدِّثُ عَنِ اللهِ غافِلٌ عَنِ الله.

الرَّابِعُ صِحَّةُ الإعْتِقادِ بالمَبْدَأِ والمَعاد. و**الخامِسُ التَّقْوى،** ***إنَّ أكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أتقاكُم***، يَعْني الإبْتِعادُ عَنْ كُلِّ ما يُخالِفُ المِلَّة ويُنافي العَقْلَ والقُرآنَ والشَّريعَة.

الخِرْقَةُ المُلَوَّثَةُ خَرابُ العالَم، أينَ السَّالِكُ طَاهِرُ القَلْبِ حُورِيُّ الطِّيْنَة

التَّقْوى شَرْطُ الرَّجُل، والتَّقوى شارَةٌ على أهْلِ الألَم، والمُتَّقي هُوَ ذاكَ الَّذي يستحيي مِنَ الحَقِّ لا مِنَ الخَلْق، ويخافُ مِنْ خَرابِ القَلْبِ لا مِنْ سوءِ سُمْعَةِ الدَّلْق.

السَّادِسُ الزُّهْدُ بالدُّنيا وما فيها. و**السَّابِعُ الصِّدْقُ،** فإذا لَمْ يَرَ المُريدُ الصِّدْقَ لَنْ يَأتيَ بِصِدْقٍ، وسيكونُ بُنْيانُهُ على الكَذِب، وَسَوفَ يصيرُ ضالاًّ. و**الثَّامِنُ عُلُوُّ الهِمَّة** كأنْ لا يَمُنَّ على مُريدٍ بِعِنايَةٍ عَمِلَها لَهُ، ولا تَظَلُّ في نَظَرِه، ولا يَصيرَ مَخْدوعاً بِخِدْمَةِ وإيثارِ المُريد.

التَّاسِعُ التَّجاوُز، فلا يَأخُذُ المُريدَ بِجُزْءِ خِيانَةٍ وخِلاف، ولا يُلْقِيْهِ مِنْ نَظَرِه، ولا يُضيعُ خَدَماتِه.

العاشِرُ السَّخاوَةُ والكَرَم، أعطى وَسَمَحَ ولمْ يَتَّخِذْ ذَخيرَةً مِنْ مالِ الدُّنيا، صَغيرِهِ وَكَبيرِهِ، إلى حَدِّ أنَّهُ لَوْ صَيَّرَ الدُّنيا لُقْمَةً وأطْعَمَها لِفَقيرٍ لَمْ يَرَ ذاكَ شَيْئاً، طَبْعُهُ رَفيعٌ وَنَظَرُهُ وَسيع، بِمَحْضِ جودٍ لا بِمُلاحَظَةٍ وَمَقْصود، فَلَو هُوَ أعطى بِمُلاحَظَةٍ كانَ دَنيءَ طَبْعٍ، وغَيْرَ ذي جُود، فَقَدْ أرادَ الاِحْتِفاظَ بالمُريدِ بالمالِ لا بِجَذْبَةِ ذي الجلال، تِلْكَ رَوِيَّةُ مُعاوِيَةَ لا سَجِيَّةُ المُرْتَضى. الكَريمُ شَخْصٌ مَكْرُمَتُهُ للهِ لا للمُراءاة، يُعطي الصَّديقَ والعَدُوَّ بلا غَرَض. إنَّ الشَّيْخَ الَّذي عَيْنُهُ بِمالِ المُريدِ أو خَلْقِ الدُّنيا هُوَ في الحَقيقَةِ مَردودُ اللهِ.

الحادي عَشَرُ قُوَّةُ القَلْب، فلا يَتَزَلْزَلُ قَلْبُهُ مِنْ حادِثَةٍ، ولا يَضْطَرِب، لا يَهْتَزُّ وَرَقُ شَجَرَةِ حَواسِّهِ بِريحِ الحوادِث، هُناكَ مَنْ يَغيبونَ عَنِ الإدراكِ مِنْ صَخَبِ فأرَةٍ، وَهُمْ في أنظارِ أنْفُسِهِم يَبْدونَ بِقُوَّةِ النَّمْرِ وَبَأْسِ الأسَد.

الثَّاني عَشَرُ السَّتَّارِيَّةُ نِسْبَةً لِعُمومِ الخلائق، وبالخُصوصِ للمُريدِ الصَّادِق، والسَّتَّارِيَّةُ هِيَ الشَّرْطُ الأعْظَمُ، شَخْصٌ لا يَسْتُرُ العَيْبَ لَيْسَ أهْلَ خِرْقَةٍ، وهُوَ عارٍ مِنْ هذا الفَضْل.

في بيانِ الخِرْقَة

هذا المَطْلَبُ بِحاجَةٍ لِمُقَدّمَةٍ، وأصْلُ ذاكَ إثباتُ النُّبُوَّةِ وتَحقيقُ مَعْنى الخاتَمِيَّة. ثَمَّةَ كُتُبٌ للخاصّ والعامّ في هذا البابِ، وفي رَدّ وَقَبولِ تِلْكَ أسْئِلَةٌ وأجْوِبَةٌ، وَعِنْدَ الفَقيرِ أنَّ بَيانَ المَطْلَبِ يَجِبُ أنْ يكونَ بِحَيْثُ لا يستَطيعُ الخَصْمُ أنْ يُشْكِلَ عَلَيْهِ ويُنْكِرَه، وكُلُّ شَخْصٍ سَمِعَهُ قَبلَهُ، وصارَ راسِخاً في ذِهْنِه. كَثْرَةُ

الأقوالِ وَطُولُ المَقالِ مِمَّا يَجْعَلُ الأَمْرَ مُشْكِلاً، والخَلْقَ حَيْرانَ ومُعَطَّلاً. بِعَونِ مِنَ اللهِ وَمَدَدٍ مِنَ الأولياءِ سَأجْعَلُ المَقالَ في المَطْلَبِ مُفيداً وَمُخْتَصَراً، وأَسْلُكُ طَريقَ إثباتٍ مَخْصوصاً وَمُنْحَصِراً. إذا كُنْتَ ذا عَقْلٍ فإثْباتُ النُّبُوَّةِ والنَّبِيِّ لَيْسَ نَقْلِيَّاً، ولا حاجَةَ بِهِ لأيِّ نَقْل، فَخَلِّ كُلَّ ما سَمِعْتَ عنْ ذلِكَ، وأَصْغِ لِهذا المَطْلَبِ مِنَ الفَقير.

أربابُ المِلَلِ والنِّحَلِ مُتَّفِقون على تَفاوُتِ العُقولِ، ومُصَدِّقونَ بِأَنَّ الجُزئيَّاتِ تَقَعُ تَحْتَ الكُلِّيَّات، فكُلُّ عَقْلٍ كانَ نِسْبَةً إلى العُقولِ زائداً ومُتَفَوِّقاً عَلَيْها، كانَتِ العُقولُ الواقِعَةُ تَحْتَهُ مُضْطَرَّةً لِمُتابَعَتِه، إذا كُنْتَ مُسَلِّماً بِهذا المَطْلَبِ فالنُّبُوَّةُ ثابِتَةٌ، لأنَّ النُّبُوَّةَ لَيْسَتْ غَيْرَ رَجَحانِ عَقْلٍ واحِدٍ على عُقولٍ كثيرَةٍ، والعَقْلُ الَّذي هُوَ مُمتازٌ على العُقولِ الرَّاجِحَةِ ولا شَيْءَ فَوْقَهُ هُوَ الخاتَم، ومُحَمَّدُ العَرَبِيُّ الَّذي هُوَ نَبِيُّنا ادَّعى هذا المَطْلَبَ، وأتى طِبْقَ دَعواهُ بِقانون، وجاءَ بِكِتابٍ، بلا مُعاوَنَةِ مُعينٍ، ولا مُشاوَرَةِ عاقِلٍ، ولا تَرديدِ رأيٍ، ولا مُداخَلَةِ أحَدٍ، وكِتابُهُ، مَعَ أنَّهُ كانَ أُمِّيَّاً، مُشْتَمِلٌ على المَحاسِنِ العَقْلِيَّةِ، علاوَةً على الفَصاحَةِ اللَّفْظِيَّةِ، الَّتي عَجِزَ فُصَحاءُ العَرَبِ عَنِ الإتيانِ بِمِثْلِها، واستَحْسَنَ مَحاسِنَ أحكامِهِ عُقَلاءُ كُلِّ قَوم، وإلى الآنَ مِنْ بَعْدِ انقِضاءِ أَلْفٍ وَثلاثِمائَةِ عامٍ مِنَ الهِجْرَةِ ما جاءَ أحَدٌ بِنَقْدِ عِلْمِهِ وَكَمالِهِ باللَّفْظِ والصُّوَرِ والمعاني. العَقْلُ يأبى قَبولَ أنْ يكونَ جاءَ بِمِثْلِ هذا الأمْرِ، الَّذي أقوالُ فُضلاءِ العالَمِ كُلُّها أمامَ كَلِماتِهِ بلا وَزْنٍ، نَفَرٌ واحِدٌ أُمِّيٌّ مِنْ عِنْدِهِ بلا تأييدٍ إلهِيٍ وَعَزْمٍ باطِنِيٍّ وعِلْمٍ لَدُنِيّ. فإنْ قالَ شَخْصٌ لا نَسْتَطيعُ فَهْمَ اخْتِصاصِ هذا الكلامِ، فهذا مُمْكِنٌ، وإنْ قالَ حُسْنُ أحكامِهِ غَيْرُ مُسَلَّمٍ، فَهُوَ لَمْ يَتَعَقَّلْه، ولو تَعَقَّلَهُ سَلَّمَ. أضْرِبُ مَثَلاً: لو أنَّ حكيماً مِنْ حُكَماءِ الإفرَنْج في صَنْعَةٍ مِنَ الصَّنائعِ صارَ أكْمَلَ لَوَجَبَ على أصحابِ

ذلِكَ الفَنِّ الإقْرارُ بِأكْمَلِيَّتِهِ ، وليسَ لنا حَقٌّ بالقَوْلِ أنَّنا لَمْ نَفْهَمْ دقائقَ عَمَلِهِ لِذا لا نُصَدِّقُ اخْتِصاصَهُ ولا نَعْتَبِرُهُ مُمْتازاً، فما دامَ أَهْلُ تِلْكَ الحِرْفَةِ بَقَوا في كمالِهِ حائرينَ وَرَأوا فيهِ أُسْتاذاً لَهُمْ، وَعَجَزوا عَنِ الإتيانِ بِمِثْلِ ما أتى بِه، فسائرُ الآخَرينَ بِطَوْرٍ أولى عاجِزون. فإذا قالَ شَخْصٌ نَحْنُ لا نَفْهَمُ القُرآنَ فهُوَ بالنِّسْبَةِ لنا مُعْجِزٌ، أو لَيْسَ بِلُغَتِنا، فهذا كلامٌ غَيْرُ مَسْموع، بِما أنَّ أولئكَ الَّذينَ فَهِموا عَجَزوا، فأولئكَ الَّذينَ لَمْ يَفْهَموا قَطْعاً أعْجَز. أمَّا **حُسْنُ أحكامِ القُرْآن،** فَلَو قالَ شَخْصٌ لا أفْهَمُهُ فهُوَ خلافُ القَوْلِ أنَّ الحُسْنَ والقُبْحَ عَقليَّان.

مُقَدَّمَةٌ أُخْرى بِقانونِ العَقْل، شَخْصٌ مِنَ العَرَبِ طَلَعَ، وكانَ في جميعِ العقائِدِ والأعْمالِ والأحوالِ ضِدَّ قَومِهِ جميعاً، وَقَدْ وَقَفَتْ جميعُ قبائلِ العَرَب ضِدَّهُ، وقَدِ ادَّعى أمْراً مُخالِفاً لِسَليقَةِ القَوم، وَلَمْ يكُنْ مَعَهُ دَيَّارٌ يُوافِقُهُ في بدْءِ أمْرِهِ ، وحَتَّى الأقارِبُ والأرحامُ كانوا يقومونَ بِنَهْيِهِ وَنَصيْحَتِه، وَقَدْ وَصَلوا بالمُعارَضَةِ والعِنادِ إلى النِّهايَةِ، وانتهى الأمْرُ بِمُقاتَلَتِهِم لَهُ، وانتَصَرَ على شُجْعانِ العَرَبِ، وَغَلَبَهُمْ جميعاً وَنَكَبَهُمْ، وَكَتَبَ بِإعلانِ نُبُوَّتِهِ الكُتُبَ إلى سلاطينِ الأرْض. وكُلُّ مَنْ وافَقَهُ وَقَبِلَ الجِزْيَةَ بَقِيَ في أمانٍ مِنْ سَطْوَتِه، وكُلُّ مَنْ تَمَرَّدَ عَلَيْهِ، سَقَطَ بِسَهْمِ دُعائِهِ أو قُتِلَ بِحَدِّ سَيْفِه، وفُتِحَ أغْلَبُ البِلادِ بِيَدِهِ، واستقامَ أمْرُهُ. هذِهِ الواقِعَةُ كانَتْ مِنْ عَجائبِ العالَم، ومِثْلُ هذا الأمْرِ لَمْ يَقَعْ بالاِتِّفاق، أنْ يكونَ نَفَرٌ واحِدٌ مِنْ دونِ أسبابٍ ظاهِرَةٍ مُخاصِماً لِتمامِ العالَمِ وينتَصِرَ عَلَيْه. فإنْ قُلْتَ كانَ تأييداً إلهيَّاً فَقَدْ **ثَبُتَ المُدَّعى،** وإنْ قُلْتَ كانَ تَدبيراً عَقْليَّاً فَقَدْ حَصَلَ مَقْصودُ الكلام. وإنْ قُلْتَ كانَ مِنَ الأُمورِ الاِتِّفاقِيَّةِ، فَلَو كانَ حَصَلَ وُقوعُ مِثْلِ هذا الاِتِّفاقِ أيضاً في العالَمِ حَقَّ لَكَ هذا القَولُ، وإنْ كانَ هذا الأمْرُ مُنْحَصِراً فلا يَحِقُّ لَكَ اعْتِبارُ مِثْلِ هذا الأمْرِ العَظيمِ العَجيبِ مِنَ الأُمورِ الاِتِّفاقِيَّة، فإنْ كانَ

دَليلُكَ أنَّ بَعْضَ السَّلاطينِ كانوا مِنْ هذا القَبيل، وأنَّهُمْ وَصَلوا مِنَ الضَّعَةِ إلى كمالِ العُلُوّ، فإنَّ أولئكَ لَمْ يكونوا مِنْ هذا القَبيل، إذْ هُمْ **أوَّلاً** لَمْ يكونوا بِحَسَبِ الدِّينِ والسِّيْرَةِ ضِدَّاً لِعُمومِ الخلائق، وكانَ مَقْصودُهُم التَّرَقِّيَ في أمْرِ الدُّنيا، وَلَزِمَ النَّاسُ مِثْلَ هؤلاءِ الأشْخاصِ ليكونَ كُلٌّ مِنْهُم رئيساً وتكونَ الرُّوحُ والمالُ والنَّاموسُ في حِصْنِ الأمانِ مَحْفوظَةً، و**ثانياً** لَمْ يبقَ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِهِم قانونٌ، فكُلُّ رئيسٍ جاءَ مِنْ بَعْدِ أولئكَ جاءَ بِقانونٍ على سَليقَتِهِ وَرَوِيَّتِه، كمِثْلِ أنوشروان الَّذي كانَ في ذلِكَ الزَّمان، وبِكُلِّ ذينِكَ العَدْلِ والإنصافِ اللَّذَينِ كانَا لَهُ، أيُّ أمْرٌ مِنْهُ تُرى بَقِيَ إلى اليَوم؟، فالقياسُ لا يَجِبُ أنْ يكونَ. وإنْ قُلْتَ الحَكيمُ الفُلانِيُّ أيضاً عَمِلَ بِشَكْلٍ كامِلٍ الصَّنْعَةَ الفُلانِيَّةَ أو عَلِمَ بِشَكْلٍ كامِلٍ العِلْمَ الفُلانيَّ، وهذا دَليلٌ على عَقْلِهِ، وإطاعَتُهُ على مَنْ دُونَهُ واجِبَةٌ، قُلْتُ في صُورَةِ كَوْنِ وُجودِهِ مُنْحَصِراً بِفَرْدٍ، وكانَ لَكَ كمالُ الاِحتياجِ إلى ذلِكَ العِلْمِ وتِلْكَ الصَّنْعَةِ فَهُوَ كذلِك، لا أنَّ مُحتاجيهِ كُثُرٌ وأنتَ لَيْسَتْ لَكَ تِلْكَ الحاجَةُ، أي أنَّهُ لَيْسَ حَتْماً عَلَيْكَ تَحْصيلُ ذلِكَ العِلْمِ وَتِلْكَ الحِرْفَة، وَجْهُ خِطابي للأشْخاصِ ذوي الدِّينِ المُنْصِفين، لا للمُعانِدينَ المُنْحَرِفينَ، المائلينَ عَنْ صِراطِ العَقْل. لَمْ أقُلْ حَرْفاً أنْ يَجِبُ التَّأمُّلُ في ذلِك، وَلَمْ آتِ بِبَيانٍ عَنِ المُعْجِزاتِ وَخوارِقِ العادات، دَليلُ العَقْلِ وكمالُ النَّفْسِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ كافٍ، تَأمَّلْ في هذا الحَديثِ الَّذي أقولُهُ: لَو كانَ هُناكَ رَجُلٌ في نُقْطَةٍ مِنْ نِقاطِ الأرْضِ لا يَملِكُ مالاً ولا مُكْنَةً ولا مُعيناً، وَلَمْ يَقُمْ بِتَحصيلِ عِلْمٍ وفَنّ، وَلَمْ يَكُنْ ذا شَجاعَةٍ وَقُوَّةٍ واخْتِصاصٍ ظاهِراً، واعْتَبَرَ جَميعَ أديانِ العالَمِ باطِلَةً وفاسِدَةً، وقالَ على المَلأِ إطاعَتي على خَلْقِ اللهِ واجِبَةٌ، وكُلُّ شَخْصٍ لَمْ يُطِعْني كافِرٌ ومِنْ رَحْمَةِ اللهِ بلا نَصيب، وأنا لمالِ وأرواحِ ونفوسِ وناموسِ ودُنيا وآخِرَةِ الخلائقِ مالِكٌ، وبالمُلْكِ والمَلَكوتِ مُتَصَرِّفٌ، وأنا أفْضَلُ مِنَ الأوَّلينَ والآخِرينَ مِنَ الخَلْق، ومُعيني في

هذا الإدِّعاءِ اللهُ، ومُساعِدي هذا الكِتابُ الَّذي اِسْمُهُ القُرآنُ، وأنَّي أسيرُ فأعْبُرُ في نِصْفِ لَحْظَةٍ تمامَ السَّموات، وَبَدَني أَلْطَفُ مِنَ الأرواحِ اللَّطيفَةِ، ومِنْ هذا النَّوعِ مِنَ الدَّعاوى، مِثْلُ هذا الشَّخْصِ، سواءً رُئِيَتْ علامَةٌ وآثارٌ مِنْ ادِّعائِهِ أمْ لَمْ تُرَ، وقَدْ حَمَلَ مُفْرَداً ادِّعاءَهُ بلا مُعينٍ إلى أمامِ القَومِ فقاموا بالنِّزاعِ لَهُ فانْغَلَبوا، وصارَ دِينُهُ مِنْ بَعْدِهِ أقوى، ولَمْ يَضِعْ أمْرُهُ، وَلَمْ يَقْبَلِ الخَلَلَ عَمَلُه، إذا تَعَقَّلْتَ فَهذِهِ المُعْجِزَةُ كافِيَةٌ، ولا حاجَةَ لِمُعْجِزاتٍ أُخْرى، الفقيرُ لا شُغْلَ لَهُ بالمُعْجِزاتِ المَذكورَةِ والمَسطورَةِ في الكُتُب، فهِيَ حامِلَةٌ للشِّبْهِ وتَحْتَمِلُ الصِّدْقَ والكَذِب، ولا يُمْكِنُ تَقْديمُها للمُنْكِرينَ المُتَدَلِّلين، ولا يُمْكِنُ أنْ تكونَ حُجَّةً على الخَصْم، مَعَ أنَّ الفَقيرَ مُصَدِّقٌ بِتمامِ المُعْجِزات، لا بالقانونِ الكُلِّي لِلْعَقْلِ، بَلْ بِصِرْفِ الشُّهُود، أقالَ أهْلُ الخَبَرِ أمْ لَمْ يقولوا، فإذا قُلْتَ ما هُوَ دَليلُ العَقْلِ على تِلْكَ المُعْجِزاتِ، أقولُ إذا جاءَتِ المِئةُ جاءَتِ التِّسْعونَ قَبْلَها، بِوُجودِ كمالِ النَّفْسِ وصِحَّةِ الأمْرِ وَقُوَّةِ العَقْلِ، لا نَقْلَ لِخوارِقِ العادات. **مَصْرَع: بِكُلِّ ما قالَ الأنبياءُ آمَنَّا وَصَدَّقْنا.** واعْلَمْ أنَّ دَليلَنا الأعْظَمَ في هذا البابِ بَلِ الأَصْلُ جَذْبُ الجِنْسِيَّةِ وكفى. شِعْر: *ذَرَّةٌ ذَرَّةٌ في الأرْضِ والسَّماء كُلٌّ لجِنْسِهِ كالقَشِّ والكَهْرباء*

فإنْ كُنْتَ مِنْ جِنْسِ الأنبياءِ فما حاجَتُكَ للمُعْجِزَة، وإنْ لَمْ تَكُنْ فما الحاصِلُ مِنَ المُعْجِزَة، فالنُّبوَّةُ الخاصَّةُ والخاتَمِيَّةُ لأحْمَدَ المُرْسَلَ ثابِتَةٌ، واليَومَ إطاعَةُ أحْكامِهِ وتَصْديقُ كِتابِهِ على مَنْ على الأرْضِ واجِبَةٌ ومُتَحَتِّمَةٌ، ومِنْ هذا النَّبِيِّ علامَتانِ اثنتانِ، إلى القِيامَةِ باقِيَتان، واحِدَةٌ كِتابُ اللهِ، وواحِدَةٌ عِتْرَتُه، كما قالَ: **إنِّي تارِكٌ فيكُمُ الثَّقَلَيْنِ كِتابَ اللهِ وَعِتْرَتي،** يعني الأئِمَّةَ الإثْنَيْ عَشَرَ، الَّذينَ أوَّلُهُمْ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ وآخِرُهُمِ المَهْدِيُّ المَوعودُ المُنْتَظَرُ الغائِبُ، والكِتابُ

والعِتْرَةُ هذان، بِبَعْضِهِما مُتَّحِدان، وكُلٌّ مِنْهُا للآخَرِ مُبَيِّنٌ وَشاهِدٌ، ولِلْخَلْقِ هادٍ ومُرْشِدٌ، وَلَنْ يَنْفَكَّا إلى شَفَةِ الحَوْضِ، الَّذي هُوَ جَمْعُ الوِلايَةِ، لِيَلْتَحِقا بِأَصْلِهِما.

تحقيق، في الكِتابِ تَنْدَرِجُ وَتَنْطَوِي أسرارُ العالَمِ وآدَم، الكِتابُ مَخْزَنُ الأسرارِ الإلهِيَّةِ، والأَنْفُسُ والآفاقُ مَجْموعَةٌ فيهِ جَمْعَ حِساب، **ولا رَطْبٍ ولا يابِسٍ إلاَّ في كِتابٍ مُبين،** المُرادُ مِنَ الرَّطْبِ عالَمُ التَّفْصيلِ الَّذي هُوَ الآفاق، والمُرادُ مِنَ اليابِسِ عالَمُ الإجْمالِ الَّذي هُوَ الأنْفُس. تَفْصيلُ العالَمِ كامِلاً لَهُ في النَّفْسِ الإنسانِيَّةِ **جَمْعٌ،** لِهذا نُعَبِّرُ عَنِ الجَمْعِ والأحَدِ **باليابِس،** ونُسْخَةُ آدَمَ بِكَمالِ الإجمالِ شَرْحُ العالَم، **ولِذلِكَ فَرْقٌ كثيرٌ**، وفَسَّرنا **الفَرْقَ بالرَّطْب**، مِنْ تِلْكَ الجِهَةِ سَمَّينا الكِتابَ **الفُرقانَ العَظيم،** الَّذي مِنْ مقامِ إجمالِ الكلامِ، الَّذي هُوَ عالَمُ العِلْمِ الإجماليّ، لَبِسَ كِسْوَةَ الحُروفِ والنُّقوش، وَنَزَلَ إلى عالَمِ الفَرْقِ والتَّفصيل، وَقَبِلَ الألفاظَ والأرقامَ في كَوْنِ الكَثْرَة، ومِنْ ذلِكَ الوَجْهِ سَمَّيْنا القُرآنَ المَجيد، فهُوَ خُلاصَةُ الآفاقِ والأنْفُس، وَمَجْموعُ العالَمَيْنِ الأكْبَرِ والأصْغَر، هُوَ للنُّفوسِ مِنْ مقامِ الفَرْقِ إلى جَمْعِ الوُجود هادٍ، وللآفاقِ مِنْ قَيْدِ الكَثْرَةِ إلى جَمْعِ الأعْيانِ مُحَرِّرٌ، وعَنْ سُلطانِ الأولياءِ عَلَيْهِ صَلَواتُ اللهِ العَلِيِّ الأعلى قالَ: تَمامُ القُرآنِ في الحَمْدِ وَتَمامُ الحَمْدِ في بِسْمِ اللهِ وكُلُّ ما في بِسْمِ اللهِ في نُقْطَةِ الباءِ وأنا النُّقْطَةُ تَحْتَ الباء، يَعني إذا رَجَعَتِ الحُروفُ والخُطوطُ الفُرقانِيَّةُ إلى جَمْعِ العَيْنِ القُرآنِيّ، وارتَفَعَ غُبارُ تَعَيُّناتِ الألْفاظِ، وَصَلَ الخَطُّ إلى النُّقْطَةِ وَصارَ مُقَيَّداً مُطْلَقاً، وصارَ في مَقامِ الكِتابِ الَّذي هُوَ عالَمُ الأسماءِ، مَعَ حَقيقَةِ الإنسانِ الَّتي هِيَ الحَضْرَةُ الجامِعَةُ، واحِداً.

تَوضيح: العالَمُ عِباراتٌ عَنْ تَجَلّي الوُجودِ المُطْلَقِ لِنَفْسِهِ، في كِسْوَةِ التَّعَيُّناتِ الكونيَّةِ، أعياناً وأجْساماً، غَيْباً وَشُهوداً، جَبَروتاً وَمَلَكوتاً ومُلْكاً، وآدَمُ إشارَةٌ عَنْ

تَجَلّي الوُجودِ المُطْلَقِ لِنَفْسِهِ، في كِسْوَةِ التَّعَيُّناتِ الإلهِيَّة، أسماءً وَصِفاتاً، سِرّاً وَحَقيقَةً، والكِتابُ كِنايَةٌ عَنْ تَجلّي الوجودِ المُطْلَقِ لِنَفْسِهِ، في كِسْوَةِ التَّعَيُّناتِ الكلامِيَّةِ، باطِناً وظاهِراً، مَعْنىً وَلَفْظاً، آدَمُ الكِتابُ النّاطِقُ للمعارِفِ الإلهِيَّة، والكِتابُ مُعَرِّفٌ لآدَمَ الأكْبَرَ الرَّبّانيّ، آدَمَ الحَقيقيِّ الَّذي هُوَ صِفاتُ اللهِ الأعْظَمِ، جاءَ مِنْ مقامِ جَمْعِ الوَحْدَةِ إلى عالَمِ الكَثْرَة، واختارَ الهِمَّةَ لِحِفْظِ مراتِبِ المُمْكِنات، بِمِصْداقِ **أنا عَبْدٌ مِنْ عَبيدِ مُحَمَّدٍ**، لَبِسَ لِباسَ البَشَرِيَّةِ، وصارَ مَعَ الخلائقِ كالخلائقِ صُورَةً، وَصارَ مُتَمَكِّناً على مَسْنَدِ **إنّي جاعِلٌ في الأرْضِ خَليفَةً**، والكِتابُ الأزَلِيُّ الَّذي هُوَ كلامُ اللهِ المَعْنَويُّ، مِنْ لاهُوتِ نَفْسِهِ، الَّذي هُوَ اللَّوحُ المَحْفوظُ العِلْمِيُّ، نَزَلَ إلى عالَمِ النّاسوتِ وَقَبِلَ الصُّوْرَةَ في سُطورِ الكُتُبِ واللَّفْظ. حينَ يصيرُ الكِتابُ راجِعاً مِنْ صُورَةِ الألفاظِ إلى حقيقَةِ نَفْسِهِ، ومِنْ تَرْكيبِ الحُروفِ إلى بَسيطِ المَعاني، يصيرُ آدَمَ الأوَّل، وحينَ يعودُ آدَمُ الَّذي هُوَ هَيْكَلُ التَّوحيدِ وَخَليفَةُ اللهِ المَجيدِ، مِنْ أرْضِ الخلافَةِ إلى سَماءِ الوَحْدَةِ، وَيَتَّصِلُ بِأَصْلِ نَفْسِهِ يصيرُ عَيْنَ أُمِّ الكِتاب. لِهذا جَعَلَ الرَّسولُ الأمْجَدُ وَديعَةَ نَفْسِهِ في نَشْأَةِ صُوْرَةِ كلامِ اللهِ والعِتْرَة. *كُلُّ ما هُوَ في الأعلى لَهُ صُورَةٌ في الأسْفَل*، يَعْني لا تَكُونوا مِنَ الكِتابِ قانِعينَ بِصُورَةِ الألفاظ، ولا تَذْهَبوا مِنْ طَريقٍ لا يكونُ فيها كلامُ اللهِ النّاطِقُ مَعَكُم رَفيقاً، ولا تَقولوا **حسْبُنا كِتابُ الله،** وَتَعَلَّقوا بِعُرْوَةِ الولايَةِ الوُثْقى، فخِلافَةُ الرَّسولِ غَيْرُ مُنْحَصِرَةٍ بالأحكامِ الظّاهِرَةِ والسِّياسَةِ المَدنِيَّةِ، بَلْ ألْفُ مَعْنىً دَقيقٍ أدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ هاهُنا، فما لَمْ يَصِرْ شَخْصٌ عارِفاً مُدْرِكاً لِحَقائقِ الأشياءِ، ويُخْلَعَ عَلَيْهِ مِنْ ذاتِ الرَّبِّ بِتَشريفِ **أنتَ وليّي وَخَليفَتي،** لا يكونُ لائقاً للخِلافَة. بالمُقَدِّماتِ الَّتي قُمْنا بِتَرْتيبِها، والبِناءِ الَّذي بَنَيْنا، الخِلافَةُ بَعْدَ الرَّسولِ حَقُّ عَلِيٍّ، ومِنَ الخَلْقِ الأوَّلينَ والآخِرين، وأهْلِ السَّمواتِ والأرَضين، ما مِنْ شَخْصٍ كانَ أو يكونُ جَديراً بِهذا الأمْرِ غَيرُهُ، وإلاّ

يكونُ تَرجيحُ المَرجوحِ على الرَّاجِحِ لازِماً، وفي دينِ اللهِ وَجِهازِ جَبَروتِ الكِبْرياءِ، ظَهَرَ إلى ما لا نِهايَةٍ الإفْراطُ والتَّفريط، مِنْ ذلِكَ فالشَّيخانِ زادَ اللهُ أجْرَهُما، لَمْ يكونا صاحِبَي المقام، ولا مُدْرِكَيْنِ لِتمامِ الأحكام. إلاَّ أنَّهُ لا يُمْكِنُ فِعْلُ ما يُخالِفُ الأدَب، ولا يُمْكِنُ الطَّعْنُ بِأهْلِ ظاهِرِ الشَّريعَةِ في أيِّ زمان.

نَذْهَبُ إلى رَأْسِ المَطْلَبِ وَنقومُ بِبَيانِ الخِرْقَة: اِعْلَمْ أنَّ التَّصْديقَ بالأنبياءِ والرُّسُلِ، وخُصوصاً بِخاتَمِيَّةِ مُحَمَّدٍ المُصْطفى(ص) هُوَ الإسلام، والإقرارُ بِإمامَةِ الإثنَي عَشَرَ إماماً، وتَمييزُهُم عَنْ تمامِ البَشَرِ بَعْدَ النَّبِيّ، واعْتِبارُ مَحَبَّةِ كُلِّ مِنْهُمْ واجِبَةً، واعْتِبارُ المَهْدِيِّ المَوعودِ الَّذي تُخْتَمُ بِهِ الولايَةُ باقياً بالحياةِ العُنْصُرِيَّةِ، أصْلُ الإيمان، والإعْتِرافُ بالأولياءِ الرَّاشِدين والعُرَفاءِ كامِلي اليقينِ في كُلِّ زمانٍ، بابُ العِرفان، **ثُمَّ اتَّقَوا وآمَنوا ثُمَّ اتَّقَوا وأحْسَنوا**، الآية، هذا الإحسانُ بِمَعْنى العِرفان، وهُوَ مُوجِبٌ لِتَكْميلِ الإيمانِ، مِنْ بَعْدِ تَحْصيلِ العقائدِ الإسلامِيَّةِ الحَقَّةِ، ونتيجَتُهُ وجودُ الإنسانِ بالمَعْرِفَةِ والعُبودِيَّةِ للهِ الرَّحمن، وعِنوانُ المَعْرِفَةِ قَبولُ الإرادَةِ، فكُلُّ مَنْ أدارَ الوَجْهَ عَنِ الإرادَةِ لَمْ يَجِدِ المَعْرِفَة. علامَةُ مَحَبَّةِ وَوَلايَةِ ولِيِّ اللهِ الأعْظَمِ، الإرادَةُ والخِدْمَةُ والتَّوَلِّي بِأوليائه، الَّذينَ هُمْ هُداةُ الخَلْقِ بِصِراطِ مَعْرِفَتِهِ، ومُنَوِّرو القُلوبِ بِنورانِيَّتِهِ، وقائدو النُّفوسِ بِطَريقِ وِلايَتِه. فَقَدْ أخَذَ ذلِكَ السُّلطانُ البَشيرُ عَهْدَ الوِلايَةِ والبَيْعَةِ والمَحَبَّةِ لَهُ مِنَ الخلائقِ في غَديرِ خُمّ، وَجَعَلَ قَرارَ دِينِهِ المُبينِ بِوِلايَةِ عَلِيٍ، وبنى بِناءِ العرفان، لينْفَتِحَ بابُ الرَّحْمَةِ للجَميع، وترتَفِعَ يَدُ كُلِّ عالٍ ودانٍ في كُلِّ زمانٍ إلى جِهَةِ مَكْرُمَتِه:

ثُمَّ في كُلِّ عَصْرٍ وَلِيٌّ قائم   إلى القيامَةِ بامتِحانٍ دائم

وحينَ يَصِلُ المُريدُ ثابِتُ القَدَمِ في مُتابَعَةِ الشَّيْخِ صاحِبِ النَّفَسِ إلى مقامِ الفَناء، وتَصيرُ أخلاقُهُ مُبَدَّلَةً بِأخلاقِ الشَّيخ، وتصيرُ هِمَّتُهُ في الإرادَةِ والإطاعَةِ واحِدَةً، ولا يبقى مِنْ وُجودِهِ أثَرٌ، تصيرُ آثارُ لُطْفِ الرَّبِّ في وُجودِهِ ظاهِرَةً، وأنوارُ ظُهُورِ أحْمَدَ المُختارِ في قَلْبِهِ نازِلَةً، ومِنْ بَرَكاتِ الأئمَّةِ الأطْهارِ الَّذينَ هُمْ مَصْدَرُ آياتِ الرَّحْمَةِ، تَتَبَدَّلُ سَيّئاتُ وُجودِهِ بِحَسَناتٍ لا حَصْرَ لها، في حَصْنِ أمانِ المَلِكَ الغَفَّارِ، بِحُكْمِ أنَّهُ وَجَدَ طَريق ***ولايَةُ عليّ بن أبي طالِب حِصْني وَمَنْ دَخَلَ حِصْني أمِنَ مِنْ عذابي***. ولا تَقُلْ ما دامَتْ ولايَةُ عليٍّ(ع) بِهذا المَعنى فَيَدُ الآخِرينَ قَصيرَةٌ عَنِ التَّمَسُّكِ بِثَوبِ ولايَتِهِ، وتَصيرَ يائساً، فالولايَةُ لها مراتِبٌ أوَّلُها المَحَبَّةُ وآخِرُها الفناءُ في الله، ظِلُّ رَحْمَتِهِ المَمْدُودُ طالَ كُلَّ شَيءٍ، وَوَصَلَ إلى كُلِّ مَوجود، لِتَصِلَ إلَيْهِ يَدُ كُلِّ شَخْصٍ ولا يبقى أحَدٌ مَحروماً مِنْهُ، فالمالِكُ الفتَّاحُ المُعينُ غَيْرُ ذي حاجَةٍ، ولا يَنالُهُ الضَّرَرُ مِنْ كَثْرَةِ عِصيانِ عَبْدِهِ، بلِ رُبَّما كانَ المُذْنِبونَ أقْرَبَ إلى رَحْمَتِه، اجْعَلْ في النَّظَرِ ***حُبُّ عَليٍّ حَسَنَةٌ لا يَضُرُّ مَعَها سَيِّئَةٌ***، وعلى رَغْمِ الشَّكَّاكِ والمُنْكِرِ والمُنافِقِ وَغَيْرِ الطَّاهِرِ رُحْ مُتَمَنّياً جَزاءَ كُلِّ ذَنْبٍ ألْفَ رَحْمَةٍ مِنَ الكريمِ المُيَسِّرِ والخلاقِ المُعينِ للعَبْد، بيُمْنِ **وليّ ذي المناقِبِ أسَدِ اللهِ الغالِبِ**، فإنَّهُ يقومُ بإكرامِكَ أكْثَرَ مِمَّا تَظُنُّ، ***إنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنوبَ جَميعاً إنَّهُ هُوَ الغَفورُ الرَّحيم***، رَغْمَ أنَّهُ باعْتِقادِ الفقير، مَعَ حُبِّ عليٍّ لا تُوجَدُ سَيِّئَةٌ تَضُرُّ أو لا تَضُرُّ. *حُبُّ عَليٍّ حَسَناتٌ وَبُغْضُهُ سَيّئاتٌ، كُلُّ خَيْرٍ مِنْ شُعَبِ مَحَبَّتِه، وكُلُّ شَرٍّ مِنْ شُقوقِ عَداوَتِه*. لأنَّ المُمْكِناتِ بولايةِ عليّ وُجِدَتْ، وسُلطانُ الوُجودِ جَعَلَ ولايَتَهُ واجِبَةً على الخَلْقِ، وَجَعَلَ مِنْ ولايَتِهِ عِنوانَ عِبادَتِهِ بلْ أصْلَ عِبادَتِهِ، وَلأنَّ ولايَتَهُ كانَتْ وَديعَةً في آدَمَ صارَ آدَمُ مَسْجودَ المَلَكوتِيّين، وكُلُّ نَبِيٍّ كانَ أزيَدَ في ولايَتِهِ كانَ أكمَلَ،

وصارَ مُرْسَلاً. عارِفٌ مِنْ دونِ ولايَةِ عليٍّ يتحدَّثُ عَنِ المعارِفِ زنديق، وكُلُّ مَن عَزَمَ رُكوبَ البَحْرِ بلا سَفينَةٍ غَريق.

ذلِكَ الَّذي لا يُحِبُّ عَليَّاً كافِرٌ، ولو كانَ زاهِدَ الزَّمانِ وَلَو كانَ شَيْخَ طريق

إلهي جُدْ على صَفِيّ بِوَقْتِ هذا السَّحَرِ بِجَعْلِهِ مَحسوباً في أهْلِ تَوحيدِهِ بجائزَةِ هذهِ الأشعار(تُرْجِمَتْ نَثْراً): نَفْسُ عَلِيٍّ نُورُ السَّمواتِ والأرْضِ، غَيْرُ عَلِيٍّ مَنْ نُورٌ على نُورٍ؛ ضياءُ أنظارِ أهْلِ الشُّهُود، مِرآةُ الحَقِّ بِكَمالِ الوُجود؛ مِرآةُ ذاتِ الحَقِّ، ذاكَ عليّ، مُنَوِّرُ كُلِّ المرايا عَلِيّ؛ أيْ مَنْ وُجودُ الجَميع بِوُجودِكَ، أي مَنْ رأسُمالِ الجَميعِ مِنْ جُودِكَ؛ الكَوْنُ والمكانُ مِنْ وَجْهِكَ جَلْوَةٌ، موسى كُلِّ روحٍ تَقولُ ***أرِني*** أنت؛ الذِّكْرُ قِصَّةُ جَمالِكَ، العالَمانِ والِهَانِ بِك؛ العَقْلُ مِنَ الخَلْقِ في صَحرائكَ، ضاعَ مِنْ قَبْلُ حينَ رآكَ؛ رآكَ وصارَ مِنْ نَظْرَةٍ أسيراً، قامَ بِالقَبولِ لذاكَ الَّذي صارَ حِمْلَهُ؛ مِنْ ذلِكَ اليَومِ الشَّمْسُ بِك حائرَةٌ، تَدورُ بِك إلى الآنَ وهِيَ مُشتَعِلَةٌ؛ العَقْلُ مِنْ تَعْليمِكَ مَلأَ الكَفَّ، الفَلَكُ مِنْ تَعْظيمِكَ حنى الظَّهْرَ؛ كيلا يكونَ سِواكَ مَولىً للخَلْقِ، صارَتْ مَحَبَّتُكَ سِرَّ سُوَيْداءِ الخَلْق؛ كُلُّ مَنْ لَمْ يكُنْ ولاؤهُ لَكَ، كانَتْ لهُ سَقَرُ مقاماً إلى الأبَد؛ حاصِلُ كُلِّ مَطْلَبٍ مَحَبَّتُكَ، نهارُ شَخْصٍ لَيسَ مِنْكَ لَيْل؛ نَحْنُ مِنْكَ وإنْ جِئنا بالذَّنْب، نَحْنُ في التَّفكيرِ والنَّدَمِ مِنَ الذَّنْب؛ روحُ صَفيّ شاكِرُ إحسانِك، جُرْمُ صَفيّ جاذِبُ غُفْرانِك؛ بِشارَةُ الرَّحْمَةِ الَّتي وَصَلَتْ أُذُني، خِرْقَةُ الفَقْرِ مِنْكَ وَصَلَتْ كَتِفي؛ بِما قَدْ نَظَرْتَ في هذهِ الخرْقَةِ فَقَدْ، رَفَعْتَ النَّظَرَ عَنْ جَميعِ عيوبي؛ كتِفي لَمْ تَكُنْ قابِلَ هذِهِ الخِرْقَةِ، ذا كَرَمُ الشَّيْخِ سَتَّارِ الخَطَأ؛ كَيْ تُظْهِرَ مَنْ أصْلُ الكَرَم، مَن ثَمَرُ وجَذْرُ نَخْلِ الكَرَم؛ ألقَيْتَ في هذا الدَّوْرِ النَّظَرَ على الخَلْق، بِمَنْ يليقُ هذا التَّاجُ وهذا الدَّلْق؛ يعني أيْنَ المُذْنِبُ مِنَ

الجَميعِ، أينَ المُستَحِقُّ لِرَحْمَةِ الغَفَّار؛ كانَ صَفِيٌّ مِنَ الجَميعِ أفْقَر ، العاجِزُ والمِسْكينُ والمُذْنِبُ أكْثَر؛ ألْقَيْتَ على رأسِهِ الظِّلَّ مِنْ كَرَم، خِلْعَةُ الغُفْرانِ مِنْكَ صارَتْ لأجْلِه؛ صارَ مَوْرِدَ عَفْوِ أسَدِ اللهِ، صاحِبُ هذهِ الخِرْقَةِ وسارَ في هذِهِ الطَّريق؛ كي يَعْلَمَ الجَميعُ مَنْ السَّتَّار، غَيْرُ عَلِيٍّ مَنْ الفاعِلُ المُختار؟؛ ذاكَ العَمَلَ ما فَعَلَ مِنْ دُونِ الحَقِ، كُلَّ شَيْءٍ فَعَلَهُ، القادِرُ المُطْلَقُ فَعَلَه؛ مَنْ كانَ مِنْهُ على حُكْمِكَ اعتِراض، ليسَ في داخِلِ نُقْطَةِ قَلْبِهِ بياض؛ ذاكَ المُصَفَّى مِنْكَ صارَ صُوفِيَّاً، عارِفُ أسرارِكَ هُوَ المَعْروف؛ ذاكَ الَّذي أعْطَيْتَ **صَفِيّاً** مِنَ السَّخاء، لَيْسَ عَجَباً، أعْطَيْتَ مَحْضَ عَطاء؛ فَضْلُكَ شامِلُ حالِ الفَقير، إلى فَضْلِكَ مآلُ الفَقير؛ قَلَمُ الإيجادِ كائنٌ في يَدِك، كُلُّ عالٍ كائنٌ تَحْتَ يَدِك؛ ما مِنْ يَدٍ ليسَتْ تَحْتَ يَدِك، خُذْ في كُلِّ لَحْظَةٍ بِيَدِ فقيرِك؛ إنْ جرى الذَّنْبُ مِنَّا فاعْفُ عَنَّا، هَبْ لنا العَطْفَ مِنْكَ رَغْمَ الأعْداء؛ ضلَّ قَلْبٌ لا يَذْكُرُكَ، خَرُسَ شَخْصٌ لا يَذكُرُك؛ حينَ حانَتْ نَوْبَةُ تَغييرِ الدَّلْق، وَصَلَتْ روحي مِنَ المرارَةِ لِلحَلْق؛ لأُجَدِّدَ هذِهِ الخِرْقَةَ القَديمَةَ بِمِئةِ لَون، لأطَأَ عَرْشاً أعلى مِنَ الإمكان؛ تَجِبُ لي مِنْكَ خِرْقَةٌ جَديدَةٌ، قامَ نائبٌ مِنْكَ بِإظْهاري؛ جَعَلَني مَلِكَ مَلَكِ المَلَكوت، جَعَلَني مُرْشِدَ أهْلِ الجَبَروت؛ عَرَضَ على الملائكَةِ بالتَّمام، أيُّ صَفِيٍّ هذا وأيُّ احْتِشام؛ كانَ في العُمُرِ كُلِّهِ لي عَبْداً، يُثْني عَلَيَّ ما دامَ حَيَّاً؛ عسى أقومُ بالعَفْوِ عَنْ ذَنْبِهِ، أجْعَلُهُ شاهاً على الكُلِّ في العالَمَيْن؛ روحُهُ ورأسُهُ صارا غُباراً في طَريقِنا، فليسَ عَجَباً أنْ يَعْلُوَ على الأفلاك؛ كانَ سائلاً ولا مَلْجَأَ لَهُ، ما لَهُ غَيْرَ آهٍ وَقَلْبٍ حَزين؛ لَمْ يُوَجِّهِ الوَجْهَ لِغَيْرِ أعتابِنا، لا يشتَهي غَيْرَ لُقْمَةِ طعامِنا؛ صَنَعَ مِنْ قُوْتِنا قُوَّةَ التَّجْريد، صَنَعَ مِنْ عطائنا دُخانَ التَّوحيد؛ كُلَّ ما أعْطَيْتُهُ وَلَو كانَ التُّراب، أكَلَ بلا رَهْبَةٍ بِمِئةِ امتنان؛ أكثَرَ الشُّكْر على اللُّقْمَةِ القليلَة، قالَ تِلْكَ كانَتْ قِسْمَةَ الدَّرويش؛ ما طَلَبَ مِنَّا المُكْنَةَ والمالَ أبَداً، ما

طَلَبَ قُوْتَ نَفْسِهِ الشَّهْرَ والسَّنَة؛ ما حَمَلَ جائزَةَ الخَلْقِ بالثَّوب، ما حَمَلَ شِكايَةً مِنَ الحبيبِ للعَدُوّ؛ ما مَلَكَ في لَيْلَةٍ طعامَ غَدٍ، ما اشْتَكى في لَحْظَةٍ مَنَ الأعداء؛ وَضَعَ الرَّأْسَ على بابِنا طائعاً، قضى حَياةَ نَفْسِهِ قانِعاً؛ كانت عَيْنُهُ وَقَلْبُهُ على عَطائي، ماتَ على حُبّي وَحُبِّ أولادي؛ لَيْسَ في كَفِّهِ غَيْرُ ثَوبي، فأنا ضامِنُ جُرْمِهِ وَذَنْبِهِ جَميعاً؛ لَجَأَ إلى بابِ عَفْوي، قَصَدَ مِنَ الذَّنْب ثوابي؛ ما بِكَفِّهِ مِنْ زادِ الطَّريقِ شَيْءٌ، غَيْرَ قَلْبٍ خَجِلٍ وَوَجْهٍ أَسْوَدَ؛ سَأَجْعَلُ طُورَهُ جَميلاً بِصَفاءِ الغَيْرَة، سَأَجْعَلُهُ غَريقَ يَمِّ النُّورِ والرَّحْمَة؛ سأَهَبُ روحَهُ راحَةً مُهَيَّأَةً، سأَهَبُ فُتوحَهُ دَوْلَةَ العُقْبى؛ أيْ أسَدَ اللهِ بِمُلْكِك، بِقَلبِكِ اليَقِظِ وَقَلْبِ أفكارِك؛ أُنْظُرْ نَظْرَةً نَحْوَ قَلْبي مِنَ الغَيْب، طَهِّرْهُ مِنَ التَّلويثِ والعَيْب؛ سِلْسِلَتي المُحَرِّكَةُ كَرَمُكَ، سِلْسِلَةُ روحي قَيْدُ غَمِّكَ؛ لُطْفُكَ جَعَلَ فَقْري مَعْموراً، وَضَعْتَ في كَفِّ نَمْلَةٍ مُلْكَ سُلَيمانَ؛ مُلْكُكَ كم كانَ وافِراً وَمَعْموراً، العالَمانِ كلاهُما قِسْمَةُ نَمْلَةٍ واحِدَة؛ حِيْنَ أعطَيْتَ خِرْقَةَ الفَقْرِ كَتِفي، غَطَّتِ الخِرْقَةُ مِنَ الشَّرَفِ عُيوبي؛ مُجَدَّداً قُمْ بِهِمَّةٍ مَلَكِيَّةٍ، اِجْعَلْ حارَّاً دَوْرَنا بالكَأْس؛ دَوْرُ العالَمِ على طَريقَتِكَ وَسَيْرِك، كُلُّ خَيْرٍ وَصَلَ لِكُلِّ شَخْصٍ مِنْك؛ نَحْنُ خاصَّةً في غَمِّكَ وعبيدُكَ، في حَلَقاتٍ والحَلقاتُ في آذانِنا؛ اِجْعَلْ حَلْقَتَنا سَعادَةً وَسُروراً، عَينَ السُّوءِ مِنْ دُخانِنا أبْعِدْ عَنَّا؛ ولَو كانَتْ أبدانُنا بالنَّارِ لائقَةً، قُلوبُنا بالأمَلِ مِنْكَ كانَتْ سَعيدَةً.

في بيانِ أنَّ الخلائقَ مُكَلَّفون بالتَّكليفِ الإلهيّ، وليسوا بِأحرارَ مِنْ قَيْدِ التَّكليف

تَحقيقُ هذا المَطْلَبِ يَجِبُ أنْ يكونَ بِحَيْثُ يَجِدُ نَفْعاً مِنْهُ الخاصُّ والعامُّ، ويَجِبُ أنْ يكونَ ذا خُصوصِيَّةٍ، فلا يقولَ شَخْصٌ أنَّ هذا الكلامَ قيلَ مِنْ قَبْلُ، وأنَّهُ

غَيْرُ كافٍ للمُنْكِرين، سأجْعَلُ التَّحقيقَ هكذا فلا يبقى مجالٌ لأحَدٍ للإنكارِ إنْ شاءَ الله.

التَّمهيدُ الأوَّل، قُلنا سابِقاً أنَّ الموجوداتِ ظِلالُ وأشِعَّةُ الوجود، وكُلُّ واحِدٍ بِوَصْفٍ خاصٍّ مُتَّصِفٌ، والإنسانُ بِحُكْمِ **خَلَقَ اللهُ آدَمَ على صُورَتِه،** مَظْهَرُ الخَبَرِ والآيَةُ الجامِعَةُ الإلهيَّة. تَصَوَّرْ، أيُّ آدَمِيٍّ لا يَعْمَلَ عَملاً إلاَّ بَعْدَ أنْ يكونَ *أوَّلاً* قد لاحَظَ حُسْنَ ذلِكَ العَمَلِ وجَعَلَ الفائِدَةَ مِنْهُ في النَّظَرِ، *وثانياً* أنَّهُ أرادَ إتْمامَهُ، وثالِثاً أنَّهُ قامَ بِتَهْيِئَةِ أسبابِه، وهُوَ يتوجَّهُ لِكُلِّ ما يَجْعَلُ العَمَلَ أفْضَلَ وأسْرَعَ إنجازاً، ويقومُ بِقَدْرِ القُوَّةِ بِرَفْعِ الموانِعِ في العَمَل، ومِنْ كُلِّ شَخْصٍ قامَ بِتَصْديقِ وَتَقويَةِ ذلِكَ الفِعْلِ كانَ راضياً وكافَأهُ، ولِكُلِّ شَخْصٍ مُضِرٍّ وَمُخَرِّبٍ لِذلِكَ العَمَلِ كانَ كارِهاً وعاقَبَهُ، وفي صُوْرَةِ القُدْرَةِ جازاهُ بالقَتْل، وأخيراً يكونُ ذلِكَ العَمَلُ في العاقِبَةِ بلا نتيجَةٍ تَصِلُ لليَد، ولا يصيرُ مَقصودُهُ حاصِلاً، ويقومونَ بالإشكالِ عَلَيْهِ أنْ بَعْدَ كُلِّ هذا السَّعْيِ والاِهْتِمامِ ما فائدَةُ عَمَلِكَ، وما كانَ مَقصودُكَ، وما هُوَ الحاصِلُ لَك؟، أنتَ إنسانٌ، بِكُلِّ هذا العَجْزِ والجَهْلِ وجُزْءٌ ضَعيفٌ بِغَيْرِ اسْتِطاعَةٍ قُمْ بالسَّيْرِ في النَّفْسِ، هَلْ تكونُ راضِياً بأنْ يَظَلَّ عَمَلُكَ بلا نَتيجَةٍ ولا مَقصودٍ؟، فلا بُدَّ أنَّ الوُجودَ الَّذي هُوَ نِسْبَةً لَكَ كُلٌّ، وأكمَلُ وأعْلَمُ وأبْصَر، يكونُ بِطَوْرٍ أولى أكْثَرُ مُراعاةً لانتِظامِ الأمورِ وأخْذِ النَّتائجِ ، فإذا صارَ هذا المَعْنى مُحَقَّقاً أقول، شَخْصٌ يُريدُ مِنْ عَمَلٍ نتيجَةً، ويُعطي المُطيعَ والمُتَمَرِّدَ نوالاً وَنِقْمَةً، كما قُلْنا، لا بُدَّ أنْ يكونَ قد قامَ بالتَّكليف، وأبانَ الخَيْرَ والشَّرَّ بإرادَةِ واختيارِ وَحِكْمَةِ نَفْسِه، حتى يستَطيعَ امْتِلاكَ الحَقِّ بالإعطاءِ والاِنتِقام.

التَّمهيدُ الثّاني، اِعْلَمْ أنَّهُ لَيْسَ ما بَيْنَ المُجَرَّدِ الصِّرْفِ والمُقَيَّدِ المَحْضِ رابِطَةٌ وَطَريقٌ بِأيِّ وَجْهٍ، رَغْمَ أنَّ الرَّبْطَ الحَقيقِيَّ مِنْ حَيْثُ الوُجودُ مُحَقَّقٌ، والعارِفُ لا يَعرِفُ المُقَيَّدَ غَيْرَ ذاكَ المُجَرَّدَ المُطْلَق، الَّذي تَجَلَّى في مَرْتَبَةٍ أُخْرى بِوَجْهٍ آخَر، وهذا المَعْنى غَيْرُ مُنافٍ لِتَمْهِيدِنا بَلْ مُعينُ المُقَدّمَة. على أيَّةِ حالٍ، واسِطَةُ ***ما بَيْنَ*** لازِمَةٌ، وأنْ تكونَ لإيصالِ الفَيْضِ مِنَ العالي للسَّافِلِ، ولاستِفاضَةِ السَّافِلِ مِنَ العالي، أمينٌ بَيِّنٌ ومُعينٌ مُعَيَّنٌ، أو يصيرَ طريقُ الإفاضَةِ والاِستِفاضَةِ ما بَيْنَ الحَقِّ والخَلْقِ مَسدوداً. الواسِطَةُ هيَ العَقْلُ الأوَّلُ الَّذي هُوَ باطِنُ الرَّسول، ومُصَدَّقٌ ومُعاوَنٌ بِنَبِيٍّ ظاهِرٍ. مِنْ حَيْثُ التَّجَرُّدُ نِسْبَةٌ بِأصْلِ الوُجود، ومِنْ حَيْثُ الإمكانِ نِسْبَةٌ بالجِسْمِ المَشْهود، وهكذا النَّبِيُّ الظَّاهِرُ الَّذي هُوَ مَظْهَرُ العَقْلِ الفَعَّال، وحامِلُ أحكامِ ذي الجلال، وهذانِ المُعينانِ يكونانِ مَعاً، وفي طَيِّ العوالِمِ وَسَيْرِ المراتِبِ يسيرانِ مَعاً، في صُورَةِ كَوْنِ العَقْلِ بالعوائقِ غَيْرَ مَحجوب، وبالعلائقِ غَيْرَ مَعْيوب. مِنْ ذلِكَ أقولُ أنَّ العُقولَ الزَّاكِيَةَ آياتُ الإلهِ وَمَلْجَأُ شُؤونِ الرِّسالَةِ. ولو كانَ ضَعيفَ العَقْلِ، وخَفيفاً في إدراكِ تمامِ المَعنى، يستَطيعُ الحُكْمَ في شأنِ هذا الشَّخْصِ المُدَّعي الرِّسالَةَ وما يقول؟، صادِقٌ أمْ كاذِبٌ، مَنقولُهُ لِمَعقولِنا مُوافِقٌ أمْ مُخالِف، بُرهانُهُ كامِلٌ أمْ ناقِص، أحكامُهُ مُسْتَحْسَنَةٌ أمْ مُوهَنَةٌ، أخلاقُهُ مَحْمودَةٌ أمْ مَردودَة، عَقْلُهُ عالٍ أم فاسِد، نَفْسُهُ مُطْمَئِنَّةٌ أمْ مُضْطَرِبَةٌ، فائقٌ هُوَ على ما سِواهُ أمْ مَغلوبٌ، مُعْجِزُهُ كافٍ أمْ غَيْرُ وافٍ، مُعْجِزُهُ جيءَ بِهِ مِنْ قَبْلُ أمْ لا؟، إذا كانَ تمامُ قَولِهِ وَفِعْلِهِ موافِقاً للشَّواهِدِ العَقْلِيَّةِ، وكمالُهُ فَوْقَ كمالاتِ أهْلِ الزَّمانِ على الوَجْهِ الأكْمَلِ فانحِصارُ نُبُوَّتِهِ ثابِتٌ، وطاعَتُهُ واجِبَةٌ، ومُطيعُهُ مَغْفورٌ لَهُ، والمُتَمَرِّدُ عَلَيْهِ مُعاقَبٌ، وإنْ قالَ شَخْصٌ لا شَيْءَ مِنْ هذا الَّذي قُلْتَ مَعلومٌ ومُعَيَّنٌ، والتَّصْديقُ بِهِ غَيْرُ مُمْكِن، قُلتُ كَوْنُكَ مُكَلَّفاً ثابِتٌ، فَهَلْ تَمْلِكُ دليلاً على وَجودِ شَخْصٍ،

مِنْ غَيْرِ هؤلاءِ الأشخاصِ المَعروفينَ بالنُّبُوَّةِ، يكونُ أفضَلَ في حُسْنِ الأحكامِ وَصِحَّةِ القواعِدِ واعتِبارِ السُّنَنِ وَجَرَيانِ الأمْرِ أمْ لا؟، فإنْ كُنْتَ لا تَمْلِكُ فاعْتَرِفْ بالنُّبُوَّةِ الخاصَّة، واغْتَنِمْ وُجودَ الأنبياءِ والأولياء الَّذي هُوَ لُطْفٌ مَحْضٌ.

وإنْ قُلْتَ إلى الآنَ ما ظَهَرَ شَخْصٌ جامِعٌ لِجَميعِ ما ذُكِرَ فالتَّعْطيلُ لازِمٌ، وَوُجودُ جَميعِ هذا الخَلْقِ هُوَ بلا حاصِلٍ ولا ثَمَرٍ، فهذا بالدَّلائلِ السَّابِقَةِ خِلافُ المَعْقول، وإنْ أشْكَلَ شَخْصٌ أنْ لِماذا الرَّسولُ المُرْسَلُ رَحْمَةً للعالَمين والمَبْعوثُ لِلخَلْقِ أجْمَعين، لَمْ يَمْضِ على تَمامِ أفْرادِ البَشَرِ أمْرُهُ، ولِماذا هُناكَ الكثيرُ مِنَ الأماكِنِ ما وَصَلَها خَبَرُهُ، ولا طَرَقَ سَمْعَ أهْلِها خَبَرُ رَسولٍ، ولا وَصَلَتْ أهلَها دَعْوَةٌ، ولا وَصَلَهُمْ آيَةٌ مِنْ أحكامِ الرُّسُلِ والكُتُبِ، قَليلَةً أمْ كثيرَةً، بِرِسالَةٍ أوْ وسيلَةٍ، فما هُوَ مَعْنى الدَّعْوَةِ العامَّةِ إذَنْ؟، أقولُ هذا الاِعْتِراضُ بلا مَحَلٍّ، ومَعْنى الدَّعْوَةِ إلى اللهِ لَيْسَ أنَّ الدَّاعِيَ يَجِبُ أنْ يَذْهَبَ إلى كُلِّ قَرْيةٍ وَمَنْزِلٍ وَجَزيرَةٍ وغابَةٍ، ويصْرِفَ ويُعَطِّلَ السِّنينَ مِنْ أوقاتِ نُبُوَّتِهِ بالذَّهابِ للقاصِينَ في العالَمِ، وَيَتَخَلَّفَ عَنْ تكميلِ النُّفوسِ المُسْتَعِدَّةِ وَتَرْبيَةِ القُلوبِ القابِلَة، عُمْرُ الدُّنيا غَيْرُ كافٍ لِهذا العَمَل، وهذا القَدْرُ مِنْ إعلانِ نُبُوَّتِهِ وَدَعْوَتِهِ وإرسالِهِ إلى البلادِ المَعْروفَةِ كافٍ، إجراءُ الأمْرِ حَسَبَ قانونِ الطَّبيعَةِ مِنْ شَخْصٍ واحِدٍ في زمانٍ واحِدٍ مُحال.

وكُلُّ شَخْصٍ كانَ في دَوْرَةِ مُرْسَلٍ وسَمِعَ إعلانَ نُبُوَّتِهِ، تكليفُهُ المَجيءُ إلَيْهِ وَطَلَبُ الأحكامِ مِنْهُ، وإنْ كانَ شَخْصٌ لَمْ يَسْمَعْ وَذَهَبَ مِنْ هذهِ النَّشأَةِ فَهُوَ مُثابٌ، وَمَحسوبٌ في الأُمَّةِ المَرْحومَة، وفي هذا نِهايَةُ اللُّطْفِ الرَّبَّانِيِّ بالنُّفوسِ الإنسانِيَّة، ومَقْصودُنا في هذا المقامِ لمْ يَكُنْ إثباتَ النُّبُوَّة، فَنُبُوَّتُهُ غيرُ مُحتاجَةٍ

لإثبات، المَقصودُ كانَ تَزيينَ هذا الكِتابِ باسْمِ مُخْتارِ الأنامِ وخُلَفائِهِ الكِرام، وبِمَيْمَنَةِ خُلاصَةِ المُمْكِناتِ وأفْضَلِ المُوجودات، تَتَوَجَّهُ الفُيوضاتُ والبَرَكاتُ اللاّمُتناهِيات مِنْ مَخْزَنِ المواهِبِ الإلهِيَّةِ إلى ظاهِرِ وباطِنِ أهْلِ المَعْرِفَةِ وأربابِ الطَّريقَة، وأنْ يُحْسَبَ هذا الفقيرُ لِصَفْوَةِ التَّخْمير مِنَ الفَضْلِ الكَثيرِ للسُّلطانِ البَشيرِ مِنْ أولئكَ القَوم، وأنْ يَجْعَلَ الإلهُ الغفَّارُ عاقِبَتَنا تَحْتَ لِواءِ أحْمَدَ المُختار.

في بيانِ النُّبُوَّةِ والولايَةِ والفَرْقِ ما بَيْنَ نَبِيٍّ وَوَلِيّ

هذا المَطْلَبُ ذُكِرَ وسُمِعَ بِأقسامٍ مُخْتَلِفَةٍ، ورُئِيَ بِتَفاوُتٍ بالعِباراتِ في كُتُبِ القَوم. يَجِبُ لَهُ الآنَ بيانٌ مَخْصوصٌ، مُناسِبٌ للحالِ ومُتناسِبٌ مَعَ فَهْمِ العُموم. اِعْلَمْ أنَّ مِنْ لوازِمِ نَشْأةِ الصُّورَةِ وَكَوْنِ الطَّبيعَةِ، مِنْ حَيْثُ الضِّدِّيَّةُ، آفاقاً وأنْفُساً، مفاسِدَ وَمعائب، وأنَّ الوُجودَ اللاَّئقَ القادِرَ على أنْ يُطَهِّرَ آفاقَ العالَمِ مِنَ المفاسِد، والنُّفوسَ الآدَمِيَّةَ مِنَ المعائبِ واجِبٌ. والأوامِرُ والنَّواهِي الإلهِيَّةُ، حَتَّى لِنَظَرِ العارِفِ عَميقِ الفِكْرِ دَقيقِ النَّظَر، لا تكونُ إلاَّ مِنْ تِلْكَ الجِهَةِ الخالِيَةِ مِنَ العُيوبِ والاضْطِراب، والزَّائِلِ مِنْها نَقْشُ الفَسادِ مِنْ صَفْحَةِ الدَّهْر، فيصيرَ آدَمُ مُكَرَّماً والعالَمُ مُنَظَّماً. إطاعَةُ أمْرِ السُّلطانِ العادِلِ، الدَّاخِلِ في نَظْمِ العالَمِ الظَّاهِر، وأيضاً دُعاؤهُ بِتِلْكَ المُلاحَظَةِ على أفرادِ العِبادِ حَتْمٌ، لِتَصيرَ النُّفوسُ محفوظَةً ومحروسَةً مِنْ فِتَنِ أهْلِ الطُّغيان، وفي حِصْنِ أمْنٍ وأمان، وعلى حَسَبِ ما يكونُ في الظَّاهِرِ فإنَّ المَلِكَ يَعْهَدُ بِكُلِّ أمْرٍ مِنْ أُمورِ المَمْلَكَةِ إلى أميرٍ مُقْتَدِرٍ، ويُسْلِمُ الأُمور الكُلِّيَّةَ إلى كَفِّ كِفايَةِ وَزيرٍ أعْظَمَ مُنْحَصِر، يكونُ عالِيَ الرُّتْبَةِ لِيُمْضِيَ العَمَلَ، وَيَتَحَكَّمَ بالعَقْلِ والرَّعِيَّة. مِثْلُ هذا الشَّخْصِ يَجِبُ أنْ يَجْعَلَ مِنْ نَفْسِهِ أوَّلاً مُبَرَّأةً وَعارِيَةً مِنَ العُيوبِ الَّتي هِيَ خلافَ نَظْمِ وقانونِ

المُلْك، إلى حَدِّ أنْ يُلْقِيَ بِآمالِ نَفْسِهِ، ولا يَسعى دَقيقَةً بِمَيْلِ خاطِرِهِ ولِراحَةِ نَفْسِه، وَيَجْعَلَ مالَهُ وَحياتَهُ وَوُجودَهُ عَنْ مَحَبَّةٍ فِداءً في طَريقِ خِدْمَةِ المَلِكِ وإطاعَةِ أمْرِهِ وإجْراءِ أحكامِهِ وَنَظْمِ مَمْلَكَتِهِ وَحِفْظِ جُنْدِهِ وَرَعِيَّتِه. بِمِثْلِ هذا الدَّستورِ يَصِلُ إلى كمالِ التَّقَرُّبِ للملِكِ، وإلى نِهايَةِ العِزَّةِ والجاه، ويكونُ لِهذا الشَّخْصِ حالَتانِ ومقامانِ: حالُ ومقامُ الإخلاصِ وَبَذْلُ النَّفْسِ وَتَرْكُ التَّعَلُّقاتِ والتَّعَيُّناتِ وتَصَوُّراتِ وشُؤونِ نفْسِهِ نِسْبَةً لِلْمَلِك، وهذِهِ الحالُ نُسَمِّيها **الوِلايَةَ**، وحالُ إجْراءِ أمْرِ السَّلْطَنَةِ وَحِفْظُ المَمْلَكَةِ، وتِلْكَ نَدْعوها **النُّبُوَّة**. ولِذا يُمْكِنُ القَولُ *الوِلايَةُ رَفْعُ الحِجاب والنُّبُوَّةُ وَضْعُ الحِجاب*، قُلْتُ في زُبْدَةِ الأسرار: *الحِجابُ نَفَسٌ مِنْ شَرْعِهِ الكامِل، ما بَيْنَ جِسْمِهِ ورُوحِهِ حائل.*

في الولايَةِ لا يبقى سِوى وُجودِ المَلِك، وتَرْتَفِعُ الإثنينيَّةُ مِنَ الوَسَط، وَحْدَةُ الدَّرويشِ تَصيرُ مُنَزَّهَةً عَنْ أدرانِ الكَثْرَةِ وَمَظاهِرِ المَعِيَّة. وفي النُّبُوَّةِ رِعايَةُ حِفْظِ تمامِ المراتِبِ، والحِجابُ الَّذي رُفِعَ في الوِلايَةِ وُضِعَ في النُّبُوَّة، فَلَو أنَّ النَّبِيَّ لَمْ يَكُنْ مَحجوباً بِحِجابِ الخَلْق لمْ يَجْرِ أمْرُ النُّبُوَّةِ، ومِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ **اِشْغَلِيني يا حُمَيْراء**، لِتَصيرَ نَفْسُهُ مُقَيَّدَةً بِشَأنٍ مِنْ شؤونِ الطَّبيعَةِ، ومَحْجوزَةً عَنِ التَّوَجُّهِ للعالِيات، فَتَقْدِرَ على القِيامِ بالخِدْمَةِ الَّتي هِيَ بِها مَأمورَةٌ، ولا تفوتُها نُكْتَةٌ مِنْ ذلِكَ، وليسَتْ عِلَّةُ كَوْنِ موسى(ع) مَحْجوباً عَن أسرارِ الخِضْرِ غَيْرَ هذِه، مَعَ أنَّ ولايَتَهُ كانَتْ فَوقَ ولايَةِ الخِضْر، فبالوَجْهِ الَّذي ذُكِرَ وَصارَ مَعلوماً، تكونُ الولايَةُ أعلى وأقْدَمَ وأشْرَفَ مِنَ النُّبُوَّة، وَلَيْسَ مَعْنى ذلِكَ أنَّ الوَلِيَّ أشْرَفُ مِنَ النَّبِيّ، فالنَّبِيَّ لا بُدَّ وأنْ يكونَ وَلِيّاً، وليسَ كُلُّ وَلِيٍّ بالضَّرورَةِ نَبِيّاً، نُبُوَّةُ كُلِّ نَبِيٍّ على قياسِ ولايَتِه، ومَنْصبُ كُلِّ أميرٍ على قَدْرِ قُرْبِهِ مِنَ المَلِك، وكَمْ مِنْ وَلِيٍّ بَلَغَ كَمالَ ونِهايَةَ الرِّفْعَةِ ولَمْ يَصِرْ نَبِيّاً. وللأولياءِ مراتِبُ، فَبَعْضُ

لَهُ التَّصَرُّفُ على نَفْسِهِ، وَبَعْضٌ لَهُ التَّصَرُّفُ على نُفوسٍ مُعَيَّنَةٍ، وَبَعْضٌ لَهُ التَّصَرُّفُ على كُلِّ النُّفوسِ وَتَمامِ العالَمِ، وخاتَمُ الأولياءِ عَلِيٌّ(ع) مَرْجِعُ الكُلِّ، ولا مَرْتَبَةَ فَوْقَهُ، ولا ولايَة، ومِنْ دونِ ولايَتِهِ لا يَستَطيعُ أيُّ شَخْصٍ أنْ يَصِلَ لِكَمالٍ وولايَة، وهكذا الأنبياءُ لِكُلِّ واحِدٍ رُتْبَةٌ، فَالبَعْضُ يستطيعونَ أنْ يكونوا أنبياءَ على أنْفُسِهِم، وبعْضٌ على أُمَمِهِم، وَبَعْضٌ تكونُ نُبُوَّتُهُمْ أكْمَلَ ويكونونَ رُسُلاً، أي أصحابَ كُتُبٍ، وَبَعْضٌ أولي عَزْمٍ أي ناسِخي أديان، وَوَحْدَهُ نبيُّنا الخاتَمُ الَّذي لا نَبِيَّ بَعْدَهُ، ولا يُمْكِنُ أنْ يكونَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ، بالأدِلَّةِ الواضِحَةِ والبراهينِ القاطِعَةِ الَّتي ذُكِرَتْ سابِقاً. في الجَمْعِ بَعْدَ الفَرْقِ، يعني في قَوْسِ الصُّعودِ، تَجاوُزُ عليّ بنِ أبي طالِب مُحال، وفي الفَرْقِ بَعْدَ الجَمْعِ والنُّزولِ الثَّاني، الَّذي هُوَ الدَّعْوَةُ للخَلْق، مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ خَتْمُ الأنبياءِ وَتَعَدِّيْهِ مُمْتَنِع، فإنْ قالَ شَخْصٌ لِماذا هُوَ مُمْتَنِعٌ فجوابُنا لَهُ اقْرَأْ هذِهِ الرِّسالَةَ مِنْ أوَّلِها إلى آخِرِها لِتَعْلَم. هذِهِ النُّسْخَةُ بِهذا الاِخْتِصارِ لهذِهِ الجِهَةِ، وكُلُّ شَخْصٍ قَرَأَ استَطاعَ الحِفْظَ وَلَمْ يَصِرْ طَبْعُهُ مَلولاً، فلا نُكَرِّرُ مَطْلَباً والجوابُ على كُلِّ إشكالٍ غَيْرُ لازِمٍ، وذوو النُّفوسِ الكامِلَةِ قَبْلَ بعثَةِ الخاتَمِ كانوا يُدْعَونَ أنبياءَ بِتَفاوُتِ الدَّرَجات، وَبَعْدَ ظُهُورِ خَتْمِيِّ المآبِ صلواتُ اللهِ عَلَيْهِ وآلِهِ الأطيابِ خُتِمَتِ النُّبُوَّةُ فصاروا يُدْعَوْنَ أولياء، وأكْمَلُ أولئكَ في كُلِّ زمانٍ قُطْبُ الأقطاب، بالعلاماتِ الَّتي ذُكِرَتْ سابِقاً، ولا يكونُ قَطْعٌ للفَيْضِ في زمانٍ، وبابُ اللُّطْفِ لا يَصيرُ مَسْدوداً، والعالَمُ مِنْ وُجودِ شَخْصٍ يكونُ مِصْداقَ كَريمَةِ ***إنِّي جاعِلٌ في الأرْضِ خَليفَةً*** لا يخلو أبداً، وَلَهُ التَّصَرُّفُ في عالَمِ المُلْكِ والمَلَكوت، يُرَبِّي بِنَظَرٍ ظواهِرَ الأشياء، ويُكَمِّلُ بِنَظَرٍ بواطِنَ الإمكان، وفي تمامِ الأُمورِ لا يَشْغَلُهُ شأنٌ عَنْ شَأن، ولا تَسْتَطيعُ أيَّةُ ذَرَّةٍ مِنْ ذرَّاتِ العالَمِ وأيَّةُ نَفْسٍ مِنْ نُفوسِ بني آدَمَ، في أيَّةِ مَرْتَبَةٍ مِنْ مراتِبِ الخِلْقَةِ، وفي أيِّ شَأنٍ مِنْ شؤونِ المَعْنى

والصُّورَةِ، البقاءَ بلا نَظَرٍ وَعِنايَةِ تِلْكَ الحَضْرَةِ، ويقومُ بِتَرْبيَةِ الآفاقِ بِنَظْمِ الشَّريعَة، وتكميلِ الأنْفُسِ بِسَيْرِ الطَّريقَة. الشَّريعَةُ حِفْظُ مراتِبِ الظَّاهِرِ مِنَ الحَقّ إلى الخَلْقِ، والطَّريقَةُ طَيُّ مقاماتِ الباطِنِ مِنَ الخَلْقِ إلى الحَقّ. وفي بَعْضِ الأدوارِ نَظَراً لحِكْمَةِ الرَّبّ البالِغَةِ يكونُ وُجودُ فَيْضِ آثارِ قُطْبِ الزَّمانِ ظاهِراً ومَشْهوراً، وفي بَعْضِ الأزْمِنَةِ يكونُ مَخْفِيّاً وَمَسْتوراً، وفي الظُّهُورِ يكونُ حِيْناً غالِباً وقاهِراً، وحيناً يكونُ مَغْلوباً وَمَقْهوراً، وفي هذا حِكْمَتانِ، فَلَو أنَّهُ كانَ دائماً غالِباً وقاهِراً كانَ سُلوكُ الخَلْقِ مَعَهُ عَنْ خَوْفٍ وَطَمَعٍ، وانتفى المَقْصودُ مِنْ خَلْقِ العِباد، وَلَمْ يَمْتَزِ السَّعيدُ مِنَ الشَّقِيّ ولا كَمُلَ امتِحانُ الإيمان، وهذا لهُ جِهاتٌ كَثيرَةٌ وَهَذِهِ مِنْ جُمْلَةِ تِلْكَ الجِهاتِ واحِدَةٌ، وذِكْرُ تِلْكَ بِتَمامِها غَيْرُ لازِم. ولو أنَّهُ كانَ دائماً مَغلوباً وَمَقْهوراً لَما أمْكَنَ نَشْرُ الأحكامِ الإلهِيَّة، ولا كانَ شَخْصٌ لهُ مُطيعاً، ولصارَ بُنيانُ الشَّرْعِ مُنْهَدِماً، والعالَمُ غَيْرَ مُنْتَظِم. أمَّا عِلَّةُ ظُهُورِهِ وغيابِهِ، فَوَجْهُ وُجودِهِ الحَقّانيّ جامِعٌ لِجَميعِ جِهاتِ الكَمالِ عامَّةً، وآيَةُ لُطْفٍ إلهِيَّةِ تامَّةٌ، فهِيَ حيناً ظاهِرَةٌ، لِتَظْهَرَ مِنْها آثارُ الرُّبوبيَّةِ وأوصافُ الأحَدِيَّة، ولِيصيرَ الخَلْقُ عارِفاً بالمَعْبودِ الحَقيقيّ، ويعلَمَ العِبادُ أنَّ مُوجِدَ العالَمِ، وَضَعَ علامَةً مِنْهُ في العالَم، ولَمْ يَتْرُكْ مَعْرِفَتَهُ ناقِصَةً ومُعَطَّلَةً، وأظْهَرَ هَوِيَّتَهُ بِوجودِ خَليفَةٍ واحِد، وأقامَ حُجَّتَهُ على الخلائقِ تماماً. وباعِثُ غَيْبَتِهِ أنْ يَعْرَفَ الخَلْقُ قَدْرَ وجودِهِ، وما هيَ فائدَتُهُ في العالَمِ، فلولا انعِدامُ الأمْنِ لَمْ تَعْرِفْ قَدْرَ الأمْن، وهذا أيضاً لُطْفٌ، وطَلَبَ مِنْ عبيدِهِ المَعْرِفَةَ بِنِعْمَتِهِ التَّامَّةِ وأنْ يكونوا عارِفينَ بالمظاهِرِ الأقْرَبَ لِذاتِه، وأنْ يِعْرِفوا قَدْرَهُ، وأنْ لا يُغْفِلَ العِبادُ أيَّةَ نِعْمَةٍ مِنْ نِعَمِه، ***فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبان***.

أمَّا الولِيُّ الكامِلُ العارِفُ الَّذي هُوَ قائمٌ مقامَهُ ونائبٌ مُنابٌ عَنْهُ، فَشَرْحُ حالاتِ ومراتِبِ كمالاتِ الأولياءِ الَّذينَ هُمْ في الصُّورَةِ مُتَعَدِّدونَ، وفي الحَقيقَةِ واحِدٌ. ولو كانوا ألوفاً ليسوا أكْثَرَ مِنْ بَدَنٍ واحِدٍ، وُجِدَ بتِكرارِ صُوَرَتِه، بأسماءَ مُخْتَلِفَةٍ مَذْكورَةٍ وموسومَةٍ في الألْسِنَةِ، كالنُّقَباءِ والنُّجَباءِ والأبدالِ والأوتادِ والغَوْثِ والقُطْب، هذِهِ آياتٌ ومظاهِرُ حقيقيَّةٌ للقُطْبِ وشؤونِ ولايَتِه، وذلِكَ الَّذي هُوَ في أعْلى مَرْتَبَةٍ، ووجودُهُ مُنْحَصِرٌ بِفَرْدٍ هُوَ قُطْبٌ، مَعَ أنَّ المَقْصودَ مِنْ هذا القُطْبِ مَظْهَرُ ومِرْآةُ ذاكَ القُطْبِ المُجَرَّدِ الحقيقيّ، وليسَ غَيره. شِعْر:

أمامَ أصْلِ النَّفْسِ حينَ صارَ بلا نَفْس، ذهَبَتِ الصُّورَةُ فكانَتْ جَلْوَةُ مَعْناه

ولو دَعَوناهُ باصطِلاحِ آخَرَ الشَّيخَ الكامِلَ أو الشَّيْخَ المُكَمَّلَ أو العارِفَ الواصِلَ أو المُرْشِدَ القابِلَ أو العالِمَ الرَّبَّانِيَّ أو الوَلِيَّ السُّبْحانِيّ كانَ صَحيحاً، فهُوَ في الشَّريعَةِ خَليفَةُ مُحَمَّدٍ المُصْطَفى(ص)، وفي الطَّريقَةِ بِنَصّ الوِلايَةِ النَّائِبُ المُنابُ لِعَليٍّ المُرْتَضى.

شِعْر: جلال الدّينَ الرُّومي قُدِّسَ سِرُّهُ قال: *هُوَ مَهْدِيٌّ وهادٍ أيْ باحِثاً عَنِ الدَّرْب، أيضاً خَفِيٌّ وأيضاً جالِسٌ أمامَ الوَجْه؛ هُوَ مِثْلَ النُّورِ والعَقْلُ جِبْريلُهُ، وذاكَ الوَلِيُّ الأقَلُّ مِنْهُ قَنْديلُهُ؛ وذاكَ الأقَلُّ مِنْ هذا القَنْديلِ مِشْكاتُنا، للنُّورِ في المَرْتَبَةِ تراتيب؛ ذاكَ لأنَّ نُورَ الحَقّ بِسَبْعِمائَةِ حِجاب، حُجُبَ النُّورِ اعْلَمْ عَديدَةَ الأطْباق؛ مِنْ خَلْفِ كُلِّ حِجابٍ مقامٌ لِقَوم، صَفَّاً صَفَّاً مُصْطَفَّةً هذِهِ الحُجُبُ حَتَّى الإمام.*

سَعِدَتْ روحُ سلاطينِ الفَقْرِ وشُيوخِ الإرشاد، بِمُحَمَّدٍ وعليٍّ وآلِهِما الأمجاد، أي دَرويشُ المَحَبَّةُ رأسُ مالِ الآدَميّ، الإنسانُ بلا مَحَبَّةٍ لا انتِفاعَ لَهُ مِنَ الخَلْق،

وكُلُّ مَنْ زَرَعَ بِذْرَةَ المَحَبَّةِ في مَزْرَعَةِ القَلْب نالَ كُلَّ ثَمَرٍ أراد، فإذا وَجَدْتَ سِرَّ الوَحدَة، لا تَرْجِعْ عَنِ المَحَبَّة، قالَ شَخْصٌ المَحَبَّةُ لِمَن؟، قُلْتُ لا لِشَخْصٍ ما دُمْتَ، ما لِشَرْحِهِ لِسانٌ، ولا لِحالِهِ بيانٌ، ما لَمْ تُحِبَّ لَنْ تَدْري. شِعْر: *طَبيبَ العِشْقِ اسْقِنِي الخَمْرَ فهذا المَعْجونُ، يجلِبُ الرَّاحَةَ ويُزيلُ فِكْرَ البلاء*

إبليسُ لَمْ يكُنْ يَملِكُ المَحَبَّةَ، فَلَمْ يَضَعِ الرَّأْسَ لآدَمَ بالسُّجود، تِلْكَ الفِتْنَةُ لا تَزالُ باقِيَةً، وذاكَ المَرْدودُ لا يزالُ طاغِيَة، قامَ بإغواءِ أولادِ آدَمَ، وَقَعَدَ لأولئكَ الَّذينَ لهُمْ فِكْرُ الإخلاصِ والمَحَبَّة في الطَّريق، لِيَظْهَرَ استعدادُ الشَّخْصِ ما يكونُ، وإلى أيِّ مَدىٍ بِرِفْقَةِ إبليسَ يسيرُ، فإنْ كانَ يملِكُ الإسْتِعْدادَ الكامِلَ للضَّلال، ضَرَبَ الجَذْرَ بالفَأْسِ، أنْ ما ثَمَّةَ غَيْرُ عالَمِ الطَّبيعَةِ والمحسوساتِ الطَّبيعِيَّةِ مِنْ شَيء، ألا لا تَمْضِ في إثْرِ أقوالٍ وأعْمالٍ بلا حاصِلٍ، وكُنْ مُراقِباً في تَحْصيلِ المعاشِ وتكميلِ الأمورِ الدّنيويَّة. بَعْضُ الرِّجالِ مِنْ أهلِ الخِداعِ والاِحتيالِ جاؤوا للعالَمِ بادِّعاءِ النُّبُوَّة، وجَماعَةٌ كانوا بُلَهاءَ وأغْبياءَ انخَدَعوا بأقوالِ هؤلاء، وكُلُّ شَخْصٍ كانَ أكْثَرَ غَباءً كانَ بِهِمْ أكْثَرَ إيقاناً، أنتَ بِهذا الوَعْيِ والإدراكِ أليسَ حَيْفاً انخِداعُكَ بالحَمقى، وسَيْرُكَ إثْرَ أقوالِ السُّفَهاء، أيُّ إلهٍ، أيُّ نَبِيٍّ، أيُّ كِتابٍ، بِأيِّ دَليلٍ؟، كَلِماتٌ رماها للنَّاسِ للاِسْتِجداء، أُنْظُرْ أولئكَ الأشْخاصَ الَّذينَ لَمْ يأتوا تَحْتَ هذِهِ الأحمالِ ما فَضائلُهُمْ وما صنائعُهُم مِنْ قَبْلُ، وإنْ كانَ شَخْصٌ غَيْرَ مُسْتَعِدٍّ للضَّلالَةِ لهذِهِ الدَّرَجَة، قامَ لهُ بالمُداراةِ وَقَطَعَ طَريقَهُ بِطَوْرٍ آخَر، فلا يأتي لَهُ بِحَرْفٍ عَنِ اللهِ والرَّسولِ والمَبْدَأِ والمَعادِ والكُتُبِ والرُّسُلِ والأحكامِ والطَّاعَة، وَنَحْنُ نَقْبَلُ العُلَماءَ والعُرَفاءَ نَوعاً، أمَّا المُرْشِدُ الفُلانِيُّ فنِسْبَتُهُ نَفْسَهُ لأولياءِ السَّلَفِ مِنْ أين؟، الآدَميُّ يَجِبُ أنْ يكونَ ذكِيَّاً وَعَيَّاراً، فلا يَطْعَمَ حَماقَةَ كُلِّ شَخْصٍ، إذا كانَ ما يقولُ صِدْقاً، لِماذا

سُلوكُهُ لَيْسَ وِفْقَ تَصَوُّراتِنا؟، إذَنْ هُوَ مِثلنا، ما امتيازٌ لَدَيْهِ لِيَجِبَ الكَونُ مُريداً لَه؟، وأولئكَ الَّذينَ صاروا مُريديهِ على ماذا حَصَلوا، وأيَّ مَنْصَبٍ وَجَدوا، وأيَّ مالٍ؟، ومِنْ هذا القَبيل. وباعْتِقادِ أهْلِ الحَقيقَةِ وأربابِ المَعْرِفَةِ فإنَّ العَيَّارَ والعالِمَ هُوَ الشَّخْصُ الَّذي لا يَطْعَمُ خِداعَ إبليسَ ولا يَقَعُ في فِتْنَتِه، والأحْمَقُ هُوَ الَّذي يَقَعُ في الشُّبْهَةِ مِنْ وَساوِسِه، بالدَّرَجَةِ الَّتي تَصِلُ إليها حَماقَتُه، وبِمِقدارِ ما يستطيعُ إبليسُ أنْ يُبْعِدَهُ عَنْ مسارِه، والفَرْقُ ما بَيْنَ هواجِسِ النَّفْسِ ووساوِسِ الشَّيْطانِ أنَّ النَّفْسَ الأمَّارَةَ لا تَرْفَعُ يَدَها ما لَمْ تَصِلْ إلى آمالِها، أمَّا الشَّيطانُ فإنَّهُ إنْ لَمْ يَطْلَعْ مَقْصُودُهُ مِنَ وَسوَسَةٍ تَرَكَها وَلَجَأَ إلى وَسْوَسَةٍ أُخْرى، ذلِكَ لأنَّ مَقْصُودُهُ العِصْيان، بأيِّ قِسْمٍ كان، فإنْ لَمْ يَحْصَلْ عَلَيْهِ مِنْ طَريقٍ، جاءَ إلَيْهِ مِنْ طَريقٍ آخَر، واعْلَمْ أنَّ الشَّيطانَ لِصُّ الإنسان، خُصوصاً في العقائدِ والإيمان، واللِّصُّ، ما استطاعَ، يَسْرِقُ المَتاعَ الشَّريف، فإنْ لَمْ تَصِلْ يَدُهُ للنَّفائسِ لَمْ يَتْرُكْ متاعَ البيت. العقائدُ والإيمانُ متاعُنا النَّفيس، وأثاثُ البَيْتِ الأوامِرُ والنَّواهي وأحكامُ الحلالِ والحرام، إنْ أخَذَ اللِّصُّ مِنَ المَنْزِلِ الأثاثَ وما يُحتاجُ إليهِ، أمكَنَ تدارُكُ ذلِكَ بالمتاعِ النَّفيس، يعني إذا صَدَرَ مِنَ الشَّخْصِ خَطَأٌ في الحلالِ والحرامِ، ما لَمْ يَكُنْ نَقْصٌ في العقائِدِ، فإنَّهُ يجيءُ بالنَّدامَةِ ويقومُ بالتَّدارُكِ بالتَّوبَة. أمَّا إذا وَجَدَ اللِّصُّ الطَّريقَ للنَّقْدِ النَّفيسِ والجواهِرِ والكَنْزِ فلا ثَمَرَةَ تُرجى بَعْدُ مِنْ أثاثِ البيت، ما تَرَكَ السَّارِقُ مِنْهُ وما أخَذ.

أمَّا العقائدُ والإيمانُ فأصْلُها التَّوحيد، كذلِكَ الأشياءُ بِنَفْسِ الوجودِ مَوجودَةٌ، الإيمانُ أيضاً بِأَصْلِ التَّوحيدِ ثابِتٌ، وضِدُّ ذاكَ يطلعُ الشِّرْكُ والشَّيطانُ للإنسانِ، مِنْ جَميعِ أبوابِ الشِّرْك، مِنْ أجْلِ أنْ يَجْعَلَ أصْلَ التَّوحيدِ عِنْدَهُ خراباً، والشِّرْكُ قِسْمانِ جَلِيٌّ وَخَفِيٌّ، ولِكُلٍّ مِنْ هذينِ القِسْمَينِ شؤونٌ عَديدَةٌ

كثيرَةٌ، كُلُّ مُنافٍ لِقُدْسِ الواجِبِ تعالى وَوَحْدَتِه عِنْدَ الاِعْتِقادِ شِرْكٌ جَلِيٌّ، وكُلُّ مانِعِ سُلوكٍ إلى اللهِ وحِجابِ قُرْبٍ أو وصولٍ إلى الحَقِ تعالى شِرْكٌ خَفِيٌّ، مِنْ مِثْلِ المَلَكاتِ الرَّذيلَةِ والأخلاقِ والحالاتِ الرَّديئةِ، والشِّرْكُ الخفيُّ أو الجَلِيُّ مُتفاوِتٌ بِتفاوُتِ الأشخاص، تَوحيدُ العوامّ شِرْكُ الخواصّ، وتوحيدُ الخواصّ شِرْكُ خاصّ الخاصّ، كما قُرِّرَ، **حَسَناتُ الأبرارِ سَيِّئاتُ المُقَرَّبين**، العوامُّ لَهُمْ إقرارٌ لِسانِيٌّ بِوَحْدَةِ الحَقِّ تعالى، وَقَلْبُهُمْ مَشْغولٌ بِغَيْرِه، وهذا النَّوعُ مِنَ التَّوحيدِ شِرْكٌ للخواصّ، وتَوحيدُ الخواصّ جَعْلُ القَلْبِ دائماً في ذِكْرِ الحَقّ، وتَرْكُ الدُّنيا. وتوحيدُ خاصّ الخاصّ الفناءُ في الحقّ ونِسيانُ الدُّنيا والآخِرَة معاً، وهذا غَيْرُ مُمْكِنٍ إلاَّ بِفَرْطِ المَحَبَّة، والمَحَبَّةُ لا تَحْصَلُ إلاَّ بِنَظَرِ عِنايَةٍ مِنَ المَحبوب، وذاكَ لا يصيرُ مُيَسَّراً إلاَّ بِسُلوكٍ دائمٍ وَعَزْمٍ ثابِتٍ في طَريقِ طاعَةِ المَحبوب، واختيارُ المَحبوبِ والمَيْلُ إليهِ مَوْهِبَةٌ إلهِيَّةٌ، لكِنْ أنتَ اعْمَلْ بالتَّوَكُّل، ولا تَتْرُكِ الخِدْمَةَ، واحْفَظِ القَلْبَ مِنَ الخَطَرات. شِعْر: الحبيبُ قَدْ أحَبَّ هذا الوَلَهَ، السَّعْيُ بلا طائلٍ خَيْرٌ مِنَ النَّوم.

بيانُ **التَّوَكُّل** في هذا المقامِ مُناسِبٌ حَسَنٌ، وزُبْدَةُ المَطالِبِ، والتَّوَكُّلُ اعْتِمادٌ على اللهِ، ووثوقٌ بِوَعْدِ الله، وَيَأْسٌ مِنْ وَعْدِ الخَلْق، والتَّوَكُّلُ أمْرٌ دَقيقٌ وَبَحْرٌ عَميق، هذِهِ الدَّولَةُ لا تُعطى لِكُلِّ غَيْرِ قابِلٍ، وهذِهِ المِنَّةُ على الرُّوحِ لا تُمْنَحُ لِكُلِّ ناقِص، في سُلوكِ الطَّريقَةِ لا تَقْدِرُ أنْ تَخْطُوَ قَدَماً بلا تَوَكُّلٍ، ولا تَستَطيعُ حَمْلَ حِمْلِ التَّكليفِ إلاَّ بِقُوَّةِ التَّوَكُّل، ***السَّالِكُ ولو مَلَكَ أَلْفَ فَضْلٍ يلزمُهُ التَّوَكُّل***، وليسَ التَّوَكُّلُ أنْ تَقْعُدَ فارِغاً عاطِلاً، ***مَعَ التَّوَكُّلِ اِعْقِلْ رُكْبَةَ البَعير***، يعني لا تَتْرُكِ النَّفْسَ الدَّنيئةَ لاختيارِها في الطَّلَبِ في صَحراءِ الطَّبيعَةِ، ارْبِطْها وكُنْ راضياً بِقِسْمَةِ النَّفْس، وكُنْ مُجانِبَ الإفْراطِ والتَّفْريطِ في أمْرِ المَعادِ وأمْرِ

المَعاشِ، يعني لا تَقْعُدْ بلا عَمَلٍ بِأمَلِ الرِّزْقِ المَقْسوم، ولا تَجْعَلِ الرُّوحَ سُدىً في طَلَبِ عطاءٍ مَعْدوم، أنتَ أيضاً مِنْ أجْزاءِ العالَم، وواحِدٌ مِنْ بني آدَم، العالَمُ والآدَمِيُّ في حَرَكات، ومُسْتَحِقَّانِ للبَرَكات.

ألا تَغارُ أنَّ الأجْزاءَ جَميعاً في الخِدْمَةِ وأنتَ غافِلٌ، الكُلُّ في نَظْمِ العالَمِ دَخيلٌ، وأنتَ في أداءِ الحَقِّ بَخيلٌ، كُنْ مُرافِقاً بِفُتُوَّةٍ وقَدِّمِ الخِدْمَة، الجمادُ لا يرضى أنْ يكونَ الجَميعُ ذوي أثَرٍ وهُوَ بلا وجود، وأنتَ زُبْدَةُ المُمْكِنات، فكيفَ تكونُ فانياً وكَدِراً في عَيْنِ الحياة، تَحَرَّكْ لا بِعِنوانِ أنْ تَعْرِفَ حَرَكَتَكَ عِلَّةً لِحُصولِ الرِّزْق، أو أنَّكَ لَو لَمْ تَتَحَرَّكْ بَقيتَ مَحروماً مِنَ الرِّزْقِ المَقسوم، بَلْ بِنِيَّةِ أنَّهُ يَجِبُ أنْ تُسْرِعَ لاستِقْبالِ عَطاءِ الحَبيبِ، وأنْ تَحْصَلَ مِنَ المُعْطي بلا مِنَّةٍ على نِعْمَةٍ جَديدَةٍ وإقبالٍ بلا حَدّ، قُمْ بالخِدْمَةِ بِغَيْرَة، لا بِعِلَّةِ الحُصولِ على نِعْمَة، فإنْ قُلْتَ لا يَحْصَلُ شَيْءٌ مِنْ دونِ سَعْيٍ فأنتَ مُشْرِكٌ، وإنْ قُلْتَ يَحْصَلُ وما الحاجَةُ للسَّعْيِ والطَّلَبِ فأنتَ بَطَّالٌ ومُمْسِكٌ، بلى إنَّ الرِّزْقَ رَفيقُ النَّهار، والشَّخْصُ الرَّاضي بِقِسْمَةِ النَّفْسِ مُظَفَّرُ النَّهار، تَوَكُّلُ السُّلاَّكِ مِنْ هذا القبيل، يجِبُ تَحَمُّلُ الشَّوكِ وَحَمْلُ الحِمْل.

لا تَقُلِ الحُسْنُ والقُبْحُ قَدَرُنا، فما هِيَ الفائدَةُ إذَنْ مِنْ سَعْيِنا؟، كُلَّ ما زَرَعْتَ مِنَ القَدَرِ حَصَدْت، يعني هذا الَّذي يكونُ كانَ قَضاءً، وذاكَ الَّذي كانَ قضاءً ظَهَرَ ظاهِراً، **شَرِبَ الخَمْرَ صارَ سَكْرانَ جَفَّ القَلَم**، الجَميلُ يَجِدُ الحَديثَ جَميلاً، والتَّحْقيقُ دقيقٌ وأدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ، وَمَنْ وَجَدَ أسْرَعَ في الطَّلَب، وَمَنْ أدارَ الوَجْهَ مِنَ الجَهْدِ لَمْ يَجِدِ المُراد.

عُموماً التَّوَكُّلُ ليسَ إعفاءاً للنَّفْسِ مِنَ العَمَلِ، ولا اتِّكاءً على أعمالِ النَّفْس.

عِنْدي حَرْفٌ آخَرُ وَوَصْلٌ آخَر، أُريدُ سَمْعاً آخَرَ وَوَعياً آخَر، وذاكَ بيانُ تَوَكُّلِ خواصِ العَتَبَةِ، وعارِفي هذِهِ الطَّريق، الَّذينَ قَطَعوا العلائقَ وتركوا الأسباب، وَفَوَّضوا الأمْرَ لِرَبِّ الأرباب.

لا تَزَلْزُلَ في أركانِ الاِطْمِئنان يجِدُ طَريقاً إلى المُتَوَكِّل، ولا اضْطِرابَ في السُّكونِ، ولو كانتْ السِّباعُ الجائعَةُ مِنْ حولِهِ تُحيطُ بِهِ، ما تَفَرَّقَتْ حواسُّهُ ولا فَقَدَ حُضورَه.

سألوا ***بايزيد*** عَنِ التَّوَكُّلِ ما هُوَ، قال هُوَ بِحَيْثُ لَو كانَتْ يَدُكَ في فَمِ الثُّعبانِ إلى المَرْفَقِ ما ظَهَرَ في حالَتِكَ تَغييرٌ.

أبو حَمْزَةَ الخُراسانِيُّ كانَ ذاهِباً إلى الكَعْبَةِ ووَقَعَ في بِئرٍ في الطَّريق، وقامَ العابِرونَ، جاهِلينَ أنَّهُ في البِئر، بِسَدِّ فوهَةِ البِئرِ لئلاَّ يَقَعَ بِها الزُّوَّارُ، فَلَمْ يُطْلِقِ النِّداءَ أنْ أنا في البئر، أسْلَمَ قَلْبَهُ للحَقّ، والحَقُّ جَعَلَ نَجاتَهُ على يَدِ سَبُع.

كانَ **لِشَقيق البلخي** مُريدٌ عَزَمَ الحَجّ، وبإشارَةٍ مِنْ *شَقيق*، ذهَبَ إلى بَسْطامَ لِزيارَةِ *بايزيد*، فَسَألَهُ السُّلطانُ عَنْ حالِ شَقيق، قالَ قَعَدَ مُتَوَكِّلاً وقالَ لَوْ أنَّ الأرْضَ لا يَنْبُتُ بِها شَيءٌ، والسَّماءُ لا تُمْطِرُ، وكُنْتُ كفيلَ الخَلْقِ أجْمَعينَ ما وَصَلَ إليَّ نَقْصٌ مِنَ التَّوَكُّل، فقالَ لَو أنَّني كُنْتُ طائراً ما طِرْتُ فَوقِ مَدينَةٍ بِها مِثْلُ هذا المُشْرِك، فأخْبَرَ المُريدُ **شقيق** بالحال، فأرسَلَ إلَيْهِ أنْ أنا هكذا فأنت كَيْفَ؟، قالَ لا كهذا ولا كذلِك، *بايزيد* لا وَصْفَ لَهُ ولا إشارَة، صِفاتُهُ في صِفاتِ الحَقِّ فانيَةٌ، وليسَ موصوفاً بِأيِّ وَصْفٍ، في هذا المقامِ لا أثَرَ مِنَ التَّوَكُّلِ ولا خَبَرَ مِنَ المُتَوَكِّل.

أمَّا **القناعَةُ** فَدَوْلَةٌ بلا آفَةٍ وَزوال، وَسَلْطَنَةٌ بلا صُداعٍ وملال، والقناعَةُ هِيَ أنْ لا تَطْلُبَ أكْثَرَ مِمَّا تَملِك، لا أنْ تُقِلَّ الصَّرْف، وتُنْقِصَ الرُّوحَ مِنْ حَزَنٍ أنْ لِماذا هذا قليلٌ، إنْ كانَ قليلاً قُمْ بالإكْتِفاء، وإنْ كانَ كثيراً اِصْرِفْ بِصَفاء، الشَّخْصُ الَّذي لا يَحْتَرِفُ القناعَةَ يصيرُ أحْرَصَ على الدُّنيا، وتَضيقُ عَلَيْهِ المَعيشَةُ، ولو أعْطَوهُ الدُّنيا لَمْ يَصِرْ قانِعاً، بل صارَ أكْثَرَ حِرْصاً، وصارَتِ الحياةُ لَهُ أكْثَرَ صُعوبَةً وأسْوَأَ طَعْماً، ولم يَذْكُرِ الحَقَّ أبَداً، ***مَنْ أعْرَضَ عَنْ ذِكْري فإنَّ لَهُ مَعيشَةً ضَنْكاً***، الغَفْلَةُ عَنِ الحَقِّ تَذْهَبُ بِغِنى القناعَة، وتُمَزِّقُ حِجابَ التَّوَكُّل، ويصيرُ المَرءُ فارِغَ اليَدِ وَيَقَعُ في الإفلاس. **فلَنُحْيِيَنَّهُ حيوةً طَيِّبَةً بِشارَةٌ، ولأهْلِ القناعَةِ إشارَةٌ.**

إنْ كانَ مِنْ سِرِّ القناعَةِ لَدَيْكَ خَبَرٌ *لِسُلطانِ العالَمِ لا تَخْفِضِ الرَّأسَ درويشُ*

القناعَةُ زادُ الرِّجال، وخِفَّةُ حِمْلٍ في الطَّريقِ للسَّالِك، السالِكُ الَّذي هُوَ بلا قَناعَةٍ يَذْهَبُ أعْرَجَ ويربِطُ قَدَمَيْهِ بالصَّخْر، قَولُهُ تعالى، ***إنَّ الأبرارَ لفي نَعيم، وإنَّ الفُجَّارَ لفي جَحيم***، يعني نعيمَ القناعَةِ وَجَحيمَ الطَّمَع، أمَّا القناعَةُ المَعْنويَّةُ الَّتي هِيَ لائقَةٌ بِأهْلِ المَعْنى، فليسَتْ مِنْ قبيلِ المعاشِ وأمورِ الدُّنيا، الدُّنيا في نَظَرِ أهْلِ التَّوحيدِ لَيْسَتْ بِذلِكَ المِقْدار، ليكونوا بِزِيادَتِها طامِعين، أو بِنَقْصِها قانِعين. ولا يُفَكِّرونَ أبَداً بالكثيرِ والقليل. قَناعَةُ أربابِ الكمالِ حِفْظُ المقامِ وَضَبْطُ الحال، يعني لا يَطْلُبونَ أكْثَرَ مِنْ حَقِّ النَّفْسِ، والمَرْتَبَةُ الَّتي ليسَتْ لَهُمْ نَقْداً لا يَعْرِفونَها لَهُمْ حَقَّاً، كُلَّ مقامٍ وَصَلُوه، حَقَّ أنْفُسِهِم ظَنُّوهُ، واغْتَنَموهُ، فتعَدِّي الحَدِّ نُكران، وتجاوُزُ قَدْرِ النَّفْسِ جَهْلٌ بالحَقّ، والألْطَفُ أولئكَ الَّذينَ بِكُلِّ تَجلٍّ يغيبونَ عَنِ الوَعْيِ ويصيرونَ بلا خَبَرَ عَنِ النَّفْس، ولا يبقى لهُمْ شُعورٌ ليقوموا

بِتَصَوُّرِ كمالٍ، أو إدراكِ مقامٍ. قالَ المولوي الرّومي شِعْراً: *الصُّوفِيُّ اِبْنُ الوَقْتِ فـي المقال، الصَّافي فارِغٌ مِنَ الوَقْتِ والحال*

أمَّا **التَّسليمُ**، فاعْلَمْ أنَّ شَيئينِ مِنْ لوازِمِ الحياةِ لِكُلِّ نَفْسٍ، أحَدُهُما مَحَلُّ السَّكَن، والآخَرُ القُوتُ المُناسِبُ للحال. إنسانٌ لا يَملِكُ منزلاً دائماً مُضْطَرِبٌ، وبلا متاع. مَنزِلُ الدَّرويشِ هُوَ التَّسليمُ، وهذا المَنْزِلُ بناءٌ قَديم. شِعْر: *مقامُنا الأصْلِيُّ رُكْنُ الخرابات، أثابَ اللهُ مَنْ عَمَرَ هذا الرُّكْنَ*، يَجِبُ أنْ يُعْمَرَ هذا البناءُ، ويجِبُ أنْ يُجْعَلَ هذا المنزلُ مَحَلَّ إقامةٍ، يجِبُ جَعْلُ بناءِ العَهْدِ القديمِ مُستقيماً، التَّسليمُ مَنْزِلُ الدَّرويش، وقُوتُهُ التَّوَكُّلُ بلا تَشويش، في مَعْمَلِ الوجودِ أنتَ جُزْءٌ ضَعيفٌ، وتَحَرُّكُكَ بالتَّبَعِ وَخفيف. أيُّ اختيارٍ للجُزْءِ الضَّعيفِ، والتَّابِعُ ما شُغْلُهُ مَعَ الفُضوليِّ؟، الطَّاحُونَةُ بِقُوَّةِ الماءِ تدورُ، لا باللَّوحِ والحَبْل، فإذا عَلِمْتَ فالحُكْمُ للواحِدِ وما لأحَدٍ اخْتيارٌ، وحُكْمُهُ بِحِكْمَةٍ، فقُمْ باختيارِهِ بإرادَةِ وَقُدْرَةِ التَّسليم، ولا تُخَرِّشْ وَجْهَ الخاطِرِ بِمَخْلَبِ الاِعْتِراض، فزِمامُ الأمْرِ في قَبْضَةِ اقتِدارِ القَضاء، وأمانُ خاطِرِ العارِفِ موقوفٌ على التَّسليمِ والرِّضا. ما لَمْ تَذْهَبْ إلى مَدينَةِ الرِّضا، لنْ تكونَ في أمْنٍ مِنْ حوادِثِ النَّفْس، والرَّاضي هُوَ ذلِكَ الَّذي لا يبقى مكروهٌ عِنْدَهُ في النَّفْسِ، ويرى الألَمَ والرَّاحَةَ مُتساوِيَين، ما دامَ الحُكْمُ حُكْمَ الحبيب، هُوَ بِرضاءِ الحبيبِ راضٍ، يعني تَسْليمُهُ عَنْ مَحَبَّةٍ لا عَنْ اضطِرارٍ ومَسْكَنَةٍ، ولو افتَرَضْناهُ امْتَلَكَ الوسيلَةَ وأنَّهُ يستَطيعُ دَفْعَ القَضاء فإنَّهُ لا يَفْعَلُ، لا أنَّهُ ضاقَ صَدْرُهُ ومِنَ انعِدامِ الحيلَةِ لَمْ يَفْعَلْ شَيْئاً، فالرِّضا مِنَ المَحَبَّةِ ينْبَعِثُ، والمُحِبُّ الصَّادِقُ لا يَهْرَبُ مِمَّا هُوَ للمَحبوبِ رِضاً، ولا يَخْتَصِمُ مَعَ إرادَتِه، ولا يُريقُ ماءَ وَجْهِ المَحَبَّةِ بِمَيْلِ الطَّبيعَة. إذا وَجَدَتِ المَحَبَّةُ في قَلْبِ المُحِبِّ ثباتاً استطاعَ الإسراعَ إلى رِضا المَحبوب.

تَحقيقٌ مُناسِبٌ في هذا المقام، اِعْلَمْ أنَّ مَعْنى سِلْسِلَةِ الفَقْرِ ليسَ غَيْرَ الصِّراطِ المُستَقيمَ للولاية، وسُلوكُ هذا الصِّراطِ على وَجْهِ الاسْتِقامَةِ بلا إفراطٍ وَتَفْريطٍ يُدعى قَوْسَ الصُّعود، والدُّخولُ في هذا الصِّراطِ موقوفُ قبولِ الرِّضا، والوصولِ إلى مقامِ الرِّضا، كما قالَ تعالى، **ارْجِعِيْ إلى رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً**، بِهذِهِ اللَّطيفَةِ عارِفو الحَقيقَةِ دَعَوا سِرِّ السِّلْسِلَةِ سُلطانَ الرِّضا، وبدؤوا بِهِ أَفْضَلَ ابْتِداءٍ، وبِهِ انتَهَوا. ولِهذا كُلُّ سِلْسِلَةٍ كانَتْ بِميزانِ الرِّضا صَحيحَةً، وكانَتْ مُنْسَجِمَةً، بِحَسَبِ العقائدِ والأفعالِ والإرشادِ، مَعَ القواعِدِ الكُلِّيَّةِ المَرْضِيَّةِ الرَّضَويَّةِ، وَظَهَرَتْ صَحيحَةً، كانَتْ مُتَّصِلَةً بالرِّضا، ومَرْضِيَّةً للحَقِّ تعالى، وأهْلُها في صِراطِ ***أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمِ*** مُجاهِدين، وفي حَلْقَةِ ***فادخُلي في عِبادي وادخُلي جَنَّتي*** وارِدين، ونِعْمَ ما قيل: ***سِلْسِلَةُ هؤلاءِ القَوْمِ جَعْداءُ مِسْكِيَّةٌ***، وكُلُّ ما لَمْ يَقَعْ مُطابِقاً، ولَمْ يَصِرْ موافِقاً مَرْدودٌ، وعلى خلافِ رِضا المولى، وأهْلُهُ في جُمْلَةِ **المَغْضوبِ عَلَيْهِم والضَّالِّين، والحَمْدُ للهِ على ما أَلْهَمنا ذلِك**، وسِرُّ الرِّضا في التَّسليم، إنْ كُنْتَ فاهِماً بالنِّكاتِ نَعودُ للمَطْلَب، حاصِلُ هذا أنَّ الموجوداتِ بالمَشيئةِ مُتَحَرِّكَةٌ، وبِفَيْضِ الوجودِ مُتَبَرِّكَةٌ، لا تَجْعَلِ الرُّوحَ بلا فائِدَة، ولا تَرْمِ نَفْسَكَ بالمَهانَة، أنْ كَيْفَ ولِم لَمْ يَكُنْ حاصِلٌ، فَتَنْقَلِبَ مِن اعْتِراضِك إرادَةُ الحَقِّ تعالى، إذا جِئتَ بالتَّسْليمِ كُنْتَ في راحَةٍ وَوَجَدْتَ المَقام، وإنْ قُمْتَ بالاِعْتِراضِ تَحَمَّلْتَ الشِّدَّةَ وبَقيتَ بلا قُرْبٍ، فإنْ قُلْتَ مَعَ هذِهِ الحال، ما مُناسَبَةُ ومجالُ الدُّعاءِ، وطَلَبُ ***ادعوني أَسْتَجِبْ لَكُم*** مِنْ أجْلِ مَن؟، أقولُ الدُّعاءُ مِنْ لوازِمِ العُبودِيَّةِ لِإظْهارُ العَجْزِ والاِنْكِسارِ والاِضْطِرارِ والمَسْكَنَةِ على عَتَبَةِ الأَحَدِيَّة، أنْ نَحْنُ فُقراءُ وعاجِزون، وأنتَ غَنِيٌّ وَمُقْتَدِرٌ، غَفِلْنا وأَنْفُسَنا ظَلَمْنا، أنتَ فاعْفُ عَنَّا، فأنْتَ غَفورٌ وعَنْ ثوابِ وخَطَأَ العَبْدِ غَنِيّ. في الحَقيقَةِ هذا أيضاً تَعليمٌ، وإظْهارُ تَسْليم، هذا لِسانُ الشَّريعَةِ، وَطَلَبُ الفَيْضِ على وِفْقِ

المَشِيْئة، ذاكَ الَّذي كُنْتَ تتَوَهَّمُهُ لَيْسَ دُعاءً، إنَّهُ هَوىً نَفْسانِيٌّ، قالَ ادْعوني ولَكُمُ الإسْتِجابَةُ مِنّي، فقد كُنْتُمْ أوّلاً عَنْ خَيْرِ أنْفُسِكُمْ بلا خَبَرٍ، وَعَنْ وُجودِ أنْفُسِكُمْ بلا شُهُود، جَعَلْتُكُمْ لِقَبولِ الوُجودِ مُسْتَعِدّين، وجِئتُ بِكُمْ للوُجود، مِثْلما دَعَوتُموني بِلِسانِ اسْتِعْدادِكُم، وقُمْتُ بِإجابَتِكُم، اُدْعوني مُجَدَّداً لِتوصِلوا دُعاءَكُمْ إلى ساحَةِ الإجابَةِ، فَفَيْضُنا بِقَدْرِ القابِلِيَّةِ والاستِعْدادِ نازِلٌ للأشياءِ ولِكُلِّ مَوجودٍ بِقَدْرِ الإسْتِعْدادِ الشَّامِل. معنى ***رَبِّ هَبْ لي مُلْكاً لا ينبغي لأحَدٍ مِنْ بَعْدي*** اعْرِفْ، ولا تَظُنَّ أنَّ هذا الدُّعاءَ كانَ مِنْ بُخْلٍ، بَلْ سُلَيمانُ طَلَبَ حَقَّ نَفْسِهِ بِلِسانِ الشَّريعَةِ، مَحْضَ إظْهارِ عُبودِيَّةٍ، يعني المُلْكَ المُناسِبُ لاستِعْدادي، اجْعَلْهُ عِنايَةً مِنْكَ عَطاءً لي، كما أجَبْتَ دُعاءَ حَقيقتي، أنا أدعوكَ بِلِسانِ الشَّريعَةِ فأجِبْني، إذا كانَ فَهْمُكَ لَطيفاً وَذَوْقُكَ عَيَّاراً، كُنْتَ مِنْ هذا التَّحقيقِ في وَجْدٍ وقُمْتَ راقِصاً، حاصِلُ هذا أنَّ الدُّعاءَ رَفْعٌ للبلاءِ وإثْباتٌ لِعُبودِيَّةِ العَبْدِ للمولى. لكِنْ: *نَعْرِفُ قَوماً آخَرينَ مِنَ الأولياء، أفواهُهُمْ مَسدودَةٌ عَنِ الدُّعاء*، وأولئكَ أصْحابُ تِسْليمٍ، وعابِدونَ فارِغونَ مِنَ الرَّجاءِ والخَوْف، مُقَدَّراتِهِمْ يَرَون، وفي مَواضِعِهِمْ يَجْلِسون، وأولئكَ المُعْتَرِضونَ مَعْذورون، ومِنْ رُؤيَةِ أسْرارِ الحَقيقَةِ مَهْجورون.

جُمْلَةً، والأُمُورُ القَدَرِيَّةُ جارِيَةٌ وِفْقَ قانونِ الطَّبيعَةِ وعالَمِ الأسباب، الدُّعاءُ غَيْرُ مُنافٍ، واعْلَمْ أنَّ الدُّعاءَ والتَّضَرُّعَ صِفَةُ العابِدِين، والتَّوَكُّلَ صِفَةُ المُؤمنين، والتَّسْليمَ صِفَةُ العارِفين، والرِّضا صِفَةُ المُحِبّين، والتَّفْويضَ صِفَةُ المُوَحِّدين، والفَناءَ صِفَةُ الواصِلين. حينَ صارَ مُوَحِّداً نَفَضَ غُبارَ الكَثْرَةِ عَنْ رِداءِ الوَحْدَة، وَلَمْ يَبْقَ في نَظَرِ تَوحيدِهِ غَيْرُ الحَقّ، وَسَلَّمَ أمْرَ نَفْسِهِ لإرادَةِ واختيارِ **القادِرِ ذي الاقْتِدار**، وَلَمْ يَنْقُلْ بِإرادَةِ نَفْسِهِ قَدَماً، فقد كانَ عَدَماً وبِظُهورِ الحَقّ ظَهَرَ، مِنْ

دونِ اختيارِهِ. وما دامَ واقِفاً على عَجْزِهِ وَعَدَمِ اختيارِهِ، فَهُوَ غَيْرُ فانٍ، وعِنْدَما ينسى وُجودَ نَفْسِهِ بالتَّمامِ، ولا يَجيءُ عَدَمُ نَفْسِهِ في خاطِرِهِ فَهُوَ فانٍ، وللفناءِ ثلاثُ مراتِب: الفناءُ العامُ اختِتامُ العِباراتِ الخَلْقِيَّةِ في أُصولِ الفِكْرَة، والفَناءُ الخاصُّ انهِدامُ العماراتِ الخَلْقِيَّةِ في حُصولِ القُرْبَة، والفَناءُ الأَخَصُّ انْعِدامُ الإشاراتِ الذَّاتِيَّةِ في وُصولِ الحَقيقَة.

في هذا المقامِ مُناسِبٌ ذِكْرُ حالاتِ ومراتِبِ كمالاتِ الصُّوفِيَّةِ، **يا ليتَني كُنْتُ مَعَهُم،** حينَ يأتونَ بِحالَةِ **التَّوبَةِ،** يتوبونَ أوَّلاً مِنْ فِعْلِ النَّفْس، وثانِياً مِنْ مُعَرِّفِ الغَيْرِ، وثالِثاً مِنْ نَفْسِيَّةِ النَّفْس. أوَّلاً إطاعَةُ الأحكام، وثانِياً حِفْظُ المقام، وثالِثاً الحُضورُ التَّام. أوَّلاً تَرْكُ المَنْهِيَّات، وثانِياً تبديلُ الصِّفات، وثالِثاً نَفْيُ غَيْرِ الذَّات. في الشَّريعَةِ يتوبونَ عَنِ السَّيِّئات، وفي الطَّريقَةِ عَنِ الحَسَنات، وفي الحقيقَةِ عَنِ الشُّؤونات. في الشَّريعَةِ تَوْبَةٌ عَنِ الذَّنْب، وفي الطَّريقَةِ عَنْ مَرغوبِ القَلْب، وفي الحقيقَةِ عَمَّا سِوى الله. الأولى تَوبَةُ العامِلين، والثَّانِيَةُ تَوبَةُ الكامِلين، والثَّالِثَةُ تَوبَةُ الواصِلين.

أمَّا **عُبودِيَّةُ** الصُّوفِيِّين، فأوَّلاً عَمَلُ الطَّاعات، وثانياً الإخلاصُ في الطَّاعات، وثالِثاً الغَيْبَةُ عَنْ حُضورِ الإخلاصِ في الطَّاعات.

أمَّا **مُجاهَدَةُ الصُّوفِيّين،** فأوَّلاً جِهادُ البَدَن، وثانِياً جِهادُ الخيال، وثالِثاً جِهادُ القَلْب. جِهادُ البَدَنِ حِفْظُ الجَوارِحِ في المراتِب، وجِهادُ الخَيالِ حِفْظُ الخيالِ مِنْ غَيْرِ المُناسِب، وجِهادُ القَلْبِ حِفْظُ القَلْبِ مِنْ ذِكْرِ غَيْرِ الواجِب.

أمَّا **زُهْدُ** الصُّوفِيّ، فأوَّلاً تَرْكُ الحُظوظِ النَّفْسانِيَّة، وثانِياً تَرْكُ التَّعَلُّقاتِ الدُّنيويَّة، وثالِثاً تَرْكُ التَّصَوُّراتِ الأُخْرَوِيَّة. أوَّلاً يترُكونَ الحرامَ، وثانِياً يترُكونَ الإزْديادَ مِنَ الحلال، وفي الآخِرِ تَرْكُ الوُجود.

أمَّا **وَرَعُ** الصُّوفِيّ، فأوَّلاً عَنِ الكلامِ الخَطَأ، وثانياً عَنِ الحَرَكَةِ غَيْرِ الجائزَة، وثالِثاً عَنْ غَيْرِ الله.

أمَّا **تَقْوى** الصُّوفِيّ، فأوَّلاً الاِهْتِمامُ في الخِدْمَة، ثانياً دوامٌ بِحُصول(يعني حُصول المُراد)، وثالِثاً دوامٌ بِوصول(يعني بِصِرْفِ الحَقّ).

أمَّا **تَوَكُّلُ** الصُّوفِيّ، فأوَّلاً بِقبول(يعني قَبول الحَقّ)، ثانياً دوامٌ بِحُصول(يعني حُصول المُراد)، وثالِثاً دوامٌ بِوصول(يعني بِصِرْفِ الحَقّ).

أمَّا **يقينُ** الصُّوفِيّ، فأوَّلاً بِتَحْصيلِ اليقين، وثانياً بِتَكْميلِ اليقين، وثالِثاً بِتَبْديلِ اليقين. تَحصيلُ اليقينِ عِلْمِيّ، وتكميلُ اليقينِ عَيني، وتبديلُ اليقينِ وُجودِيّ. أوَّلاً غَيْرَ اللهِ لا يَعْرِفُ، ثانياً غَيْرَ الله لا يرى، ثالِثاً غَيْرُ الله عِنْدَهُ لا يبقى.

أمَّا **خَوْفُ** الصُّوفِيّ، فأوَّلاً مِنَ العُقوبَةِ، وثانِياً مِنَ الفُرْقَةِ، وثالِثاً مِنَ الغَيْرَة.

أمَّا **رَجاءُ** الصُّوفِيّ، فأوَّلاً رَجاءٌ عامٌّ، يعني بِعَفْوِ اللهِ مِنْ خَوْفِ الأَخْذ، وثانياً رَجاءٌ خاصٌّ، يَعْني بِفَضْلِ اللهِ مِنْ خَوْفِ العَدْل، وثالِثاً رَجاءٌ أَخَصُّ، يَعْني بِقُرْبِ اللهِ مِنْ خَوْفِ البُعْد.

أمَّا **صَبْرُ** الصُّوفِيّ، فأوَّلاً في الرِّياضَةِ والطَّاعَة، وثانياً في تَجَلِّياتِ الحَضْرَة، وثالِثاً في بقاءِ المَعِيَّة.

أمَّا **شُكْرُ** الصُّوفِيّ، فأوَّلاً بالقَوْلِ **وهُوَ الحَمْد**، وثانِياً بالفِعْلِ **وَهُوَ البَذْل**، وثالِثاً بالحالِ **وهُوَ المَعْرِفَة**.

أمَّا **رِضا** الصُّوفِيّ، فأوَّلاً بِدينِ الله **فالرِّضاءُ بالكُفْرِ كُفْر**، وثانياً بِطاعَةِ اللهِ **فالرِّضاءُ بالمَعْصِيَةِ مَعْصِيَة**، وثالِثاً بِرِضا الله **فالرِّضاءُ برضائهِ راضِيَةٌ مَرْضِيَّة**.

أمَّا **حياءُ** الصُّوفِيّ، فأوَّلاً مِنَ التَّقْصير، وثانياً مِنَ الإسراف، وثالِثاً مِنَ الحلال.

أمَّا **صِدْقُ** الصُّوفِيّ، فأوَّلاً بالقَول، وثانِياً بالفِعْل، وثالِثاً في الخُلُق.

أمَّا **إخلاصُ** الصُّوفِيّ، فأوَّلاً في تَصْفِيَةِ العَمَلِ مِنَ الكُدورات، وثانياً في خُروجِ الخَلْقِ مِنَ المُعامَلات، وثالِثاً في نِسيانِ رُؤيَةِ الخَلْقِ بِدوامِ نَظَرِ القَلْبِ إلى **عالَمِ الخَفِيَّات**.

أمَّا **حِلْمُ** الصُّوفِيّ، فأوَّلاً عَفْوٌ عَنِ الجِنايَة، وثانياً نِسيانُ جِنايَةِ الغَيرِ وَعَفْوِ النَّفْس، وثالِثاً بَذْلُ الخَيْراتِ لأَهْلِ الجِنايَة.

أمَّا **أدَبُ** الصُّوفِيّ، فأوَّلاً بِحِفْظِ الظَّاهِر، وثانياً بِتَطْهيرِ الباطِنِ مِنَ الشَّوائب، وثالِثاً إلقاءُ قلوبِ الخَلْقِ في مَعْرِفَةِ الحَقّ.

أمَّا **قناعَةُ** الصُّوفِيّ، فأوَّلاً بالرِّزْقِ المَقسوم، وثانياً بالمقامِ المَعْلوم، وثالِثاً بالأمْرِ المحتوم.

أمَّا **فَقْرُ** الصُّوفِيّ، فأوَّلاً العُبورُ مِنَ الظُّهور، وثانياً العُبورُ مِنَ الشُّهود، وثالِثاً العُبورُ مِنَ الوجود.

أمَّا **عافِيَةُ** الصُّوفِيّ، فأوّلاً حِفْظُ الشَّريعَة، وثانياً مُراقَبَةُ مقاماتِ الطَّرِيقَة، وثالِثاً سَتْرُ أسرارِ الحقيقة.

أمَّا **سَخاءُ** الصُّوفِيّ، فأوّلاً الجود، وثانياً الإيثارُ بالموجود، وثالِثاً بَذْلُ الوجود. الجُودُ في **إنَّما وليُّكُمُ الله**، والإيثارُ بالموجود في **ويُطْعِمونَ الطَّعامَ على حُبِّهِ مِسْكيناً ويتيماً وأسيراً**، وَبَذْلُ الوُجودِ في النَّومِ في مَحَلِّ الرَّسول، والمَطْلَبُ كانَ هذا.

أمَّا **صفاءُ** الصّوفيّ، فأوّلاً تلافي السَّيِّئَةِ بالحَسَنَة، وثانياً عَدَمُ الإساءَةِ للمُسيء، وثالِثاً عَدَمُ بقائهِ بِذاكِرَتِه.

أمَّا **هِمَّةُ** الصُّوفِيّ، فأوّلاً عَبَرَ مِنَ الوجود، وثانياً عَبَرَ مِنْ تَذَكُّرِ الوُجود، وثالِثاً عَبَرَ مِنْ جَزاءِ تَرْكِ الوجود. بِما أنَّ الوجودَ ما لَهُ غايَةٌ، والطَّرِيقَ ما لَهُ نِهايَةٌ، فاحْفَظِ الهِمَّةَ عالِيَةً ولا تَعُدَّ أيَّ مقامٍ عالِياً، رِجالُ الطَّريقَةِ كُلَّما تَقَدَّموا رأوا أنْفُسَهُم أوْضَعَ، وهذا مِنْ عُلُوِّ الهِمَّةِ وازديادِ الرُّتْبَة.

شِعْر: *الرَّجُلُ مَنْ يقومُ بالإحْتِشام، يَهَبُ السَّالِكينَ كُلَّ مقام؛ مِنْ أينَ هُوَ بِمقامٍ قانِعٌ، وهُوَ بِهِمَّةٍ لِلفَلَكِ رافِع؛ كُلُّ مَنْ صارَ قانِعاً بِمُلْكِ* ***جَمْ****، لَيْسَ رَجُلاً أعْطِهِ الدِّرْهَمْ*

أمَّا **بلاءُ** الصُّوفيّ، الكائنُ في طَريقِهِ، فأوّلاً للتَّأديب، وثانياً للتَّهْذيب، وثالِثاً للتَّقْريب. أوّلاً يصيرُ مُؤَدَّبَ النَّفْسِ، وثانياً مُهَذَّبَ الأخلاق، وثالِثاً مُقَرَّبَ الرُّوح.

أمَّا **سكينَةُ** الصُّوفيّ، فأوّلاً بِوَجْهِ الإنسان، وثانياً بِنَفْخَةِ الرَّحْمن، وثالِثاً بِجُلوسِ السُّلطانِ على سريرِ الإيمان، يعني القَلْبُ مكانُ الحَقّ.

أمَّا **خِرْقَةُ** الصُّوفِيّ، فأوّلاً خَرْقُ اللِّباس، يعني سَلْبَ القياس، الخِرْقَةُ مُستوجِبَةٌ للنّار، وثانياً تغييرُ اللِّباس، يعني تَطبيقَ الجِناس، وثالِثاً تَعْظيمُ اللِّباس، يعني تَجْديدَ الأساس.

أمَّا **فُتُوَّةُ** الصُّوفِيّ، فأوّلاً بِكُلِّ ما يتَمَنَّى يُرَجِّحُ الآخَرينَ على نَفْسِهِ، وثانياً لا يَمُنُّ، وثالِثاً لا يطلُبُ عِوَضاً. شِعْر: يَومَ الخَنْدَقِ مُحَمَّدُ المُختار، وَجَّهَ الوَجْهَ للمُهاجِرينَ والأنصار؛ يطلُبُ لِقِتالِ عَمْرٍو بَطَلاً، كانَ الكُلُّ مِنْ جوابِهِ خَجِلاً؛ قامَ بالتِّكْرارِ فَقامَ عَليّ، قالَ يا أحْمَدُ الحَقُّ مَعَنا؛ لكِنْ لِماذا لَمْ يُجِبْ أوَّلاً، وهُوَ الَّذي كانَ لِقِتالِ الخَصْمِ مُسْرِعاً؛ قالَ لِتكونَ هذِهِ الفَضيلَةُ والدَّولَةُ، لأجْلِ واحِدٍ آخَرَ نَصيباً وقِسْمَةً؛ أَرَدْتُ أنْ يَقومَ آخَرُ بالإقْدام، عسى يكونُ لَهُ مِنَ الحَقِّ إكرام؛ أنا نَظَرْتُ قَبْلي للآخَرينَ، مِثْلَ هذا يكونُ بَذْلُ الدَّرويش؛ خُذْ مِن صَفِيّ حِرْفَةَ المَحَبَّة، وتَعَلَّمْ مِنْ عَلِيٍّ الفُتُوَّة.

أمَّا **اسْتِغْناءُ** الصُّوفِيّ، فأوّلاً لا يطْمَعُ بِشَيء، وثانياً لا يسألُ أحَداً شَيئاً، وثالِثاً إذا أُعْطِيَ لا يأخُذ، هُوَ مِنَ الخَلْقِ بلا طَمَع، وطالِبٌ لا بلا تواضُعٍ وأدَب، الصُّوفيُّ لا يَطْلُبُ شَيئاً مِنَ الخَلْق ولا يُنْقِصُ الخَلْقَ شَيئاً، وينظُرُ للمَلِكَ والشَّحَّاذِ بِعَيْنٍ واحِدَةٍ، ولا يجلِسُ طالِباً على باب.

أمَّا **طُمَأنينَةُ** الصُّوفِيّ، فأوّلاً بالذِّكْرِ المَوفور، وثانياً بِظُهُورِ المذكور، وثالِثاً بِبقاءِ المنظور.

أمَّا **اعتِصامُ** الصُّوفِيّ، فأوّلاً بِحَبْلٍ مُعين، وثانياً بِصَفاءٍ مُبين، وثالِثاً بِذاتٍ مَزين.

أمَّا **استِقامَةُ** الصُّوفِيّ، فأوّلاً بالخِدْمَة، وثانياً بِصِدْقِ العَزيمَة، وثالِثاً، بِتَعْظيمِ الجِهَةِ، **أعني جِهَةَ الوجودِ بالشُّهودِ وذلِكَ** ***أينما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ الله.***

أمَّا **شَوقُ** الصُّوفِيّ، فأوّلاً لِصُحْبَةِ مولاه، وثانياً لِخِدْمَةِ مولاه، وثالِثاً للفناءِ في مَحَبَّةِ مولاه.

أمَّا **أُنْسُ** الصُّوفِيّ، فأوّلاً بِذِكْرِ مَحبوبِهِ، وثانياً بِوِدادِ مَحبوبِهِ، وثالِثاً بِعَطاءِ مَحبوبِه.

أمَّا **مَعْرِفَةُ** الصُّوفِيّ، فأوّلاً بِأفْعالِ الفَعَّال، وثانياً بِصِفاتِ ذي الجلال، وثالِثاً بِذاتِ *لايزال*.

أمَّا **مُشاهَدَةُ** الصُّوفِيّ، فأوّلاً بالأشياء، وثانياً بِما وراءَ الأشياء، وثالِثاً بلا أشياء.

أمَّا **قُرْبُ** الصُّوفِيّ، فأوّلاً فَقْدُ حِسِّ الأشياءِ مِنَ القَلْب، وثانياً سُكونُ الضَّميرِ بِعالَمِ الغَيْب، وثالِثاً رَفْعُ الحِجابِ **بينَ العَبْدِ والرَّبّ.**

أمَّا **فِكْرُ** الصُّوفيّ، فَفِكْرُهُ العامُّ بالآلاء، وفِكْرُهُ الخاصُّ باحتياجِ النَّفْسِ وغِنى الحَقّ، وفِكْرُهُ الأخَصُّ في نَفْيِ الغَيْرِ وإثباتِ **هُو.**

أمَّا **ذِكْرُ** الصُّوفِيّ، فأوّلاً باللِّسانِ مَعَ القَلْب، وثانياً بالقَلْبِ بلا لِسان، وثالِثاً لا يبقى قَلْبٌ ولا لِسانٌ، اللِّسانُ يصيرُ كَلاًّ والقَلْبُ مُخْتَلاًّ.

أمَّا **سَماعُ** الصُّوفِيّ، فأوّلاً بِنَغْمَةِ الغَيْب، وثانياً بِكَثْرَةِ البَسْطِ، وثالِثاً بِبِشارَةِ الوَصْل.

أمَّا **وَجْدُ** الصُّوفِيّ، فأوَّلاً مِنْ هَيَجانِ الرُّوحِ في حينِ الفُتوح، وثانياً مِنْ عَجْزِ الرُّوحِ في حَمْلِ غَلَبَةِ الشَّوقِ بِحالَةِ الذِّكْر، وثالِثاً مِنْ خُشوعِ الرُّوحِ أثناءَ مُطالَعَةِ الحَقّ بالسِّرّ.

أمَّا **ولايَةُ** الصُّوفِيّ، فأوَّلاً الخُروجُ مِنَ العَداوَة، وثانياً اختِصاصُ القَلْبِ بالمَحَبَّة، وثالِثاً وُصولٌ مِنَ الفَرْقِ إلى عَيْنِ الجَمْع، وهُوَ الإصْطِفاءُ بالوِلايَة.

أمَّا **قَلْبُ العارِف**، فأوَّلاً طَيَرانُهُ مِنْ حَوْلِ الطَّاعَةِ بِحُسْنِ النِّيَّة، وثانياً طَيَرانُهُ مِنْ حَولِ الكرامَة، وثالِثاً طَيَرانُهُ مِنْ حَولِ الحَيْرَة. أوَّلاً كَشَجَرَةٍ في أرْضِ ساكِنَةُ الإرادَةِ، ومُتَحَرِّكَةٌ بريحِ العَنايَةِ، وثانياً كالجَبَلِ ثابِتٌ في مكانِهِ، وقائمٌ بِقَوامِ الحَقّ، وثالِثاً كالبَحْرِ مَوَّاجٌ، وبِفَيْضِ الحَقّ فيَّاض.

أمَّا **سُكْرُ** الصُّوفِيّ، فأوَّلاً مِنْ جامِ البلاء، وثانياً مِنْ كأسِ اللِّقاء، وثالِثاً مِنْ دَنِّ الفناء.

أمَّا **صَحْوُ** الصُّوفِيّ، فأوَّلاً صَحْوُ الحال، وثانياً صَحْوُ الاِحْتِمال، وثالِثاً صَحْوُ الاِتِّصال. صَحْوُ الحالِ العُبورُ مِنْ بَقِيَّةِ التَّلوينِ إلى التَّمكين، صَحْوُ الاِحْتِمالِ الفراغُ مِنْ بَقِيَّةِ القَبْضِ بالبَسْط، صَحْوُ الاِتِّصالِ نُهُوضُ العَيْنِ مِنَ العِلْم، يعني العَيْنَ الثُّبوتيّ، إذْ لا يزالُ إلى الآنَ باقِياً في حَيِّزِ العِلْم.

أمَّا **مَحْوُ** الصُّوفِيّ، فأوَّلاً اختِلالُ الحواسّ في الظُّهور، وثانياً اضْمِحلالُ القَلْبِ في الشُّهود، وثالِثاً فُتورُ العَقْلِ بِتَجَلِّي الوجود.

أمَّا **خُلْسَةُ** الصُّوفِيّ، فأوَّلاً رُجوعٌ مِنَ الظَّاهِرِ إلى الباطِن، وثانياً هَيَجانُ القَلْبِ في الجَمْع، وثالِثاً سُقوطُ المَشاعِرِ والمَدارِكِ في الحال.

أمَّا **جَذْبَةُ** الصُّوفِيّ، فأوَّلاً تَوَجُّهُ القَلْبِ للغَيْب، وثانياً وُصولُ العِنايَةِ للقَلْب، وثالِثاً ذهابُ القَلْبِ مِنَ النَّفْس. أوَّلاً سَعْيٌ، ثانياً تَحَرُّرٌ، ثالِثاً جَذْبٌ.

أمَّا **وَقْتُ** الصُّوفِيّ، فأوَّلاً خارِجَ الماضي والمُسْتَقْبَل، وثانياً خارِجَ الزَّمانِ والمكانِ، وثالِثاً خارِجَ الإشارَةِ والبيان.

أمَّا **سَيْرُ** الصُّوفِيّ، فأوَّلاً سَيْرٌ آفاقِيٌّ، وثانِياً سَيْرٌ إشْراقِيٌّ، وثالِثاً سَيْرٌ خَلاَّقِيٌ. السَّيْرُ الآفاقِيُّ ***ثُمَّ ارْجِعِ البَصَرَ يَنْقَلِبْ إلَيْكَ البَصَرُ خاسِئاً وَهُوَ حَسير***. والسَّيْرُ الإشراقِيُّ ***فَانْظُرْ إلى آثارِ رَحْمَةِ اللهِ كَيْفَ يُحيي الأرْضَ بَعْدَ موتِها***. والسَّيْرُ الخَلاَّقِيُّ ***أُنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ على بَعْضٍ ولَلآخِرَةُ أكْبَرُ دَرَجاتٍ وأكْبَرُ تَفْضيلاً***.

أمَّا **حالُ** الصُّوفِيّ، فأوَّلاً فَورِيٌّ، **وهُوَ البَرْقُ في مَقَدَّمَةِ النُّور**، وثانياً غَورِيٌّ **وهُوَ الاِسْتِغْراقُ في البُحور**، وثالِثاً دَوْرِيٌّ **وهُوَ الفَرْقُ بَعْدَ الجَمْعِ في الأُمور**.

أمَّا **جَمْعُ** الصُّوفِيّ، فأوَّلاً في النَّدَم، وثانياً في التَّشَتُّت، وثالِثاً في الكونِ بلا إشارَة.

أمَّا **رُوحُ** الصُّوفِيّ، فأوَّلاً في القَلَق، وثانياً أوَّلُ ما خَلَق، وثالِثاً مَحْوٌ مُطْلَق.

أمَّا **فَيْضُ** الصُّوفِيّ، فأوَّلاً عامٌّ، وثانياً في كأسِ الكِرام، وثالِثاً مَخْصوصُ أهْلِ المقام.

أمَّا **شرابُ** الصُّوفِيّ، فأوَّلاً يَأتي بالصَّمْت، وثانِياً بالدَّهْشَة، وثالِثاً بالنِّسيان.

أمَّا **تَفريدُ** الصُّوفِيّ، فأوَّلاً فَرْدٌ مِنْ مراتِبِ الخَلْقِ، وثانياً مِنْ مذاهِبِ الخَلْقِ، وثالِثاً مِنْ مطالِبِ الخَلْق.

أمَّا **تَوحيدُ** الصُّوفيّ، فأوَّلاً إسقاطُ الإضافات، وثانياً نَفْيُ الصِّفات، وثالِثاً إثباتُ ذاتِ الحَقِّ بالذَّات. إسقاطُ الإضافاتِ أيضاً إشارَةٌ وإلاَّ ما مِنْ شَيْءٍ إضافَة.

أمَّا **وَحْدَةُ** الصُّوفِيّ، فأوَّلاً في الخَلْوَة، وثانياً في الكَثْرَة، وثالِثاً الوَحْدَةُ في الوَحْدَة.

أمَّا **حَيْرَةُ** الصُّوفِيّ، فأوَّلاً حَيرَةُ المعاني، وثانياً حيرَةُ العَجْز، وثالِثاً حَيرَةُ الحَيْرَة.

أمَّا **عِلْمُ** الصُّوفِيّ، فأوَّلاً يعْلَمُ بلا قِراءَةٍ أي عِلْمٌ لَدُنِيّ، وثانِياً يرْجِعُ قَلْبُهُ مِنَ العِلْم، وثالِثاً يبقى في الجَهْل. أوَّلاً بَحْرُ عِلْمِ الأسماء، وثانياً غَرَقُ عَلَّمْتَنا، وثالِثاً عارِفٌ إلهيّ.

أمَّا **تَحقيقُ** الصُّوفِيّ، فأوَّلاً مِنَ الذَّوقِ الفِطْرِيّ، وثانياً مِنَ الإلهامِ القَلبيّ، وثالِثاً مِنَ البيانِ القُدُسِيّ.

أمَّا **فِراسَةُ** الصُّوفِيّ، فأوَّلاً بِالخَيالِ الفاطِنِ، وثانياً بِصَفاءِ الباطِنِ، وثالِثاً بِكَشْفِ القاطِنِ.

أمَّا **تَعْظيمُ** الصُّوفِيّ، فأوَّلاً للأوامِرِ الإلهِيَّة، وثانياً للمَظاهِرِ الإلهِيَّة، وثالِثاً للصَّوادِرِ الإلهيَّة.

أمَّا **نَفْسُ** الصُّوفيّ، فأوَّلاً سالِمٌ، وثانياً قائمٌ، وثالِثاً دائمٌ.

أمَّا **حَظُّ** الصُّوفِيّ، فأوَّلاً بِثَناءِ الحَقّ، وثانياً بِلِقاءِ الحَقّ، وثالِثاً بِبَقاءِ الحَقّ.

أمَّا **مُراقَبَةُ** الصُّوفِيّ، فأوَّلاً حِفْظُ الخاطِرِ مِنْ ظُهُورِ الأغْيار، وثانياً انتِظارُ ورودِ الحَبيب، وثالِثاً إيداعُ القَلْبِ للمحبوب.

أمَّا **فَراغُ** الصُّوفِيّ، فأوَّلاً مِنَ الخَوفِ والرَّجاء، وثانياً مِنَ القَبْضِ والبَسْط، وثالِثاً مِنَ الجَمْعِ والفَرْق.

أمَّا **تَجْريدُ** الصُّوفيّ، فأوَّلاً العُرْيُ مِنْ لِباسِ التَّعَلُّق، وثانياً العُرْيُ مِنْ رِداءِ التَّخَلُّق، وثالِثاً التَّحَرُّرُ مِنْ علاماتِ التَّحَقُّق.

أمَّا **هَمُّ** الصُّوفيّ، فأوَّلاً بِتَعْيينِ الحقِّ الواحِدِ، وثانياً بِنَفْيِ العَدَد، وثالِثاً بِثُبُوتِ الأحَد.

أمَّا **سِرُّ** الصُّوفِيّ، فأوَّلاً الحُصولُ على اخْتِصاصِ الأشياءِ مِنَ الحَقّ في وجودِ النَّفْس، وثانياً استِتارُ النَّفْسِ في خَفاءِ غَيْبِ الغُيوب، وثالِثاً ارتِفاعُ الإثنينيّةِ ومعْرِفَةُ الحَقِّ في ولايَةِ العِشْق، كما قالَ النَّبيُّ(ص) **عَرَفْتُ رَبِّي بِرَبِّي**.

أمَّا **كُفْرُ** الصُّوفِيّ، فأوَّلاً سَتْرُ النَّفْسِ عَنِ الخلْق، وثانياً سَتْرُ الخَلْقِ في النَّفْس، وثالِثاً سَتْرُ الكَشْفِ في الكَشْف.

أمَّا **إيمانُ** الصُّوفِيّ، فأوَّلاً يكونُ بالاِعْتِقادِ الصَّحيح، وثانياً يصيرُ بِنْفْسِ الاِعْتِقاد، وثالِثاً يصيرُ راجِعاً إليهِ الإيمان.

في بيانِ رَدِّ الصُّوفِيَّةِ مِنْ مَصْدَرِ المَعْصومِ عَلَيْهِ السَّلام

أولئكَ قَومٌ وَقَفوا ضِدَّ الأئمَّةِ، ولَبِسوا لِباسَ أهْلِ التَّصَوُّفِ زينَةً، ولَمْ يكونوا صُوفِيِّينَ في الحقيقَةِ، لبِسوا الصُّوفَ وجَلَسوا في المغارات، مِنَ الظَّاهِرِ درويشٌ وفي الباطِنِ ذِئبٌ بِلِباسِ شاة، نَسَبوا الخِرْقَةَ لأبي بَكْر، وَبَعْضٌ نَسَبَها لِعَليٍّ(ع)،

قاموا بِإظْهارِ الكرامات، ومِنْ كَونِ طُلاَّبِ الباطِلِ أكْثَرَ مِنْ طُلاَّبِ الحَقِّ في كُلِّ دَورٍ، اجْتَمَعَ لَهُمْ خَلْقٌ كَثيرٌ وشاعَتِ الفِتْنَة، واختَلَطَ الحَقُّ بالباطِل، وحينَ جازَتِ الوَقاحَةُ الحَدَّ، وصارَ إبطالُ أهْلِ الظُّلْمِ والضَّلالِ واجِباً على أهْلِ الحَقّ، وَرَدَتْ مَذَمَّتُهُمْ مِنْ أئِمَّةِ الأنامِ عَلَيْهِم السَّلام، وهذا غَيْرُ مُقتَصِرٍ على الصُّوفِيَّةِ وَحْدَهُمْ، فَبَيْنَ عُلَماءِ الشِّيْعَةِ وعُلَماءِ الظَّاهِرِ كثيرٌ مِنْ هذا القبيل، غيرَ أنَّ ذلِكَ القَدْرَ مِنَ الأخْبارِ الوارِدَ في مَذَمَّةِ العُلَماءِ غيرِ العارِفينَ باللهِ، ليسَ واحِداً بالمِئةِ مِمَّا وَرَدَ في ذَمِّ الصُّوفِيَّةِ زُرْقِ اللِّباس. واعْلَمْ أنَّهُ في الحَقيقَةِ لا اخْتِلافَ ما بَيْنَ أَهْلِ الشَّريعَةِ وأهْلِ الطَّريقَةِ، أيْ ما بَيْنَ العالِمِ الظَّاهِرِيِّ والعارِفِ الحقيقيّ، وذلِكَ في صُورَةِ كَونِ العالِمِ المُتَشَرِّعِ غَيْرَ مُتَعَلِّقٍ بالأغْراضِ الدُّنيَويَّة، والعارِفِ الصُّوفِيِّ في تَصْفِيَةِ القَلْبِ والنَّفْس، فكِلا الإثْنَيْنِ على رأسِ مَطْلَبٍ واحِدٍ، وغيرُ مُتنازِعَيْن، لأنَّ أصْلَ المَطْلَبِ ولُبَّ حَديثِ أهْلِ المَعْرِفَةِ التَّصَوُّفُ، فَمِنْ بَعْدِ تَحْصيلِ العقائدِ الحَقَّةِ الإسلامِيَّةِ الإثناعَشَرِيَّةِ، يجِبُ الأخْذُ مِنَ الدُّنيا بِقَدْرِ الضَّرورَةِ، والقناعَةُ بالقليل، وتعَاهُدُ النَّفْسِ المُعانِدَةِ بالرِّياضَةِ لِتَصيرَ مُطيعَةً في قَبولِ الأحكامِ الإلهِيَّةِ، وَجَعْلُ القَلْبِ دائماً في ذِكْرِ اللهِ حتَّى يصيرَ الذِّكْرُ لَهُ مَلَكَةً، ويَذْهَبَ مِنَ الخاطِرِ غَيْرُ الله، وكُلُّ ما قُلْنا في هذا الكِتابِ شُؤوناتُ هذا المَطْلَبِ الواحِدِ نفسِه. العالِمُ المُتَشَرِّعُ إنْ لَمْ يَكُنْ مُنْكِراً لَهذا المَطْلَبِ فهُوَ بالعَقيدَةِ صُوفِيٌّ أيضاً، ولَو حَذِرَ مِنْ لَفْظِ الصُّوفِيّ، وإنْ كانَ مُنْكِراً فماذا يقولُ غَيْرَ هذا؟، أبالزَّيْفِ المَردودِ أمْ بالأخلاقِ الرَّذيلَةِ غَيْرِ المحمودَة؟.

دِقَّة

ادِّعاءُ الكمالِ وادِّعاءُ المقاماتِ دَليلُ الكَوْنِ بلا خَبَرٍ، ذلِكَ لأنَّ المالِكَ لا يَدَّعي. الصَّدَفَةُ الَّتي خَرَجَتْ مِنَ البَحْرِ وارْتَمَتْ على الشَّاطِئِ تُرائي ليسَ في داخِلِها جَوْهَرَةٌ، الشَّخْصُ الَّذي يَملِكُ الإكسيرَ يَسْتُرُ نَفْسَهُ عَنِ الخَلْق، ولا يبيعُ الجَوْهَرَ بِقُرْصٍ مِنَ الخُبْز، هؤلاءِ المُدَّعونَ في طَلَبِهِ جاهِلون. المُرْشِدُ المَنْصوصُ تَجِبُ لَهُ قُوَّةٌ قُدُسِيَّةٌ وَحَياةٌ قَلبيَّةٌ، لا أوراقُ كِتابِ الإرْشاد، الَّذي هُوَ مِنْ جُزئيَّاتِ الصُّورَة. إذا كانَ هذا الجُزْءُ الصُّوريُّ أيضاً مُتوافِقاً مَعَ كُلِّيَّاتِ المَعْنى فَهُوَ شَيءٌ، وإلاَّ فلا يكونُ مَقْروناً بِصِحَّةٍ ولا ثَمَرٍ، آياتُ القُرْآنِ كُلُّها في تَعْريفِ النَّفْسِ الكامِلَة، وفي ذَمِّ مالِكِ الدُّنيا الغافِلِ عَنِ الله، إنْ كُنْتَ كامِلاً يكفيكَ تَعْريفُ الحَقِّ، إنْ كُنْتَ جاهِلاً ما الحاصِلُ لَكَ مِنْها؟.

أيْ دَرويشُ إنْ صِرْتَ طالِبَ تَصَوُّفٍ فاعْمَلْ بِهذا الدَّستور، فإنَّهُ لَكَ كافٍ، تَذَكَّرْ أوَّلاً هذا المَعْنى، أنَّكَ آدَمِيٌّ وأنَّكَ مُمْتازٌ عَنْ سائرِ المَخلوقات، لِذلِكَ ابْحَثْ في نَفْسِكَ عَنِ الفَرْقِ بَيْنَ الآدَمِيِّ والحيوانات.

أوَّلاً اطْلُبِ المقام، اِحْذَرْ طَبْعَ الحَيَوان، كُلُّ حَيَوانٍ يَمْلِكُ صِفَةً سَيِّئَةً وخَواصَّ كثيرَةً، عَجَباً مِنْ آدَمِيٍّ لَيسَ فيهِ خاصِّيَّةُ أيِّ حَيَوانٍ، وتصيرُ أوصافِ الحَيواناتِ فيهِ مُجْتَمِعَةً، يَجِبُ على طالِبِ صِراطِ الآدَمِيَّةِ أوَّلاً أنْ يَحْذَرَ مِنْ طَبْعِ الحيوانات.

ثانياً أنْ يكونَ في تَحصيلِ الرِّزْقِ الحلالِ بِقَدَرِ القُوَّة، وأنْ يسعى في هذا البابِ فَهُوَ عُمْدَةُ المَطْلَب، القَلْبُ الَّذي لَيْسَ في وثاقِ الحلالِ والحرامِ يصيرُ قاسِياً، ولا يُشِعُّ فيهِ نُورُ التَّوحيد، ويقَعُ في الشَّكِّ والرَّيْب، ويصيرُ مُؤذياً للنَّاس،

وأغْلَبُ أنواعِ الفَسادِ والشُّرورِ مِنْ هذِهِ الجِهَة، الفقيرُ باختِصارٍ أعطاكَ قليلَ إشارَةٍ فأسْرِعْ، في هذا البابِ ايضاً لا تَقُمْ بالوَسواس فَتَصْرِفَ تمامَ أوقاتِكَ في هذا الأمْر، هذا القَدْرُ مِنْ مَعاشِكَ الَّذي لا تُحَصِّلُهُ بالسَّرِقَةِ والحيلَةِ والكَذِبِ والظُّلْمِ كافيك. الشَّيطانُ بِمَحْضِ أنْ حَبَسَكَ عَنِ العَمَلِ أدخَلَكَ بالوسواسِ أنْ لَمْ تَقُمْ الاِحْتياطَ الصَّحيح، يلزَمُكَ البَحْثُ مِنْ جديدٍ، وكذا يقولُ لَكَ في الطَّهارَةِ لَمْ تَطْهُرْ بِشَكْلٍ صَحيح، والنَّجاسَةُ لَمْ تَزُلْ، اِفْعَلْ مَرَّةً أُخْرى، وكذا في القِراءَةِ يُوقِعُكَ في الشُّبْهَةِ أنْ لَمْ يَكُنِ المَخْرَجُ صَحيحاً، كَرِّرْ ***ولا الضَّالِّين***، وهكذا.

ثالِثاً، لا تَتَعَدَّ نَظَرَ المَلِكِ وقانونَ المملَكَةِ وسيرَةَ النَّاسِ فهذا أيضاً مُوجِبُ اخْتِلاف، وخِلافُ الإنصاف، وعلى النَّفْسِ والأهْلِ والعيالِ إجْحاف.

رابِعاً، حُسْنُ المُعامَلَةِ مَعَ جَميعِ الخَلق، بِمَحْضِ المَحَبَّةِ والشَّفَقَةِ، لا بِمُلاحَظَةِ أغْراضِ الطَّبيعَة، فهِيَ حِرْفَةُ أهْلِ النِّفاق، وتزويرٌ مَعَ الخَلْقِ والخلاّق.

خامِساً، أنْ تَعْرِفَ اللهَ حاضِراً، وتَلْجَأَ إلَيْهِ مِنْ آفاتِ النَّفْسِ كُلَّ آن.

سادِساً، ألْقِ الحَسْرَةَ والآمال، وكُنْ قانِعاً بِقِسْمَةِ النَّفْس، وكُنْ دائماً مُتَذَكِّرَ المَوتِ ومُعْتَبِرَ الدُّنيا غَيْرَ ذاتِ اعتِبار، ولا تَقُمْ بِزَرْعِ بِذْرَةِ الآمالِ في أرْضِ الحَسْرَة. طولُ الأمَلِ خلافُ التَّصَوُّف، وفي العاقِبَةِ مُوجِبُ تأسُّف.

سابِعاً، لا تبحَثْ عَنْ زيادَةِ الكلام، وقُلِ الكلامَ بِقَدْرِ الضَّرورَةِ، فإقلالُ الكلامِ مُوجِبُ الرَّاحَةِ في الدُّنيا، وفي صُوْرَةِ صِحَّةِ الفِكْرِ والنِّيَّةِ الصَّالِحَةِ باعِثُ خَيْرِ العُقبى، قُلْ بِحِكْمَةٍ واسْكُتْ بِعِبْرَةٍ.

ثامِناً، أقِلِّ الطَّعامَ وكُنْ غالِباً جائعاً، والعارِفونَ الإلهِيُّونَ يرونَ جائزاً الأكْلَ على هذا المِنوالِ، يأكُلونَ في مَوعِدَينِ ويترُكونَ مَوعِداً، فإنْ كُنْتَ لا تَقدِرُ فكُلِ الطَّعامَ بِالقَدْرِ الَّذي تكونُ فيهِ قَويّاً في العَمَلِ لا جائعاً كالمَيْتَة، للدَّرويشِ أكْلُ الطَّعامِ عَزاءٌ، والجُوعُ غَزوٌ للنَّفْسِ الأمَّارَة.

تاسِعاً، اليَقَظَةُ، فالنَّومُ عارٍ مِنْ حِرْفَةِ الفَقْر، زيادَةُ النَّومِ تَسْحَبُ عِنانَ السَّالِكِ للغَفْلَةِ وتُبْعِدُهُ عَنِ المَقْصود، ذاكَ الَّذي يَملِكُ الألَمَ لا ينام، وذاكَ الَّذي يَعْرِفُ طَريقَهُ بعيدَةً يُجِدُّ السَّيْرَ في اللَّيل. للمولوي:

تنامُ الطُّيورُ والأسماكُ كُلُّها جَميعاً، والعاشِقونَ تَحْتَ لُجَّةِ البَحْر مَدهوشون.

قُمِ للمُناجاةِ في السَّحَرِ، وليكُنْ أوَّلُ شُغْلِكَ البُكاء، وابْكِ على نَفْسِكَ، وعلى خسارَةِ نَفْسِكَ، وعلى تَلَفِ عُمرِكَ، وتَحَسَّرْ على ذهابِ عُمْرِكَ في الغَفْلَةِ، وتذَكَّرْ عَجْزَ نَفْسِكَ، ووصولَ رسولِ المَوتِ إليكَ، والوَحْدَةَ في القَبْر، وتَحَدَّثْ بِأيِّ كلامٍ يُورِدُكَ في الخُضوعِ والحُضور، وبِزَعْمِ الفَقيرِ أفْضَلُ مِنْ كُلِّ شَيءٍ القُرآن، اِقْرَأْ بِمَسْكَنَةٍ، ورَطِّبِ العَيْنَ بالدَّمْع.

عاشِراً، يَجِبُ أنْ لا تَمْنَعَ الخَيْرَ عَنْ أيِّ شَخْص، ويجِبُ أنْ تُتْبِعَ كُلِّ سُوءٍ بخَيْر، فاللهُ يشكُرُ هذِهِ الصِّفَةَ كَثيراً، ويَجْعَلُ جزاءَ سيِّئاتِ مِثْلِ هذا العَبْدِ حَسَناتٍ، وإنْ عَمِلْتَ خَيْراً فَكُنْ مُمْتَنّاً ولا تَمُنّ. اُذْكُرْ سَيِّئاتِ نَفْسِكَ والخَيراتِ الَّتي أنعَمَ الحَقُّ بِها عَلَيْكَ، ولا تَتْرُكْ طالبي الخَيْرِ مِنْ عبيدِ الله، فإنْ رأيتَ واقِعاً أو مَريضاً واستَطَعْتَ عَوْنَهُ فأعِنْهُ، وإنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فتأسَّفْ، وادْعُ لَهُ بالخَيْر، فتِلْكَ أيضاً مُساعَدَةٌ، وأعِنْهُ بِكُلِّ قَدْرٍ استَطَعْت، لا تَكُنْ أنانِيّاً وأشْرِكِ في مَعاشِكَ المساكينَ بِقَدْرِ القُوَّة، وكُنْ مُمْتَنّاً للحَقّ فَلَسْتَ لئيماً، ولا تَدَّخِرْ

ذَخيرَةً. وإيَّاكَ أنْ تَصيرَ مُعْجَباً بالنَّفْس، وتَروحَ مُعْجَباً إذا صَدَرَ مِنْكَ خَيْرٌ، العُجْبُ مِنَ السَّالِكِ عَجَبٌ، وكُنْ زائِدَ المُلاحَظَةِ، فلا يَكُونَ سُلوكُكَ و حديثُكَ كَذِباً وبِغَرَضٍ، فهذِهِ الصِّفَةُ ضِدَّ الفَقْرِ، ولا تَفْخَرْ على الخَلْقِ فالأجَلُ خَلْفَكَ، ولا تَنْظُرْ بالسُّخْرِيَةِ إلى أهْلِ الدُّنيا. الدُّنيا غَيْرُ ذاتِ الاعتِبار أَقَلُّ مِنْ أنْ تكونَ مُفْتَخِراً بِشَيءٍ مِنها، اِجْمَعْ حواسَّكَ على الذِّكْر، واجْعَلْ قَلْبَكَ مَشْغولاً بالفِكْر، عَنْ قَريبٍ تَصيرُ روحُكَ حاضِرَةً أمامَ العَظَمَةِ، والحَقُّ يَسْأَلُكَ بلا واسِطَةٍ، عمَّا فَعَلْتَ بِرَأسِمالِ وجودِك، وكَيفَ قُمْتَ بِصَرْفِ النِّعَمِ اللاّمُتناهِيَة، إذا كانَ رَبُّنا كَريماً، والكَريمُ لا يسألُ المُحتاجَ فارِغَ اليَدِ ما جَلَبْتَ، أو بمالي ما فَعَلْتَ ، بل يسألُهُ ما تُريد؟، لكِنْ أنتَ كُنْ خَجِلاً ومُنْفَعِلاً، الرُوحُ الَّتي تُحافِظُ عليها عزيزَةً في الدُّنيا إلى هذا القَدْر، كيفَ تستَطيعُ أنْ تراها حقيرَةً بِتِلْكَ المَرْتَبَة، وما تَفْعَلُ بالمَلَكاتِ الحاصِلَةِ لها؟. أضْرِبُ مَثَلاً: لَو رأيتَ في واقِعَةِ النَّومِ بُستاناً وصَحْراءَ خَضْراءَ بِماءٍ جارٍ أو شَيْئاً تكونُ بِهِ الرُّوحُ مُتَلَذِّذَةً، لَذَّتُكَ تَكونُ أكْثَرَ بألْفِ مَرْتَبَةٍ مِمَّا لَو رأيْتَ أفْضَلَ مِنْ ذاكَ في اليَقَظَة، وذلِكَ لأنَّ نَفْسَكَ في النَّومِ مُجَرَّدَةٌ، وأكْثَرُ عَمَلاً في إدراكِ اللَّذائذ، كذلِكَ لو رأيتَ في النَّومِ غَوغاءَ ونِزاعاً، أو كائناتٍ حَيَّةً مَهيبَةً، أو شَيئاً مِمَّا تَكونُ مِنْهُ النَّفْسُ مُضْطَرِبَةً ونافِرَةً، تصيرُ مُستَوحِشاً لِدَرَجَةِ أنْ تَثِبَ مِنَ النَّومِ ويَظَلَّ بَدَنُكَ إلى مُدَّةٍ مُرْتَعِشاً، مَعَ أنَّكَ كُنْتَ قَدْ رأيْتَ أكْثَرَ مِنْ ذلِك في اليَقَظَةِ ولَمْ يَصِلْ بِكَ الرُّعْبُ إلى هذِهِ الدَّرَجَة، لِتَعْلَمَ أنَّ النَّفْسَ المُجَرَّدَةَ أكْثَرُ وأفْضَلُ إدراكاً للمكارِه. وهذِهِ علاماتٌ على أنَّ المُؤثِّرَ الحَقيقيَّ في كُلِّ مُتأثِّرٍ مَوضوعٌ، وأنَّ على كُلِّ قَلْبِ كُلِّ مُقْبِلٍ ومُنْكِرٍ نافِذَةً مَفْتوحَةً مِنْ عالَمِ الغَيْب، كي لا يكونَ لَهُ عُذْرٌ. إذا كانَ يقينُكَ بإخبارِ الأنبياءِ غَيْرَ كامِلٍ، قُمْ بالسَّيْرِ في وجودِك، ففي كُلِّ جُزْءٍ مِنْكَ علامَةٌ، وأنتَ مِنْ كَونِ حواسِّكَ غالِباً مَشغولَةً بِحُظوظِ النَّفْسِ والمُهِمَّاتِ الدُّنيويَّةِ، وأنَّ تَوَجُّهَكَ ليسَ إلى

جِهاتِ المَعْنى، وَقَعْتَ بالشَّكِّ وَذَهَبَ خيالُكَ بالخَطَأ. تَصَوَّرْ، لَوْ جَعَلوكَ مَعَ خيالٍ غَيْرِ لائقٍ، أو صاحِبٍ غَيْرِ مُوافِقٍ، كحَيَّةٍ أو عَقْرَبٍ، أو في مكانٍ موحِشٍ أو مَقْبَرَةٍ مُخيفَةٍ، لصارَ ذِهْنُكَ مُكَدَّراً، وصارَ على خاطِرِكَ الغُبار، ولَقُلْتَ كفى، وتضايَقْتَ مِنْ تِكرارِ هذا الأمْر، وكذلِكَ وبالعَكْسِ فإنَّ الصُّوَرَ الجَميلَةَ تَصيرُ في خَيالِكَ مُتَصَوِّرَةً، فلو حَكَوا أمامَكَ عَنْ صاحِبِ جَمالٍ، لَصارَ تَوجُّهُكَ مُتوجِّهاً إلى تِلْكَ الجِهَة، إلى حَدِّ أنَّهُ لو صارَ التَّوَجُّهُ مُسْتداماً لصارَ التَّوَجُّهُ لِحُسْنِ الحَسَنِ مَلَكَةً راسِخَةً لِنَفْسِك، ولما استطاعَتْ حواسُّكَ التَّوَجُّهَ إلى مَوضِعٍ آخَر. إذا كانَ هذا المَعْنى صارَ مُحَقَّقاً ومُسَلَّماً، فإنَّ كونَ النَّفْسِ مُتَّجِهَةً إلى الحقيقَةِ المُجَرَّدَةِ لِنَفْسِها أشْرَفُ مِنْ أنْ تكونَ مأسورَةً لأوساخِ الدُّنيا والأوهامِ الفاسِدَةِ غَيْرِ الجائزَة. وإذا كانَ هذا النَّوعُ مِنَ الحديثِ ظَهَرَ في نَظَرِكَ بَعيداً، وجاءَ غَريباً، فذلِكَ لأنَّ خيالَكَ كانَ عُمُراً في اللاَّمعقول، وكانَ تَوَجُّهُهُ على خلافِ المقصود. خلافُ العادَةِ قَذَرٌ سيِّئُ الطَّعْم، فإذا وَجَدْتَ الوقوفَ على هذا المعنى وَقَفْتَ على حَقيقَةِ الجَنَّةِ والنَّار، فالجَنَّةُ والجحيمُ ليسا غَيْرَ عينِ تِلْكَ المَلَكاتِ الحاصِلَةِ في النَّفْس، وحاصِلِ الأخلاقِ الحَسَنَةِ والقبيحَة، بأيِّ قياسٍ تكونُ الأقدار بأيَّةِ دَرَجَةٍ تكونُ الشُّرور.

أي درويش ذلِكَ الَّذي هُوَ رَجُلٌ شُجاعٌ يَجِبُ أنْ يأتيَ إلى مَيْدانِ المعارِف، والَّذي هُوَ بِطَبْعِ النِّساءِ، يعني بَطَلَ اللِّسان، خَيْرٌ أنْ لا يُظْهِرَ الوَجْه. في هذهِ المَصافِّ يعبُرُ أسَدُ الرِّجالِ، ومُدَّعي العِرفانِ ما لَهُ مِنْ شَيءٍ غَيْرَ دَعوى اللسان، ونَشيدُ الرَّجْزِ بالجُزاف.

قالوا عَنْ الأسَدِ أنَّهُ شُجاعٌ لأنَّهُ احْتَرَفَ الفَضْلَ، لا لأنَّهُ يَرجُزُ في الأجَم، هِمَّتُهُ رَفيعَةٌ وَنَظرَتُهُ وَسيعَةٌ، إذا جاعَ راحَ للصَّيْدِ، وإذا شَبِعَ تَرَكَ باقياً ولَمْ يَمْنَعْهُ عَنْ

أيِّ حَيَوان، الجامُوسُ ضِدُّهُ يأكُلُ ما عاشَ ويرعى ولا يَشْعُر، فإذا لَمْ يجِدْ شَيْئاً نامَ جانِباً، لا غَيْرَةً امتَلَكَ ولا هِمَّةً، لا يُبقي على شَيءٍ، ولا يستَطيعُ تَحصيلَ شَيْءٍ. في الأكْلِ يَمْنَعُ وفي الذَّهابِ يَقْنَع، الآدَمِيُّ الَّذي لا يَملِكُ الجُودَ والفَضْلَ أوضَعُ مِنَ الجاموسِ، وأقَلُّ مِنَ الحِمار. الشُّجاعُ يُعْرَفُ في الحَربِ لا بِقَولِ اللِّسانِ، فِدائيٌّ بِقَلْبٍ شَفيق، لا مُراءٍ يخذلُ الرَّفيق، يتَقَدَّمُ الرِّفاقَ ولا يَجْعَلُ مِنَ الرِّفاقِ تِرساً يتَّقي بِهِ البلاء، لا يَضْطَرِبُ مِنْ جَمْعِ الخَصْمِ، ولا يزولُ قَلْبُهُ مِنْ مكانِه، مَنظورُهُ الحَقُّ وليسَ مَغروراً بزورِ نَفْسِه، الغُرورُ مِنَ الشُّؤمِ ونتيجَتُهُ الحِرمان، وقورٌ لا خفيفٌ وعقور، إذا كانَ فضْلٌ مِنَ الرِّفاق لمْ ينسِبْهُ لِنَفْسِه، ولَمْ يُضِعْ حَقَّهُ. أي دَرويشُ، شرافَةُ كُلِّ عَمَلٍ بِموضوعِهِ وغايَتِه، تَصَوَّرْ موضوعَ عِلْمِ التَّصَوُّفِ ما هُوَ، وَعالِمُ هذا العِلْمِ مَنْ يكون، لِتَرَ كلِماتي عزيزَةً واغْتَنِمْها ففي هذا الكِتابِ المُخْتَصَرِ تمامُ الأسرارِ والآدابِ جُمِعَتْ، ولمْ تُتْرَكْ نُكْتَةٌ واحِدَة. والقائلُ عَنْهُ ليسَ عاليَ التَّحقيقِ وليسَ بِعميق، ميِّتُ التّمييز أو مُقيَّدُ الخيالِ بالأغراض، وجْهُ كلامي لأهْلِ التَّصَوُّفِ لا لأصْحابِ التَّكَلُّف، فقَبولُهُمْ على العَمياء، ونُكولُهُمْ بِغَرَضٍ وهَوىً، لا في المَحَبَّةِ لَهُمْ فَطانَةٌ، ولا في العَداوَةِ لَهُمْ فُتُوَّةٌ، هُمْ في تَصْديقِ غَيْرِ المَفْهُومِ بغَيْرِ اختيار، وفي تكذيبِ كُلِّ ما لا يميلونَ إليهِ في إصرار. ما كَتَبْتُ وأنا الفَقيرُ كانَ إلهاماً قَلبيَّاً لاعِلْماً كسبيَّاً ولا بِمُطالَعَةِ كِتابٍ. فما يقولُ الحُسَّادُ البُخلاء، الحَسَدُ أعْمى عَينَ العَقْلَ، جَعَلَ العاقِلَ عَميقَ الفِكْرِ دقيقَ النَّظَرِ بلا شُعورٍ، دوماً يبحَثُ عنِ العَيْب، ويقولُ عَنِ القُرآنِ أساطيرَ الأوَّلين. المولوي: *حِمارٌ أخْرَجَ الرَّأسَ فَجْأةً، مِنْ مَنْزِلِ الحَميرِ خارِجاً بالطَّعْن؛ قالَ هذا الحَديثُ، يعْني المَثْنَوي، عَبَثٌ، وهُوَ قِصَّةُ الرَّسولِ والتَّابعين.*

لِترى أنَّ الَّذي في الخِرْقَةِ غَيرُ درويش، وأيَّ قَلْبٍ جَرَحَ بِسَهْمِ الحَسَد. *ماءُ نيلٍ هذا الكلامُ يَهَبُ الرُّوح، يا ربِّ اجْعَلْهُ في عَيْنِ القِبْطِيّ دَماً* . أبَداً لا يستطيعُ أنْ يكونَ الحسودُ مُؤمِناً، والبخيلُ عارِفاً، والمُعْجَبُ بالنَّفْسِ سالِكاً، والطَّمَّاعُ كامِلاً، والمُغتابُ عزيزاً، والكذَّابُ وقوراً، والأحْمَقُ مُستقيماً، والعيَّاشُ عالِماً، والحريصُ راضياً، وأعوَجُ الخُلُقِ مَحبوباً، والفُضُوليُّ مُقَرَّباً، ومُحِبُّ المالِ مُطاعاً، والشِّرّيرُ سالِماً، والأكولُ خاضِعاً، والدَّنِيُّ أميناً، والظَّالِمُ مُوَفَّقاً، والجاهِلُ مَرْجِعاً، والمُلْتَمِسُ مُحْتَرَماً، والخائنُ مُكرَّماً، والمُفْسِدُ مَقبولاً، والمُفْتَري غالِباً، واللَّئيمُ مُرتاحاً، وطالِبُ الجاهِ سَعيداً، والمُنافِقُ درويشاً، وسيّئُ النِّيَّةِ مَسروراً، والعَجولُ كافياً، والنَّاكِرُ مَطبوعاً، والمُحيلُ مَسعوداً، والكافِرُ مُعْتَبَراً، والعاصي مُفْتَخِراً، والسَّارِقُ آمِناً، وغَيْرُ ذي الرَّحْمَةِ عابِداً، وكثيرُ الكلامِ ذاكِراً، والباحِثُ عَنِ العَيْبِ فاضِلاً.

أي درويشُ، إنْ كُنْتَ لا تَستَطيعُ أنْ تَصيرَ صُوفِيّاً، ولا تَستَطيعُ العَمَلَ بما ذُكِرَ، اِعْمَلْ بِهذِهِ النَّصائحِ فَهِيَ مُناسِبَةٌ للعارِفِ والعامّيّ، وصلاحٌ للأعلى والأدنى، فإذا كانَ عَمَلُكَ مُوافِقاً لِنَظْمِ الملك، حقَّتْ لكَ العِزَّةُ في الدُّنيا وأيضاً أجْرُ العُقبى.

تَعليمٌ أَوّل: اِعْلَمْ أنَّ ثلاثَةَ أشياءٍ في ثلاثةِ أشياءٍ مَخْفِيَّةٌ كما وَرَدَ في الحديث: رِضا الحَقّ في طاعَتِه، وسَخَطَ الإلهِ في عِصْيانِه، وأولياءَ اللهِ في خَلْقِه. احتياطاً يَجِبُ عَدَمُ تحقيرِ أيَّةِ طاعَةٍ، فقد يكونُ رِضا الحقّ فيها، ويَجِبُ عَدَمُ تَحقيرِ أيِّ عِصيانٍ، فقد يكونُ فيهِ سَخَطُ الحَقّ، ولا يُمكِنُ القيامُ بِتحقيرِ أحَدٍ مِنْ آحادِ النَّاس، فقد يكونُ وليّاً. ولو رأيْتَ كُلَّ شَخْصٍ على خِلافِ هذا ، كُنْ خِلافَ الجَميعِ واعْمَلْ بِسِيْرَةِ أهْلِ الحَزْم.

إرشاد: إنْ كُنْتَ غَنِيّاً ساعِدِ الفقير، وإنْ لَمْ تَكُنْ فلا تَزْرَعْ بِذْرَةَ الشَّرِ، ولا تُؤذِ الضَّعيف.

حِكْمَة: إنْ كُنْتَ تُريدُ أنْ لا يُهْتَكَ حِجابُكَ فلا تَهْتِكْ حِجاباً، واسْتُرْ عَيْبَ النَّاسِ كي يبقى عَيْبُكَ مَسْتوراً، أتَظُنُّ أنْ تُخْرِجَ عَيْبَ النَّاسِ مِنْ خَلْفِ السِّتارِ ويظَلَّ عَيْبُكَ مَستوراً.

تنبيه: لا تَظُنَّ عِزَّةَ نَفْسِكَ في ذِلَّةِ آخَرِ، وآتِ كُلَّ ذي حَقٍّ حَقَّهُ، العِزَّةُ والذِّلَّةُ مِنَ اللهِ، وليسَتْ بِتَدبيرِ خَلْق، حَسَدُ الخَلْقِ وَطَلَبُ أكْثَرِ مِنْ حَقِّ النَّفْسِ نُقصان.

نَصيحَة: خُذْ بيدِ الواقِعينَ، للهِ، كي لا تَقَع، ولا تَكُنْ مُخِلاً بِعَمَلِ شَخْصٍ كي لا يَخْتَلَّ عَمَلُك.

معرفة: أنتَ بِنَفْسِ الوجودِ مَوجودٌ، وهُوَ كُلُّهُ كمالٌ، كُنْ حاضِرَ نَفْسِكَ فنُقْصانُكَ عارِضٌ، ما دُمْتَ في الأصْل، لا عَرَضَ يكونُ دَفْعُهُ لازِماً.

مِثال: السِّراجُ صِرْفُ ضياء، حينَ تُغْلِقُ العينَ لا ترى شيئاً، اِفْتَحِ العَيْنَ، لا مكانَ مُظْلِمٌ.

تحقيق: كُلُّ وجودٍ واقِعٌ في مَرْتَبَةٍ، والإنسانُ في المَرْتَبَةِ الجامِعَة، الجَنَّةُ والنَّارُ ليستا غَيْرَ المَلَكاتِ الحاصِلَةِ والمَحْفوظَةِ في النَّفْس.

توحيد: الوجودُ لا يملِكُ إضافاتٍ، الإضافاتُ نِسْبَةٌ إليك، بِقَدْرِ ما تُسْقِطُ مِنْ إضافَةٍ بِقَدْرِ ما تكونُ مُوَحِّداً.

لطيفَة: الوُجودُ ليسَ مَحدوداً بِحَدٍّ مُعَيَّنٍ، ثُمَّ اللاّحَدُّ ليسَ حدّاً لهُ، والموجوداتُ بِحَسَبِ القابليَّاتِ مَحدودَةٌ نِسْبَةً للوجودِ, وكُلُّ ظَهَرَ في الظِّلِّ الممدودِ لكيفَ مدَّ

الظِّلِّ بِخاصِّيَّةٍ. لِهذا إذا كُنْتَ وأنتَ الإنسانُ لا تَعْرِفُ خاصِّيَّةَ نَفْسِكَ أنْ في أيِّ عِنوانٍ مِنَ المَقصودِ بقيت، حافِظْ على الوعيِ فالهِمَّةُ في أيِّ شَيءٍ صُرِفَتْ مُعينَة

نَفَسُ الدَّرويشِ فيهِ أَثَرٌ مِنْ عالَمِ الوَحْدَةِ، أنتَ ما تَعْلَمُ وأنتَ أسيرُ الكَثْرات؛ مِنْ صَحْوِ الحَقِّ وسُكْرِ المعايَنَةِ لا خَبَرٌ، حتَّى تكونَ مِنَ الخَمْرِ في صَحْوٍ وَسَكَرات؛ أنْتَ إنْ لَمْ تأخُذِ الطَّريقَ إلى فَلَكِ العِشْقِ مَعْذورٌ، لأنَّكَ في أرضِ الطَّبيعَةِ في الغَمَرات

في بيانِ وحدَةِ الوجود

اِعْلَمْ أوَّلاً أنَّ مَقْصُودَنا مِنَ الوجودِ الحقيقَةُ الَّتي لا تَقْبَلُ الاِنْعِدامَ ذاتاً، وعوارِضُ العَدَمِ لا تُفْتَرَضُ فيها أصْلاً، والوُجودُ بِهذا المَعْنى مَحْضُ وَحْدَةٍ، ووُجودٌ صِرْفٌ، لا ابتِداءَ لَهُ ولا انتِهاء، وغيرُ مَشروطٍ بأيِّ شَرْطٍ حتَّى شَرْطِ لابِشَرْطي، وغيرُ مُقَيَّدٍ بِأيِّ قَيْدٍ حتَّى قَيْدِ الإطلاق، والمَوجوداتُ مُمْكِنَةٌ نِسْبَةً إلَيْهِ مِنْ قَبيلِ وُجودِ المَوْجِ نِسْبَةً للبَحْر، أو الضَّوءِ نِسْبَةً للشَّمْس، فكونُ المَوجِ بِمَحْضِ عَدَمِ الاِسْتِقلالِ أنَّهُ غَيْرُ مُسْتَقِلٍّ بالنَّفْسِ، ولا يعني أنَّ المَخلوقاتِ صارَتْ خارِجَةً عن وُجودِ الحَقِّ، وستعودُ مُجَدَّداً لتصيرَ داخِلَ الوجود. الأشخاصُ الَّذينَ يَطْعَنونَ بِهذا المَثَلِ على أهْلِ الوَحْدَةِ لم يفهَموا المَقْصود، وفي صُورَةِ كونِهِمْ بلا غَرَضٍ رُبَّما هُمْ مُصابون، وَرَغْمَ أنَّ فَهْمَ هذا المَطْلَبِ بِغايَةِ الإشكال، ولا يُمكِنُ حُصولُ إدراكٍ حقيقيٍّ لِهذا المعنى في العُقولِ الرَّسْمِيَّةِ، ولا تُدْرَكُ حقيقَةُ هذا الأمْرِ ولا يحصَلُ حاصِلٌ مِنْ بيانِهِ مِنْ دونِ مَوْهِبَةٍ إلهيَّةٍ، وعِنايَةٍ أزَلِيَّةٍ، وبصيرَةٍ قلبيَّةٍ، ورياضاتٍ كثيرَةٍ، وفُتوحٍ باطِنِيٍّ بِظُهُورِ نورٍ غَيبيٍّ، وإعراضٍ عَنِ الأغْراضِ الدُّنيويَّة، وأنا الفقيرُ سأكتُبُ، بِعَونِ اللهِ وعِنايَةِ أهْلِ خاصَّتِهِ، بَعْضَ السُّطورِ في هذا البابِ بِكمالِ الاِخْتِصارِ والانحِصار، لِرَفْعِ التَّوَهُّمِ مِنَ الأغيار.

قُلنا في جَميعِ المواضِع، حقيقَةُ واجِبِ الوُجودِ اللاَّبِشَرطيّة مُطْلَقَةٌ مِنْ جَميعِ التَّعَيُّناتِ والماهِيَّاتِ، ويجِبُ العِلْمُ أنَّ مَنْشَأَ انتِزاعِ ماهِيَّاتِ المُمْكِناتِ ليسَ إلاَّ حقيقَةً واحِدَةً، يعني الموجودُ الحقيقيُّ لا يُمكِنُ أنْ يكونَ غَيْرَ واحِدٍ مُطْلَقٍ يكونُ مَرْجِعَ جميعِ الكَثرات، وهُوَ بِنَفسِهِ موجودٌ، وبِحقيقَةِ نَفْسِهِ مُتَحَقِّقٌ، وحقائقُ الموجوداتِ ليسَتْ غيرَ اعتِباراتٍ صارَتْ ثانياً عارِضَ حقيقَةِ الوجود، بانتِسابٍ خاصّ وارتِباطٍ مُعَيَّنٍ. لم أقُلْ حقائقُ كُلِّ واحِدٍ مِنَ الموجوداتِ فَرْداً فَرْداً واحِدٌ. قُلْتُ لا حَقيقَةَ غَيْرُ حقيقَةٍ واحِدَةٍ، يعني الوجودُ الواجِبُ عَيْنُ جَميعِ الموجوداتِ لا عَينُ كُلِّ واحِدٍ مِنَ المَوجودات، ومَقصودُنا مِنْ حقيقَةِ الوُجودِ ذاكَ الَّذي يكونُ مُستَقِلاً بِنَفْسِه، حتَّى يستطيعَ أنْ يكونَ مَنْشَأَ انتِزاعٍ وآثار، وذاكَ ليسَ غَيْرَ واجِبِ الوُجود، وسائرُ الحقائقِ لا تَسْتَطيعُ أنْ تكونَ مَنْشَأَ انتِزاعِ وُجود، لأنَّها غَيْرُ مُستَقِلَّةٍ بِذاتِ نَفْسِها، بَلْ عوارِضُ وَمَحْضُ انتِسابٍ خاصّ وارْتِباطٍ خاصّ نِسْبَةً لِحَقيقَةِ واجِبِ الوُجود الَّذي هُوَ واحِدٌ وَمُطْلَقٌ وبسيطُ الحقيقَةِ، والحُكَماءُ يقولونَ عَنْ هذا الوُجودِ أنَّهُ تامٌ وَفَوقَ التَّمام، يعني كمالاتُهُ مِنْ نَفْسِهِ حاصِلَةٌ في نَفْسِهِ بالفِعْلِ وَغَيْرُ مُسْتَكْمَلَةٍ مِنَ الغَيْرِ بأيِّ شَيْءٍ وأيِّ أمْر؛ مَوجودٌ بوجودِ نَفْسِه، ثابِتٌ بِثبوتِ نَفْسِه، باقٍ بِبَقاءِ نَفْسِه، حَيٌّ بِحياةِ نَفْسِه، عَليمٌ بِعِلْمِ نَفْسِه، واحِدٌ بِوَحْدَةِ نَفْسِه، موجودٌ بِوجودِ نَفْسِه. وَحْدَتُهُ لَيْسَتْ عارِضَةً كي يُمْكِنَ أنْ يكونَ لَهُ شَريكٌ، وجودُهُ ليسَ مَورِدَ تَمَيُّزٍ مُمَيَّزٍ ليُتَصَوَّرَ لَهُ ضِدٌّ، ذاتُهُ ليسَتْ مَحَلَّ كَثْرَةٍ ليكونَ عِلْمُهُ واجِباً بِحُصولِ الصُّوَر، فيضُهُ لا يكونُ بإجحافٍ حتَّى يتجاوَزَ حَدَّ القابِلِيَّةِ أو يقِلَّ عَنْها. عَينُهُ غَيْرُ حادِثٍ ليتَغَيَّرَ بِحادِثَةٍ، وَحْدَتُهُ لَيْسَتْ عَدَدِيَّةً ليُفْتَرَضَ لَهُ ثانٍ وثالِثٌ، ظُهُورُهُ ليسَ وَضْعيّاً كي يتفاوَتَ بِغِيابِه، يعني خَفاؤهُ وَظُهُورُهُ مَحْضُ هَوِيَّتِهِ وَعَينُهُ، إرادَتُهُ ليسَتْ جُزافِيَّةً حتَّى تتعلَّقَ بِحيثُ لا يَجِبُ مِنْ شَيءٍ وبِغيرِ ذي مَحلّ. مُنَزَّهٌ عن ظَنّ ويقينِ الخَلْق، ومُقَدَّسٌ

عَنْ إدراكِ وفِكْرِ المُمْكِنِ، وأعلى مِنْ عِلْمِ وَعَقْلِ كُلِّ ناقِصٍ وكامِلٍ، وخارِجٌ عَنْ تَصَوُّرِ وقياسِ كُلِّ مَلَكٍ وَبَشَرِيٍّ، وخارِجٌ عَنْ ذِهْنِ وَفَهْمِ كُلِّ مُدْرِكٍ، الوجودُ كُلُّهُ لهُ، ولا وُجودَ غَيْرُهُ، صِرْفُ تَشبيهٍ في عَيْنِ التَّنزيهِ، وفي أصْلِ التَّنزيهِ مَحْضُ تَشبيه، لا جُزْءٌ ولا كُلٌّ ولا مُقَيَّدٌ ولا مُطْلَقٌ، ولا صِرْفُ شَيْءٍ ولا غَيْرُ شَيْءٍ، ولا داخِلٌ في الأشياءِ ولا خارِجٌ عَنْها، ولا شَبيهَ لهُ ولا نَظير، ولا تَبديلَ ينالُهُ ولا تَغيير، ***كُلَّ ما مَيَّزتُموهُ بأوهامِكُمْ في أدَقِّ معانيهِ مَخلوقٌ مِثْلَكُمْ وَمَرْدودٌ إلَيْكُم***، فإنْ قُلْتَ مَعَ هذِهِ الحالِ كيف يُمكِنُ التَّوَجُّهُ إلَيْه، قُلْتُ مِنَ الرَّبْطِ التَّامِّ الأكْمَلِ الَّذي للمَعلولِ بِذاتِ العِلَّةَ، وذلِكَ بالعَقْلِ ما كانَ طريقٌ للعَقْلِ، وبَعْدَ ذلِكَ بِنورِ الوُجود، الَّذي تَجَلَّى مِنْ ذاتِ الوُجود، وَجاءَ على القَلْب، وذاكَ خارِجٌ عَنْ تَحقيقِ المُحَقِّق، فَهُوَ تعالى شَأنُهُ مُنَزَّهٌ عَنْ أفْهامِ وأوهامِ الخَلْق، وعِلْمُ مَعْرِفَتِهِ مُقَدَّسٌ عَنْ حَوْصَلَةِ المُمْكِنِ، وُضِعَتْ علامَةٌ مِنْ مَعْرِفَةِ نَفْسِهِ وديعَةً في وُجودِ كُلِّ موجود، بِحَيثُ يعرِفُها كُلُّ شَخْصٍ بِمَحْضِ التِفاتِهِ إلَيْها. بالمَرْتَبَةِ الَّتي ظَنَّهُ بِها يراهُ، وحينَ الاِضْطِرارِ والاِحتياجِ يتَوَجَّهُ إلَيْه، ويَلْجَأُ إلَيْه. وهذا ليسَ بِقُوَّةِ العَقْلِ ولا بإشارَةِ القَلْبِ بَلْ بِتَشخيصِ المُوَحِّدِ العارِفِ، مِنْ شِدَّةِ ارتِباطِ وَكمالِ اتِّحادِ العِلَّةِ والمَعْلول، وإنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ هذا الذَّوقُ، ولَمْ تُصَدِّقْ هذا التَّحْقيقَ مَعَكَ الحَقُّ، لأنَّ فَهْمَ هذا المَطْلَبِ مَوقوفٌ على المَوْهِبَةِ الإلهِيَةِ، وهُوَ العالِمُ بِحَقيقَةِ الحال. وهذا القَدْرُ أيضاً إفاضَةُ العالي على الدَّاني، وإلاّ فمِنْ تِلْكَ الجِهَةِ لا طريقَ سِوى التَّحَيُّر.

إلهي أنا الذَّرَّةُ الفانيَةُ، أقولُ الكلامَ بِمِقدارِ وجودِ نَفْسي، وكُلُّ شَخْصٍ قالَ أيضاً قالَ بِوُسْعِ نَفْسِه، وذاتُكَ عنْ ذاكَ مُنَزَّهَةٌ فَهُوَ إدراكُ مَخلوقاتٍ، ولا يبلُغُ فَهْمُ أحَدٍ مِنَ المُمكِناتِ مِقْدارَ قَطْرَةٍ مِنْ بَحْرِ مَعْرِفَتِك. المَخلوقُ المُحتاجُ لأصْلِهِ ما يكونُ

ليستَطيعَ الحَديثَ عَنِ الخالِقِ الصَّمَد؟، إلاَّ أنْ يكونَ بالشُّكْرِ لِنِعْمٍ لا تُحْصى، وباعتِبارِ كُلَّ نِعْمَةٍ أكْثَرَ مِنْ قَدْرِ استِحقاقِ نَفْسِه، يعني يرى كُلَّ نِعْمَةٍ مَحْضَ كَرَمٍ، الأمْرُ بالعِباداتِ والنَّهْيُ عَنِ المَنْهِيَّاتِ أيضاً مَحضُ كَرَمٍ لِتصيرَ الخَيراتُ مَلَكَةً لِنَفْسِ العَبْد، وتزولَ الرَّذائلُ والشُّرورُ، وَتَصيرَ العوالِمُ جَميعُها فائِضَةً بِفُيوضاتِ الوجود، ومُلْتَذَّةً باللَّذَّاتِ الحقيقيَّةِ، ولا تَظَلَّ مَحْرومَةً مِنْ أيِّ خَيْر. وإلاَّ فَهُوَ عَنْ أفعالِ العِبادِ مُسْتَغْنٍ.

في بيانِ مراتِبِ الوجودِ وَمَعْرِفَةِ النَّفْس

في هذا البابِ عَرَضَ لي مِثالٌ مُناسِبٌ جاءَ في خاطِري سَأَشْرَحُهُ للخاصِّ والعامّ. مَعْمَلٌ كانَ دَورانُهُ بِقُوَّةِ البُخار كمعْمَلٍ لِغَزْلِ الخُيوطِ أو جِهازٍ مِنَ الأجْهِزَةِ النَّارِيَّةِ الكبيرَةِ، مِنْ مِثْلِ ما يصْنَعُ العُلَماءُ الطَّبيعيّونَ هذِهِ الأيَّام، بَعْضٌ رأيناهُ وَبَعْضٌ سَمِعْنا بِهِ مِنَ الآخَرين، المراتِبُ في ذاكَ مَعْلومَةٌ، والدَّقائقُ لأربابِ البَصيْرَةِ مَفْهُومَةٌ. في الاِبْتِداءِ كانَ نَظَرٌ دقيقٌ بِجُزْءٍ جُزْءٍ وواحِدٍ واحِدٍ مِنَ أسبابِ وآلاتِ ذاك، أجزاءٌ ضَعيفَةٌ وقَوِيَّةٌ، ودواليبُ دقيقَةٌ وغَليظَةٌ، وأشياءٌ صَغيرَةٌ وكَبيرَةٌ، بِأشْكالٍ مُخْتَلِفَةٍ، جُمِعَتْ إلى بَعْضِها جَمْعاً وَشُكِّلَتْ تَشكيلاً، ولِكُلِّ آلَةٍ عَمَلُها، ولها قياسُها ومِقْدارُها الخاصُّ، والأجْزاءُ تِلْكَ بِتَمامِها مُتَّصِلَةٌ بِبَعْضِها، ومِنْ كُلِّ واحِدٍ مِنْها كَيفيَّةٌ حاصِلَةٌ. مَجموعُ الهَيْكَلِ والهيأةِ، مُذَكِّرٌ بِمَرْتَبَةَ **الجِسْمِ** الَّذي هُوَ ظَرْفُ مَعانٍ وبواطِنَ كثيرَةٍ، وفي مَرْتَبَةٍ أُخْرى يكونُ النَّظَرُ الذَّكِيُّ مُتَوَجِّهاً لِهذا المَعْنى، أنْ أيُّ فِعْلٍ مِنَ الأفعالِ لِكُلِّ واحِدٍ مِنْ تِلْكَ الأجْزاءِ حِيْنَ الحَرَكَةِ بالتَّفصيلِ والإجمالِ، وإذا ما خَرَجَ ذلِكَ الجُزْءُ مِنْ تِلْكَ الجُمْلَةِ أيُّ نَقْصٍ يَرِدُ على ذلِكَ الهَيْكَلِ أو على أصْلِ العَمَل، في هذِهِ المَرْتَبَةِ تَذْكيرٌ بالطَّبيعَةِ والأفعالِ الطَّبيعِيَّةِ، ومَرَّةً أُخْرى نَظَرُ دقيقِ النَّظَرِ وتَفَطُّنُهُ بِقُوَّةِ

البُخارِ وَسَرَيانِهِ في جَميعِ هذِهِ الأجْزاءِ والأشياء، فهِيَ بِهِ مُتَحَرِّكَةٌ ومُتَطَوِّرَةٌ بِطَورٍ خاصٍّ وَوَضْعٍ مُعَيَّنٍ وهذِهِ إشارَةٌ إلى رُتْبَةِ **النَّفْسِ**، يعني الجَوْهَرَ البُخارِيَّ اللَّطيف، الَّذي هُوَ حامِلُ قُوَّةِ الحياةِ الطَّبيعِيَّة، وبِهِ قوامُ الحَسِّ والحَرَكَةِ الضَّروريَّين، والحَكيمُ يدعو ذاكَ **الرُّوحَ الحَيوانِيّ**، ويَعْرِفُهُ الواسِطَةَ ما بَيْنَ النَّفْسِ النَّاطِقَةِ والبَدَنِ العُنْصُرِيّ، وجاءَ ذِكْرُ ذلِكَ في القُرآنِ المَجيدِ بِالشَّجَرَةِ المُبارَكَة ***زَيْتونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ ولا غَرْبِيَّةٍ***، فالشَّرْقُ عالَمُ الأرواحِ المُجَرَّدَةِ، والغَرْبُ عالَمُ الأجسادِ الكَثيفَةِ، وَفَحْصُ نَظَرِ العاقِلِ عَميقِ الفِكْرِ وَسيعِ الصَّدْرِ بارتِباطِ واخْتِلافِ واتِّفاقِ الآلاتِ والأدَواتِ ونَظْمِ الحَرَكاتِ، الضَّروريَّةِ والقَسْرِيَّةِ، وَتَقْليبِ المقاماتِ الحالِيَّةِ والفِعْلِيَّة، أنْ القُطْنُ مِنْ أيِّ دُولابٍ مُحْتَلَج، وبِأيِّ وَضْعٍ مُنْتَسَج، وفي كُلِّ مكانٍ أيَّةَ رُتْبَةٍ وَجَدَ، وأيُّ دُولابٍ حَلَجَهُ، وَهَكَذا النَّارُ كَيْفَ صارَتْ بُخاراً، والبُخارُ بِأيِّ قِسْمٍ هُوَ مُهيجُ أشياءَ كثيرَةٍ، وأشياءَ مَبسوطَةٍ مُفَصَّلَةٍ بِآثارٍ مُعَيَّنَةٍ في العَمَل. هُنا انْتَقِلْ إلى مقامِ **القَلْب**، والقَلْبُ جَوْهَرٌ مُجَرَّدٌ، نورانِيٌّ وَلَطيفٌ، رَبَّانِيٌّ، مُدْرِكٌ للكُلِّيَّاتِ والجُزئيَّات، وواسِطَةٌ ما بَيْنَ الرُّوحِ والنَّفْس، الرُّوحُ مُدْرِكُ كُلِّيَّاتٍ مَحْض، والنَّفْسُ مُدْرِكُ جُزئيَّاتٍ فَقَط. وبِلِسانِ الحَكيمِ القَلْبُ كِنايَةٌ عَنِ العَقْلِ التَّفصيلِيّ، والرُّوحُ كِنايَةٌ عَنِ العَقْلِ البسيطِ الإجمالِيّ، فتكونُ النَّفْسُ بِمَنْزِلَةِ المِشْكاةِ والقَلْبُ بِمَنْزِلَةِ الزُّجاجَةِ والرُّوحُ بِمَنْزِلَةِ المِصباح كما وَرَدَ في **آيَةِ النُّور**.

نَرْجِعُ إلى المِثالِ المَذكور، بِنَظَرٍ جَديدٍ مُتَعَمِّقٍ بِحقيقَةِ النَّارِ، الَّتي بِحَرارَةِ نَفْسِها جَعَلَتِ الماءَ بُخاراً، وكانَ البُخارُ مَنْشَأَ جَميعِ هذِهِ الآثارِ وَجَميعِ هذِهِ الأطوارِ، ومَنْشَأَ كُلِّ اعتِبار. الماءُ بلا حَرارَةِ النَّارِ لا يَصيرُ بُخاراً، كي يَسْتَطيعَ البُخارُ أنْ يَسْرِيَ في مَنافِذِ الآلاتِ ومِنْ خِلالِ فُرَجِ الأشياءِ، ويستَطيعَ العَمَلَ بِقُوَّةِ

نَفْسِه، ويسْتَطيعَ إدخالَ الآلاتِ في العَمَل، لِذا نَسْتَطيعُ القَوْلَ أنَّ مُحَرِّكَ ومُهَيِّجَ هذِهِ الجُمْلَةِ هُوَ النَّارُ، وحرارَتُها تَتَظاهَرُ سِرَّاً أو جَهْراً، بِأطوارٍ مُخْتَلِفَةٍ، وهذِهِ القُوَّةُ النَّارِيَّةُ مَوجودَةٌ في تَمامِ المَوجوداتِ بِعيانٍ واستِتار، والحَرَكَةُ الجَوهَرِيَّةُ يعني القَهْرِيَّةَ وأيضاً الحَرَكاتُ الإرادِيَّةُ كائنَةٌ مِنْ تِلْكَ القُوَّة. في هذِهِ المِرْتَبَةِ كُنْ حاضِرَ **الرُّوح**، وصارَ تَعْريفُ الرُّوحِ بالإجمال. ومِنْ جَديدٍ يكونُ نَظَرُ المُحَقِّقِ على النَّتيجَةِ الأصْلِيَّةِ والعِلَّةِ الغائيَّة، أنِ المَقْصودُ مِنَ النَّارِ والبُخارِ الَّذي هُوَ أصْلٌ، ومِنْ هذا المَعْمَلِ وهذا العَمَلِ الَّذي هُو بآنٍ أصْلُ الثّباتِ ما هُوَ؟، أمَحْضُ صَنْعَةٍ هُوَ أمْ هُناكَ ضِمْنَ الصَّنْعَةِ باعِثٌ مُخْتَفٍ جَعَلَ الأُستاذَ الحَكيمَ يُهَيِّئُ جَميعَ هذِهِ الأسبابِ بِهذا الوَضْعِ المَخْصوصِ الَّذي كانَ في عِلْمِهِ ويَجْعَلُها ظاهِرَةً مِنْ عِلْمِه؟، في هذِهِ الحالِ كُنْ مُلْتَفِتاً لأسرارِ مَعْنى **السِّرِّ** الَّذي هُوَ مِنْ مراتِبِ الوُجودِ والمقاماتِ السَّبْعَةِ الباطِنِيَّة، وهُوَ لَطيفَةٌ وَجَدَ بِها كُلُّ شَيْءٍ اختِصاصَ الشَّيئيَّةِ مِنَ الحَقِّ في الإيجادِ، ***إذا أرادَ شَيئاً أنْ يقولَ لَهُ كُنْ فَيَكون.*** والتَّعْبيرُ عَنْ ذلِكَ يكونُ بالولايَةِ المُطْلَقَةِ، ومقامِ الجَمْعِ وأحَدِيَّةِ ذاتِ اللهِ تعالى شَأنُهُ، وهُوَ عِلَّةُ قوامِ ونَظامِ الأشياء. الإرادَةُ والإقبالُ والمَيْلُ والحُبُّ لِكُلِّ شَيءٍ هُوَ لأجْلِ شَيءٍ مِنْ أثَرٍ وإشارَةٍ مِنْه، اختياراً أو اضْطِراراً، والسَّالِكُ في هذا المقامِ يصيرُ عارِفاً بِنورانِيَّةِ الوُجود، ومُستَغْرِقاً في بَحْرِ الولايَةِ بِنِسيانِ نَفْسِه.

في هذِهِ اللَّحْظَةِ أُلْهِمْتُ مِنْ باطِنِ الوَلِيِّ المُطْلَقِ لَطيفَةً في ***وَيُطْعِمونَ الطَّعامَ على حُبِّهِ مِسْكيناً وَيَتيماً وَأسيرَاً،*** النَّفْسُ هِيَ المِسْكينُ والقَلْبُ هُوَ اليَتيمُ والرُّوحُ هِيَ الأسيرُ في البَدَنِ، مِنْ هذِهِ المَرْتَبَةِ وَجَدَتِ الفَيْضَ، وتآنَسَتْ وائتَلَفَتْ مَعَ كُلِّ هذا التَّبايُنِ، ومِنْ هذِهِ المَرْتَبَة يكونُ استيفاءُ حُقوقِ المَراتِبِ وأداءُ حَقِّ كُلِّ

واحدٍ كما ينبغي، في رَفْعِ الاِحْتياجِ بِحَسَبِ الحال. لِهذا في حَقِّ ولايَةِ جَنابِ المآب، عَلَيْهِ صَلَواتُ اللهِ المَلِكِ الوَهَّاب، الَّتي هِيَ مُتَصَرِّفَةٌ بالعُقولِ والنُّفوسِ الكُلّيَّة، ومُقَلِّبَةٌ لقُلوبِ المُؤالِفِ والمُخالِف، نَزَلَتْ هذِهِ الآيَة، وبِهذا المَعنى أيضاً ***فَأَمَّا اليتيمَ فلا تَقْهَرْ، وأَمَّا السَّائلَ فلا تَنْهَرْ***، يعني لِهذا الَّذي عَبَرَ مِنْ مراتِبِ النَّفْسِ والقَلْبِ، في الفَرْقِ بَعْدَ الجَمْعِ الَّذي هُوَ مقامُ النُّبُوَّةِ، أنْ يقومَ بِحِفْظِ مَراتِبِ النَّفْسِ والقَلْبِ المَذْكورَةِ، وأنْ يكونَ ساعِياً في تكميلِ النُّفوسِ والقُلوب، ويَجْعَلَ الخَلْقَ مُتَذَكِّرِينَ لِهذِهِ المقاماتِ، وحاضِرِينَ عليها، والحَمْدُ للهِ على فَهْمِ المَطَالِب. ومُجَدَّداً نَظَرَ الكامِلُ إلى كَمالِ الأُستاذِ، الشَّخْصِ الفاعِلِ، وَوُجودِهِ الَّذي ظَهَرَتْ بِمُقْتَضاهُ قُدْرَتُهُ وَحِكْمَتُهُ فكانَ إظْهارُ هذِهِ الصِّفاتِ والآثارِ جَميعاً، وهذِهِ إشارَةٌ إلى مَرْتَبَةِ **الخَفاء**، إذا كُنْتَ واقِفاً على الاِصْطِلاحِ والعِبارَةِ عَنْ مقامِ العَقْلِ الكُلّيّ والفَيْضِ الرَّحْمانِيّ والنُّورِ البَسيطِ والظُّهُورِ المُطْلَقِ والعِلْمِ الذَّاتِيّ للوُجودِ في الأعْيانِ الثَّابِتَةِ للمَوجوداتِ على حَقيقَةِ الوُجودِ على كَمالِ الهَوِيَّة. ومُجَدَّداً نَظَرَ العارِفُ إلى ذاتِ العِلَّةِ، يعني إلى الوُجودِ الفاعِلِ الَّذي تَظاهَرَ في ذرَّاتِ هذِهِ الأسبابِ والآلاتِ والحَرَكاتِ والتَّطَوُّراتِ جَميعاً. بالحَدِّ الَّذي تُشاهِدُ فيهِ كُلَّ واحِدٍ مِنْ تِلْكَ الأشياء، ترى فاعِلَهُ، إلى دَرَجَةِ أنْ تَسْتَطيعَ القَوْلَ أنَّ ذاكَ الفِعْلَ عَيْنُ الفاعِل، وأنَّ ذاكَ المَعْلولَ عَيْنُ العِلَّة، وهذِهِ إشارَةٌ إلى مَرْتَبَةِ **أخْفى**. يَعْني الوُجودَ المُطْلَقَ الَّذي وُجِدَتِ المَوجوداتُ بِوُجودِه، وأعْطى الكَمالَ في كُلِّ مَرْتَبَةٍ ***فإنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفى*** يعني أنَّهُ عالِمٌ بِسِرِّ المَوجوداتِ وحقائقِ الأشياء، كحقيقَةٍ بَسيطَةٍ واحِدَة.

أدْرِكْ ها هُنا **لَطيفَةَ**، ***ثُمَّ دنى فَتَدَلَّى، فَكَانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى***. القَوسانِ عِبارَةٌ عَنْ قَوْسَيِ النُّزولِ والصُّعودِ وإتْمامِ دائرَةِ الإمكان. دَقيقو الفِكْرِ المُنْصِفونَ

فَهموا ما قُلْتُ ضِمْنَ المِثالِ وأيُّ تَحْقيقٍ كانَ هُناكَ. نُكْتَةٌ واحِدَةٌ لَمْ تُتْرَكْ. إذا وَجَدْتَ كفاكَ، وإنْ لَمْ تَجِدْ كفاني. المِنَّةُ لِذاتِ المَعْبودِ أنَّ ذاكَ الَّذي كانَ مَكْنونَ خاطِرِ هذا الفَقيرِ المِسكينِ صارَ ظاهِراً بِفَضْلِهِ وَمَوْهِبَتِه. **واللهُ المُوَفِّقُ وهُوَ المُسْتَعانُ.** وكانَ مُناسِباً في هذا المَقامِ بيانُ الأنوارِ والأطْوارِ السَّبْعَةِ، إلاَّ أنَّ الفَقيرَ عَنْ بيانِهِ احتاطَ. وذلِكَ لأنّ قَبولَ هذا المَطْلَبِ مَوقوفٌ على ذَوقِ دَرويشٍ عالٍ فاهِمٍ لِلدَّقائقِ وعالِمٍ بالإشارَةِ ومِقْدام. هذا القَدْرُ الَّذي أمكَنَ لَنا بَيانُهُ، قُلْناهُ ضِمْنَ المِثالِ وبالكِنايَةِ مِنْ أجْلِ تَشويقِ السَّالِكين.

خاتِمة

المِنَّةُ للهِ ذي الجودِ الَّذي جَعَلَ أسرارَ وَحقائقَ العِرْفانِ مُنْكَشِفَةً مِنْ لِسانِ هذِهِ الذَّرَّةِ العاجِزَةِ قَليلَةِ القَدْرِ الفانِيَةِ، بِقَدْرِ ظَرْفِيَّةِ الزَّمانِ وَسَعَةِ الوَقْت. كُنْ حاضِرَ قُدْرَةِ الخالِقِ، الَّذي يَقْدِرُ على فَتْحِ أبوابِ المعاني حَيْثُما شاءَ مِنْ مكانٍ، الَّذي قَدِرَ أنْ يَجْعَلَ جارياً، مِنْ لِسانِ مِثلي أنا الَّذي لا حَدَّ لِضَعْفي وَحقارَتي، ولا مِقْدارَ لِذِلَّتي وَمَسْكَنَتي، هذا البيان. لَو لَمْ يَقُمْ هذا الفَقيرُ بِإظْهارِ ذاكَ الَّذي أُعْطِيَ كانَ ناكِراً، وإنْ لَمْ تَعْتَرِفْ باخْتِصاصِ هذِهِ الكَلِماتِ كُنْتَ مَجْهُولاً. خُصوصِيَّةُ هذا الكِتابِ أظْهَرُ مِنْ أنْ يبقى مَستوراً عَنْ شَخْصٍ، أو أنْ يستَطيعَ إخْفاءَهُ مُغْرِضٌ، وأنْ يُغَطِّيَ الشَّمْسَ بالطِّين. وما لي مِنْ غَرَضٍ مِنْ ذِكْرِ هذا المَطْلَبِ أيضاً. عِنايَةُ الحَقِّ تعالى تَكْفيني مِنْ كُلِّ شَيْء. أكْثَرَ مِنْ أنْ يُستطاعَ عَدُّهُ أو تَحْريرُهُ بالقَلَمِ، نَجَّاني مِنَ المهالِكِ والمفاسِدِ، الَّتي على الظَّاهِرِ كانَ الخلاصُ مِنْها مُمْتَنِعاً، ومِنْ قَبْلِ أنْ أقَعَ مُضْطَرَّاً في أنواعِ العَجْزِ، هَبَّ نَسيمُ لُطْفِهِ وَوَهَبَني النَّجاةَ مِنْ وَرْطَتي، ***وَكَفَّ أكُفَّ السُّوءِ عَنِّي بِيَدِهِ وَسُلْطانِه***. ومِنْ بِدايَةِ عُمُري إلى الآنَ في كُلِّ وَقْتٍ ولِكُلِّ حاجَةٍ تَكَرَّمَ عَلَيَّ، وقامَ بِكِفايتي في

المُهِمّاتِ مِنْ قَبْلِ وَقْتِ حاجَتي، فَقَدْ كانَ يَعْلَمُ وَيَرى مَولاهُ بِلا عَجَب، وشُغْلُ صَفِيّ غَيْرُ مُحتاجٍ للجِهَةِ والسَّبَب، وأنتَ أيضاً لَو جِئتَ إلى نَفْسِكَ ساعَةً، وَتَفَكَّرْتَ في نَفْسِكَ الَّتي هِيَ كِتابُ تَوحيدِ الحَقّ تعالى، صَدَّقْتَ مِنْ دونِ تَأَمُّلٍ في المراتِبِ المَذْكورَة، وذلِكَ لأنَّ التَّوحيدَ في الأشياءِ فِطْرِيٌّ، وخُصوصاً في الإنسانِ الأشْرَف. وأولئكَ المُنكِرونَ أيْضاً مُحِقُّون، فَقَدْ أَغْلَقوا العَيْنَ فهُمْ لا يَرَون، ويعرِفونَ عَدَمَ رُؤيَتِهِمْ دليلَ زيادَةٍ في عَقْلهِم وَفَهْمِهِم، غافِلينَ عَنْ أنَّ الشَّمْسَ تَسْطَعُ في كُلِّ زُجاجٍ بِلَوْنِهِ، كما في الحديثِ القُدُسيّ: **أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدي بي،** يَعني أنا في الطَّوْرِ الَّذي تَظُنُّني فيهِ نِسْبَةً لِنَفْسِك، يعني أنا لا طَوْرَ لي إلى أنْ يكونَ طَوْرُك. مِنْ نِيْلِ الوَحْدَةِ اشْرَبِ الماءَ أوِ الدَّمّ، لِشَمْسِ الحَقيقَةِ أدِرِ الوَجْهَ أوِ الظَّهْر.

شِعْر

قالَ النَّبِيُّ أنا مِرآةٌ مَصْقولَةٌ يرى فِيَّ نَفْسَهُ التُّركِيُّ والرُّومِيُّ

تَمَّ الكِتاب

رسالة

أسرار المعارف

لمولانا ميرزا حسن صفي عليشاه

(قَدَّس اللهُ سِرَّهُ العزيز)

ترجمة د. علي عبّاس زليخة

بسم اللهِ العليّ الأعلى

أي عزيز، هذا كِتابُ تَصَوُّفٍ كتَبْتُهُ أنا الفقيرُ صفيعلي بِمَوهِبَةٍ غَيْبيَّةٍ، وإشارَةٍ قُدْسيَّةٍ، حَتَّى لِأجْلِ أهْلِهِ، إذا وُجِدُوا في الدَّهْرِ يكونَ رأسَ خَيْطٍ ومُوْجِبَ تَشويقٍ للطَّالبينَ أولي الهِمَّةِ العالِيَة.

أمَّا نَصيحَتي لَكَ فَأَنْ لا تَحومَ حَوْلَ هذا الأمْرِ أَبَداً، وأنْ لا تُعْطِيَ النَّفْسَ للتَّلَفِ بالهَوَس، وأنْ تَقْنَعَ باعْتِبارِكَ التَّصَوُّفَ كمالاً، وَعَدِّ أهْلِهِ كِراماً، وَمَحَبَّتِهِم، وذاكَ لَكَ كافٍ. لأنَّ التَّصَوُّفَ على مِثالِ جَوْهَرَةٍ في قَعْرِ بَحْرٍ مُحيط، عُمْقُهُ بِطُولِ عُمْرِ الآدَمِيّ، وتَكْثُرُ حَوْلَ أصْدافِهِ التَّماسيح. وَبَديهِيٌّ أنَّ مِثْلَ هذا الجَوْهَرِ لا يُمكِنُ الحُصولُ عَلَيهِ بِمَحْضِ الإدِّعاءِ والتَّصَوُّر.

كبيرٌ الفَرْقُ ما بَيْنَ الفِكْرِ والوُصول

ورَغْمَ أنَّ حُصُولَهُ، بِزَعْمِ الفَقيرِ، مَوقوفٌ على المَوْهِبَةِ، فَقَدْ ذُكِرَتْ لِتَحْصيلِهِ شَرائطُ، ولا يُمْكِنُ العَمَلُ بِتِلْكَ الشُّروطِ مِنْ دونِ تأييداتٍ إلهِيَّةٍ وعِناياتٍ أزَلِيَّةٍ. وَمِنْ جُمْلَةِ تِلْكَ الشُّروطِ، التَّخَلّي عَنِ الرُّوحِ والمالِ والآمال، وهذا هُوَ الأصْلُ الأعْظَمُ، وكثيرونَ تَرَكوا الرُّوحَ وَلَمْ يستَطيعوا القَصْدَ إلى هذا المَقْصود، وماتوا على ساحِلِ هذا البَحْر. وَشَرْطٌ آخَرُ للمُريدِ هُوَ أنْ يكونَ غَوَّاصاً، وعارِفاً بِكَيفِيَّةِ الغَوْصِ والنُّزولِ في هذا البَحْر، وعارِفاً بِوَقْتِ الغَوْصِ، وبِمَكانِ الغَوْصِ، ومُنْتَبِهاً لِتَدْبيرِ دَفْعِ التَّماسيح، وَعَليماً بِهِ، وَمَطْلوبٌ مِنْهُ أنْ يكونَ لَهُ نَفَسُ أسماكِ البَحْر، حتَّى إذا طالَ زَمانُ غَوْصِهِ لا يتْعَبُ، ولا يتَوَقَّفُ في الطَّريق، ومَطلوبٌ مِنْهُ قُوَّةُ القَلْبِ فلا يَضْطَرِبُ مِنْ هَيْبَةِ البَحْرِ وَتَلاطُمِ الأمواجِ، وَتَلزمُهُ البَصيرَةُ لِيُمَيِّزَ بالنَّظَرِ الأصدافَ الَّتي بِها الجواهِرُ مِنْ غَيْرِها مِنَ الأصْدافِ،

وَطَوْرُ النَّفَسِ وكيفَ يتَنَفَّسُ في الماءِ فلا يَتْعَب، وأنْ يكونَ مُطَّلِعاً على وَضْعِ ووقْتِ ومكانِ الغَوْص، فلا تَقْذِفَهُ امواجُ البَحْرِ مِنْ نُقْطَةٍ إلى أُخرى، وأنْ لا يخشى هُجومَ أحياءِ البَحْر، ولا يَضْطَرِبَ مِنْ شِدَّةِ عُمْقِ البَحْرِ، ولا يَقَعَ بالوَهْم.

وهذا شُغْلُ رَجُلٍ لا كالرِّجالِ الَّذينَ ترى، وآدَمِيٍّ مِنْ غَيْرِ هؤلاءِ الآدَمِيّينَ الَّذينَ تَظُنّ.

ومِنْ بَعْدِ طَيِّ هذِهِ العَقَبات، وحِفْظِ المقامات، فإنَّ الأمْرَ مَوقوفُ الطَّلَبِ مِنَ اللهِ أنْ يكونَ قِسْمَةً ونَصيباً.

فإذا وُفِّقَ شَخْصٌ لِهذا النَّوعِ مِنَ السَّعْيِ والطَّلَبِ مَنَ الحَقّ تعالى، فالأغْلَبُ أنْ يَصِلَ إلى المَقْصودِ ولا يبقى بلا نَصيب، إلاَّ إذا كانَ هُناكَ قُصورٌ وَغَفْلَةٌ في المُقَدّمَة، فلا تحصَلُ النَّتيجَة.

ونادِراً ما وَقَعَ أنْ نالَ شَخْصٌ هذِهِ الدَّولَةَ، وَحَصَلَ على هذِهِ الجَوْهَرَةِ فراحَ يتَحَدَّثُ بِذلِكَ إلى النَّاس، والمُدَّعونَ الأنانيُّونَ يتنازَعونَ، أنْ أنا الصُّوفيُّ لا أنت!، غافِلينَ عَنْ أنَّ الصُّوفِيَّ يُظْهِرُ نَفْسَهُ كَمَنْ لا جَوْهَرَ عِنْدَهُ، ولا يكونُ للنَّاسِ احتِمالٌ بِأنَّ عِنْدَهُ الجَوْهَر.

الشَّخْصُ الَّذي وَجَدَ الكَنْزَ لا يقومُ أبَداً بإظْهارِه، بَلْ يَسعى لإخفائهِ وَدَفْعِ ظَنِّ النَّاسِ عَنْهُ، ولا مَجالَ لِقيامِهِ بالغَوغاءِ، أنْ أنا الَّذي وَجَدْتُ الكَنْزَ لا غَيري.

قُمْ بالتَّصَوُّرِ كيفَ يُمكِنُ الذَّهابُ في ذلِكَ البَحْرِ، والوُصولُ إلى تِلْكَ النُّقْطَةِ، وَكَيْفَ يُمْكِنُ الغَوْصُ، وكيفَ يُمكِنُ مَعْرِفَةُ تِلْكَ الصَّدَفَةِ، وَكَيْفَ يُمكِنُ استِخراجُ الجَوْهَرَةِ والحُصولُ عليها.

(حُصولُ هذا الأمْرِ مُنْحَصِرٌ بِأَصْلَيْنِ وَأَلْفِ شَرْط:)

الأصْلُ الأوَّلُ، التَّخَلِّي عَنِ الرُّوحِ وَتَرْكُ الآمالِ الدُّنيويَّةِ والأُخْرَوِيَّةِ والمُراداتِ الظَّاهِرِيَّةِ والباطِنِيَّةِ بالمَرَّة.

الأَصْلُ الثَّاني، طَلَبُ دَليلٍ يكونُ عارِفاً بِمَكْرِ أحياءِ البَحْرِ، ومُنْتَبِهاً لِتَدْبيرِ دَفْعِ التَّماسيح.2

أيِ عَزيزُ: كُنْ قانِعاً بِمَحَبَّةِ هؤلاءِ القَومِ بإخلاص، ولا تَكُنْ طالِبَ سُلوكِهِم، فالوُصولُ إلى هذا المَقصودِ مُشْكِلٌ، والحُصولُ على الدَّليلِ المُطَّلِعِ مُشْكِلٌ، فَتَقَعَ في الإباحَةِ، وَتَتْرُكَ المَنْزِلَ والدُّكَّان. وإنْ كُنْتَ ترى في نَفْسِكَ الهِمَّةَ لِتَحصيلِ ذلِكَ بالشَّرائطِ المَذْكورَةِ، فَنِعْمَةُ تَوفيقٌ.

لكِنَّني لا أرى ذلِكَ مُمْكِناً لَك، فحتَّى مَعَ وُجودِ المُرْشِدِ الكامِلِ، لا يَصِلُ واحِدٌ مِنَ الألْفِ مِنَ الأشْخاصِ للمُرادِ، فأيُّ مَجالٍ لِمَنْ لَمْ يَجِدْ مُرْشِداً، وإنْ وَجَدْتَ مُرشِداً فَقَدْ يكونُ كما رأينا بلا خَبَرٍ، كذا كانَ الحالُ في كُلِّ عَصْرٍ، كما سَطَّرَ المشايخُ في كُتُبِهِم ورسائلِهِم، فقد كانوا في عَناءٍ وضيقٍ مِنْ هؤلاءِ الأشْخاص، أمَّا في هذا العَصْرِ فالدَّعاوى بلا حَقيقَةٍ أكْثَرُ، وما مِنَ التَّصَوُّفِ بَيْنَ النَّاسِ غَيْرُ الاِسْم:

"هؤلاءِ المُدَّعونَ في طَلَبِهِ بلا خَبَرٍ، وَمَنْ حَصَلَ لَهُ الخَبَرُ لَمْ يَجِئْ مِنْهُ خَبَرٌ"

إلهي إنْ كُنْتَ تُريدُ أنْ تُجازِيَ **صَفِيّ** قَهْراً بِسَيِّئاتِه، فلا تَجْعَلْهُ مَفضوحاً في أنظارِ المُدَّعين.4

إلهي العَظَمَةُ صِفَتُكَ، والكبيرُ اسمُكَ، نِسْبَةُ عِصيانِ نَفْسي للعَظَمَةِ غَلَطٌ، أو أنْ أجِدَ مَعاصِيَّ كبيرَةً. أيُّ وُجودٍ للخلائقِ كُلِّها في جَنْبِ عَظَمَتِك، وما قَدْرُ عَمَلِ هذا الفاني، أنا خَجِلٌ مِنْ طَلَبِ عَفْوِكَ العَظيمِ جِهَةَ سَيِّئاتي الحقيرَة، في جَنْبِ رَحْمَتِكَ ما قَدْرُ ذُنوبِ الثَّقَلَين: *"كُلُّ الخَلْقِ مِنْ كَرَمِكَ مُنْتفِعٌ، مَعَ كَرَمِكَ ما يُساوي جُرْمي"، "فَضْلُكَ ما دامَ باعِثَ إيجادِنا، طَلَبُ العُذْرِ مِنْكَ للذَّنْبِ خَطأٌ".*5

حالُ الدَّرويشِ خارِجٌ عَنْ ذلِكَ، أصَدَّقَ كلامَهُ شَخْصٌ أم كَذَّبَ، خُصوصاً شَخْصٌ مِنْ خَلْقِ هذا العَصْرِ الَّذينَ إذا استَحْسنوا كلاماً نَسَبوهُ لأنْفُسِهِم، أو قالوا عَنْهُ كلامُ القُدَماءِ ولا يَملِكُ طلاوَةً، وإذا لَمْ يَقَعْ الكلامُ مُوافِقاً لِمَذاقِ هؤلاءِ، قاموا بالطَّعْنِ بِهِ بِتَوَهُّمِهِم الفاسِدِ، أو بِتَقليدِ بَعْضِهِم لِبَعْض، أو قاموا بِتَكفيرِ صاحِبِهِ، وقد رأينا أشْخاصاً لا يَعْرِفونَ متى يجوعونَ ومتى يَشْبعونَ، ينتَقِدونَ مُحْيِي الدِّين ابن عَرَبي، أنْ هُوَ قائلٌ بِوَحْدَةِ الوُجود، وجاعِلٌ وُجودَ الحَقّ مَعَ وُجودِ الخَلْقِ واحِداً!.

ثُمَّ جماعَةٌ لَمْ يكُنْ لَهُمْ في عُمْرِهِم كُلِّهِ فِكرٌ بِغَيْرِ الطَّعامِ واللِّباسِ، ولم يكُنْ لَهُمْ وَرَعٌ عَنْ حلالٍ أو حَرامٍ، قاموا بِإظهارِ العِرْفانِ، بالدِّفاعِ عنْ مُحْيي الدّين، وَنَقْدِ رُكْنِ الدِّين سَمناني، أنْ هُوَ لَمْ يَفْهَمْ مَعنى الوُجودِ المُطْلَقِ وقامَ بالطَّعْنِ على محي الدّين بلا رَبْط.

والحالُ أنَّهُ لا يجيءُ في مَئةِ قَرْنٍ واحِدٌ كعلاءِ الدّولَةِ السَّمنانيّ، والدَّهْرُ لا يَذْكُرُ واحِداً مِثْلَ محي الدّين. أولئكَ تَوَهَّموا أنفُسَهُمْ أيضاً مِنْ مُدَرِّسي المَعقولِ والمَنقولِ، وهُم أخذوا القُوتَ مِنْ رائحَةِ مَطْبَخِ الجار، فانبَرَوا ناطِقين.

ما يعلمونَ عَنْ محي الدّين بِأيَةِ حالٍ قالَ بالوجودِ المُطْلَق، وعن علاءِ الدَّولَةِ بأيَّةِ مُلاحَظَةٍ ونَظَرٍ نفاه.6

آمِرُ خِطَّةِ العِشْقِ والسِّلسِلَةُ المُحَرِّكَةُ لِحَلْقَةِ الفَقْرِ، قالَ لضَميرِ هذا المُصابِ بالحَيْرَةِ، أنْ قَدْ مَنَنَّا على روحِكَ بِسَلْطَنَةِ الفَقْر، وَجَعَلْنا طَريقَكَ صافِياً مِنْ غُبارٍ يَعْلَقُ بِثَوبِ خيالِكَ، فاشْكُرْ هذِهِ النِّعَمَ مِنَّا عَلَيكَ، الظَّاهِرَةَ والباطِنَةَ، والَّتي لا سَبيلَ لِلفِكْرِ لإحصائها، وألْقِ ثَوبَ الصَّمْتِ عَنْ كَتِفِ الحَيْرَةِ، واصقلِ الخاطِرَ مِنْ قالِ وقيلِ الجاهِلين، وتَحَدَّثْ بِما عَلَّمْناكَ بلا مُلاحَظَةِ الجاهِلينَ، حديثاً مُفيداً لِكُلِّ شَخْص. ولا تَخَفْ ولا تَخْشَ مِنْ دَنِيِّ هِمَّةٍ يُعْرِضُ عَنِ الإنصافِ بِوَجْهِهِ، ويرى قَوْلَكَ وَضيعاً مِنْ قُصورِ فَهْمِهِ، وَضيقِ نَظَرِه، أو أنْ يقولَ قَصيرو النَّظَرِ هذا نَوعٌ مِنْ مقالاتِ المُخادِعينَ الَّذينَ نَشَروا الشِّباكَ بِقَصْدِ التَّعَيُّشِ وَطَلَباً لِلتَّفَوُّق!.

قُلْتُ: أي مَولايَ أنتَ تْعْلَمُ أنِّي لا أرى مِنَ الخَلْقِ أحَداً، ولا أسْمَعُ القَوْلَ مِنْ سِواك، ولا أُفَكِّرُ بِمُقْبِلٍ وَمُنْكِرٍ، الحسودُ ظَنَّ أنَّهُ أنكَرَني وَجَفاني ولا يَدري أيَّ صَوتٍ أسْمَعُ مِنْ لِسانِه.

جَعَلْتَني بِحالِ التَّشْويقِ إذْ أرَدْتَ بلا واسِطَةِ الغَيْر، وَنَبَّهْتَني مِنَ الغَفْلَةِ إذْ أرَدْتَ بِلِسانِ الخَلْق، وهذا مِنْ ذاكَ، فمِنْكَ لا يجيءُ غَيْرُ الخَيْر.

أنتَ تَعْلَمُ أنّي لا أُصانِعُ الخَلْقَ، وأغارُ مِنَ التَّكَلُّمِ بِوَصْفِكَ لِغَيْرِك، وأخْجَلُ مِنْ اِسْمِكَ إذْ أُجْرِيْهِ على لِساني، وأغارُ مِنْ ذِكْرِكَ إذْ أُمِرُّهُ على قَلبي، وأطْلُبُ العُذْرَ مِنْ هذا، وأستَغْفِرُكَ وأضَعُ التُّرابَ في فَمي، وأستَجيرُ بِكَ مِنْ أنْ يسوءَ أمري، وَتَرْفَعَ السِّتْرَ عَنْ عَمَلي، وَتَنْفِضَ ثوبي لِيَظْهَرَ ما فيه، ويراهُ النَّاسُ، وَيقذِفونَني

بالحِجارَةِ، ويُشْعِلونَ بِيَ النَّار، وما تَفْعَلُ نارُ الخَلْقِ بي وَلَمْ يبقَ جُزْءٌ مِنْ بَيْدَري لَمْ يَحْتَرِقْ!، لا أدري ما أقولُ، عِنانُ القَلَمِ أفْلَتَ مِنْ يدي وَذَهَبَ مكاناً آخَرَ." **حيناً يذْهَبُ عاشِقاً وَحيناً أريباً".**

العالَمُ مِنْ غَوغاءِ العِشْقِ ملآنٌ، والأسرارُ خارِجَةٌ مِنَ الحِجابِ، وجارِيَةٌ على ألسُنِ الكائناتِ، ولكِنْ لا سَميع!، الخلائقُ كُلُّهُمْ نائمونَ، وأطْفالُ الدُّنيا باللَّعِبِ مُنْتَشون، والأغنامُ في مَرْتَعِ الطَّبيعَةِ مَشْغولَةٌ بالرَّعْي!. وَسواءً قُلْنا المعارِفَ بلا حِجابٍ، أم قُلنا الحديثَ مُغَلَّفاً، العارِفُ واعٍ، والغَريبُ في أُذُنِهِ قِطْنُ الغَفْلَةِ، لكِنَّ غَيْرَةَ العِشْقِ صارَتِ المانِعَ لإفشاءِ السِّرِّ، وَوَضَعَتْ قِفْلَ الشَّريعَةِ على لِسانِ الدَّرويش.

قالوا لِمَنصور قُمْتَ بِكَشْفِ الأسرارِ وَجَزاؤكَ القَتْل، رَغْمَ أنَّ هذا كانَ تَعِلَّةً لِقَتْلِه، وَعَلَّقوهُ على المَشْنَقَةِ لِعِلَّةٍ أُخْرى!.

أنتَ نَفْسُكَ تَدْري لِمَ قَتَلْتَ الحلاَّج، وأحْرَقْتَهُ، وَلَمْ تَدْفِنْ رَمادَهُ، بَلْ أعطَيْتَهُ لِريحِ الفناء.

صفي لَمْ يبقَ في مكانِهِ، وَقَدْ وَضَعوا عِلْمَ هذا في صَدْرِهِ، وَعَلِمَ لِمَ سَجَدَتِ الملائكَةُ لآدَمَ، ولِمَ لَمْ يَسْجُدْ إبليس، وَأوْرَدَ مُنْيَتَه.

طَلَبْتَ الغَوغاءَ في المجالِسِ فَوَجَدْتَ!، الصُّوفِيُّ والزَّاهِدُ ذَهَبا، صارَ إقرارٌ، وَصارَ إنكارٌ، أيُّ حَدٍّ لإبليسَ لِيَأبى السُّجودَ لآدَمَ مِنِ بَعْدِ الأمْر!، مَنْ هذا الواقِفُ أمامي رافِعاً عَلَيَّ السَّيْفَ مُجَرَّداً وَيَقول، إذا رَفَعْتَ الحِجابَ عَنْ هذا السِّرِّ سَأَقْطَعُ رَأْسَك؟، أنا لا أخافُ مِنْ ذلِكَ وَأنا مِنَ الرُّوحِ في ضيق:

((سَأَذْهَبُ راقِصاً إلى تَحْتِ سَيْفِ غَمّكَ))، لكِنْ لا أقولُ خِلافَ الأمْرِ، ولا أفْعَلُ، أنتَ أعْطَيْتَ الإدراكَ، وأنتَ تَعْرِفُ مِقْدارَ كُلِّ شَخْصٍ، اللِّسانُ بإشارَةٍ مِنْكَ قائلٌ، أنْتَ مِنْ كُلِّ ثناءٍ أعلى، وَعَنْ كُلِّ مَديحٍ مُسْتَغْنٍ، صَفِيٌّ مَنْ هُوَ لِيَتَحَدَّثَ عَنْ ذاتِكَ وَصِفاتِك، في حَمْدِكَ أنا حَيرانُ، ولا أَعْرِفُ الكلام، والخَلْقُ لا يَعْرِفونَ كلامي، ما أقولُ، وَلِمَنْ أقولُ:

(ألا أي مَغْرِبِي أقِلَّ الحَديثَ مَعَ رَجُلِ الصَّحراء، فالصَّحْراويُّ لا يَعْرِفُ لِسانَ أهْلِ البَحْر)

ثُمَّ أيْنَ ذَهَبْتُ وماذا قُلْتُ، ما أفْعَلُ بِيَدي؟، ما شُغْلُ هذا الحَيْرانَ الَّذي لا خَبَرَ لَهُ عَنْ النَّفْسِ بِهذِهِ الأحاديث؟، أنا مَنْ أكونُ لأُظْهِرَ مَعْرِفَةً، أو أعْرِفَ مَطْلَباً، أو أكونَ آلَةً، إنْ كانَ جَرى السَّهْوُ مِنّي فلا تأْخُذْني بِجَهْلي وَفَقري، ما طَلَبْتَ كانَ، وما أرَدْتَ يَكونُ: *(أنْتَ إلهٌ ولا إلهَ إلاَّ أنت)*.

شاهِدُ حالي أنْتَ، لا أملِكُ قُدْرَةَ سَيْرِ السَّموات، وَسَماعِ ذِكْرِ الرُّوحانِيّات، فأيُّ مَجالٍ لِيَقومَ فَيْلَسوفٌ بِمَدْحي، بلا وُقوفٍ على أمْري، أو يقومَ بالقَدْحِ بي.7

جَماعَةٌ مَشغولونَ بالأخبارِ والاِجْتِهاد ، يقومونَ بِنَقْلِ الحديثِ عَنِ الكُلَيْنِي وابنِ عبّاس، وَجَماعَةٌ تَعَلَّقَ طَبْعُهُمْ بالفَلْسَفَة، وطائفَةٌ جاءَ القَوْلُ والسَّماع مُوافِقَ طَبْعَهِم، وطائفَةٌ بلا إرادَةٍ وَخِدْمَةٍ، مِنْ دُونِ أنْ يكونوا وَصَلوا للخِدْمَةِ الكامِلَةِ، أو تَحَمَّلوا المَشَقَّةَ، يظُنُّونَ أنْفُسَهُم عارِفينَ وأولياءَ واصِلينَ للحَقيقَة، خُصوصاً إذا ما أميرٌ أو وزيرٌ صارَ مُريداً لَهُم، وأظْهَرَ الوُثوقَ بِهِم، وهذا غَيْرُ مُخْتَصٍّ بِزَمانِنا، فقد كانَ هؤلاءِ الأشخاصُ مَوجودينَ في كُلِّ عَصْرٍ، وكم أظْهَرَ الأكابِرُ في كُتُبِهِم ضيقَ الصَّدْرِ مِنْ هؤلاء، ولِقَدْرِ ما عانَوا مِنْ أصحابِ هذِهِ النُّفوسِ،

لَمْ يعُدُّوهُمْ مِنْ سائرِ الفِرَقِ الَّتي ذُكِرَت، بِما لا أحْتَمِلُ بيانَهُ، العاقِلونَ يعْرِفونَ وكفى.8

يَجِبُ العِلْمُ أنَّ النَّاسَ على عِدَّةِ أقْسامٍ:

فقِسْمٌ عوامٌّ، والعوامُّ مَجْموعَتان، مَجْموعَةٌ أربابُ عِزَّةٍ، يعُدُّونَ أنْفُسَهُمْ مِنَ الخواصِّ، وَيَظُنُّونَ أنْفُسَهُم عُلَماء، وهُمْ عَنْ جَهْلِ أنفُسِهِم بلا خَبَرٍ، لأنَّ شَخْصاً لَمْ يَقُلْ لأحَدِهِمْ أبَداً أنْتَ لا تَعْلَمُ، أو أنَّ ما نَطَقْتَ بِهِ كانَ خَطَأً، تَرَبَّوا في الجَهْل، يقولونَ الكلامَ بِمَيْلِ أنْفُسِهِم، أو بِتَقْليدِ أمثالِهِم، حتَّى وَصَلوا إلى مَرْتَبَةِ إنكارِ البديهيّاتِ كالمَبْدَأِ والمَعادِ والمَعارِفِ والمَعْقول.

يَرَونَ مُراعاةَ النُّفوسِ وإنصافَ الخَلْقِ والإحسانَ إلى المساكينِ تَبْذيراً للمالِ وَخِفَّةً في العَقْل، وتمامَ المَلَكاتِ والكمالاتِ مِنْ هذا القبيل.

وإذا كانَ لبَعْضِهِم حُسْنُ فِطْرَةٍ وَقُوَّةُ ذِهْنٍ، وَاستَمَعوا الكلامَ بِحَقٍّ، ذَهَبوا بالغَلَطِ، وَجَعَلوا سَليقَةَ أنْفُسِهِم المُستَقيمَةَ عَوجاء.

قِسْمٌ آخَرُ مِنَ العوامِّ، هُمْ أواسِطُ النَّاسِ أو الأداني، وهُمُ أسْلَمُ لأنَّهُمْ مَشغولونَ بالمَشاغِلِ الدُّنيَوِيَّةِ، ومُعْتَرِفونَ بِجَهالَةِ أنْفُسِهِم، أغْلَبُ حَديثِهِمْ عَنِ كَسْبِهِمْ وَتِجارَتِهِم، ولا يطلُبونَ التَّعَدّيَ عَنْ مِقْدارِ أنْفُسِهِم،(قَولُ كلامِ الحَقّ لِكُلِّ واحِدَةٍ مِنْ هاتَيْنِ الطَّائفَتَيْنِ والفِرْقَتَيْنِ بلا حاصِل).9

أمَّا الخَواصُّ، يعني أربابَ العِلْم، فإنَّهُم أيضاً مُتفاوِتون، البَعْضُ مِنْهُمْ قَشْرٌ مَحْضٌ، ولا يلتَفِتونَ لِحديثِ أهْلِ الفَقْرِ والتَّصَوُّف، إلاَّ أنْ يكونَ التِفاتاً بِعِلَّةٍ،

يعني بِمُلاحَظَةِ الخَوفِ والأمَل!، والبَعْضُ الآخَرُ الَّذينَ لا يقْتَنِعونَ بالظَّاهِرِ المَحْض، وَيَتَكَلَّمونَ بالمَعْنَويَّاتِ، هُمْ أيضاً مُخْتَلِفونَ مِنْ حَيْثُ المَشْرَب.10

الصُّوفِيُّ شَخْصٌ عَلِمَ عِلْمَ الحقائق، وقامَ بِتَفْعيلِ تِلْكَ المعاني في النَّفْسِ بالقُوَّة.

المُرْشِدُ المَنصوبُ مِنَ الحَقِّ شَخْصٌ أعْطَوْهُ مِفتاحَ القُلوبِ بِيَدِهِ، يعني يستَطيعُ أنْ يفْتَحَ بابَ القَلْبِ في وَجْهِ كُلِّ شَخْصٍ بِمِقدارِ ما يشاءُ، وفي كُلِّ نَفَسٍ يستَطيعُ أنْ يكونَ مُطَّلِعاً على حالِ المُريد.

الدَّرويشُ شَخْصٌ يستَطيعُ العُبورَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ وَشَرٍّ في الطَّريقِ بالجَلَد، ولا يرى التَّوقُّفَ في أيِّ مقامٍ، مُنخَفِضاً كانَ أمْ عالياً.

العارِفُ شَخْصٌ لا يرى شَيئاً سِوى الحَقّ، ولا تَعودُ نَفْسُهُ مِنْ ذاكَ مَعْروفَةً لَه.

الواصِلُ شَخْصٌ لا يَذكُرُ الغَيْرَ إلى حَدٍّ أنْ لا يكونَ لَهُ مَيْلٌ إلى شَيْءٍ مِنَ الأشياءِ المُمْكِنَة.11

فوائدُ هذا الكِتابِ كثيرَةٌ: يستطيعُ تمييزَ الأصْلِ مِنَ البَدَلِ، والتَّفريقَ بَينَ العارِفِ والمُدَّعين.12

ما دامَ التَّوفيقُ الإلهِيُّ شامِلاً ونِعْمَةُ الحياةِ حاصِلَةً يَجِبُ عَدَمُ تِرْكِ الحواسِّ مُهْمَلَةً.13

شَرْحَ أحوالي سَأَلَني رَفيقُ أَلَمي، الَّذي كانَ رَجُلاً في الفَضْلِ والكمالاتِ والمعاني؛
سَأَلَ عَنْ أحوالِ فَقيرٍ عَنْ نَفْسِهِ بلا خَبَرٍ، مُخْتَفٍ في رُكْنٍ مِنَ الدُّنيا ومِنْ بابٍ لِباب؛
أصْلي مِنْ مَدينَةِ العَدَمِ الَتي اسْمُها الأعيان، وفيما هُناكَ كُلُّ وُجودِنا إعدام؛
كُلَّ نَفَسٍ يَصِلُني مِنْ عالَمِ الأعيانِ خِطابٌ، أنْ ذاكَ الَّذي كانَ مُبتَداكَ هُو مُنْتَهاكَ؛

كما في هذهِ النَّشْأةِ إنْ كانَ لَكَ جَدْوَلُ إدراكٍ، أنتَ حَيٌّ بالرِّيحِ وبُنيانُكَ على التُّراب؛ الرِّيحُ سَوفَ تَأخُذُكَ أخيراً إلى العَدَم، تَجْعَلُكَ في لَحْظَةٍ تَحْتَ التُّرابِ كالأفعى؛ 14

البَعْضُ مُعْتَرِفونَ بِنَوعِ الفُقَراءِ لا بِشَخْصٍ، بِحَيْثُ لَو أُوتُوا بأسماءَ أَلْفٍ مِنَ المُرْشِدين، لَمْ يُعطوا احتِمالَ الكَمالِ لِواحِدٍ مِنْهُم، فيما يَرونَ أَنْفُسَهُمْ وافِري الفَهْم، عِرفانُهُم مُنْحَصِرٌ بِقِراءةِ كُتُبِ المَثْنَوي وحافِظ وأمثالِ ذلِك.

البَعْضُ الآخَرُ يُقَلِّدونَ المُرشِدينَ، وَيَرَونَ هذا المَعْنى على التَّقْليدِ مُوجِبَ نَجاحٍ في أُمورِهِم الدُّنْيَويَّةِ، وَقَدْ صارَ هذا باعِثاً لأنْ يَكْثُرَ مُرْشِدو الطَّريقَة، ولِيَكونَ بَعْضُهُم عدوَّاً لِبَعْضٍ ونقيضاً كامِلاً أيضاً!15

اِعْلَمْ أنَّ للاِنقيادِ والعُبودِيَّةِ الحقيقيَّةِ، المُنفَصِلَينِ عَنْ جِهاتِ الأنانِيَّةِ وأغراضِ الخَوفِ والطَّمَعِ، خَمْسَةَ أُصولٍ:

الأَصْلُ الأوَّلُ، حُضورُ العَبْدِ في خِدْمَةِ المولى في كُلِّ الأوقاتِ مِنَ اللَّيْلِ والنَّهارِ، حُضوراً حيناً بِأمْرِ المولى، وحيناً بِمَحْضِ المَحَبَّةِ مِنَ النَّفْسِ، وهذا الأصْلُ يُدعى بلسانِ الشَّريعَةِ **الصَّلاة**.

الأصْلُ الثَّاني، كَفُّ النَّفْسِ عَمَّا يجْعَلُ العَبْدَ في كَسَلٍ عَنِ حُضورِ المولى، وأكثَرَ بُعْداً عَنِ الحُضور، كالتَّسامُحِ في الأكْلِ والشُّرْبِ والأعمالِ لازِمَةِ النَّفْس، حتَّى يكونَ مُهَيَّأً أسرَعَ للحُضورِ والخِدْمَةِ، وذاكَ بِلِسانِ الشَّرْعِ يُدْعى **الصِّيام**. وذاكَ أيضاً حيناً بِأمْرِ المَولى، الَّذي أمَرَ أنْ يَجِبُ عَلَيكَ أنْ تَتْرُكَ الأعْمالَ لازِمَةَ النَّفْسِ غَداً وتكونَ حاضِراً، أو تُحَرِّمَ الرَّاحَةَ عَلى نِفْسِكَ اللَّيْلَةَ وَتَصيرَ مَشْغولاً بالخِدْمَةِ الفُلانِيَّة.

وحيناً بلا أمْرِ المَولى، يعني يُشَدِّدُ العَبْدُ ويُضَيّقُ على النَّفْسِ مِنَ العِشْقِ وإرادَةِ النَّفْسِ ويصيرُ حاضِراً في الخِدْمَة.

الأصْلُ الثَّالِثُ، صَرْفُ مالِ المَولى المُعْطى لَهُ في طَريقِ مَحَبَّةِ المَولى، وذاكَ بِلِسانِ الشَّرْعِ يُدْعى **الزَّكاة**. وذاكَ أيضاً إمَّا بِأَمْرِ المَولى أو بِمَيْلِ النَّفْس. فأمَّا ذاكَ الَّذي بِأمْرِ المَولى فهُوَ ادْفَعِ القَدْرَ الفُلانيَّ مِنَ المالِ لعِبادي الفُقراء، وهُوَ **زكاة**، وإنْ أعطى بمَيْلِ النَّفْسِ للأحبابِ وعَبادِ المَولى *فَعَطاءٌ أو إيثارٌ*، وذاكَ يكونُ على قَدْرِ المَحَبَّةِ حَتَّى يُعْطِيَ كُلَّ ما يَمْلِك.

الأصْلُ الرَّابِعُ، مَعْرِفَةُ مراتِبِ العُبودِيَّةِ واستِخلاصُ نِكاتِ وَدَقائقِ الإرادَةِ، إذْ بِمُراعاةِ تِلْكَ الحُدودِ يَصِلُ العَبْدُ لأعلى دَرَجَةِ قُرْبٍ وَهذا يُدْعى **الحَجّ**.

الأصْلُ الخامِسُ، مَحَبَّةُ أهْلِ البيتِ وخواصّ وأتباعِ المولى على قَدْرِ مراتِبِهِم وذاكَ بِلِسانِ الشَّرْعِ يُدْعى **الولايَة**.

العُبودِيَّةُ في كُلِّ زمانٍ وكُلِّ شَريعَةٍ غَيْرُ خارِجَةٍ عَنْ هذِهِ الأُصولِ الخَمْسَةِ، وشاهِدُ هذا المَقالِ حَديثُ (بُنِيَ الإسلامُ على خَمْسٍ:الصَّلاةُ والصِّيامُ والزَّكاةُ والحَجُّ والولايَة).

ولقد كانَ مَدارُ كُلِّ شَرْعٍ على هذِهِ الأُصولِ الخَمْسَة، وهذِهِ الأُصولُ لَمْ تَتَفاوَتْ ولا تَتَفاوَتُ بِتَفاوُتِ الشَّرائع، فاسْتَمِعْ إلى تَفْصيلِ كُلِّ واحِدَةٍ مِنْ هذِهِ المراتِبِ الخَمْسِ بِكمالِ الوُضوحِ ونِهايَةِ الإخْتِصار، كَيْ تكونَ واقِفاً على مَعْنى وَصُورَةِ وباطِنِ وظاهِرِ ذاك.

أمَّا الأصْلُ الأوَّلُ الصَّلاةُ فَلَها خَمْسَةُ أركانٍ(القيامُ والقُعودُ والرُّكوعُ والسُّجود).
أضْرِبُ مَثَلاً مِنَ الخارِجِ ينتَفِعُ بِهِ الخاصُّ والعامُّ: العَبدُ الَّذي يكونُ حاضِراً بِحُضورِ الملِكِ المُقْتَدِر، واحِدٌ مِنْ رُسومِ حُضورِهِ القِيام.

مَعْنى القيامِ الاِستِقامَةُ في طريقِ الإرادَةِ والإخلاصُ، والاِسْتِغْراقُ المَحْضُ في مُشاهَدَةِ جَمالِه، حتَّى الوُصولِ إلى دَرَجَةِ مَحَبَّتِه، وَمِنَ المُمْكِنِ أنْ يكونَ عَبْدٌ في الظَّاهِرِ حاضِراً، وحالُهُ كما لَو كانَ في غيابِ المَولى، ومِنَ المُمْكِنِ أنْ تَصيرَ هذِهِ الحالَةُ في غيابِ وَحُضورِ المَولى مَلَكَةً لَهُ، وهذا مَوقوفٌ ومُنْحَصِرٌ بِفَرْطِ المَحَبَّة.

أمَّا القُعودُ فَنُزولٌ مِنْ مَرْكَبِ النَّفْسِ والأنانِيَّةِ، وَتَذَكُّرُ عَجْزِ النَّفْسِ وَقُدْرَةِ المَولى، وأنْ يَجْلِسَ أمامَ قَدَمِهِ، يعني أنْ يكونَ عارِفاً مِقْدارَ عُبودِيَّتِهِ ومُلْتَفِتاً إلَيْها.

قالَ المولوي: *ذاكَ الحَكيمُ عَذبُ الحَديثِ سَبَّ، فارِساً لَمْ ينزِلْ مِنْ مَرْكَبِ البَدَن*

إذا كُنْتَ في حالِ الصَّلاةِ ناظِراً النَّفْسَ ومُعْجَباً ومُرائياً فَأنتَ لَمْ تُصَلِّ أبَداً، وإذا كُنْتَ على خِلافِ ذلِكَ فأنتَ في الصَّلاةِ حَتَّى في النَّوم، فَصُورَةُ القُعودِ الجُلُوسُ، ومعناهُ التَّحَقُّقُ بِحقيقَةِ هذا المَعْنى.

أمَّا الرُّكوعُ فَصُورَتُهُ التَّعْظيمُ، وَمَعناهُ الخُضوعُ وخُشوعُ القَلْبِ والانكِسارُ وإظهارُ العَجْزِ والذِّلَّةِ والمَسْكَنَةِ والضَّعْف.

أمَّا السُّجودُ فَحقيقَتُهُ إطاعَةُ الأمْرِ والتَسْليمُ الصِّرْفُ لِحُكْمِ المولى، وامتِحانُ هذا مَعْنى السَجْدَةِ لآدَمَ، فافْهَمْ.

ظاهِرُ هذِهِ الصَّلاةِ مُخْتَلِفٌ باختِلافِ الشَّرائع، وأصْلُها غَيْرُ قابِلٍ للاِخْتِلاف، وَوَضْعُ ظاهِرِها مَوقوفٌ على تَعْيينِ الشَّارِع، وهذِهِ الصَّلاةُ هِيَ بِحَيْثُ إذا قُبِلَتْ قُبِلَتِ الأعْمالُ كُلُّها، وإذا رُدَّتْ رُدَّتِ الأعْمالُ كُلُّها، ومُقَدَّمَتُها الطَّهارَةُ مِنَ الأرجاس، وَكَما أنَّ الطَّهارَةَ في صُورَةِ الصَّلاةِ واجِبَةٌ، فإنَّ الطَّهارَةَ مِنْ أرجاسِ الباطِنِ واجِبَةٌ أيضاً في الصَّلاة، واختلالُها مُنافٍ لِعُبودِيَّةِ العَبْدِ نِسْبَةً للمولى، وإعْمالُها مُسَدِّدُ طَرِيقِ الإخلاصِ والمَحَبَّةِ والافتِقار، المُرادُ مِنْ هذا البيانِ صلاةُ الشَّفَةِ وتَطبيقُ صُورَةِ تِلْكَ على حَقيقَةِ وَمَعنى ذاك.16

السُّلوكُ اللاّئقُ للسَّالِكِ مَعَ عُمومِ النَّاسِ، أنْ لا يكونَ لَهُ مُناظَرَةٌ مَعَ أحَدٍ بِغَيرِ الوَجْهِ الأحْسَن، وذلِكَ في أيِّ بابٍ، وخُصوصاً في أمْرِ المَذْهَب، وأنْ لا يَحتَقِرَ أيَّ مَذْهَبٍ عِنْدَ أهْلِهِ، ولا يَذُمَّهُ.17

إذا فَجْأَةً تَعَدَّيْتَ مِنْ نَظْمِ المُلْكِ، وَوَضْعِ الخَلْقِ أنْتَ خامٌ وَضالٌّ؛ سُلوكُ المَعْنى يكونُ كامِلاً، وَقْتَ يكونُ الباطِنُ للظَّاهِرِ مُعادِلاً؛ السُّلوكُ إنْ كُنْتَ تامَّ الرِّجالِ هُوَ أنْ، لا تَخْطُوَ خُطْوَةً واحِدَةً على الخِلاف 18

قانونُ إخْوَةِ الطَّريقِ، حَيْثُ كانوا مِنْ بَلَدٍ، أنَّهُمْ إذا تَأذَّى أحَدُهُمْ مِنَ الآخَرِ يَعْفونَ إذا كانَ العَفْوُ مُمكِناً، وإنْ لَمْ يكُنْ فعلى الأقَلِّ لا يَقولُ أحَدُهُمُ السُّوءَ بالآخَر، ولا يشتكونَ للغَيْرِ فَيَجْتَرِئَ النَّاسُ عَلَيْهِم، وإذا صارَ واحِدٌ مِنُهُمْ مُتواتِرَ الخِلافِ، أو مُظْهِراً للاِعْتِقادِ بِغَيْرِ اعتِقادٍ تَرَكوهُ، لا راوَدُوهُ، وتَحدَّثوا عَنْهُ بالسُّوءِ في المجامِعِ والمَجالِس.19

في المَدَنِيَّةِ يَجِبُ الاِتِّفاقُ مَعَ عُمومِ النَّاسِ، والسَّعْيُ في سَتْرِ الأسرارِ وَحِفْظِ المُعْتَقَدات.

فِي أَمْرِ المَذْهَبِ لا يُباحُ النِّزاعُ والجَدالُ مَعَ أيِّ شَخْصٍ، إلاَّ أنْ يكونَ بِطَريقِ بيانِ القرائن. المُخالَفَةُ في أَمْرٍ اتَّفَقَ النَّاسُ عَلَيْهِ تُوجِبُ النَّكْبَةَ والذِّلَّةَ، وتؤدّي إلى سُقوطِ صورَةِ الظَّاهِرِ في النَّظَر.

مَعْنى السُّلوكِ مَعَ الخَلْقِ أنْ لا يُؤَدِّيَ السُّلوكُ السَّيِّئُ إلى اختِلالِ الحالِ، ونُقْصانِ المالِ، وأذى الأهْلِ والعِيال.20

أي عَزيزُ، أنْتَقِلُ بِكَ إلى نُكْتَةٍ أُخْرى، في إيرانَ أَغْلَبُ النَّاسِ مِنْ عالٍ وَدانٍ مُخْتَلِطونَ بَعْضُهُم بِبَعْضٍ، ومُرْتَبِطون، وَمَعَ ذلِكَ يَنْدُرُ أنْ يكونَ في مَجْلِسٍ واحِدٍ نَفَرانِ أو ثلاثَةُ أنفارٍ على طَريقَةٍ واحِدَةٍ وَمَشْرَبٍ واحِدٍ، مِنْ هذِهِ الجِهَةِ عقائدُ النَّاسِ مُشْتَبِهَةٌ، ومُتَداخِلَةٌ، لأنَّ الواحِدَ مِنْهُمْ يَأْخُذُ مِنَ الآخَرِ مِنَ الكلامِ والحَديث، ولَيْسَ لأَغْلَبِهِمْ عِلْمٌ بِتَمييزِ المَشارِبِ والفِرَقِ في الإعْتِقاداتِ والعَمَل، كم كانَ مِنْ شَخْصٍ عَمَلُهُ مَعلومٌ، وَمَشْرَبُهُ مَفْهومٌ، قامَ بِإظهارِ الإراداتِ بِطائفَةٍ مَخْصوصَةٍ، وإنْ كانَ لَهُ مَعَ شَخْصٍ طَرَفُ حديثٍ في المقاماتِ المَذْهَبِيَّةِ وقالوا كلاماً بِخِلافِ مُعْتَقَداتِ مَذْهَبِهِ قامَ بالإصرارِ والجِدال، وكم مِنْ شَخْصٍ لا يَعْرِفُ عقائدَ طَريقَتِه.21

أَذْكُرُ لَكَ أوصافَ أهْلِ الطَّريقَةِ والإنسانِ كامِلِ الصِّفَةِ لِتَكونَ عَلامَةً للعارِفينَ وإرشاداً للطّالبين.

1- لا يكونُ مُسْتَبِدّاً بالرَّأيِ ولا مُتَهَوِّراً.

2-لا يُظْهِرُ تَمَنّي امتِلاكِ العِلْمِ وَكمالِ المَقام.

3-لا يقولُ الكلامَ بِوَقاحَةٍ لِشَخْصٍ، ولا يَتَكَلَّمُ كثيراً، ولا يَطْعَنُ ولا يَسْتَسْخِرُ ولا يُغْرِضُ ولا يُجادِلُ، ولا يقولُ بلا ثَمَرٍ، ولا يقولُ ما لا يَعْلَمُ، ولا يقولُ لَغْواً.

4-لا يأكُلُ حراماً، ولا يأكُلُ كثيراً، ولا يأكُلُ مُشْتَبِهاً، ولا يأكُلُ حَتَّى يِشْبَعَ، ولا يأكُلُ وحيداً ما أمْكَنَ، ولا يأكُلُ الطَّعامَ مَعَ مُنْكِرِ المَذْهَبِ والطَّريقَةِ، ولا يأكُلُ مَعَ السَّكْرانَ، والمَجنونِ، والجُنُبِ، والنَّجِس.

5- لا ينامُ في الأسحارِ، ولا ينامُ كثيراً، ولا ينامُ جُنُباً، ولا ينامُ في مكانٍ آخَرَ، ولا ينامُ مَعَ العَدُوِّ، ولا ينامُ مَعَ مُنْكِرِ دينِهِ في مَنْزِلِ غَيْرِهِ، ولا ينامُ في مَنْزِلٍ فيهِ سَكرانٌ أو مَجنونٌ.

6-لا يُصغي لِتُهْمَةٍ وغِيْبَةٍ ولَغْوٍ وَكَذِبٍ وحديثِ صِدْقٍ باعِثٍ على مَفْسَدَةٍ.

7-لا يَهْتِكُ حِجابَ صَديقٍ ولا عَدُوٍّ بأيِّ عَيْبٍ.

8-لا يخونُ في الأسرارِ والأماناتِ أحَداً مِنْ مُؤالِفٍ ومُخالِفٍ.

9-لا ينظُرُ بِاحْتِقارٍ لأيِّ مَخلوقٍ بِأيَّةِ جِهَةٍ.

10- لا يُقَدِّمُ نَفْسَهُ على الآخَرينَ في أيِّ خَيْرٍ.

11-لا ينظُرُ إلى جُزئيَّاتِ الطَّريقَةِ سَهْلَةً.

12- لا يتَكَلَّمُ عَنْ شَرَفِ النَّاسِ بِأيِّ مُحَرَّمٍ لِغَريب.

13- لا يؤذي ولا يَسُبُّ شَخْصاً.

14- لا يَرُدُّ مُحتاجاً أتاهُ في حاجَةٍ.

15- لا يَعِدُ شَخْصاً وَعْداً لا يَقْدِرُ على الوفاءِ بِه.

16- لا يُعاهِدُ شَخْصاً عَهْداً لا يستَطيعُ أنْ يُحافِظَ عَلَيْه.

17- لا يُكَلِّفُ أحَداً تَكليفاً فوقَ طاقَتِه.

18- لا يشكو مِنْ شَخْصٍ نَقَضَ عَهْدَ الأُخُوَّةِ.

19-لا ينتَقِدُ أُخْوَةَ الطَّريقِ لِكُلِّ تَرْكِ أَدَبٍ.

20-النِّعَمُ الإلهِيَّةُ على الإنسانِ لا نِهايَةَ لها ليستطيعَ العِبادُ أداءَ حَقِّ شُكْرِها.

أمَّا الشَّخْصُ الَّذي هُوَ في خلاصٍ مِنْ هذِهِ القُيودِ الخَمْسَةِ فَيَجِبُ عَلَيْهِ أنْ يَعْرِفَ ذاكَ نِعْمَةً عظيمةً، وأنْ لا يَغْفَلَ عَنْ حَمْدِ اللهِ، فالغَفْلَةُ تُوجِبُ الإبْتِلاء، وإذا ابْتُلِيَ الشَّخْصُ بِواحِدٍ مِنْ هذِهِ القُيودِ فَعَلَيْهِ اللُجوءُ إلى اللهِ. فإمَّا أنْ تَأْخُذَ بِيَدِهِ مَرْحَمَةُ مُرْشِدٍ فَتَسْتَخْلِصَهُ، أو يَذْهَبُ حَيْثُ (ذَهَبَتِ العَرَبُ وَلَمْ تَرْجِعْ).

أوَّلُ قَيْدٍ هُوَ الفَتْوى(للبَعْضِ مِنَ المُفْتين)، بِما أنَّ مَدارَ عَمَلِ هذا المُفْتي المِسكينِ كانَ على المَظَنَّةِ والقِياس، وكانَ بِحقيقَةِ كُلِّ أمْرٍ جاهِلاً، وكانَ بالمُنى النَّفْسانِيَّةِ لِسائرِ النَّاسِ شَريكاً، علاوَةً على حُبِّ الجاهِ والكَونِ مُقَدَّماً، وهُوَ أدْنى دَرَكاتِ النَّفْس، فهُوَ لا يرى شَيْئاً مِنَ الدُّنيا الدَّنيئةِ إلاَّ تَمَنَّاهُ، وَعَمِلَ الحِيَلَ الشَّرْعِيَّةَ للحُصولِ عَلَيْه، وإذا لَمْ يَحْصَلْ عَلَيْه، أمضى عُمْرَهُ حَسْرَةً عَلَيْه!.

*وهذا القَيْدُ بِأَقْسامٍ، وبِأشْكالٍ مُخْتَلِفَةٍ، وليسَ مِنَ الواجِبِ ذِكْرُها جَميعاً!.

23–أيْ عَزيز، كَثْرَةُ أقوالِ النَّاسِ ترمي بالحَيْرَةِ، وتُوقِعُ في التَّعطيل. أقولُ لَكَ أصْلَ المَطلوبِ مِنْ دونِ ادِّعاءٍ بِشَكْلٍ مُخْتَصَرٍ، وأُحَرِّرُك مِنْ قالِ وقيلِ النَّفسِ الطَّويل.

24–اعلَمْ أنَّ الانتِقالَ مِنْ نُقصانِ الوجودِ إلى كمالِ العِرفانِ في قَوْسِ الصُّعودِ مَخصوصُ الآدَميّ، وكذا إدراكُ معنى الآدَميَّةِ والفائدَةِ الأصْليَّةِ مِنْ خَلْقِ العالَم.

تَحصيلُ الآدَميَّةِ مُنْحَصِرٌ بِشَيئينِ اثنَيْن: أَحَدُهُما الآدابُ الظَّاهِرِيَّةُ وهُوَ ما يُقالُ لَهُ الشَّرْع، والآخَرُ الأخلاقُ الباطِنِيَّةُ وهُوَ المُسَمَّى التَّصَوُّفَ أو الطَّريقَة.

فائدَةُ الشَّريعَةِ أنَّها تَحْفَظُ المَدينَةَ آمِنَةً مِنْ فِتْنَةِ اللُّصوصِ والعيَّارينَ وتعَدّي الغُرَباءِ وَتَعَدّي أهْلِ المَدينَةِ بَعْضُهُمْ على بَعْض، حتّى يمضيَ النَّاسُ في شؤونِ حياتِهِم في راحَةٍ واطْمِئنانٍ، فإنَّ المَدينَةَ إذا صارَتِ غَيْرَ آمِنَةٍ لا يَعُودُ لِمُتَحَرِّكٍ فيها قُوَّةُ حياةٍ، ومِنْ تِلْكَ الجِهَةِ فإنَّ صاحِبَ المُلْكِ الَّذي وَضَعَ الشَّريعَةَ حَكَمَ بِقَتْلِ الشَّخْصِ الَّذي عصى قانونَ المَدَنيَّةِ وتعدَّى نَظْمَ المَمْلَكَةِ، والمُلْكُ لا ينتَظِمُ مِنْ دونِ سِياسَةٍ، ولا يكونُ أمْنٌ بلا رئيسٍ لائقٍ، يعرِفُ كَيفَ يَحْفَظُ دَستورَ الرَّعِيَّة.

أمَّا الطَّريقَةُ فكَسْبُ الأوضاعِ الإنسانِيَّةِ، وَنَفْيُ الأخلاقِ والأفْعالِ الحَيَوانِيَّةِ، وكما تَمَيَّزَ الإنسانُ عَنْ سائرِ الحَيَواناتِ بالأعضاءِ الظَّاهِرِيَّةِ، يجِبُ عَلَيْهِ أيضاً التَّمَيُّزُ عَنِ الحَيوانِ بالأخلاقِ الباطِنِيَّة، ومِنْ دونِ ذلِكَ لا يُمكِنُ أنْ يُقالَ لَهُ آدَمِيٌّ، بَلْ هُوَ حَيَوانٌ بِصُورَةِ إنسانٍ، ولَو أنَّهُ جُمِعَتْ فيهِ تمامُ أخلاقِ الإنسانِ إلاَّ خُلُقاً مِنَ الحَيوانِ واحِداً بقِيَ فيهِ لَظَلَّ بَعيداً عَنِ الإنسانيَّةِ بِمِقْدارِ ذلِكَ

الخُلُق، فلَو كانَ عُضْوٌ مِنْ أعضاءِ إنسانٍ شبيهاً بِعُضوٍ مِنْ أعضاءِ حَيَوانٍ قالوا عَنْهُ عُضْوُهُ مِثْلَ عُضْوِ ذلِكَ الحَيَوان.

إذَنْ فالإنسانُ الَّذي تَمْلِكُ روحُهُ في هذِهِ النَّشْأةِ صُورَةَ إنسانٍ، وهُوَ مُحتالٌ، إذا انتَقَلَ مِنْ هذِهِ النَّشْأةِ، وَتَحَرَّرَتْ روحُهُ مِنْ هذا البَدَنِ العُنْصُرِيِّ، ظَهَرَ في البَرْزخِ على شَكْلِ ثَعْلَبٍ، والمُؤذي يَظْهَرُ على شَكْلِ حَيَّةٍ أو عَقْرَبٍ، وهكذا، وإنَّ الشَّخْصَ الَّذي عَيْنُ بَصيرَتِهِ مَفتوحَةٌ، يرى كما لو كانَ في البَرْزَخِ وَهُوَ في عَيْنِ هذا البَدَنِ، كما قالَ زَيْدٌ للنَّبِيِّ(ص): أرى أصحابَكَ وَمَنْ هُوَ مِنْ أهْلِ الجَنَّةِ وَمَنْ هُوَ مِنْ أهْلِ النَّار.

إنْ كُنْتَ صِرْتَ واقِفاً على هذِهِ المَقَدّمَةِ فالآنَ فاعْلَمْ أنَّ حاصِلَ دَعْوَةِ الأنبياءِ كانَ مِنْ جِهَةٍ نَظْمَ وَوَضْعَ الشَّريعَةِ، وَرَسْمَ المَدَنِيَّةِ، ومِنْ جِهَةٍ أُخرى تَكْميلَ وَتَرْبيَةَ النُّفوسِ بِمراتِبِ الآدَمِيَّةِ، وإظْهارَ طَريقِ وَرَسْمِ المَعْرِفَةِ والحقيقَة.

ولكِنْ وحَيْثُ أنَّ عُمومَ الخلائقِ في الأزمِنَةِ السَّابِقَةِ، إلاَّ ما نَدر، كانوا بَصِفاتٍ وَحْشِيَّةٍ، وكانوا كُلِّيَّةً بلا خَبَرٍ عَنْ مراتِبِ الآدَمِيَّةِ، فَقَدْ وَضَعَ الأنبياءُ قواعِدَ المَدَنِيَّةِ وأحكامَ الصُّوْرَةِ مُقَدَّماً لِتَرْبِيَةِ العِبادِ للسَّيرِ إلى الأصْلِ المَقْصودِ والمُراد، وعلى قَدْرِ ظَرْفِيَّةِ الزَّمانِ وقياسِ حالِ النَّاسِ وَضَعوا النَّاموسَ، حتَّى يلحَظَ كُلُّ شَخْصٍ رَفاهِيَةَ نَفْسِهِ في حِفْظِ ذاكَ النَّاموس، ويصيرونَ أُمَّةً، ومِنْ ضِمْنِ خَواصِّ تِلْكَ الأُمَّةِ أنْ يجِدوا الطَّريقَ مِنَ المُقَدّمَةِ إلى الأصْلِ بالنَّتيجَة، وأنْ يُبَدِّلوا الأخلاقَ الحَيَوانِيَّةَ بالأوصافِ الإنسانِيَّة.

ولو أرادوا إظْهارَ حاصِلِ الدَّعْوَةِ خَتْماً لِعُمومِ النَّاسِ كانَ مُمْتَنِعاً، ولكِنَّهُمْ قاموا في ضِمْنِ قَواعِدِ الصُّوْرَةِ بِبيانِ الحقائقِ والمعاني على التَّمام.

وكُلُّ ما كانَ مِنَ القبائحِ مُوجِباً لِفَسادِ المُلْكِ واختِلالِ القانونِ، كالزِّنا والسَّرِقَةِ، وَضَعوا لَهُ القَصاصَ والجَزاءَ، وكُلُّ ما كانَ مُورِثاً للبُعْدِ عَنْ مَبْدَأِ الإنسانِيَّةِ، وَظُلْماً للنَّفْسِ، مِنْ دونِ أنْ يكونَ فيهِ تَعَدِّياً على الغَيْرِ، أو ضَرَراً لأصْلِ النَّاموسِ، كالكَذِبِ والغِيْبَةِ، ذَمُّوهُ وَنَهَوا عَنْهُ نَهْياً بليغاً، ولَمْ يُقَرِّروا فيهِ القَصاص، فأغْلَبُ النَّاسِ يَكْذِبونَ، ويَغْتابونَ جَهاراً.

السَّرِقَةُ أو الزِّنا أو سائرُ الأعْمالِ الذَّميمَةِ يتِمُّ إخفاؤها، وكذا كُلُّ الأفْعالِ المُوجِبَةِ للقَصاصِ في المَدينَةِ لا تُرْتَكَبُ بلا سِتْرٍ، وكُلُّ ما وَرَدَ في حُكْمِهِ عِقابٌ يُسْتَرُ عَنِ القَريبِ والغَريبِ، وتِلْكَ أوصافٌ حَيَوانِيَّةٌ، وخِلافُ الإنسانِيَّة!.

وَبَديهِيٌّ أنَّ هَوى النَّفْسِ غالِبٌ بِشِدَّةٍ في بَني آدَمَ، وَكَسْبُ الأخلاقِ الحَميدَةِ والأوصافِ المَرْضِيَّةِ مُشْكِلٌ إلى ما لا نِهايَةٍ!.

لِذا فالإنسانُ كامِلُ العِيار، السَّيَّارُ في طَريقِ الآدَمِيَّةِ باختيار، نادِراً ما وُجِدَ في كُلِّ زمانٍ، لِدَرَجَةِ أنَّ الصُّوفيّين كانوا يُخْفونَ حالَهُم في كُلِّ وَقْتٍ عَنْ كُلِّ شَخْصٍ، كي لا تَركِلَهُم البهائمُ الوَحْشِيَّةُ، وَتَذْهَبَ مِنَ الوَسَطِ بالمَرَّةِ الرُّسومُ الإنسانِيَّةُ، فإذا وُجْدَ في وَقْتٍ صاحِبُ إقبالٍ يطلُبُ تَرْبِيَةَ النَّفْسِ وَتَكْميلَ الوُجودِ وَجَدَ مَنْ هُوَ أهْلُهُ، وأخَذَ قواعِدَ الآدَمِيَّةِ مِنْه.

ولمَّا لَمْ يَكُنْ هذا المَطْلَبُ في الأعصارِ السَّابِقَةِ سَبَبَ نَظْمِ مَعاشٍ، وصلاحِ دُنيا، أسْرَعَ إليهِ كُلُّ شَخْصٍ كانَ أهْلاً لَهُ بِصِدْقٍ وبلا غِشٍّ، ثُمَّ لَمَّا مَعَ مُرورِ الأيَّامِ صارَتْ إرادَةُ هذِهِ الطَّائِفَةِ مُوجِبَ مَزيدِ حِشْمَةٍ ودَولَةٍ لِطالِبي الدُّنيا، أقبَلَ إلَيْهِمْ مُريدينَ، قَومٌ بلا عَمَلٍ وعَيَّاشونَ وَقَعوا في الطَّمَعِ، لَبِسوا لِباسَ التَّصَوُّفِ واختاروا الخَلْوَة!.

وبما أنَّهُ لا مَتاعَ إلاَّ وَلَهُ مُشْتَرٍ، اجْتَمَعَ حَوْلَ أولئكَ جَمْعٌ، وَصارَ الأمْرُ مَغْشوشاً!.

واخْتَلَطَ الجَوْهَرُ والشَّبَهُ، وخُصوصاً في هذا الزَّمانِ، حَيْثُ كُلُّ جاهِلٍ مُدَّعٍ، وإنْ وُجِدَ واحِدٌ أهْلاً فكأنَّهُ لَيْسَ مَوجوداً، لأنَّهُ لا في العوامِّ يَقْدِرُ أنْ يَبْعَثَ الإلْفَةِ، ولا في المَيْدانِ يَقْدِرُ أنْ يَعْرِضَ نَفْسَهُ.

جُمْلَةً ليسَ شُغْلُنا مَعَ النَّاس، وما يقولُ شَخْصٌ وما يَفْعَلُ، البَعْضُ نَهَشوا لُحومَ البَعْض، بِغَرَضٍ وَتَقليداً في القَوْلِ، وَتَصْديقاً وَتَكذيباً لِمُؤالِفٍ ومُخالِفٍ، على العَمياءِ، يَرَونَ المَذْهَبَ عَرْضَ هَوىً، وَيَعُدُّونَ الإفْتِراءَ في حَقِّ مَنْ لا يقولُ بِمَذْهَبِهِمْ واجِباً، ويَظُنُّونَ طَلَبَ البُرْهانِ والدَّليلِ مِنْ جُمودِ الطَّبْعِ وَقَساوَةِ القَلْبِ، بَلْ حَتَّى مِنْ خَباثَةِ النَّفْسِ وَضَلالَةِ العَقْل، وَجَعَلوا الأقوالَ رَديفاً لِمَيْلِهِمْ وَمَذاقِ أنْفُسِهِم، وكُلُّ شَخْصٍ قَبِلَهُمْ بلا تَأمُّلٍ فَهُوَ أهْلُ الله، وكُلُّ شَخْصٍ تَوَقَّفَ أو طَلَبَ الدَّليلَ فَهُوَ كافِرٌ وَضالٌّ!.

ما صارَ باعِثاً لِكثيرٍ مِنَ النَّاسِ لِيصيروا إلى المَذْهَبِ الطَّبيعِيِّ، لِقيامِهِم بِقياسِ الآخَرينَ إلى مُدَّعِيّ زَمانِهِم، وفي بَعْضِ المَوارِدِ لَمْ يكونوا بلا حَقٍّ، إذْ لَمْ يكُنْ لَهُمُ القُدْرَةُ على التَّمْييزِ بَيْنَ الأَصْلِ والبَدَلِ إلى ذلِكَ القَدْر، صَحيحٌ في هذِهِ المقاماتِ يُطْلَبُ العِرفانُ الكامِلُ، وهذا غَيْرُ مُمْكِنٍ لِكُلِّ شَخْص!.

عَوامُ النَّاسِ وَقْتَ يجِدونَ أقَلَّ مَعْرِفَةٍ يَكْثُرُ إفراطُهُمْ وَتَفريطُهُمْ في إدراكِ المَطالِب، خُصوصاً إذا كانوا أربابَ عِزَّةٍ ورِئاسَةٍ، وَلَهُمْ صُحْبَةٌ مَعَ كُلِّ عالِمٍ وعارِفٍ، مِمَّنْ نَظَراً لِمَصْلَحَةِ أنْفُسِهِم الدُّنيَوِيَّةِ، لا يَرونَ جائزاً رَدَّ قَولِهِم، إلاَّ بالإشاراتِ والكِناياتِ، كي لا يكونَ انْجِرارٌ للجِدالِ والفَساد.

بَلْ إنَّ بَعْضاً مِنْ ضِعافِ النُّفوسِ غَيْرِ المُطَّلِعينَ سايَروهُم بِمقالاتِهِم، وباعْتِقادِ الفَقيرِ، هذا أيضاً إفراطٌ وَتَفْريط، وخِلافُ الحِكْمَة:

لا تَجِبُ الخُشونَةُ في الكلامِ لأهْلِ الدُّنيا، كما لا تَجِبُ مُسايَرَتُهُم، مِمَّا يُوجِبُ مَزيدَ جُرْأةِ العوامّ بالأقوالِ السَّخيفَةِ، قالوا:

« ألِنِ القَولِ لكِنْ لا تَقُلْ غَيْرَ الصَّواب »، الشَّخْصُ الحكيمُ يحفَظُ كُلَّ مَرْتَبَةٍ مِنَ المراتِبِ بِنَفْسِه.

25–لَمَّا لَمْ يَكُنْ أمْرُ الإرشادِ وَسُلوكُ الفَقْرِ وَسيلَةً لِمعاشِ النَّاسِ كانَ وَضْعُ السِّلْسِلَةِ في تمامِ الاِعْتِبار، ومِنْ هذِهِ الأزْمِنَةِ الَّتي بُنِيَ فيها أنْ تكونَ حياةُ أهْلِ الفَقْرِ والطَّريقَةِ مِنْ هذِهِ الوَسيلَة، وَجَدَ كُلُّ طَرَّارِ الطَّريقَ لِهذا البِساط، وَصارَ غَيْرُ المُجَرَّبِ مَحْرَماً، وصارَ العَمَلُ بِيَدِ الجائعين، وَجَعَلَ كُلُّ شَخْصٍ مِنْ اِسْمِ السِّلْسِلَةِ وَوَرَقِ كِتابِ الإرشادِ وَسيلَةً وحِيْلَةً، وَجَعَلَ مِنْ ذلِكَ مُسْتَمْسَكاً للوُصولِ إلى الأهواءِ النَّفْسانِيَّةِ والأماني الشَّيطانِيَّةِ للنَّفْس.

لكِنَّ هذا لَمْ يكُنْ باعِثَ اختِلالِ السِّلْسِلَةِ عِنْدَ أهْلِ العُقول، وَلَو كَثُرَ السُّرَّاقُ في المَدينَةِ فإنَّ النَّقْصَ لا يَصِلُ لأساسِ الدَّولَةِ وقانونِ المِلَّةِ، العاقِلونَ يَعْلَمونَ والواقِفونَ يَفْهَمونَ، أنَّ السَّرِقَةَ والشَّرَّ حَلاً في المُلْكِ، مِثْلَما يسري المَرَضُ للبَدَنِ، وَذاكَ يُرْفَعُ بِتَدْبيرِ الطَّبيبِ الحاذِقِ، وليسَ مِنْ شَخْصٍ يقومُ بِتَرْكِ البَدَنِ بِسَبَبِ مَرَضٍ يكونُ عابِراً، ويحْرِقَ نَفْسَهُ بالنَّارِ لأجْلِ ذلِك، ولا يُمْكِنُ تَرْكُ هذا القانونِ المُحْكَمِ والمُسَلَّمِ، بِسَبَبِ أنَّ أمْرَ سِلْسِلَةِ الفَقْرِ صارَ مَغْشوشاً، ولَو أنَّ العالَمَ بِتَمامِهِ صارَ مَريضاً لا يُمْكِنُ التَّخَلِّي عَنْ قواعِدِ حِفْظِ الصِّحَّة.

كُلُّ شَخْصٍ يُمَيِّزُ المِزاجَ الصَّحيحَ مِنَ السَّقيم، وإذا صارَ المَرَضُ مُزْمِناً، وصارَ تَمييزُهُ مُشْكِلاً، لا بُدَّ وأنْ يكونَ تَمييزُهُ مُمْكِناً، بعلاماتِهِ المَعْلُومَةِ، فإذا كانَ النَّاسُ عُموماً قليلو الفَهْمِ، وكانَ البَعْضُ أذكياءَ، فإنَّ الغَبِيَّ مَنْ أرادَ أنْ يكونَ بالأمانَةِ مَعْروفاً، وهُوَ يَأخُذُ أموالَ النَّاسِ ولا يَرُدُّها، يَعْني كانَ عَمَلُهُ بِخلافِ ادِّعائه.

والذَّكِيُّ ذلِكَ الَّذي إذا كانَ هَوى نَفْسِهِ غالِباً، وكانَ مَيْلُهُ لأكْلِ أموالِ النَّاسِ، ويَعْلَمُ الطَّريقَ لِذلِكَ، لا يَفْعَلُ كذلِك، بَلْ يَسْحَبُ النَّفْسَ للسَّواءِ، ويصيرُ تَقَلُّبُهُ ظاهِراً.

تَمييزُ هذا أكْثَرُ إشكالاً، وَأَصْلُ الدِّيانَةِ الحقيقيَّةِ أنْ لا يكونَ تمامُ العالَمِ في النَّظَرِ بِقَدْرِ قَشَّةٍ، ما قيمَةُ أنْ يقومَ المَرْءُ بِتَزيينِ ظاهِرِهِ بالدِّيانَةِ، ويكونُ باطِنُهُ غَيْرَ ظاهِرِه، في طَلَبِ شَيْءٍ.

إذَنْ إذا كانَتْ جَماعَةٌ مُسَلِّمَةً لِشَيخٍ بِقانونِ سِلْسِلَةِ الإرشادِ، وأنَّهُ مُجازٌ، فيجِبُ أنْ يكونَ اتِّفاقُهُمْ واتِّحادُهُمْ في كُلِّ مقامٍ إلى الحَدِّ الَّذي لا يَعْرِفُ مَعَهُ شَخْصٌ أنَّهُمْ نَفَرٌ واحِدٌ أم أنفارٌ مُتَعَدِّدة، ولا يَستَطيعُ شَخْصٌ إلقاءَ النِّفاقِ والخِلافِ بَيْنَهُمْ، وهذِهِ علامَةٌ واقِعِيَّةٌ على كمالِ الدِّيانَةِ، وَدَليلٌ على أنَّ هؤلاءِ طَوَوا طَريقَ سُلوكِهِم، وَوَصَلوا إلى مَنْزِلِ الفَناءِ، ومِنْ بَعْدِ ذلِكَ وَجَدوا أهْلِيَّةَ الإرشاد، وفي هذِهِ الصُّورَةِ فإنَّ وُقوعَ الخِلافِ بَيْنَهُمْ مُمْتَنِعٌ: «ولو كانوا ألوفاً ليسوا أكثَرَ مِنْ بَدَنٍ واحِدٍ»، وإذا ما كانَ واحِدٌ مِنْ أولئكَ أكْمَلَ فإنَّ الجَميعَ يَعْرِفونَ أكْمَلِيَّتَهُ، وَيَعْتَرِفونَ بِها، وإذا وَقَفوا على أكْمَلِيَّتِهِ، جَعَلوا هذا المَطْلَبَ للآخَرينَ مَعْلوماً، وبِآنٍ واحِدٍ، وَمِنْ دونِ سُؤالٍ وَجوابٍ، وبِكَمالِ المَوَدَّةِ، وَنِهايَةِ السُّهُولَةِ،

كَشَفوا لَهُمْ ذلِكَ، وهذا المَعْنى، مِنْ دونِ قُوَّةٍ قُدُسِيَّةٍ، وحياةٍ قَلْبِيَّةٍ، وَتأييداتٍ إلهيَّةٍ، وشُهُوداتٍ مَعْنَوِيَّةٍ، مُحالٌ وَمُمْتَنِعٌ، وأمَّا إذا وَقَعَ بَيْنَهُمْ الاخْتِلافُ والنِّزاعُ، فَمَقامُ تَأمُّلٍ، وَدَليلٌ على أنَّهُ ليسَ لأحَدٍ مِنْهُم كمالٌ، فلو كانَ ثَمَّةَ نَفَرٌ واحِدٌ كامِلٌ بينَ ألْفِ نَفَرٍ ناقِصٍ لم تَقَعْ مُشاجَرَةٌ، وذاكَ النَّفَرُ الواحِدُ الكامِلُ يَرْفَعُ المُغايَرَةَ مِنَ الجَميعِ، والاِخْتِلافُ أيضاً بِتفاوُتٍ، فإنْ كانَ مُجَرَّدَ اخْتِلافٍ فَقَطْ، وَلَمْ يكُنْ ثَمَّةَ إبطالُ واحِدٍ لآخرَ فَهُمْ ناقِصونَ، لا فاسِدون، وإذا كانَ اخْتِلافٌ وَوَصَلَ إلى مَرْتَبَةِ الإبطالِ والإنكار، وكانوا مُصِرّينَ في هذا البابِ، فقد سَعَوا جَميعاً في بُطلانِ أنْفُسِهِم، وَخَرَجوا بالمَرَّةِ مِنْ رُتْبَةِ الإرشاد، والفَيَّاضُ على الإطلاقِ لا يَضَعُ رأسَ حَبْلِ مِثْلِ هذا المَطْلَبِ المُعَظَّمِ بيدِ الجُهَّالِ غَيْرِ ذوي التَّمييزِ، والأشخاصِ غَيْرِ ذَوي التَّرْبيَةِ والتَّقْوى، الَّذينَ لَمْ تَرْشَحْ لَهُمْ قَطْرَةٌ مِنْ بَحْرِ كمالِ رِجالِ الطَّريقَة.

والتَّعْطيلُ في إنزالِ مِثْلِ هذا الفَيْضِ المُنْحَصِرِ بِهِ تَكميلُ النَّفْسِ على صِراطِ الآدَمِيَّةِ لا يكونُ أبَداً، فمِنْ زَمانِ أبي البَشَرِ صارَ بابُ الصَّفْوَةِ مَفْتوحاً للخَلْقِ، ولن يصيرَ مَسدوداً إلى انقِراضِ العالَم.

27–هذا التَّوفيقُ أيضاً مِنَ اللهِ أنْ تَصيرَ النَّفْسُ مُطْمَئِنَّةً، ولا تَطْلُبُ العَوْنَ إلاَّ مِنَ الله، وأنْ تَصيرَ يائسَةً مِنَ النَّاس، وتُغْلِقَ العَيْن.

28–أي عَزيزُ، الكلامُ عاليَ المَرْتَبَةِ الَّذي لا ينتَفِعُ مِنْهُ غَيْرُ العارِفِ المُوَحِّدِ، ولا يستَفيدُ مِنْهُ، قُلْنا الكَثيرَ مِنْهُ، الآنَ أكْتُبُ كَلِماتٍ يكونُ فَهْمُها سَهْلاً لِكُلِّ شَخْصٍ.

لا أعْلَمُ أَلَكَ الهِمَّةُ وَعَقَدْتَ الكَمَرَ لِتَحْصيلِ المقاماتِ الرَّفيعَةِ، أمْ أنَّكَ واقِعٌ بِرَذائلِ الطَّبْعِ، وَصِرْتَ مُتَذكِّراً للأوصافِ الزَّائدَةِ، أقْبِلْ لِتَصيرَ أكْثَرَ جَمْعاً مِنْ تشتيتِ الطَّبيعَةِ.

أي عَزيزُ، أهْلُ السِّرِّ رَأوا النَّاسَ أسرى التَّقليد، ومُعتادينَ على سَماعِ كلامِ الجاهِلين، فقالوا الكلامَ مُغْلَقاً، كي لا يصيرَ نافِراً مِنْهُ إدراكُ المُسْتَمِعين، إلاَّ أنْ يكونَ نادِرَةً، خَرَقَ جَميعَ هذِهِ الحُجُبَ، وألقى أدِلَّةَ العَقْلِ والنَّقْلِ جَميعاً جانِباً، وَفَهِمَ لِسانَ الطَّيْرِ وَوَصَلَ إلى أصْلِ المَطْلَب.

لا أدري ماذا سيكونُ مفهوماً لَكَ مِنْ كلامي وأنتَ ترى العِرْفانَ مِنْ فُروعِ المِلَّةِ والمَذْهَبِ، ولا تَعْرِفُ الحقائقَ مِنَ الشَّرائعِ والأحكامِ الظَّاهِرَةِ؟، لا شَيء.

30- لا تَقُمْ بِنَصيحَةِ أيِّ شَخْصٍ مِنْ أيِّ قُبْحٍ، ولا تَقُمْ بالملامَةِ مِنْ أيِّ عَيْبٍ، إلاَّ أنْ يكونَ مِنْ بابِ أمْرٍ بمَعْروفٍ ونَهْيٍ عَنِ مُنْكَرٍ وإرشادِ جاهِلٍ بِدَسْتورٍ مُسْتَفادٍ مِنَ الآياتِ القُرْآنِيَّةِ، لأنَّهُ إذا كانَتْ نَصيحَتُكَ للهِ، فإنَّهُ لا بُدَّ لَكَ أنْ تَنْصَحَ نَفْسَكَ بها أوَّلاً، وأنْ تكونَ مَسْموعَةً مِنْكَ، وفي هذِهِ الصُّورَةِ فإنَّ كُلَّ شَخْصٍ عَلِمْتَهُ قابِلاً للنَّصيحَةِ تَستَطيعُ أنْ تقومَ بِنُصْحِهِ بلسانِ الحال، ومِنَ المُؤكَّدِ أنْ تؤثِّرَ بِهِ أيضاً.

أمَّا إذا كُنْتَ إلى الآنَ لَمْ تَقُمْ بِإعْطاءِ نَفْسِكَ النَّصيحَةَ، فما النَّفْعُ مِنْ قَولِكَ إيَّاها للغَيْر، وسَوفَ لَنْ يكونَ فيها خَيْرٌ، هذا إذا لَمْ يَكُنْ مِنْها إحداثُ شَرٍّ، النَّصاحِيَّةُ إظْهارُ الأفْضَلِيَّةِ، وهذا لا يكونُ إلاَّ للحَقّ.

31–لا تَقُمْ بالإصرارِ في تَحْقيقِ أمْرٍ ليسَ داخِلاً في نَظْمِ مَعاشِك، لأنَّ الدُّنيا لا بُدَّ أنْ تأتيَ مِنَ القَعْرِ إلى السَّطْحِ، وكُلُّ ما كانَ لَكَ سَتَسْمَعُه، وهكذا في تَحقيقِ حالِ الأشخاص.

فذاكَ مهما كانَ عَميقاً سيصِلُ مِنَ القَعْرِ إلى السَّطْحِ آخِراً في النِّهايَةِ، ومِنْ قَبْلِ أنْ يَحْصَلَ الجَيَشانُ الثَّاني للصَّبْرِ لا يُمْكِنُ الوصولُ إلى الثَّالِث، لأنَّ حَوْصَلَةَ الحَوْضِ لَيْسَتْ بِقَدْرِ حَوْصَلَةِ الغَدير، لِكي تَمُرَّ بِها الأسماكُ، ولا يفْسُدَ ماؤها، وإنْ مَرَّ فَصْلٌ وَلَمْ يَتَعَفَّنَ ماؤها، فإنَّ تَحْتَ ذلِكَ حِكايَةً، يعني: «هذِهِ الجَرَّةُ مُتَّصِلَةٌ بِعَيْنِ ماء»،

32–أي عَزيزُ، أنتَ لا تَمْلِكُ مِقْدارَ ما تَسْتَطيعُ أنْ تُمَيِّزَ بِهِ الكامِل، فَيَجِبُ عَلَيْكَ التَّعَمُّقُ في تمامِ أوصافِ ذلِكَ الشَّخْصِ الَّذي يكونُ فيهِ احْتِمالُ الكمال، فإذا كانَتْ كُلُّها مُمْتازَةً وَغَيْرَ مُتفاوِتَةٍ، يعني لا تَتَفاوَتُ بِتَغَيُّرِ الأوقاتِ والأحوال، ولا تَتَبَدَّلُ، فَهذا دَليلُ كمالٍ، مِنْ مِثْلِ التَّواضُعِ، وإيثارِ الصَّديقِ والعَدُوِّ على قَدَمِ المُساواة.

33–(اليَقَظَةُ) في البِداياتِ التَّنَبُّهُ مِنْ سِنَةِ الغَفْلَةِ، وفي النِّهاياتِ إدراكُ الحَقَّانِيَّات.

(التَّوبَةُ) في البِدايَاتِ الرُّجوعُ عَنِ المَعاصي، وفي النِّهاياتِ الخلاصُ مِمَّا تَبَقَّى مِنَ الإِنِّيَّة.

(المُحاسَبَةُ) في البِدايَاتِ موازَنَةٌ ما بَينَ الحَسَناتِ والسَّيِّئات، وفي النِّهايَةِ ما بَيْنَ الفَرْقِ وَجَمْعِ المقامات.

(الإنابَةُ) الرُّجوعُ إلى الحَقِّ في وفاءِ العُهود، وفي النِّهاياتِ اضمِحلالٌ في عَيْنِ جَمْعِ الوجود، وخلاصٌ مِنَ التَّعيينِ بِمَحْضِ الشُّهود.

(التَّفَكُّرُ) في البِداياتِ تَوَجُّهُ القَلْبِ بالإدراكاتِ العَيْنِيَّةِ، وفي النِّهاياتِ انتِقالٌ مِنَ المَعْرِفَةِ إلى التَّحقيقِ بكمالِ السَّكينَة.

(التَّذَكُّرُ) في البداياتِ قَبولُ المواعِظِ الرَّبَّانِيَّةِ بِسَمْعِ الرِّضا، وفي النِّهايَةِ عَوْدَةٌ إلى ما كانَ عَلَيْهِ مِنَ الفَناء.

(الإعْتِصامُ) في البِداياتِ تَمَسُّكٌ بِحَبْلِ الله، يعني بالكِتابِ والسُّنَّة، وفي النِّهاياتِ تَمَسُّكٌ بأُلوهِيَّةِ الحَقِّ بَعْدَ الفَناءِ التَّامِّ في الهَوِيَّةِ.

(الفرارُ) في البِداياتِ هَرَبٌ مِنْ هَوى الطَّبيعَةِ، وفي النِّهاياتِ مِنْ أحكامِ الإنِّيَّةِ، حتَّى مِنْ رُؤيَةِ الفَرارِ وآثارِ الرُّؤيَة.

(الرِّياضَةُ) في البِداياتِ تَرْكُ حُظوظِ النَّفْسِ ومُخالَفَةُ رُسومِ الطَّبْعِ، وفي النِّهاياتِ تَصْفِيَةُ المَعْرِفَةِ مِنَ العِلْم، وَتَصْفِيَةُ شُهودِ الحَقِّ مِنْ شُهودِ غَيْرِ الحَقّ.

(السَّماعُ) استِماعُ كلامِ الحَقِّ، في البداياتِ بالسَّمْعِ الخَلْقِيّ، وفي النِّهاياتِ بالسَّمْعِ الحَقِّيّ.

(الحَزَنُ) في البِداياتِ كُدوراتٌ عارِضَةٌ على صَفاءِ الفِطْرَةِ، وذاكَ بَعْدَ اليَقَظَةِ مِنْ نَومِ الغَفْلَةِ، يصيرُ بِهِ الحَذَرُ زائلاً مِنَ النَّفْس، وفي النِّهاياتِ وَقْتَ يَقَعُ الفَرْقُ بَعْدَ الجَمْعِ، قَبْلَ التَّمَكُّنِ بِأَحَدِيَّةِ الفَرْقِ والجَمْعِ، كريمَةُ«فَلَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ على آثارِهِم إنْ لَمْ يُؤمِنوا بِهذا الحَديثِ أَسَفاً»، عِنْدَ العارِفِ نُكْتَةُ الفَهْمِ شاهِدُ المُدَّعى.

(الخَوفُ) في البِداياتِ مِنْ عَدَمِ حُصولِ المَقصودِ، وفي النِّهاياتِ مِنْ هَيْبَةِ القَهْرِ **عِنْدَ المَحْقِ لِسَطْوَةِ تَجَلِّي الذَّات، إذ نِداءُ لِمَنْ المُلْكُ اليَومَ للهِ الواحِدِ القَهَّار**، يصِلُ إلى أُذُنِ الهائب.

(الإشفاقُ) في البِداياتِ في العَمَلِ لِئلاَّ يصيرَ ضائعاً، وفي النِّهاياتِ في تَحقيقِ بَقِيَّةِ الرُّسومِ مِنْ مَحْضِ التَّوحيد.

(الخُشوعُ)، قالَ القَومُ، في البِداياتِ خُضوعُ الجَوارِحِ في الطَّاعات، وفي النِّهاياتِ تَهَوُّرٌ مِنَ البَقِيَّةِ واعتِبارِ الإثنينِيَّة، إلاَّ أنَّ الأذواقَ في هذا البابِ مُخْتَلِفَةٌ، ولا أملِكُ الصَّبْرَ لبيانِ ذلِك.

(أمَّا إدراكاتُ النَّاسِ في هذا الباب)، فواحِدٌ يُنْكِرُ الأصْلَ، أن لا بَحْرَ هُناكَ ولا جَوْهَرَ، وتِلْكَ مقالاتُ مُخادَعينَ يُريدونَ إيقاعَ النَّاسِ بالشِّباكِ بِهذِهِ الأقوال، وإظْهارَ التَّفَوُّقِ، ومِثْلُ هذا المُنْكِرِ يَجِبُ أنْ يَذْهَبَ بِحالِه، فَعَقْلُهُ بِمِقْدارِ حَرْفِه. رَحِمَ اللهُ ***حافِظَ*** الَّذي قال:

لا تَقُلْ أسرارَ العِشْقِ والسُّكْرِ للجاهِل، دَعْهُ يموتُ في عَيْنِ عِبادَةِ النَّفْس

34-العارِفُ البَصيرُ يَعْرِفُ مَرْتَبَةَ كُلِّ شَخْصٍ مِنْ كلامِه، لا مِنْ أفعالِهِ وَكَراماتِه، وهل قالَ ما قالَ عَنْ تَحقيقٍ أمْ تَقليد، أمَّا سِرُّ ذلِكَ فلا يُمكِنُ قَوْلُهُ، وما لَمْ يَصِرِ الشَّخْصُ نَفْسُهُ أهْلَ هذا النَّظَرِ فلا يستَطيعُ أنْ يَفْهَم.

35-ذو النُّونِ المِصْرِيُّ قالَ: ذهَبْتُ إلى عِنْدِ واحِدٍ مِنْ مُتَقَدِّمِيّ المشايِخِ في المَغْرِبِ فقالَ لي لأجْلِ ماذا أتَيْتَ، إنْ كُنْتَ تُريدُ أنْ تتعَلَّمَ عِلْمَ الأوَّلينَ

والآخَرينَ فَذاكَ مُحالٌ، وليسَ ذاكَ لِغَيْرِ الخالِق، وإنْ كُنْتَ جِئتَ تَبْحَثُ عَنْهُ، فإنَّهُ كانَ في المكانِ الَّذي انْطَلَقْتَ مِنْهُ، وَخَطَوتَ مِنْهُ الخُطْوَةَ الأولى.

دَرويشٌ أمْسَكَ بِيَدِ باحِثٍ عَنْهُ، وراحَ يجري في طَلَبِ نَفْسِه، يقولُ صَفِي الباحِثُ عَنْهُ لَيْسَ غَيْرَ نِفْسِه، وليسَ كُلُّ والِهٍ يستطيعُ أنْ يكونَ باحِثاً عَنْه.

36- حَضْرَةُ السِرّي السَّقطي اشترى جُبَّةً بِعَشَرَةِ دراهِمَ مِنْ أجْل إبراهيم صَيَّادي، وقالَ لَهُ كانَ معي عَشَرَةُ دراهِمَ اشْتَرَيْتُ بها هذِهِ الجُبَّةَ مِنْ أجْلِك، قالَ تَجْلِسُ مَعَ الفُقَراءِ وأنتَ تَدَّخِرُ عَشَرَةَ دراهِمٍ، وَلَمْ يلْبَسْ تِلْكَ الجُبَّة(إنْ كُنْتَ رَجُلَ هذِهِ الطَّريقِ أصْحُ).

37-فتحُ المَوصِلي قُدِّسَ سِرُّهُ رأى القرابينَ في مِنى تُذْبَحُ فقامَ بالعَرْض: إلهي لا شَيْءَ مَعي لأُضَحِّيَ بِه، هذِهِ نَفْسي أجْعَلُها قُرباناً، فَتِلْكَ أمْلِكُ، وَوَضَعَ الإصْبَعَ على حَلْقِهِ وسَقَطَ كالمَيْت، وظَلَّ أثَرُ ذلِكَ الخَطِّ أخْضَرَ على حَلْقِه.

38-قالوا إذا كانَ التَّجْريْدُ صحيحاً، مُلْكُ سُلَيمانَ لا يعودُ مَعلوماً، وإنْ لَمْ يَكُنْ فالزِّيادَةُ في الكُمِّ تَصيرُ معلومَةً.

أي دَرويشُ ما تَفْهَمُ مِنْ هذا. يحيى معاذ الله قالَ المَحَبَّةُ تِلْكَ الَّتي تزيدُ بالحُبِّ وتُحْفَظُ بالجفاء، فإذا كانَتْ هذِهِ حالُ مُحِبٍّ فَهُوَ صادِقٌ.

39- سائلٌ ماتَ، ورأوهُ في المنامِ وسألوهُ عَنْ حالِهِ، كيفَ صارَتْ، قالَ لقد قالوا لي ماذا جَلَبْتَ فَقُلْتُ آهِ ضاعَ عُمْري وهُمْ يُحَوِّلونَني إلى هذا البابِ أنِ اذْهَبْ أعطاكَ اللهُ، والآنَ أنتُمْ تقولونَ لي ماذا جَلَبْتَ، وجاءَ خِطابُ الحَضْرَةِ يقولُ حقَّاً، ارفَعُوا اليَدَ عَنْهُ.

40- جرى لعبدالله حقيقت مَعَ موسى بن عمران نِزاعٌ، فَكَتَبَ لَهُ إنَّ لي في شيرازَ أَلْفَ مُريدٍ لَوْ طَلَبْتُ مِنْ كُلِّ واحِدٍ مِنْهُمْ أَلْفَ دينارٍ ما انْتَظَرَ اللَّيْلَ إلى أنْ يَطْلُعَ الصُّبْح، فَكَتَبَ موسى في جوابِهِ إنَّ لي هاهُنا أَلْفَ عَدُوٍّ لو وجدوا المجالَ لِقَتلي لَمْ يُعطوني الأمانَ ليلَةً إلى أن يَطْلَعَ الصُّبْح، فانْظُرِ الحالَ، أنتَ الصُّوفِيُّ أمْ أنا.

كما وجرى نِزاعٌ بينَ علي بن حَسَنْ كرماني وَخَليل خازِن، فَكَتَبَ خليل خازن إليه، إنَّ حياتَكَ جَميلَةٌ، وأنتَ مِنَ الصَّباحِ للغَداةِ، تَشْرَبُ الشَّرابَ والدَّواء، وتأكُلُ ما اشْتَهَيْتَ مِنَ الطَّعامِ، وأنا مِنَ الفَجْرِ للغَداةِ في السَّعْيِ لأجِدَ ما آكُلُه.

(صفي يقولُ الكامِلُ لا يتكبَّرُ على المُريد، والعارِفُ ينظُرُ للعَدُوّ، والدَّرويشُ لا ينظُرُ للحياةِ مِنْ حَيْثُ هِيَ جَميلَةٌ أمْ غَيْرُ جَميلَةٍ).

41- عبدالله المغربي قالَ لأنْ أُكْفى مؤونَةَ الشَّهْوَةِ أحَبُّ إلَيَّ مِنْ أنْ أكونَ في الجَنَّة.

وشيخُ الإسلامِ قالَ أنَّ عَليّاً عليهِ السَّلامُ قالَ لو خُيِّرْتُ ما بينَ الكَونِ في الجَنَّةِ أو في المَسْجِدِ لَصِرْتُ للمَسْجِد(صفي يقولُ الشَّهْوَةُ جَهَنَّمُ فإذا رُفِعَتْ مَؤونَةُ الشَّهْوَةِ فإنَّ جَهَنَّمَ جَنَّةٌ أيضاً، وذلِكَ العَظيمُ قالَ ذلِكَ الكلامَ في مقامِ الإرشاد، وقالَهُ في مَحَلِّهِ، وما قَرَّرَهُ عَليٌّ عَلَيْهِ السَّلامُ هُوَ أنَّني أُرَجِّحُ الطَّاعَةَ على الأجْرِ، والمَطْلَبُ مُخْتَلِفٌ).

42-إلهي ليسَ لي تِلْكَ الجُرْأَةُ لأقولَ أنَّني لَمْ أَفْعَلْ ظُلْماً لِمَظْلومٍ، لكِنَّكَ تَعْلَمُ أنّي ما قَصَدْتُ أَبَداً ظُلْمَ شَخْصٍ وأذِيَّتَه، فإنْ كانَ هذا الصَّدُّ قِسْمَةً فانْصُرني على النَّفْسِ الأمَّارَةِ واجْعَلْني غالِباً، واحفَظْني مِنْ شَرِّ كُلِّ ذي شَرٍّ.

43–أَحْمَدُ ذاتَهُ المُقَدَّسَةَ على نِعْمَةِ القَول، ومِنَ الصِّديقينَ في جَنابِ جلالِهِ بِصِدْقِ القَوْلِ أَطْلُبُ الإعانَةَ، أعطى الآدَمِيَّ اللِّسانَ لينطِقَ بالصِّدْقِ، ويقولَ الكلامَ بِرِضا خالِقِ اللِّسان.

إذا كانَ الكلامُ مِنْ وَجْهِ العِلْمِ صَحيحاً كانَ مُخْتَصَراً، لا خِلافَ يَمْتَلِكُ، ولا تَفْصيلَ يَطْلُب.

مِنْ ذلِكَ العالِمُ دَوماً صامِتٌ، وإذا تَكَلَّمَ تَكَلَّمَ بِوَعْيٍ، يعني قالَ القولَ صحيحاً ومُخْتَصَراً وفي وَقْتِه، كثْرَةُ الأقوالِ توقِعُ النَّاسَ في الحَيْرَةِ، وتُسَبِّبُ التَّعْطيل.

وكُلُّ طائفَةٍ تَجْعَلُ القَوْلَ رَديفاً لِمَيلِها وَمَذاقِها، وتُقَيِّدُ أيديَ وأقْدامَ النَّاسِ المساكين، وكُلُّ شَخْصٍ صَدَّقَهُمْ بلا تَصَوُّرٍ رَأوْهُ أهْلُ الحَقّ، وكُلُّ شَخْصٍ قامَ بالتَّأَمُّلِ أو طَلَبَ الدَّليلَ، رَأوْهُ ضالاً وَأَسْوَدَ الصَّحيفَة.

ما صارَ باعِثاً لِكثيرٍ مِنَ النَّاسِ مِمَّنْ كانوا أذكى مِنْ غَيْرِهِمْ أنْ يصيروا للمَذْهَبِ الطَّبيعيّ، وأنْ يقيسوا الماضينَ بالمُدَّعينَ مِنْ أهْلِ زَمانِهِم، إذْ لَمْ يَكُنْ إدراكُهُمْ بِالدَّرَجَةِ الَّتي يَقْدِرونَ بِها على تَمييزِ الحقيقَة، ومَعْرِفَةِ الحَقّ مِنَ الباطِلِ، والجَوْهَرِ مِنَ الشَّبَه، فهذا أمْرٌ يتَطَلَّبُ عِلْماً وَمَعْرِفَةً تامَّيْن، ولم يكونوا قليلي تَجْرِبَةٍ، ضئيلي مَعْرِفَةٍ بالقَدْرِ الَّذي يقبلونَ بِهِ كُلَّ كلامٍ بلا تأَمُّلٍ، وهذا النَّوعُ مِنَ النَّاسِ، إفراطُهُمْ وَتَفْريطُهُمْ في إدراكِ المَطالِبِ كثيرٌ، وخُصوصاً إذا كانوا أهْلَ عِزَّةٍ ورئاسَةٍ، يرونَ فَهْمَهُمْ وَعَقْلَهُمْ بِقَدْرِ دُنياهُمْ وَسَعَةِ معاشِهِم، ومهما قالوا أمامَ كُلِّ عارِفٍ وعالِمٍ فلا يقومُ شَخْصٌ بِرَدِّ قَوْلِهِم، لا بَلْ إنَّ بَعْضاً مِنْ ضِعافِ النُّفوسِ يقولونَ القَوْلَ بِمُرادِهِم، ويسيرونَ مَعَهُم، وأكثَرُ هذا المَعنى مُوجِبُ جُرْأَةِ العوامّ على مَزْجِ العقائدِ الرَّاسِخَةِ بالأقوالِ الخام.

44–غَيْرُ مَخْفِيّ عَنْ أربابِ البَصيرَةِ أنَّ هذا الكِتابَ كِتابُ تَصَوُّفٍ مَحْضٍ، ولا دَخْلَ لَهُ بِقواعِدِ أيّ مَذْهَبٍ، وآدابِ أيَّةِ مِلَّةٍ، لكي يأتيَ أهْلُ ذلِكَ المَذْهَبِ صارِخينَ لَقَدْ أحْدَثْتَ بِهذا الكلامِ شَرْخاً في مَذْهَبِنا، وَطَعَنْتَ في أُصولِنا، مِنْ مِثْلِ تِلْكَ الطَّوائفِ الَّتي ظَهَرَتْ ذلِكَ العَصْرَ وَسَطَ الشّيْعَةِ وخُصوصاً في بلادِ إيران، وَمَزَجَتْ مقالاتِها بأُصولِ الشّيْعَةِ، وأثاروا الفِتَنَ بِهذِهِ الواسِطَةِ.

واحِدٌ يَتَصَرَّفُ في مُلْكِهِ وَمَنْزِلِهِ بِخرابٍ أو عَمارَةٍ، وواحِدٌ يَقْتَلِعُ حائطَ الجارِ لِيَبْنِيَ بناءَهُ، وفي هذِهِ الحالِ يجيءُ الجارُ صارِخاً مُخاصِماً ومُدافِعاً، وهذا أكْثَرُ ما يكونُ مِن قِلَّةِ ذاتِ اليَدِ والعَجْز، وحيناً يكونُ مِنَ الوقاحَةِ أيضاً.

الصُّوفِيُّ لا يبني مَنْزِلاً إلى جَنْبِ مَنْزِلِ أحَدٍ كي يُخاصِمَهُ جارٌ، أو يُصالِحَهُ، ولا يكونُ في عُشٍّ واحِدٍ مَعَ أيّ طائرٍ، ولا يتَّخِذُ مَسْكَناً في أيَّةِ مَدينَةٍ وَمَحَلَّةٍ، بل إنَّ القومَ مِنْ جَميعِ المذاهِبِ والمِلَلِ، كُلٌّ بِقَدْرِ استِطاعَةِ إدراكِه أخَذَ القواعِدَ المُسْتَحْسَنَةَ مِنْ هؤلاءِ القَومِ، وأخَذَ نَماذِجَ مِنَ الورودِ مِنْ بُستانِ هؤلاءِ القَومِ يَعْرِضُها في البازارِ للمُراءاة.

عُموماً نَحْنُ في مطالِبِ النَّفْسِ لا نَمْلِكُ الجار، ولا نَرمي الحِجارَةَ على أرضِ وَجِدارِ الآخَرين.

45– في هذا البابِ اسْتَمِعْ مِثالاً، عامَّةُ أهْلِ الإسلامِ قالتِ النَّبيُّ صَلّى اللهُ عليهِ وآلِهِ لَمْ يُعَيّنْ خَليفَةً، وأجْمَعَ المُسْلِمونَ بَعْدَ رِحْلَتِهِ على خِلافَةِ أبي بكر رضيَ اللهُ عَنْهُ، وقالَتِ الشّيْعَةُ بل نَصَبَ عَلِيّاً عَلَيْهِ السَّلامُ في غَديرِ خُمّ، وكُلُّ واحِدَةٍ مِنْ هاتَيْنِ الفِرْقَتَينِ قالَتْ في إثباتِ دعواها كلاماً كَثيراً، وقالاً وقيلاً بلا حَصْر.

أمَّا الصُّوفِيَّةُ فقالَتْ لا يُوْجَدُ إنسانٌ فاقِدٌ لأيَّةِ مَرْتَبَةٍ مِنْ مراتِبِ الكمالات، إذا صارَتْ مِرآةُ وجودِ الآدَمِيّ مُصَفَّاةً مِنْ صَدَأِ العلائقِ، ومُتَّصِلَةً بِأصْلِها، صارَ الإنسانُ كامِلاً، وفي *الفَرْقِ بَعْدَ الجَمْعِ* يستَطيعُ أنْ يكونَ مُكَمِّلاً للأشياءِ ومُرَبِّياً للمُمكِنات، والشَّخْصُ الَّذي يَصِلُ إلى هذا الكَمالِ في كُلِّ عَصْرٍ يكونُ قُطْبَ العالَمِ، وتصيرُ كَتِفُهُ لائقَةً بِخلْعَةِ الخِلافَةِ الإلهِيَّة، والعالَمُ لمْ يكُنْ في أيِّ زمانٍ خالياً طرفَةَ العَيْنِ مِنْ وجودِ مِثْلِ هذا الشَّخْصِ، ولا يكونُ أبَداً، وكما هُوَ وُقوعُ هذا المَعْنى في العالَمِ الكبيرِ حَتْمِيٌّ، فإنَّهُ مُتَحَقِّقٌ كذلِكَ في العالَمِ الصَّغيرِ، الَّذي هُوَ وُجودُ كُلِّ فَرْدٍ مِنَ الآدَميّين، وهذا الخَليفَةُ كانَ في بَعْضِ الأزْمِنَةِ ظاهِراً وغالِباً، وفي بَعْضٍ مِنْ أدوارِ العالَمِ مَخْفِيّاً وَمَغْلوباً.

وكذلِكَ في العالَمِ الصَّغيرِ القَلْبِ الَّذي هُوَ مَرْكَزُ وجودِ الإنسانِ، في واحِدٍ يَصِلُ لكمالِ الألوهِيَّةِ، وفي واحِدٍ يكونُ مَغْلوباً للطَّبيعَة.

إذَنْ أقولُ ذلِكَ الَّذي لَمْ يِسْعَ في تَصْفيَةِ وجودِ نَفْسِهِ، ولَمْ يَجْعَلْ قَلْبَهُ مِرآةً لِظُهُورِ هذا الخليفَة، إذا تَكَلَّمَ عَنْ أيِّ مقامٍ فقولُهُ مَحْضُ تَقْليدٍ.

وآخَرونَ مِنْ أهْلِ مَذْهَبِ الشّيْعَةِ رَأَوا الاِعْتِقادَ بِغَيْبَةِ الإمامِ في أَلْفِ عامٍ ضَرورَةً مِنْ ضَروراتِ المَذْهَب، وقتلوا بانتِظارِ الظُّهُور، وقالوا في غَيْبَةِ إمامِ الخَلْق، يجِبُ الرُّجوعُ للرُّكْنِ الرَّابِعِ الّذي هُوَ مِرآةُ ظُهُورِ الإمام.

وجماعَةٌ أُخْرى رَفَعَتِ الحِجابَ عَنْ مَطْلَبِ أولئكَ، وقالَتْ مُعَمَّى أولئكَ بلا حِجابٍ، وقاموا بالنِّزاعِ مَعَ أهْلِ المَذْهَبِ، والخِصامِ مَعَ الدَّولَةِ والمِلَّةِ. وهذا مِثالُ شَخْصٍ قالَ التَّاجِرُ الفُلانِيُّ ماتَ، وأولادُهُ قاموا بِإتلافِ مالِهِ، ونَحْنُ جِئنا لِنَقومَ

بِجَمْعِ مالِهِ، وأيُّ دينارٍ مِنْ مالِهِ صُرِفَ، في أيِّ مكانٍ صُرِفَ، سنأتي بِهِ، وهذا العَمَلُ فيهِ مَشَقَّةٌ كبيرَةٌ، وأخيراً هُوَ غَيْرُ مُمْكِنٍ، بَلْ هُوَ مُمْتَنِعٌ.

خَيْرٌ لَكَ أنْ تكونَ غَنِيَّاً، ولا حاجَةَ بِكَ لِجَمْعِ مالِ النَّاسِ الَّذي تلفَ، وأنْ تَرعى أولادَ ذلِكَ التَّاجِرِ الَّذينَ أتْلَفوا مالَ والِدِهِمْ وصاروا عاجِزين، وترعى الآخَرينَ أيضاً، وَتَجْعَلَهُمْ ينتَفِعونَ مِنْ مالِك.

على فَرْضِ قَبولِ الكثيرِ مِنَ العوامِّ لأقوالِ الشَّيْخِيَّةِ والبابيَّةِ، ما النَّفْعُ مِنْ انتِقالِ جَمْعٍ مِنْ قِشْرٍ لِقِشْرٍ آخَر، الشَّخْصُ الأعْمى لا يرى الشَّمْسَ وَقْتَ يكونُ نائماً، كما أنَّهُ لا يرى الشَّمْسَ وقْتَ يصيرُ مُسْتَيْقِظاً، لكِنْ يَجِبُ دَفْعِ أذى العَمى، وذاكَ لا يكونُ بِأقوالِ المُتَعَصِّبينَ مِنْ أربابِ المذاهِب.

46–أنتَ أي عَزيزُ تَعَقَّلْ، إذا انتَقَلْتَ مِنْ مَذْهَبٍ إلى مَذْهَبٍ، ماذا سَتَجِدُ غَيْرَ قِشْرٍ مِنَ الأقوالِ المُسْتَحْسَنَةِ، حاوَلَتْ كُلُّ طائفَةٍ التَّمَسُّكَ بِها، والتَّكَلُّمَ بِها، على التَّقْليدِ أو على الرَّسْمِ في آن، غَيْرَ مَديحِ النَّفْسِ أنْ نَحْنُ خَيِّرونَ وغَيْرُنا سَيِّئونَ، ما تُريدُ أنْ تَسْمَعَ مِنْ أحَدِهِم، أتُريدُ القَولَ الصُّوفيّونَ لا يملِكونَ أكْثَرَ مِنَ الكَلِمات، واخْتِلافُ أحَدِهِمْ مَعَ الآخَرِ أكْثَرُ مِنْ سائرِ الفِرَق، أقولُ لا شُغْلَ لي بِذلِك، أنْ ظَنَنْتَ هؤلاءِ صُوفِيّينَ، وأنَّ كُلَّ مُدَّعٍ يكونُ كما ادَّعى، أنا أقولُ لَكَ أصْلَ المَطْلَب.

أقولُ للشَّخْصِ الَّذي يملِكُ المالَ أنْ لا حاجَةَ بِهِ لِجَمْعِ الأموالِ التَّالِفَةِ للنَّاس، بَلْ أنْ يرعى المُفْلِسينَ، وأنْ ينْفَعَ بِما لَدَيْهِ مِنْ دَوْلَةٍ ومُكْنَةٍ ومالٍ، كُلَّ مُعْدِمٍ بلا مال، ونَحْنُ نُسَمّي مِثْلَ هذا الشَّخْصِ صُوفِيّاً، وأنتَ سَمِّهِ ما شِئتَ، بِشَرْطِ أنْ لا يكونَ شُغْلُ هذا الشَّخْصِ ذِكْرَ أخبارِ الماضين، وإظْهارَ دَولَةِ نَفْسِه، وأنْ لا

يكونَ شَخْصاً صارَ ثَرِيَّاً بِمالِ السَّابِقين، وتَجَمَّلَ بإجلالِ أُسْرَةٍ قَديمَةٍ كانَتْ في قَديمِ الأيَّام.

مِنْ وَصْفِ مائدَةِ السَّلاطينِ والمَأكولاتِ الكَثيرَةِ والنِّعَمِ المُخْتَلِفَةِ المَوجودَةِ على سُفْرَتِهِم، أو كانَتْ موجودَةً، ما انتِفاعُ الجائعِ المُفْلِس، وإنْ وُجِدَ البَعْضُ مِمَّنْ لم يَسْمَعوا مِنَ التَّصَوُّفِ بِغَيْرِ الاِسْمَ، ورأسُمالِهِم أوراقٌ كَتَبَها الآخَرونَ، وهُمْ فيما بينَهُمْ مُخْتَلِفون، وفي إبطالِ بَعْضِهِمْ يَسعون، وهُمْ بِأسرارِ وعقائدِ هؤلاءِ القَومِ جاهِلون، وبإرادَةِ الأُمَراءِ والأعيانِ أو اجْتِماعِ جَمْعٍ مِنَ العوامِّ الجاهِلينَ مُفْتَخِرونَ، ومُشْتَهِرون، وهُمْ على رَوِيَّةٍ وَسَجِيَّةٍ عُمومِ النَّاسِ في المُعْتَقَداتِ والأعْمالِ مِنْ تَقْليدِ المُتَقَدِّمين، ولمْ يَجِدوا سُنْبُلَةً مِنْ حُرْمَةِ الآدَمِيَّةِ إلاَّ التَّقْليدَ المَحْضَ والتَّعَصُّبَ الصِّرْفَ، ولم يَسْتَبْدِلوا الصِّفاتِ الحَيوانِيَّةَ بالأخْلاقِ الإنسانِيَّةِ، فَنَحْنُ لا نُسَمِّي أولئكَ صُوفِيِّين، ولا نَعْتَرِفُ بِهِم مِنَ السَّالِكينَ في هذا الصِّراط، وقد صارَ مَدارُ مُدَّعيّ هذا الأمْرِ هذا العَصْر على هذا.

والبَعْضُ كَتَبوا رَسائلَ وكُتُباً بادِّعاءِ القُطْبِيَّةِ، يتباهى واحِدُهُم بالخِلافِ مَعَ شَخْصٍ مَعْروفٍ أو غَيْرِ مَعْروفٍ، بِدَعوى أنا ولا غَيْري، والبَعْضُ الآخَرُ يُظْهِرونَ الكَمالَ بِعُنوانِ التَّسْخيرِ والإكسيرِ وإحْضارِ الأرواحِ والطَّلْسَمِ وَعِلْمِ الحُروفِ والجِفْرِ واسْتِخْراجِ العَزائمِ والأذْكارِ في التَّحْبيبِ والتَّفْريقِ بِما يُناسِبُ حالَ النِّسْوانِ أو حالَ رِجالٍ غالِبٍ بِهِمْ طَبْعُ النِّسوانِ، والبَعْضُ الآخَرُ يُظْهِرونَ الكمالَ بِقِراءَةِ أوراقِ ورسائلِ السَّابِقينَ مِنْ قَبيلِ المَثْنَوي والفُصوص مِنْ دونِ أنْ يكونوا تَعَلَّموا عِلْمَ التَّصَوُّفِ مِنْ أهْلِهِ، ويتكلَّمونَ بالدَّرْوَشَةِ، ويقومونَ بِنَفْيِ عارِفِ وَقْتِهِم، مَعروفاً كانَ أمْ غَيْرَ مَعْروف.

والبَعْضُ الآخَرُ ينسُجونَ مَجْهولاتٍ في ذِكْرِ حالِ المُعاصِرينَ، وينتَقِلونَ مِنْ مَجْلِسٍ لِمَجْلِسٍ، وفي كُلِّ مَجْلِسٍ ينقُلونَ أنْ في الوَقْتِ الفُلانِيِّ مَعَ فُلانٍ وفُلانٍ في المَجْلِسِ الفُلانِيِّ، كُنَّا مُجْتَمِعينَ وَجَرى مِنْ هذا القَبيلِ ومِنْ ذاكَ القَبيل.

وهؤلاءِ دَوماً ما يَتَحَدَّثونَ عَنْ مَيّتينَ وغائبين، لا عَنْ أحياءٍ حاضِرين، في أُناسٍ ليسوا مِنْ أهْلِ هذا الأمْرِ وليسوا في هذِهِ الخَيالاتِ ليعْرِفوا أصَحيحَةٌ هِيَ أمْ كاذِبَةٌ، وإنْ وُجِدَ واحِدٌ كانَ مُدْرِكاً فإنَّهُ لا يقومُ بالرَّدِّ في وَجْهِهِم، وَنَهْيِهِم، يقولُ ما الضَّرورَةُ لأزعِجَ هذا الشَّخْصَ وَلَسْتُ مُرَبِّيْهِ ولَمْ يأكُلْ خُبْزي، هُوَ يَهْذي وأنا أسْمَعُ، ويَذهَبُ في عَمَلِه.

البَعْضُ الآخَرُ عارِفونَ بالمنامِ، ويرونَ دائماً في المَنامِ النَّبِيَّ والإمامَ والأصْحابَ والمَشايِخَ العِظام، وأولئكَ أقسامٌ أيضاً، فحيناً جاءَ خَبَرٌ مِنْ قَبْلُ وهُمْ يَتَحَدَّثونَ عَنْ حالِ النَّاسِ، وسَوفَ يحصلُ هذا وذاكَ، فإنْ حَصَلَ فَكَرامَةٌ، وإنْ لَمْ يَحْصَلْ فلا مُؤاخَذَةٌ.

ويُعَلِّمونَ الأذكارَ والخُتومَ أنْ أنا مُلَقَّنٌ هذِهِ الأذْكارَ لِجِهَةِ المُهِمَّاتِ لأوصِلَها للنَّاس، ومِنْ هذا القَبيلِ كَثيرٌ، وذِكْرُ ذلِكَ بِتَمامِهِ غَيْرُ مُثْمِرٍ.

والنَّاسُ الجاهِلونَ يَتَخَيَّلونَ الفَقْرَ والتَّصَوُّفَ هذا، غافِلينَ عَنْ أنَّ هذا الجَوْهَرَ في صَدَفٍ في قَعْرِ بَحْرٍ مُحيطٍ عُمْقُهُ بِطولِ عُمْرِ الآدَمِيِّ، تَحْصيلُهُ مَوقوفُ مَوهِبَةٍ، ولا يَقَعُ في اليَدِ بِهذِهِ الحِيَلِ.

47- فلْنَعُدْ للمَطْلَبِ فَقَدْ بَعُدْنا، فَلَو أنَّكَ طُفْتَ ألْفَ مَدينَةٍ، ورأيْتَ ألْفَ نَوعٍ مِنَ الآدَمِيّينَ، لَنْ تَجِدَ واحِداً لَمْ يَنْخَدِعْ بأقوالِ وأخبارِ الماضينَ على التَّقْليدِ، ولو وُجِدَ نادِراً شَخْصٌ امتازَ بِقَليلٍ مِنَ الذَّوقِ والعَقْلِ، فنِهايَةُ قَوْلِهِ أنَّ الشَّخْصَ

الكامِلَ يُمكِنُ مَعْرِفَتُهُ بِبَعْضِ العلامات، وهذا الحَرْفُ سَمِعَهُ أيضاً كثيرٌ مِنَ الآخَرينَ، وأرسَلوهُ على التَّقْليدِ، ونقلوهُ لا مِنْ وَجْهِ ذَوقٍ وَصفاءِ فِطْرَةٍ.

48–وهؤلاءِ لَمْ يحصلوا على تكميلِ النَّفْسِ وَمَطْلَبِ الإنسانِيَّةِ بَلِ انتَقَلوا مِنْ قِشْرٍ لِقِشْرٍ آخَر.

إظهارُ هذا المَطْلَبِ أنِ الإمامُ ظَهَرَ أمْ لا يزالُ غائباً لا لُزومَ لَهُ، بَلْ كانَ دَليلَ إفلاسٍ، الكامِلَ العاقِلُ مِنْ قَبْلِ أنْ يُظْهِرَ دَوْلَتَهُ للنَّاسِ، وَيَعْرِضَ ذَخيرَتَهُ، لا يقولُ لِشَخْصٍ اذْهَبْ إلى الصَّحْراءِ وارْمِ مالَكَ لأُعْطِيَكَ في مقابِلِ كُلِّ ما تَمْلِكُ مِنْ مالٍ ومنالٍ ألفاً، هُوَ وَقْتَ يَعْرِفُكَ غَنِيَّاً إلى هذا الحَدِّ، ويَجِدُ مِنْكَ كُلَّ تِلْكَ الدَّولَةِ، يَذْهَبُ قَدْرُ أموالِهِ السَّابِقَةِ مِنْ نَظَرِهِ قَهْراً، ويعْبُرُ مِنْ سُنَنِ وقواعِدِ نَفْسِهِ القديمَة.

(ما لَمْ يَرَ الطِّفْلُ أنَّ التُّفَّاحَ موجودٌ، لَنْ يَدَعَ مِنْ يَدِهِ البَصَلَ كَريهَ الرَّائحَة)

«»لا يُمكِنُكَ القَوْلُ لِواحِدٍ مِنْ أهْلِ الدُّنيا أعْطِني بَيْتَكَ وبُسْتانَكَ لأُعْطيَكَ عِوَضاً عَنْهُما الجَنَّةَ، هذا القَوْلُ دَليلُ خِفَّةِ عَقْلٍ، وعَدَمِ نُضْجٍ، وعلى فَرْضِ أنَّ أعْداداً مَعْدودَةً، أو مَجْموعَةً قَبِلوا هذا القَوْلَ، فأولئكَ لا يُمْكِنُ أنْ يُوصَفوا بالعَقْلِ والإدراكِ، بَلْ بالسُّقْمِ، ويَجِبُ التَّأمُّلُ في صِحَّةِ مِزاجِهِمْ وَعَقْلِهِم.

49– غافِلونَ عَنْ أنَّ أيَّ شَخْصٍ لا يُمْكِنُ أنْ يُعْطِيَ الإشارَةَ لأحَدٍ عَنْ فِضَّتِهِ وَذَهَبِهِ وَجَواهِرِهِ وأشيائِهِ النَّفيسَةِ، بل يَسْتُرُها إذا ما امْتَلَكَها عَنْ كُلِّ شَخْصٍ، إلاَّ أنْ يكونَ صَديقاً يراهُ كَمِثْلِ نَفْسِهِ.

أمَّا أمْرُ الحَقيقَةِ وسِرِّ الوَلايَةِ فَيَرَونَهُ سَهْلاً هكذا وَوضيعاً، ويُريدونَ أنْ يَجْعَلوا أيَّ شَخْصٍ يَمْتَلِكُهُ، ويُقَدِّمونَهُ بِكَمالِ المِنَّةِ لِكُلِّ أعْمى قَلْبٍ لا يَفْهَمُ غَيْرَ الأكْلِ والنَّومِ شَيْئاً مِنَ الدُّنيا، والحالُ أنَّكَ لَو أعْطَيْتَهُم إيَّاهُ وَوَضَعْتَهُ في أيديهِم لما عَرَفوهُ، ولَرَمَوْه.

(الطِّفْلُ يَدْفَعُ جَوْهَرَةً بِقُرْصٍ مِنَ الخُبْز)، هذا القَولُ مِثالُهُ أنَّ شَخْصاً مِنَ العوامِّ سَأَلَ طَبيباً، ما اللاّزِمُ للحَرارَةِ، وَمَنْ هُوَ الطَّبيبُ الحاذِقُ، فإذا أرادَ هذا الطَّبيبُ المِسْكينُ أنْ يُجيبَ فَعَلَيْهِ أنْ يَذْكُرَ تمامَ دَوْرَةِ الطِّبِّ، مِنْ أقسامِ الأمْراضِ وأنواعِ المُعالَجاتِ، لِهذا الشَّخْصِ مِنَ العَوامِّ الَّذي لَنْ يَفْهَمَ مِنْهُ كَلِمَةً، وَسَوفَ يقولُ لَهُ أخيراً لَو كُنْتَ طَبيباً لَكُنْتَ أفْهَمْتَني هذا المَطْلَبَ.

ومِثْلَ ذلِكَ لَو أنَّ طِفْلاً غَيْرَ بالِغٍ، عَنْ تَقليدٍ سَمِعَهُ أو مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ، سأَلَكَ عَنْ لَذَّةِ الجِماعِ كيفَ تَكونُ، ما عساكَ تُجيبُهُ، غَيْرَ أنْ تَقولَ ما نِهايَتُهُ أنَّها دُخولُ شَيْءٍ في شَيْءٍ آخَر، وماذا يستَطيعُ ذلِكَ الطِّفْلُ أنْ يَفْهَمَ مِنْ هذا.

مِنْ هذِهِ الجِهَةِ وُجودُ الصُّوفِيِّ في العالَمِ بِمثابَةِ العَنقاء، لا شَخْصَ يَستَطيعُ أنْ يَعْرِفَه، ولا طَريقَ مُمْكِنُ السُّلوكِ إلى عُشِّه، لأنَّ عُمومَ النَّاسِ مُقَيَّدونَ بالحِسِّ المَحسوسِ، ومُوثَقونَ بِوَثاقِ عالَمِ الطَّبيعَةِ.

العَنقاءُ لَيْسَتْ صَيْداً لِشَخْصٍ فاطُوِ الشِّباك، هُنا لا يَقَعُ في الشِّباكِ شَيْءٌ سِوى الرِّيح

50–أي عَزيزُ لا أظُنُّ أنَّ المَدْحَ والذَّمَّ الشَّائعَيْنِ وَسَطَ كُلِّ طائفَةٍ سيأتيانِ بِمحصولٍ، يعني سَوفَ لَنْ يبقى مِنَ الأقوالِ القبيحَةِ والجَميلَةِ الَّتي وَضَعوها في حَقِّ المُخالِفينَ والمُؤالِفينَ شَيْءٌ قابِلاً للعَرْضِ في نَظَرِ أهْلِ التَّحقيق، وموجِباً لِتَرَقِّي النَّفْسِ في الدَّرَجاتِ العالِيَةِ، واستِخلاصِها مِنْ دَرَكاتِ الهاوِيَة.

لَقَدْ قاموا بالنِّزاعِ على شَيْءٍ مَعْدومٍ، وأبطَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً بالخيالِ المَوهوم، عَجَباً مِنْ آدَمِيٍّ لا يَعْرِفُ حديثَهُ مَعَ مَنْ، وقِيْلَهُ وقالَهُ مِنْ أجْلِ ماذا.

واحِدٌ قالَ أنا كُنْتُ ذلِكَ الإمامَ الغائبَ المُنْتَظَرَ وهاأنذا قَدْ ظَهَرْتُ، لا شُغْلَ لنا بِصِدْقِ وَكَذِبِ دَعْواه، أقولُ ما الضَّرورَةُ لِتَحْمِلَ اِسْمَ الإمامِ الغائبِ المُنْتَظَر، ولو كانَ ما تقولُ حَقّاً، سَيُكَذِّبُكَ عُمومُ النَّاسِ مِنْ جِهَةِ كَونِكَ صِرْتَ مُخالِفاً لأُصولِهِم، والمُرادُ مِنْ هذهِ الدَّعْوَةِ لَنْ يَحْصَل.

أظْهِرْ كمالَكَ وَشَخْصِيَّتَكَ، وكُلُّ شَخْصٍ رأى مِنْكَ كمالَ هذِهِ الرُّتْبَةِ سيُصَدِّقُكَ مِنْ غَيْرِ قَولٍ، وسَيَعْرِفُكَ بِهذِهِ الرُّتْبَةِ، مِنْ هذا الدَّاعِيَةِ لا ثَمَرَ غَيْرَ القِيْلِ والقال.

مِثالُ هذا لَو جاءَ شَخْصٌ وقالَ أنا ألْبْ أرسَلان ويَجِبُ على النَّاسِ أنْ يَعْرِفوني مَلِكاً، وأنْ يُصَدِّقوا بِسَلْطَنَتي، مِنْ هذا الشَّخْصِ، سَيكونُ النَّاسُ في شُبْهَةٍ إلى النِّهايَةِ، حَتَّى وَلَو كانَ مَلِكاً، ولَنْ يُصَدِّقوهُ تَصْديقاً حقيقيَّاً. لأنَّهُ لَو قالَ ألب أرسلان ماتَ والآنَ عاشَ، فَبَديهِيٌّ أنَّ أحَداً لَنْ يُصَدِّقَهُ، بِدَليلِ عَدَمِ جوازِ إعادَةِ المَعْدوم، ولو قالَ كانَ غائباً والآنَ بَعْدَ ألْفِ عامٍ ظَهَرَ، فالشَّخْصُ الَّذي لَمْ يَكُنْ رآهُ، لِيعْرِفَ أهُوَ هذا أمْ لا، سَيَظَلُّ دائماً في شُبْهَةٍ مِنْ هذا الأمْر، إلاَّ أنْ يكونَ إنساناً ضَئيلَ الذِّهْن.

أمَّا لَو أتى شَخْصٌ وأظْهَرَ آثارَ سَلْطَنَةِ نَفْسِهِ، فَقَوْلُهُ أنا سُلطانٌ غَيْرُ لازِمٍ، إذْ كُلُّ شَخْصٍ يرى أنَّهُ سُلْطانٌ، ولو كانَ ذاكَ واقِعاً ألب أرسلان فَلَنْ يكونَ لِشَخْصٍ شُبْهَةٌ في حَقِّهِ، وسيكونُ مَقْصودُهُ حاصِلاً مِنْ دونِ دَعْوى، اِفْهَمْ ما أقول.

أمَّا الشَّخْصُ الَّذي قامَ بادِّعاءِ الرُّكْنِيَّةِ والنِّيابَةِ مِنْ جانِبِ ذلِكَ الشَّخْصِ الغائبِ بِطَورِ الخُصوصِ فالحالُ واحَدَةٌ، فإنَّ شَخْصاً لَمْ يَرَهُ لِيَعْلَمَ وَيَفْهَمَ أنَّ هذا نائبٌ مِنْ جانِبِه، أو رُكْنٌ أو مِرآةُ ظُهُورٍ لَهُ، وظُهُورُهُ ادِّعاءٌ، والادِّعاءُ لا يَرْفَعُ شُبْهَةً، ولا يُوجِبُ يقيناً، وهُوَ نَوْعٌ مِنَ المَظَنَّةِ أيضاً، ***وإنَّ الظَّنَّ لا يُغْني مِنَ الحَقِّ شَيْئاً***، والعِلْمُ والزُّهْدُ ليسا علامَةً لِهذا المَطْلَبِ، لأنَّ الرِّجالَ، مِنْ عالِمٍ وزاهِدٍ في الدُّنيا، على قَدْرِ مَراتِبِهِمْ، كَثيرٌ، فَمِنْ أيِّ عِلْمٍ يكونُ حاصِلاً أنَّ هذا العالِمَ يَمْلِكُ النِّيابَةَ بالاخْتِصاصِ مِنْ ذلِكَ الغائبِ الَّذي لَمْ يَرَهُ أيُّ شَخْصٍ.

51–وما دامَ وَصَلَ إلى حَدِّ البَداهَةِ أنَّ الأرْضَ لا يُمكِنُ أنْ تَخْلُوَ لَحْظَةً مِنْ خَليفَةٍ، وعُرَفاءُ الحَقِّ يُسَمُّونَهُ قُطْبَ العالَمِ، والبراهينُ العَقْلِيَّةُ علاوَةً على عيانِ الصُّوفِيَّةِ في هذا البابِ مُتَجاوِزَةٌ حَدَّ الإحصاءِ، ورُبَّما لا حاجَةَ لإقامَةِ الدَّليلِ على إثباتِ هذِهِ الدَّعْوى لأهْلِ الوَعْيِ، كما لا حَرَجَ مِنْ ذلِكَ لِلَّذي هُوَ مُنْكِرٌ.

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ العَرَبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ، كانَ صاحِبَ هذا المقامِ بِإجماعِ الفَريقَيْنِ، بَلْ إنَّ البَعْضَ يَرونَ مقامَهُ أعلى مِنْ هذا.

فبالبَديهَةِ يَجِبُ أنْ يكونَ في العالَمِ مِنْ بَعْدِهِ شَخْصٌ بِمَقامِهِ وَرُتْبَتِهِ، وباعْتِقادِ عُمومِ أهْلِ الإسلامِ مِنَ الأُمَّةِ هُوَ مَوجودٌ، وبَديهِيٌّ أيضاً أنَّ عُقولَ الخَلْقِ عاجِزَةٌ عَنْ إدراكِ رُتْبَةِ ومقامِ مِثْلِ هذا الشَّخْصِ، مِنْ جاهِلٍ ومِنْ عالِمٍ.

وبِما أنَّ أيَّ دانٍ لا يستَطيعُ أنْ يَعْرِفَ الأعلى مِنْهُ، فَطَريقُ مَعْرِفَتِهِ إذَنْ مُنْحَصِرٌ بِقِسْمَيْن: تَعْيينِ ذلِكَ القُطْبِ السَّابِقِ لَهُ، بِأنْ يَقُولَ: الشَّخْصُ الفُلانِيُّ خليفَتي مِنْ بَعْدي، أو تَصَرُّفِ ذلِكَ الشَّخْصِ اللاَّحِقِ نَفْسِهِ، بِحَيْثُ يراهُ كُلُّ شَخْصٍ لائقاً، ويُريدُ أنْ يكونَ في حَقِّهِ عارِفاً.

المُجاهَدَةُ أيضاً وَجْهٌ وتِلْكَ أيضاً جُزءُ تَصَرُّفاتِهِ، ذلِكَ لأنَّ مُجاهَدَةَ غَيْرِ ذي الغَرَضِ يَجِبُ أنْ تَمْنَحَهُ المُشاهَدَة، فَغَيْرَ هذينِ القِسْمَيْنِ لا طريقَ آخَرَ لِمَعْرِفَتِهِ، وهذا المَطْلَبُ نَفْسُهُ بُرهانٌ، ولا يَطْلُبُ بُرْهاناً آخَرَ.

أمَّا الشِّقُّ الأوَّلُ بأنْ يكونَ نَصٌّ في حَقِّ أبي بَكْر رِضوانُ اللهِ عَلَيْهِ فَلَمْ يَكُنْ، ولو كانَ لَمْ تَكُنْ ثَمَّةَ حاجَةٌ لإجْماعِ الأُمَّة، والإجماعُ دليلٌ على أنَّ المُسْلِمينَ لَمْ يَعْرِفوا أبا بَكْرٍ صاحِبَ هذا المقامِ الَّذي هُوَ الخِلافَةُ العُظْمى والقُطْبِيَّةُ الكُبْرى، بَلْ شَخَّصوهُ رئيساً لأنْفُسِهِمْ، لِئَلاَّ تَخْتَلَّ أُمورُهُم المَدَنِيَّةُ، كما تَفْعَلُ كُلُّ طائفَةٍ بِنَصْبِ رئيسٍ لها لِحِفْظِ تَمَدُّنِها، وإلاَّ فَمِنَ المُحالِ أنْ يكونَ كُلُّ أولئكَ القَومِ مَعَ المُصاحَبَةِ للرَّسولِ عَلَيْهِ السَّلامُ لَمْ يَفْهَموا أنَّ الأرْضَ لا تَخْلو مِنْ حُجَّةٍ، وأنَّ الحُجَّةَ لا تَكونُ بإجْماعِ الخَلْق، فَأَعَمُّ مِنْ أنَّ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلَهَ نَصَبَ للخلافَةِ شَخْصاً أمْ لَمْ يَنْصِبْ، فإنَّ الصِّدِّيْقَ رَضيَ اللهُ عَنْهُ لَمْ يَكُنْ صاحِبَ هذا المقام، ولَمْ يَكُنْ لِهذا الأمْرِ مِنْ مُدَّعٍ آخَرَ غَيْرَ عليٍّ عَلَيْهِ السَّلام.

مُحَمَّد(ص) كانَ خَليفَةَ الله، بِدَليلِ غَلَبَتِهِ على أهْلِ زَمانِهِ بِدونِ أسبابٍ ظاهِرَةٍ، أو كَثْرَةِ مالٍ، أو كَثْرَةِ أنصارٍ وأعوانٍ، أو عِلْمٍ قَبِلَ بِهِ عُلَماءُ عَصْرِهِ، وذاكَ في صُورَةِ كَونِهِ غَيْرَ مُخالِفٍ لأصولِهِم، وهُوَ لَمْ يَكُنْ يَمْلِكُ أيَّاً مِمَّا سَبَقَ في بِدايَةِ أمْرِهِ، وصارَ غالِباً، وهذا مِنْ دونِ تأييداتٍ إلهِيَّةٍ غَيْرُ مُمْكِنٍ، وأنْ ينْتَصِرَ وَيَغْلِبَ مَعَ ذلِكَ الإدّعاءِ العَظيمِ وَعَدَمِ وجودِ الأسبابِ.

أمَّا الدَّلائلُ والآياتُ الأُخْرى الَّتي كَتَبَ الكُتُبَ بِإثباتِها أهْلُ الإسلامِ مِنْ سُنَّةٍ وشيعَةٍ فَفَضْلٌ، أي لا حاجَةَ لَها، ولا يُوْجَدُ شَخْصٌ مِنْ أهْلِ المِلَلِ والنِّحَلِ يستَطيعُ إنكارَ غَلَبَتِهِ، مِنْ دونِ أسبابٍ، والشَّخْصُ الَّذي يملِكُ مِثْلَ هذِهِ القاهِرِيَّةِ

لا بُدَّ أنْ يكونَ هُناكَ اضْطِرارٌ لإطاعَةِ أحكامِهِ، وَقَبولِ أوامِرِهِ ونواهِيه، إلاَّ لِمَنْ لا يَعْرِفُ الفائِدَةَ مِنْ خَلْقَتِهِ، ولا يَعْرِفُ جَوْهَرَ الآدَمِيَّةِ، ولا يُريدُ أنْ يَعْرِفَ، وهذا القَدْرُ في هذا البابِ كافٍ، ولا حاجَةَ في هذا لِمَزيدِ تَفصيل.

53–أي عَزيزُ، لا أقولُ أنْصِفْ، أقولُ افْهَمْ، وَقْتَ تَفْهَمُ، أنتَ تُنْصِفُ أيضاً، الفَهْمُ أصْلٌ.

مِنْ كُلِّ كلامٍ يُطْلَبُ اللَّفْظُ أو المَعْنى، أو كِلاهُما مَعاً، أمَّا اللَّفْظُ فَحُسْنُهُ في الفَصاحَةِ أو في المَضْمون، وأمَّا المَعْنى فَبِتَحْقيقِ المَعْقولِ، أو بيانِ المَنْقول.

فالآنَ فانْظُرْ إلى كلامَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلامُ أُمِّ الأُمَّةِ، أمُطابِقٌ هُوَ لِكلامِ المُرَبِّيَةِ، أمْ أنَّ خُبْزَ السَّنَةِ الماضِيَةِ لا يُشْبِعُ أحَداً هذِهِ السَّنَة، مِنْ هذِهِ الأرْبَعَةِ أقسامٍ اللاَّزِمَةِ للكلامِ أيُّ واحِدٍ غَنِيٌّ، بِحَيْثُ إذا قيسَ بِكلامِ المَولوي الرُّومي أو مُحي الدِّين بن عَرَبي أو سائرِ العُرَفاء، لا يكونُ مُعادِلاً، أو على الأقَلِّ لا يكونُ أخْفَضَ مُسْتَوىً، أو على أقَلِّ الأقَلِّ لا يُوجِبُ نُفوراً، وإذا تَوَهَّمَ شَخْصٌ أنْ رُبَّما لَدَيْهِم كلامٌ مُزَيَّنٌ بِحُسْنِ اللَّفْظِ فَيَجِبُ أنْ تَقولَ أيُّ كلامٍ ذلِكَ الَّذي هُوَ بِحَسَبِ العِبارَةِ بَديعٌ، أو أنَّ مَعْنىً مَخْصوصاً في المعارِفِ أوِ المَعْقولِ أوِ المَنْقولِ أو مِنْ أشياءَ أُخْرى، مُمْكِنُ الفَهْمِ مِنْ ذلِك، إذا وَجَدْتَ في كُتُبِ وكلِماتِ هؤلاءِ القَومِ مِثْلَ تِلْكَ العِبارَةِ فاغْلِبْني، واعْتَبِرْ كُلَّ الَّذي قُلْتُ غَلَطاً وبِغَرَضٍ، وَلْنَدَعْ هذا، تِلْكَ الفَضائلُ الَّتي ادَّعَوها ونَسَبوها لأَنْفُسِهِم، إنْ كانَتْ حقَّاً، وجاءَتْ مِنْ عُلَماءِ الأخْبارِ، أيَّ اخْتِصاصٍ تَمْلِكُ بِحَمْدٍ وَمَحْمود، وإنْ كانَ غَيْرَ ذلِكَ خَبَرٌ سَنَدُهُ غَيْرُ صَحيحٍ، وَلَمْ يَصِلْ مِنَ الرُّواةِ فَهُوَ غَيْرُ قابِلٍ للاِعْتِناءِ والاِعْتِبار،

وحينَذاكَ مِنْ أيْنَ وَصلَكَ، أنزَلَ عَلَيْكَ جَبرئيل، أمْ رأيْتَ مَناماً، أمْ أنَّكَ فَهِمْتَ مِنْ تِلْكَ الأخبارِ مَعْنىً مَخْصوصاً لَمْ يِفْهَمْهُ الآخَرونَ، ولا ذَكَروهُ، فَما ذاكَ.

وحينَذاكَ ما تَقولُهُ اجْتِهادٌ في الأخْبارِ حرامٌ، والعَمَلُ بِهِ وَقولُهُ حرامٌ، إذَنْ كَيْفَ تَفْهَمُ مَعْنىً مَخْصوصاً مِنَ الأخْبارِ، وتَقولُهُ.

فَهَلْ وَصَلْتَ إلى العِصْمَةِ مِنْ نَفسِكَ، وأيَّةُ آيَةٍ أمْ خَبَرٍ لَمْ يَقُمْ بالتَّدقيقِ في تَفْسيرِهِ أو تأويلِهِ أهْلُ التَّحقيقِ، فَهُوَ مُنْحَصِرٌ بِك.

يَجِبُ التَّرَجُّلُ والسَّيْرُ في الطَّريقِ مَعَ الرُّفَقاء، مَثَلاً تَقولُ المَجْتَهِدونَ الَّذينَ لَيْسوا أهْلَ تَحقيقِ الصُّوفِيَّةُ، وفُلانٌ وفُلانٌ قَولُهُمْ بِغَيْرِ اعتِبار. كُلُّ سارِقٍ يُكَذِّبُ كُلَّ صاحِبِ مالٍ أنْ هذا مِنْ أينَ مالُهُ،

54- ثُمَّ أقولُ:

«ماءُ المَطَرِ جاءَ بِمِئَةِ لَوْنٍ في البُستان، المِزرابُ جَعَلَ الجارَ في حَرْب»

رأينا البَعْضَ مِنْ مُدَّعي الطَّريقَةِ والتَّصَوُّفِ، وكانوا بلا خَبَرٍ عَنْ مَعْنى التَّصوُّف، كما ذُكِرَ سابِقاً، وقَدْ أخَذوا مَحلَّةً حَيْدَريَّةً وَنِعَمَةً، والمُريدونَ في جَماعاتٍ بالدُّروعِ والحِرابِ مِنْ أمامِهِم يَضرِبونَ على الصُّدورِ ويُضَيِّقونَ على السَّائرينَ طريقَ العُبور، أنْ سِلْسِلَتُنا نَحْنُ موصولَةٌ مِنْ زمانِ الإمامِ يَداً بِيَد، ونَحْنُ أولى بِنيابَةِ وَخْلافَةِ إمامِ العَصْرِ عَجَّلَ اللهُ فَرَجَهُ، ومَوكِبُنا يَجِبُ أنْ يَمُرَّ أوَّلاً، وأنتُمْ سَرَقْتُمْ بَيْرَقَنا، وأخَذْتُم حُروفَ العِرفانِ مِنْ كُتُبِنا، نَحْنُ الفُقَراء، لِكي تَزيدوا حَرارَةَ بازارِكُم، المُؤمِنْ يَجِبُ أنْ يَألَمَ للدِّين.

لذا عُقِدَتِ الصُّفوفُ المُتقاتِلَةُ والمُتَخاصِمَةُ عَنْ يَمينٍ وَيسارٍ، وجَماعَةٌ أُخْرى تُقيمُ مَجالِسَ الزُّورِ، وتسيرُ المجموعاتُ مَعَها في الطَّريق، وأمامَ كُلِّ واحِدَةٍ مِنْها يتِمُّ ذِكْرُ عُيوبِ الأُخْرى، ومِنْ هذا وذاكَ، وعِلَلُهُم كثيرَةٌ مِمَّا هُوَ غَيْرُ قابِلٍ للذِكْر.

55–البابيَّةُ تقولُ لَقَد سَبَقَ نَسْخُ الشَّريعَة، فَلَو قامَ شَخْصٌ بادِّعاءِ شَرْعٍ جَديدٍ وَنَسْخِ الشَّريعَةِ السَّابِقَةِ، فلا يكونُ إثْباتُ هذا المُدَّعى بِكِتابٍ وبيان، يعني في هذِهِ الدَّعوى اللَّفْظُ غَيْرُ كافٍ.

إذا قِيْلَ أيَّ دليلٍ تَملِكونَ غَيْرَ القُرآنِ للنَّبيّ العَرَبِيّ، فالجَوابُ هُوَ أنَّهُ نَحْنُ لَمْ نَكُنْ في زمانِهِ، ولا نَعْلَمُ أهْلُ ذاكَ الزَّمانِ بِأيِّ دَليلٍ صَدَّقوه، وأيَّةَ مُعْجِزَةٍ رأوا مِنْه. والآنَ لَيْسَ في يَدِنا شَيءٌ غَيْرَ القُرآن، فإنْ بُنِيَ على أنْ نقومَ بِتَصْديقِ مِثْلِ هذا الأمْرِ المُعَظَّمِ باللَّفْظِ، فذاكَ اللَّفْظُ الَّذي نَملكُ أفْضَلُ، وأكثَرُ كِفايَةً، يُمكِنُ تَرْكُ العاداتِ السَّابِقَةِ لِشَيءٍ مُعَظَّمٍ أكْثَر، وإلاَّ فأيُّ لُزومٍ للانتِقالِ مِنْ عادَةٍ أعْلى إلى عادَةٍ أدنى، أو مُساوِيَةٍ على فَرْضِ المُساواة.

56– أمَّا الشَّيْخِيَّةُ فَلَيسَ في يَدِهِمْ عُنوانٌ مَخْصوصٌ مِنْ أجْلِ مَطْلَبِ هذِهِ الفِرْقَة، ولَهُمْ أقوالٌ مُخْتَلِفَةٌ ينقضُ أحدُها الآخَرَ، في مكانٍ قالوا للنَّبِيّ اِسْمانِ، واحِدٌ أرضِيٌّ وواحِدٌ سَماوِيّ، اِسْمُهُ الأرْضِيُّ مُحَمَّدٌ، ظَهَرَ مِنْ قَبْلِ ألْفٍ وثلاثِمائةِ عامٍ، وبِذاكَ الاِسْم تكونُ تَرْبِيَةُ عالَمِ المُلْكِ.

واسْمُهُ السَّماوِيُّ أحْمَدُ، وبهذا الاِسْمِ يُرَبّي المَلَكوتَ الأعْلى، وَمَظْهَرُ كمالِ ذلِكَ الاِسْمِ الشَّيْخُ أحْمَدُ احسائِيّ، الَّذي ظَهَرَ في هذا العَصْرِ، ومِنْ زمانِ غَيْبَةِ الإمامِ إلى ظُهُورِهِ كانَ الزَّمانُ جاهِلِيَّةً.

في مكانٍ آخَرَ قالوا لا دَخْلَ للإمامِ السَّابِقِ بأمْرِ الزَّمانِ اللاَّحِق، كما هَيَ نارُ السَّنَةِ الماضِيَةِ لا تُعْطي الدِّفْءَ هذِهِ السَّنَةَ، وخُبْزُ السَّنَةِ الماضِيَةِ لا يَمْنَحُ الشَّبَعَ هذِهِ السَّنَة.

وفي مكانٍ آخَرَ قالوا في زمانِ غَيْبَةِ الإمامِ يَجِبُ الرُّجوعُ إلى الرُّكْنِ الرَّابِع، الَّذي هُوَ مِرْآةُ مَظْهَرِ الإمام، ومِنْ هذا القَبيلِ مِنْ أقولٍ مُتناقِضَةٍ مُتَضادَّةٍ زائدَةٍ عَنِ الحَدِّ بلا دَليلٍ ولا إثباتٍ.

57–أمَّا الإثناعَشَرِيَّةُ فقالوا بِغَيْبَةِ المَهْدِيِّ، وقالوا أنَّهُ سَيَظْهَرُ، وَأنَّهُ سَيَغْلِبُ على وَجْهِ الأرْض كُلِّها، وقالوا أنَّهُ حَيٌّ ألْفَ عامٍ بالحياةِ العُنْصُرِيَّةِ، ويَعْرِفونَ هذا الاِعْتِقادَ مِنْ ضَروراتِ المَذْهَب.

فإذا ما قامَ شَخْصٌ بادِّعاءِ هذا المقامِ، فَدَعْواهُ لَنْ تكونَ خارِجَةً عَنْ عِدَّةِ أقسامٍ.

إذا قالَ أنا ذلِكَ الهَيْكَلُ المَخْصوصُ المِعَيَّنُ الَّذي غابَ وَقَدْ حَضَرْتُ، وما مِنْ شَخْصٍ رأى لَهُ أباً وأُمّاً، ولا شَخْصَ يَعْرِفُهُ مَنْ يكونُ، فلا بُدَّ أنْ تَظْهَرَ مِنْهُ، مِنْ دونِ تأويلٍ، العلاماتُ الَّتي يذكُرُها أهْلُ المَذْهَب، أمَّا إذا عُلِمَ أبوهُ وأُمُّهُ فَدَعْوَتُهُ لأهْلِ هذا المَذْهَبِ بَعيدَةٌ، وإذا قالَ اعْتِقادُ الشِّيْعَةِ في هذِهِ المَسْأَلَةِ خَطَأٌ، والمِهْدِيُّ ذاكَ لَيْسَ مَوجوداً بالجِسْم، والمَهْدَويَّةُ نَوْعٌ، لا بُدَّ أنْ تَظْهَرَ مِنْهُ تِلْكَ العلامات، وأنْ يُثْبِتَ هذا المُدَّعى بالعلامات.

وَصاحِبُ مِثْلِ هذِهِ القُدْرَةِ غُيْرُ مُحتاجٍ لِهذا الاِسْمِ والرَّسْمِ والعُنوان، كما أنَّ شَمْسَ اليَومِ غَيْرُ مُحْتاجَةٍ لِتَقولَ أنا شَمْسُ الأمْسِ تِلْكَ، وَقَدْ طَلَعْتُ بِهذا الضِّياء، ضياءُ الشَّمْسِ كافٍ لَها عَنْ كُلِّ نَوْعِ ادِّعاء.

وإذا ما أرادَ تَأويلَ وَتَوجيهَ الآثارِ والعلاماتِ فهذا عِنوانٌ آخَرُ، وما نَفْعُ ادِّعائهِ بِهذا الاِسْمِ والعُنوان، يَعني المَهْدَوِيَّة.

وَديعَةُ الوِلايَةِ مَوجودَةٌ في كُلِّ فَرْدٍ مِنْ أفْرادِ النَّاسِ، فإذا جاءَ هذا الكَمالُ مِنَ القُوَّةِ بالفِعْلِ فلا عَجَبَ، وآثارُهُ عِلْمٌ وَقُدْرَةٌ، لا لَفْظٌ وبيانٌ، وذاكَ قِسْمان.

إذا كانَ مُدَّعي الأمْرِ يملِكُ دَعْوَةً فلا بُدَّ مِنْ كَونِ ذاكَ الاِدِّعاءِ بِأَمْرِ الله، وإظْهارُ العِلْمِ والقُدْرَةِ مِنْ شَخْصٍ كامِلٍ واصِلٍ لَيْسَ مُشْكِلاً، يَجِبُ أنْ يكونَ طائلَ اللِّسانِ، طائلَ اليَدِ، يَعْني يجِبُ أنْ يَتَمَتَّعَ بالقُدْرَة.

وإنْ كانَ لا يَمْلكُ دَعْوَةً وكانَ إظهارُ العِلْمِ والقُدْرَةِ بِمَيْلِ نَفْسِهِ، فليسَ لِشَخْصٍ الحَقُّ بالطَّلَبِ مِنْه.

وإذا كانَ ادِّعاءً مَحْضاً فَلَيْسَ قابِلاً للرَّدِّ أو القَبولِ بلا دَليلٍ وإثباتٍ، التَّحَدُّثُ عَنْ مراتِبِ العِشْقِ والعِرْفانِ، وإظْهارُ الذَّوقِ لا يتَطَلَّبُ دَعْوَةً، كُلُّ شَخْصٍ مِنْ أهْلِ كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الذَّوقِ سَيَرْتَبِطُ بِأَهْلِ جِنْسِ ذَوْقِهِ قَطْعاً، كما لا حاصِلَ مِنْ تَرْكِ العاداتِ السَّابِقَة، وتَبْديلِ قِشْرٍ بِقِشْرٍ آخَرَ، وانتِقالٍ مِنْ تَقْليدٍ وَعادَةٍ إلى تَقْليدٍ وَعادَةٍ آخَرَين.

58–اِعْلَمْ أنَّ مَتاعَ الفَقْرِ والتَّصَوُّفِ في هذا الزَّمانِ أكْسَدَ مِنْهُ مِنْ أيِّ زمانٍ، وأهْلُهُ أقَلُّ، مَهْما بَدا الأمْرُ على الخِلاف، ومُدَّعو هذا المَطْلَبِ كَثيرون، بَلْ لَيْسَ إلاَّ الأقَلُّ مِنَ الأشْخاصِ مِمَّنْ لَمْ يَدَّعِ هذا المَطْلَبَ، وَلَمْ يَحْسِبْ نَفْسَهُ مِنْ هذِهِ الفِرْقَة، حَتَّى أَنَّ طُلاَّبَ العُلومِ وَعُلَماءَ الرُّسومِ وأربابَ الحِرَفِ والصَّنائعِ يتَضايقونَ مِنْ أنْ يُنْسَبوا للقِشْرِ وَعَدَمِ المَعْرِفَة، فَلَو قالَ شَخْصٌ الشَّخْصُ الفُلانِيُّ لَيْسَ دَرويشاً حَزِنَ لِذلِك، ومُعْظَمُ الأُمَراءِ والأعيانِ يَحْتَرِزونَ مِنْ اِسْمِ

الصُّوفِيّ غافِلينَ عَنْ أنَّ مَعْنى الدَّرويشِ والعارِفِ والسَّالِكِ لَيْسَ غَيْرَ مَعْنى الصُّوفِيّ عَينِهِ، واللَّفْظُ مُخْتَلِفٌ.

إلاَّ أنَّ جَميعَ هؤلاءِ الأشْخاصِ المَذْكورينَ جاهِلونَ بِأُصولِ وفُروعِ هذا المَطْلَب، وغُرَباءُ عَنْ حَقيقَتِه، وغيْرُ مُطَّلِعينَ على كَمِّهِ وكيفِيَّتِه، وهؤلاءِ في الواقِعِ مُسْتَقِرونَ على ظاهِرِهِم، وَلَمْ يَشُمُّوا عَبيراً مِنَ الفَقْرِ والمَعْنى، لأنَّ الشَّخْصَ إذا احتاجَ إلى الطَّبيبِ فلا بُدَّ يسعى لِيَظْفَرَ بِطَبيبٍ مُدْرِكٍ وعالِمٍ، لِئلاَّ يُخْطِئَ في المُعالَجَة، أمَّا في الأمراضِ الرُّوحانِيَّةِ فليسَ الأمْرُ كذلِكَ.

مِنْ هذا كَسَدَ المَتاعُ، وَقَلَّ طالِبُهُ، وصارَ الجَميعُ بِغَيْرِ اعتِناء بِهِ، وحتَّى الأشْخاصُ الَّذينَ هُمْ مُدَّعونَ، وَلَمْ ينتَقِلوا، هُمْ في عَيْنِ إظْهارِ الاِعْتِقادِ بِغَيْرِ اعتِقاد، لأنَّهُ لَيْسَ هُناكَ في العالَمِ مِنْ عِلْمٍ وكمالٍ وَحِرْفَةٍ وفَنٍّ لا يكونُ مِنْهُ مأخَذٌ مِنْ أجْلِ التَّوحيدِ والمعارِفِ الإلهِيَّةِ، ولا فائدَةَ مِنْ خَلْقِ العالَمِ وآدَمَ غَيْرُ هذِه.

لَو كانَ شَخْصٌ في حاجَةٍ لِبَنَّاءٍ أو تاجِرٍ، فإنَّهُ يسعى للحُصولِ على أُستاذٍ في المَجالِ، ليكونَ عَمَلُهُ مِنْ وَجْهِ عِلْمٍ ومأخَذٍ، ويقومُ بالبَحْثِ خَشيَةَ أنْ يكونَ هذا البَنَّاءُ غَيْرَ عالِمٍ، وتكونَ عَمارَتُهُ ناقِصَةً، أو هذا التَّاجِرُ مُفْلِساً ولا يقومُ بإيصالِ الأمانَةِ، وهكذا.

أمَّا في العَمَلِ المُتَعَلِّقِ بِأُصولِ الدِّياناتِ، فَهُوَ لَيْسَ بِصَدَدِ أنْ يَفْهَمَ أهذا المَرْشِدُ كامِلٌ، وشرائطُ ولوازِمُ الإرشادِ فيهِ مُجْتَمِعَةٌ، ومأخَذُهُ صَحيحٌ، أمْ لا.

الآنَ هُناكَ أشخاصٌ آخَرونَ مُخْتَلِفونَ في هذا المقام، البَعْضُ يقولونَ نَحْنُ بِنَوعِ هذا المَطْلَبِ مُعْتَرِفونَ، لا بِشَخْصٍ.

عِرْفانُهُمْ مُنْحَصِرٌ بِقِراءَةِ كُتُبِ المَثْنَوي وحافِظ، أو إذا كانوا مِنْ أَهْلِ العِلْمِ بِقِراءَةِ الكُتُبِ العِلْمِيَّةِ للعُرَفاء، ويَرونَ هذا كافِياً، ويَعُدُّونَ أَنْفُسَهُمْ عارِفين، ويتَزَيَّنونَ، وينسجونَ الأشعارَ، ويقرؤونَها عِنْدَ أمثالِهِمْ.

وإذا ما ذُكِرَ اِسْمُ عارِفٍ أو مُرْشِدٍ عِنْدَ ذلِكَ الشَّخْصِ، حَقَّاً كانَ أو باطِلاً، يَجْعَلُ مِنْ تَصَوُّراتِ نَفْسِهِ المَوهُومَةِ ميزاناً لِمَعْرِفَتِهِ، وينتَقِدُهُ، ومُعْظَمُ أَهْلِ الدُّنيا مِنْ هذا الطَّور، ومُعْظَمُ هذِهِ الجَماعِةِ أتباعُ الشَّياطين.

لا يَقْبَلونَ السَّيْرَ تَحْتَ حِمْلِ شَخْصٍ، ولا يقومونَ بالتَّمكين، يَرَونَ ذلِكَ الشَّخْصَ راجِحاً على أَنْفُسِهِم، لِذلِكَ هُمْ مُضْطَرُّونَ ليحيكوا لَهُ المعائب.

59–أمَّا تفاوتُ حالاتِ الخَلْقِ واخْتِلافُ النُّفوسِ وَدَرَجاتِ العُقولِ وَطَبَقاتِ النَّاسِ في قَبولِ مَشْرَبِ الفَقْرِ والتَّصَوُّف.

فيَجِبُ العِلْمُ أنَّ الفقيرَ الصُّوفِيَّ كانَ في كُلِّ زمانٍ نادِرُ الوُجود، ولا يوجَدُ مِنْهُ حتَّى ما بينَ الأشخاصِ الَّذينَ هُمْ مِنْ أَهْلِ المَشْرَبِ وأصحابِ المقامِ، واحِدٌ بالمِئةِ ألفٍ. كما قالَ العارِفُ الرُّومِيُّ قُدِّسَ سِرُّهُ:

« مِنْ مِئاتِ الآلافِ واحِدٌ صُوفِيٌّ، الباقونَ مِنْ دَوْلَةِ ذاكَ يحيون »

«ذا لَيْسَ مَسْجِداً يُفْتَحُ بابُهُ كُلَّ لَحْظَةٍ، لِتَأْتي مُتَأَخِّراً وتجْلِسَ في الصَّفِّ الأَوَّل»

وَمِنَ العجائبِ أنَّ مُرشِدي الفَقْرِ في طَهْرانَ أَكْثَرُ عَدَداً مِنْ أربابِ الحِرَفِ والصَّنائع.

خُلطَ التَّصَوُّفُ والمَشارِب، في عَهْدِنا ذا لا يُناسِب؛ بيانُ كُلّ جَماعَةٍ عَنِ التَّصَوُّف، خَلْطٌ مِنَ الإجْحافِ والتَّكَلُّف؛ أَدْخَلَ كُلُّ قَومٍ مَقالَ الصُّوفِيّينَ، باطِلاً في مقالِ أَنْفُسِهِم؛ الخَلْطُ في الأمْرِ شائع، لا يُعْرَفُ التَّصَوُّفُ مِنَ الشَّرائع.

60–أي عَزيزُ ما مِنْ شَخْصٍ إلاَّ ويرى الدَّروَشَةَ كمالاً، وَيَفْتَخِرُ بِذلِك، والجَميعُ يقولونَ نَحْنُ دَراويشُ، وَلَو كانَ أَحَدُهُمْ أميراً أَمْ غَنِيَّاً، يَعني نَحَنُ غَيْرُ مُقَيَّدين، أَمْرٌ كَهذا لأجْلِ ذلِكَ يَجِبُ أنْ يَكونَ قانوناً مُسَلَّماً، وَلَوْ أَنَّهُ لَمْ يكُنْ كذلِكَ ما كانَ قابِلاً لِيَتَفاخَرَ بِهِ شَخْصٌ.

لأَنَّهُ لا يُوجَدُ أَمْرٌ مِنَ الأُمورِ الوُجودِيَّةِ إلاَّ وَلَهُ قانونٌ مُسَلَّمٌ وَحَيْثٌ مَعْنَوِيٌّ، وإلاَّ لَمْ يكُنْ قابِلَ الإعْتِبارِ والإعْتِناء.

إذَنْ إذا كانَتِ الدَّرْوَشَةُ مِنَ الأُمورِ الوجوديَّةِ فَهِيَ حَتْماً لَيْسَتْ بِلا قانونٍ، أمَّا إذا كانَ المُدَّعي يَبْحَثُ عَنِ التَّفاخُرِ بِشَيْءٍ مَعْدومٍ، وإذا كانَ يَطْلُبُ مِنْ هذا اِسْماً وَمَعْنىً وَمَفْهُوماً أُخَرَ، أو إذا كانَ كُلَّ شَخْصٍ بِسَليقَتِهِ يَتَصَوَّرُ مَعْنىً مَخْصوصاً مِنْ ذلِك، فَهذا غَلَطٌ، لأنَّهُ لَيْسَ لِكُلِّ اِسْمٍ مَعْنىً خاصٌّ، فَقَدْ يُذْكَرُ الإِسْمُ *شاه* ويَكونُ القَصْدُ الخادِمَ، وبالعَكْس.

وإذا ما قالَ شَخْصٌ المُعْتَبَرُ القَصْدُ، وَدَعْ ما شِئتَ مِنْ اِسْمٍ، فهذا خارِجٌ عَنِ القانونِ الكُلِّيِّ كما هُوَ خارِجٌ عَنْ مَوضوعِ مَطْلَبِنا أيضاً.

وإنْ كانَ قَصْدُ أولئكَ هُوَ أنَّ المَنْظورَ لنا مِنْ اِسْمِ الفَقْرِ إظْهارُ الدَّرْوَشَةِ مِنْ شَخْصٍ، لا على طَريقِ الدَّرْوَشَةِ والفَقْر، فَمَثَلُ ذلِكَ مَثَلُ شَخْصٍ يَعْرِفُ اِسْمَ الماءِ، لكِنَّهُ لا يَعْرِفُ ما يَجِبُ عَلَيْهِ أنْ يَشْرَبَ لِرَفْعِ العَطَشِ حينَ يَعْطَشُ، وهذا نِهايَةُ الجَهْل.

والشَّخْصُ الَّذي لا يَعْرِفُ حَقيقَةَ شَيْءٍ لا بُدَّ لَهُ مِنَ الإفراطِ والتَّفْريط، ولا يَصِلُ في ذلِكَ أبَداً لِحَدِّ الاِعْتِدالِ والاِسْتِقامَة، ولا يَسْتَطيعُ الوُصولَ، أو مِنْ عَدَمِ المَعْرِفَةِ الَّذي عِنْدَهُ، حِيْنَ يُريدُ الخُبْزَ، مِنْ وَجْهِ الإفراطِ، يَذْهَبُ إلى بابِ كُلِّ دُكَّانٍ، وَيَتَصَوَّرُ كُلاًّ مِنَ الحَلاَّج والعَلاَّف خَبَّازاً.

أو مِنْ حَيْثُ التَّفْريطُ يُنْكِرُ الخَبَّازَ مِنَ الأَصْل، ويقولُ ما مِنْ خَبَّازٍ في هذِهِ المَدينَة، وإذا قالَ لَهُ خَبَّازٌ الخُبْزُ لَيْسَ شَيْئاً مَجْهولاً، وكُلُّ هذا الَّذي عِنْدي خُبْزٌ، قالَ لَهُ لا أقْبَلُ كلامَكَ هذا بلا شَاهِدٍ وَبَيِّنَةٍ، المَقْصودُ مِنْ هذا المَطْلَبِ هُوَ أنَّهُ يَجِبُ طَلَبُ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ وَجْهِ عِلْمٍ وَبَصيرَةٍ، والجاهِلُ مِنَ الإفراطِ والتَّفْريطِ لا يَمْلِكُ الوَسيلَة.

لا أمْرَ في العالَمِ بلا أُصولٍ وقانونٍ وأُسْتاذٍ، (وهؤلاءِ المُدَّعونَ في طَلَبِهِ بلا خَبَرٍ)

(لَطيفَةٌ في بيانِ الخِلافَة) عامَّةُ أهْلِ الإسلامِ يقولونَ الرَّسولُ (ص) لَمْ يُعَيِّنْ خَليفَةً، والنَّاسُ أجْمَعوا على خِلافَةِ أبي بَكْر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، لأنَّهُمْ رَأَوا واجِباً وُجودَ خَليفَةٍ بَعْدَ الرَّسولِ(ص)، وتَمَسَّكوا بِحَديثِ **(لا تَجْتَمِعُ أُمَّتي على الخَطَأ)**.

أمَّا إنكارَ فَضيلَةِ أبي بكر رَضيَ اللهُ عَنْهُ فلا نَمْلِكُ، ولكِنْ هُناكَ في هذا البابِ إشكالاتٌ. أقولُ إذا كانَ الرَّسولُ(ص) لَمْ يَرَ تَعْيينَ الخَليفَةِ مِنْ بَعْدِهِ لازِماً، ولمْ يُعَيِّنْهُ، فَكَيْفَ رأتِ الأُمَّةُ لازِماً الأمْرَ الَّذي لَمْ يَرَهُ الرَّسولُ لازِماً، وإذا كانَ لازِماً وواجِباً لِماذا لَمْ يَفْعَلْهُ.

التَّعيينُ واجِبٌ على اللهِ والرَّسولِ لا على الخَلْق، وكما أنَّ سائرَ الأحكامِ لا تَكونُ بِعَقْلِ وإجْماعِ الخَلْقِ، فإنَّ تَعْيينَ خَليفَةٍ لَهُ لا يَجِبُ أنْ يكونَ بإجْماعِ الخَلْق.

ثُمَّ إنَّ رَسولَ اللهِ لَمْ يَكُنْ فاقِداً لأيَّةِ مَرْتَبَةٍ مِنْ مراتِبِ كمالاتِ الوجود، ولا يُمْكِنُ أنْ يَكونَ، والخَليفَةُ يَجِبُ أنْ يكونَ شَخْصاً كالمُسْتَخْلَفِ نَفْسِهِ، وَغَيْرَ فاقِدٍ لِمَرْتَبَةٍ، وإلاَّ فلا يُمكِنُهُ القيامُ بِأداءِ حُقوقِ الأشياءِ وَجَعلِها مُتَحَقِّقَةً في كُلِّ مَرْتَبَةٍ مِنَ المراتِب، ولا يُمْكِنُ لَهُ أنْ يَكونَ قُطْبَ العالَمِ، ومِنَ المُحالِ أنْ يكونَ قُطْبُ العالَمِ بَعْدَ النَّبيِّ(ص) غَيْرَ خَليفَتِه، فلا يُمكِنُ للعالَمِ في أيِّ زمانٍ أنْ يكونَ خالِياً مِنْ كامِلٍ مُكَمَّلٍ، وبِما أنَّ النَّبِيَّ(ص) كانَ صاحِبَ هذِهِ المَرْتَبَةِ، فَيَجِبُ أنْ تكونَ لِخَليفَتِهِ نَفْسُ هذِهِ المَرْتَبَةُ، ومِثْلُ هذا الشَّخْصِ لا تَسْتَطيعُ تَعْيينَهُ الخلائقُ، لأنَّهُم غَيْرُ عارِفينَ بالمراتِبِ الكمالِيَّة.

وكما أنَّ تَعيينَ الرِّسالَةِ والرَّسولِ لَيْسَ لِلْخَلْق، ولَيْسَ لَهُمُ الحَقُّ بِتَشْخيصِ الرَّسولِ، فهُمْ كذلِكَ لا يَملِكونَ حَقَّ تَعيينِ الوصايَةِ والوَصِيّ، لأنَّهُمْ عاجِزونَ عَنْ إدراكِ هذِهِ المِرْتَبَةِ.

إذن لو كانَ أبو بكر صاحِبَ هذا المقامِ مِنْ بَعْدِ الرَّسولِ، كانَ تَعْيينُهُ حَقّاً للرَّسول، وليسَ حَقّاً للنَّاس، وبِما أنَّ الرَّسولَ لَمْ يُعَيِّنْهُ، فإمَّا أنْ يكونَ الرَّسولُ أخْطَأَ، أو أنَّ أبا بَكْر لَمْ يَكُنْ صاحِبَ هذِهِ المَرْتَبَة.

ولا كلامَ في جلالَةِ قَدْرِ أبي بَكْر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، الكلامُ في تَعيينِ الخَليفَةِ الَّذي لَيْسَ مِنْ حَقِّ النَّاس.

ورُبَّما يكونُ مَعْنى **لا تَجْتَمِعُ أُمَّتي على الخَطَأ** لا تَجْتَمِعوا على الأمْرِ الخَطَأ، إذْ كانَ يَعْلَمُ أنَّ الأُمَّةَ سَتَعْمَلُ مِثْلَ هذا العَمَلِ، قالَ لا تَعْملوا مِنْ بَعْدي العَمَلَ الَّذي مَبْناهُ على الخَطَأ، أو أنْ يكونَ المَعْنى لا يكونُ إجماعُ أُمَّتي على خَطَأٍ، فإنْ فَعَلَتْ فَلَيْسَتْ أُمَّتي.

ومعنىً آخَرٌ، أنَّ أُمَّتي في أيِّ عَصْرٍ لا تُجْمِعُ على الخَطَأ، مِنْ كَوْنِ خَليفَتي بَيْنَهُم، وما داموا مَعَهُ فَهُمْ أُمَّةٌ، ولا يَفْعَلونَ الخَطَأَ، وهُمْ مُؤيَّدونَ بالصَّوابِ مِنْ باطِنِه، بِذلِكَ نكونُ مُجْبَرينَ على القَولِ أنَّ الرَّسولَ(ص) شَخَّصَ خَليفَةً، ففي صُورَةِ كَونِهَ شَخَّصَ أبا بَكْر رِضوانُ اللهِ عَلَيْهِ خَليفَةً، فَكَيْفَ يكونُ أنَّ الرَّسولَ(ص) لَمْ يُعَيِّنْهُ.

وإجماعُ النَّاسِ دَليلٌ على أنَّ أبا بَكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَمْ يَكُنْ مَنصوباً للخِلافَة، وإلاَّ فلا حاجَةَ للإجماع، ولَمْ يكُنْ مُدَّعياً بِأنَّهُ مَنْصوبٌ للخِلافَة.

فإذا قِيلَ أنَّ عليَّاً(ع) في خلافَةِ أبي بَكْر دَخَلَ مَعَ النَّاسِ في الإتِّفاق، وبايَعَ، أقولُ الكلامُ في هذا المقامِ ليسَ في كَونِهِ بايَعَ أبا بَكر أمْ لَمْ يُبايِعْ، المَطْلَبُ هُوَ أنَّهُ يَجِبُ أنْ يكونَ هُناكَ خَليفَةٌ بِنَصِ الرَّسولِ، وأنْ يكونَ قَدْ نُصِبَ، بِحُكْمِ العَقْلِ والبُرهانِ القَوِيّ.

فإذا كانَ عَلِيٌّ(ع) لَمْ يُنْصَبْ، فَيَجِبُ أنْ يكونَ شَخْصٌ آخَرُ قَدْ نُصِب، ثُمَّ إنَّ مَنْ جرى الحديثُ بِخِلافَتِهِ مُنْحَصِرٌ بِهذينِ النَّفَرَيْن، أعني أبا بَكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وعليَّاً عليهِ السَّلام.

إنْ كُنْتَ ذَكِيَّاً هذا لَكَ كافٍ في هذا الباب.

62–خَليفَةُ اللهِ في الأرْضِ، الَّذي يدعوهُ الصُّوفِيُّونَ قُطْبَ العالَمِ، يَجِبُ أنْ يكونَ مُعَيَّناً مِنَ الحَقِّ تعالى، أو مِنْ قِبَلِ خَليفَةِ الحَقِّ جَلَّ شَأنُهُ، يعني أنْ تكونَ خِلافَتُهُ ثابِتَةً مِنَ الحَقّ.

وهذا الخَليفَةُ إذا كانَ مَأموراً بِإظهارِ الخِلافَةِ فَيَجِبُ عَلَيْهِ إثباتَ أمْرِ نَفْسِهِ بِبَيِّنَةِ نَفْسِه، وأنْ يكونَ في أمْرِ نَفْسِهِ غالِباً بلا أسبابٍ ظاهِرَةٍ، كما كانَ حالُ الأنبياءِ عَلَيْهِم السَّلام.

وهكذا فإنَّ موسى لابِسَ الصُّوفِ هَدَّ تِلْكَ السَّلْطَنَةَ الَّتي تَعْلَمُ وحيداً، وغَلَبَةُ نَفَرٍ واحِدٍ فَقيرٍ عاجِزٍ على مِئَةِ ألْفِ نَفَرٍ غَنِيٍّ قادِرٍ، خاصَّةً على سلاطينَ مُقْتَدِرين، مُعْجِزٌ بِحَدِّ ذاتِهِ، والإثباتُ باليَدِ البَيْضاءِ والعَصا فَضْلٌ.

وأسبابُ مُحَمَّدٍ مِنْ أسبابِ موسى أقَلُّ، لأنَّ بَني إسرائيلَ في الخَفاءِ كانوا عَوناً لِموسى، ولَمْ يَكُنْ لِمُحَمَّد(ص) مِنْ مُعينٍ، وَغَلَبَ، وأمْرُهُ وَدَعْوَتُهُ انتَصَرا في حَياتِهِ، وهذا بِحَسَبِ الطَّبيعَةِ مُشْكِلٌ، بَلْ مُحالٌ، ولا يَطْلُعُ مِنْ غَيْرِ حُجَّةِ الله.

كثيرٌ مِنَ النَّاسِ في كُلِّ زمانٍ بلا أسبابٍ ظاهِرَةٍ طَلَبوا أمْراً فَلَمْ يَتَحَقَّقْ.

أمَّا إذا غُلِبَ صاحِبُ الادِّعاءِ في بِدايَةِ أمْرِهِ فهُوَ دَليلُ بُطْلانِهِ، وَلَوْ قُتِلَ أحَدُ أو بَعْضُ نُوَّابِهِ، مِنْ بَعْدِ فَوتِهِ ومَوتِهِ، فلا خَوْفَ ولا ضَيْرَ مِنْ ذلِك.

هذا مُحَمَّدُ(ص) في حَياتِهِ غَلَبَ، ومِنْ بَعْدِهِ قُتِلَ الحُسَيْنُ بنُ عَليٍّ(ع).

ولَوْ أنَّ مُحَمَّداً(ص) قُتِلَ، وانتَصَرَ عَلَيْهِ النَّاسُ لكانَ مقامَ تَأَمُّلٍ، لأنَّ أيَّ صاحِبِ دَعْوَةٍ لَمْ يَصِرْ مَغْلوباً للخَلْق، مِنْ أوَّلِ العالَمِ إلى الآنَ.

إذَنْ عَلى اللهِ أنْ يُعَيّنَ الخَليفَةَ وَيُثْبِتَ أمْرَهُ بِغَلَبَةٍ ومُعْجِزَةٍ، أو على الشَّخْصِ أنْ يُثْبِتَ الأمْر.

63-(**في صِفَةِ أهْلِ التَّوحيد**) المُوحِّدُ شَخْصٌ لا يألَمُ مِنْ أيِّ شَخْصٍ مِنْ أيِّ نوعٍ مِنَ الأذى والتَّقْصير، وإذا ما قَهَرَ شَخْصاً، فَبِإشارَةٍ مِنَ الحَقِ، لا بِمَيْلٍ مِنْ نَفْسِهِ فَعَلَ.

لا يَحْرِمُ أيَّ مَخْلوقٍ مِنْ خِدْمَتِهِ وَشَفَقَتِهِ، إحسانُهُ لِشَخْصٍ لا يكونُ بِعِلَّةٍ، لا يَمْنَعُ خَيْرَهُ عَنْ شَخْصٍ بِعِلَّةِ الخُصومَةِ، يقومُ بالإنصافِ في حَقِ الحَقودِ، لا يصيرُ سَعيداً بِضَعْفِ وزوالِ أيِّ أحَدٍ.

آثارُهُ كَمِثْلِ الكُوزِ تَرْشَحُ الرُّطوبَةُ مِنْ خارِجِه، ولا يجيءُ مَوجودٌ بِخَيالِهِ، لِيُفَكِّرَ أصَديقٌ هُوَ أمْ عَدُوٌّ، مَنْصورُ غَيْرَ الحَقِ لَمْ يَرَ حَتَّى قالَ أنا الحَقّ.

ذاكَ الَّذي لا يزالُ يرى غَيْرَ الحَقِ، أو يُفَكِّرُ بِغَيْرِ الحَقِ، ويتَكَلَّمُ عَنِ التَّوحيدِ ويسْتَسْخِرُ، ذاكَ يُعْلَمُ بالحالات.

وحيناً يُمْكِنُ أنْ يكونَ مُشْتَبِهاً بِنَفْسِهِ، كما يُمْكِنُ أنْ يكونَ مُسْتَغْرِقاً بالتَّوحيدِ مِنْ دونِ أنْ يكونَ لِذلِكَ ثباتٌ، وسُرعانَ ما يصيرُ ذلِكَ زائلاً، ويخْرُجُ المُسْتَغْرِقُ مِنَ الوَحْدَةِ إلى الكَثْرَة، ليسَ كَمَنْ جاؤوا للكَثْرَةِ مِنَ الوَحْدَةِ في الفَرْقِ بَعْدَ الجَمْعِ، فتِلْكَ حالُ الكامِلِ المُكَمَّلِ، ومِثْلُ هذا غَيْرُ مانِعَتِهِ كَثْرَتُهُ مِنْ مُشاهَدَةِ الوَحْدَة، والكامِلُ مِنَ النَّاقِصِ يُعْرَفُ في ذلِكَ المقام.

فإذا كانَ يرى الحَقَّ في الكَثْرَةِ كما يراهُ في اسْتِغْراقِ الوَحْدَةِ، فتِلْكَ حالُ الكامِل، وإذا بالعَوْدَةِ مِنْ اسْتِغْراقِ الوَحْدَةِ صارَ الحَقُّ مَسْتوراً وصارَ الخَلْقُ ظاهِراً، فَتِلْكَ حالُ النَّاقِص، وقولُهُ أنا الحَقُّ كانَ حالَةً.

إذَنْ فذاكَ الَّذي قالَ أنا الحَقُّ وأنتَ يا فُلانُ باطِلٌ لَيْسَ مُوَحِّداً، هذا الكلامُ يَمْلِكُ احْتِمالَ الصِّدْقِ في مقامِ الشَّريعَةِ لا في مقامِ التَّوحيد، كما قالَتِ الأنبياءُ، يَعْني الحَقُّ والباطِلُ مَلْحوظانِ في مقامِ الشَّريعَة. أمَّا في مقامِ التَّوحيدِ فلا باطِنَ، وكُلُّ ما يكونُ حَقٌّ، والدَّعْوَةُ غَيْرُ لائقَةٍ بِهذا المقام.

ومِنْ هُنا قيلَ أهْلُ التَّوحيدِ يعتَبِرونَ كُلَّ ما سِوى الحَقِّ فانياً ومعدوماً، إلى مَرْتَبَةٍ لا يَرَونَ فيها شَيْئاً سِوى الحَقّ، ذلِكَ أنَّهُ في مقامِ التَّوحيدِ تَصيرُ الأشياءُ المُتَكَثِّرَةُ راجِعَةً لجَمْعِ الوَحْدَةِ وأصْلِ العَدَم، هُناكَ يرتَفِعُ غُبارُ الوَحْدَةِ، ويكونُ قَرارُ ذرَّاتِ الوُجودِ بالظُّهُورِ الغَيبيّ والعِلْمِيّ، وما مِنْ مَوجودٍ لِيُوصَلَ لِحقيقَتِهِ وبُطلانِه، وأمَّا المَوجوداتُ الخارِجِيَّةُ فَطالَما هِيَ في النَّظَرِ فَليسَ هُناكَ تَوحيدٌ وأهْلُ تَوحيد.

وجُمْلَةً فإنَّ المُرادَ مِنْ *أنا الحَقُّ* مِنْ مَنصور، هُوَ أنَّني وَصَلْتُ لِحقيقَةِ نَفْسي، وسُلِبَتْ مِنِّي الأوصافُ الَّتي كانَتْ مانِعَ ظُهُورِ حقيقَتي ، وليسَ أنَّني صِرْتُ ذاتَ الله، وتحقيقُ هذِهِ المعاني في *بَحْرِ الحقائق*، فمُرادُنا هُنا أوصافُ أهْلِ التَّوحيد.

ومعنىً آخَرُ لِهذا هُوَ أنَّ الوُجودَ لا يَقْبَلُ الإثنَينِيَّةَ، فإذا زالَ الوجودُ المَوهُومُ لِعَبْدٍ فالباقي وُجودُ الحَقّ، *أنا الحَقُّ* تعني أنا ليسَ لي وُجودٌ، وذاتُ الحَقِّ صِرفُ الوجود.

فَمِثْلُ هذا الشَّخْصِ مُتَحَرِّرٌ مِنْ الأوصافِ البَشَرِيَّةِ، ومُرْتَبِطٌ بالصِّفاتِ الإلهِيَّة، بَلْ أَهْلُ التَّحْقيقِ يَرَونَ كمالَ التَّوحيدِ في نَفْيِ الصِّفات.

64-الأشْخاصُ الَّذينَ لا ذَخيرَةَ لَهُمْ مِنَ العِلْمِ والمَعْرِفَةِ مُضْطَرونَ لِيَجْعلوا إظْهارَ كَمالِهِمْ وَشَخْصِيَّتِهِمْ في إبطالِ الآخَرين، فلو كانَ للشَّخْصِ ذَخيرَةٌ ما كانَتْ بِهِ حاجَةٌ للآخَرين.

مِثالُهُ شَخْصٌ يَصْرُخُ في البازارِ أنْ إذا كانَ شَخْصٌ أضاعَ حِماراً فَهُوَ ليسَ عِنْدَ فُلانٍ وفُلانٍ، فلا يَبْحَثْ عَنْهُ عِنْدَهُما ولا يسألْهُما عَنْهُ، فأنا ضاعَ حِماري أيضاً وَلَمْ أجِدْه عِنْدَهُما، مِثْلُ هذا الشَّخْصِ حَتْماً أبْلَه، وَهَمُّهُ صَرْفُ الحَسَنِ والسَّيِّئِ، وهُوَ غافِلٌ عَنْ تكميلِ نَفْسِهِ كُلِّيَّاً.

المَقْصودُ والمُرادُ أنَّهُ أفْضَلُ لَكَ مِنَ القيامِ بإبطالِ كُلِّ شَخْصٍ وكُلِّ طائفَةٍ، أنْ تقومَ بإثباتِ حَقيقَةِ نَفْسِكَ، وإلاَّ فَكَونُ الشَّخْصِ الفُلانِيِّ لا يَمْلِكُ دَولَةً ليسَ دليلاً على أنَّكَ أنْتَ تَملِك.

اللَّفْظُ وَحْدَهُ في إثباتِ أيِّ مَطْلَبٍ غَيْرُ كافٍ، كُلُّ شَخْصٍ يَجْمَعُ الألفاظَ المُسْتَحْسَنَةَ الَّتي تَقبَلُها العوامّ، ويجْعَلُها رَديفاً لِقَدْرِ نَفْسِهِ، فالألفاظُ والأقوالُ وَحْدَها لا تَسْتَطيعُ أنْ تكونَ دَليلَ مَعْنَوِيَّةٍ، إلاَّ إذا كانَ معها بُرهانٌ وبيِّنَةٌ.

فَلَو قالَ شَخْصٌ أنا شَرِبْتُ حَوْضَ ماءٍ، فيجِبُ عَلَيْهِ عَرْضُ فِعْلِ ذلِكَ، أو على الأقَلِّ الإتيانُ بِدَليلٍ على أنَّ شُرْبَ حُوضِ ماءٍ لِنَفَرٍ آدَمِيٍّ واحِدٍ مُمْكِنٌ. أي عَزيزُ، اِفْهَمْ صحيحاً ما أقول، لِكي لا تَطْعَمَ الألفاظَ الحَمقاءَ مِمَّنْ ترى في زمانِك.

هذِهِ النِّزاعاتُ الَّتي ترى وَتَسْمعُ، كُلُّها لأجْلِ شَيْءٍ مَوهومٍ، تَعَمَّقْ قَليلاً فَعسى تَفْهُمُ ولا تِشْتبِه.

الشَّيخِيَّةُ لا شُغْلَ لنا بِكَونِهِمَ خَيِّرينَ أمْ سَيِّئين، فليكونوا ما يشاؤون، لكِنَّهُم في مكانٍ يقولونَ ويكتُبونَ: *نارُ السَّنَةِ الماضِيَةِ لا تُدْفِئُ شَخْصاً هذِهِ السَّنَة*، يعني الحُجَّةُ السَّابِقُ لا دَخْلَ لَهُ بالعَمَلِ اللاَّحِق.

وفي مكانٍ آخَرَ يقولونَ ويكتُبون: *بابُ العِلْمِ في غَيْبَةِ الإمامِ مَفْتوحٌ وغَيْرُ مَسدودٍ*، كما يقولُ الفُقَهاء.

إذا كانوا يقومونَ بِنَقْلِ أخْبارِ الماضينَ فَشَأْنُ الخَبَرِ ظَنٌّ، وبديهِيٌّ أنَّ الخَبَرَ فيهِ احْتِمالُ الصِّدْقِ واحْتِمالُ الكَذِب، وهذا الاحْتِمالُ مِنَ الخَبَرِ لنْ يَرْتَفِع.

وإذا كانوا يقولونَ نَحْنُ ناقِلو خَبَرٍ مِنَ الإمامِ الَّذي نراهُ وَنَسْمَعُ مِنْهُ، إذَنْ هذا القَولُ *نارُ السَّنَةِ الماضِيَةِ لا تُدْفِئُ شَخْصاً هذِهِ السَّنَةَ* ما مَعْناه، ثُمَّ إنَّ عَلَيْهِمْ إثباتُ هذا المُدَّعى، أنَّهُم قادِرونَ على الوصولِ لخِدْمَةِ الإمام، وَيَصِلون، وذاكَ بالكلامِ لا يكونُ، فكُلُّ شَخْصٍ قادِرٌ على قَولِ هذا الكلامِ، كما هُمْ يقولون.

65-**(في بيانِ صِفَةِ أهْلِ الطَّريقَة)**، ماسِحُ صَحْراءِ الحَقيقَةِ، وَدَليلُ الصِّراطِ المُسْتَقيمِ للطَّريقَة، شَخْصٌ كُلَّما انكَشَفَتْ لَهُ الأسرارُ المَعْنَوِيَّةُ أكْثَر، قامَ بِحِفْظِ مراتِبِ الصُّورَةِ أكْثَر، وَسَتَرَ الحقائقَ أكْثَر، وكُلَّما صارَ مُنْقَطِعاً عَنِ الخلائقِ أكْثَر، سعى في مُراعاةِ نُفوسِ الخلائقِ أكْثَر، وعنْ كُلِّ ما كانَ في ذاكَ البِلاطِ مُحَرَّماً أكْثَر، صارَ غَريباً أكْثَر، وكُلَّما وَجَدَ مِنَ المَعْرِفَةِ أكْثَر، وَجَدَ نَفْسَهُ جاهِلاً أكْثَر، ورَغْبَتُهُ في مُجالَسَةِ وَصُحْبَةِ المساكينِ في الظَّاهِرِ والباطِنْ أكْثَر.

ولو صَرَفَ تمامَ عُمْرِهِ في خِدْمَةِ الفُقَراءِ يَظَلُّ يرى نَفْسَهُ مُقَصِّراً، ويطلُبُ العُذْرَ في الباطِنِ مِنْ سُلطانِ الحقيقَة.

ولو صَرَفَ كُنوزَ العالَمِ على الفُقَراءِ يَظَلُّ يَظُنُّ نَفْسَهُ مُمْسِكاً وبَخيلاً، لا سَخِيَّاً وكريماً، ويَظَلُّ أيضاً في الشَّدائدِ رَفيقاً لِكُلِّ شَخْصٍ كانَ في الرَّفاهِيَةِ لهُ رَفيقاً.

قالَ جُنود جَنكيز للشَّيخُ نَجم الدِّين كبري، أُخْرُجْ بِأحِبَّتِكَ مِنْ خوارزم فَقَدْ قَصَدْنا القِتال، قالَ أنا كُنْتُ مَعَ أَهْلِ هذِهِ المَدينَةِ رَفيقاً في كُلِّ الأحوال، وفي هذِهِ المُصيبَةِ لَنْ أنْفَصِلَ عَنْهُم، إلاَّ أنْ تأمَنَ المَدينَةُ كُلُّها، ودافَعَ حتَّى استُشْهِد.

(إلهي بِكَرَمِكَ مِنْ أخْلاقِ رِجالِكَ على هذا الضَّعيفِ النَّصيبِ جُدْ بِعِنايَتِك)

لا تَنْظُرْ بِنَظَرِ الحقارَةِ إلى أيِّ مَخلوقٍ بِأيَّةِ قَباحَةٍ، ولا تَنْظُرْ إلى نَفْسِكَ باسْتِحسان.

لا تُحَرِّكْ لِسانَكَ بِسَبِّ أيِّ شَخْصٍ، فلا شَخْصَ أعْدى لَكَ مِنْ نَفْسِك، نَصَحَ مَنِ اتَّهَمَ نَفْسَهُ لا نَفْسَ المُخاطَب، لا بَهذا العُنوانِ أنْ أنا لا أغتابُ وأنتَ تَغْتاب، إذا أرَدْتَ تَنْبيهَ مَنْ هُمْ تَحْتَ يَدِكَ على شَيْءٍ أو فِعْلٍ، اِجْعَلْ ذلِكَ بالعَمَلِ لا بالقَول، فالقَولُ بلا فِعْلٍ لا أَثَرَ فيه.

تَسْتَطيعُ أنْ تَتَعَلَّمَ الأدَبَ مِنْ شَخْصٍ عِنْدَهُ أدَبٌ، لا مِنْ شَخْصٍ يَتَحَدَّثُ عَنِ الأدَب، مِنْ خِدْمَةِ ومواساةِ الفُقَراءِ لا تَتْعَبْ، ولا تُظْهِرِ الكَسَل، ولو تَحَمَّلْتَ الكَثيرَ مِنْ التَّعَب، فإنَّهُ مُوجِبُ كَسَلِ الآخَرينَ مِنْ هذِهِ الشِّيْمَةِ المَرْضِيَّة.

لا تَكُنْ راضياً بِذُلِّ وَخَجَلِ أحَدٍ ولو كانَ في قَصْدِ روحِك، فلا عَدُوَّ أسْوَأُ مِنْ نَفْسِكَ الأنانِيَّة، واسْتَعِذْ باللهِ مِنْ شَرِّها، وإذا أعْطَيْت أحَداً شَيْئاً فَلْتَرَهُ عَزيزاً، ولْتَرَ نَفْسَكَ ذَليلاً، كي لا تَجيءَ نَفْسُكَ بِرُعونَةٍ.

قُمْ بالتَّواضُعِ مَعَ الفُقراءِ بإخلاصِ النِّيَّة، وَمَعَ الأغيارِ بِرَسْمِ المَدَنِيَّة، يعني بِمِقْدارِ ما هُوَ بَيْنَهُمْ رَسْمٌ، بحيثُ لا يَرَونَ هذا تَمَلُّقاً مِنْك.

لا تَدْخَرْ مِنْ مالِ الدُّنيا ديناراً فَتِلْكَ خَصْلَةٌ غَيْرُ مَقْبولَةٍ لأهْلِ الطَّريقَة، بَلْ سادَّةٌ لِطَريقِ السُّلوك، إذا جَرى خِلافُ أدَبٍ باللِّسانِ مِنَ الأحبابِ والأصْحابِ فاعْذِرْهُمْ بِالقَلْبِ والباطِنِ وأذْهِبْ ذلِكَ مِنْ الفِكْرِ، ولو رأيتَ أنواعَ الجَفاءِ مِنْهُم.

66–**أمَّا الدَّراويش،** فيُدْعَونَ أهْلَ الفَقْرِ والطَّريقَة، وهُناكَ جَماعَةٌ لَبِسَتْ لِباسَهُم، وَتَزَيَّتْ بِزِيِّهِم، وتَحَدَّثَتْ بِكلامِهِم ، ونَسَبَتْ نَفْسَها إلى المشائخِ العِظامِ وسلسلَةِ الفُقراء، ومِنْهُم مَنْ قَدْ يكونُ ومِنْهُمْ مَنْ لا يكونُ بِمَعْنى الدَّرويش، ومِنْ هذِهِ الطَّائفَةِ، واللهُ أعْلَم.

وبِما أنَّ نِسْبَتَهُم إلى مكانٍ عَظيم، والمَطْلَبُ مَطْلَبُ باطِنٍ ومعنىً أيضاً، فَحَتَّى ولو ظَهَرَ مِنْ أولئكَ شَيْءٌ بِخِلافِ المَقصودِ لا يُمْكِنُ النَّفْيُ المُطْلَقُ، حيثُ أنَّ الأمْرَ عَظيمٌ جِدّاً، والطَّريقُ ضَيِّقٌ إلى ما لا نِهايةٍ، ودقيقٌ، وكُلُّ غَيْرِ مُوالٍ ادَّعى هذا المَطْلَبَ لا يُمكِنُ عَدُّهُ مِنْ أهْلِ السُّلوك، ولا يُمكِنُ تَصْديقُه.

فَخَيْرٌ لَنا أنْ لا يكونَ عَمَلُنا بِذِكْرِ الشَّبَه، وأنْ نقومَ بِتَعْريفِ الجَوْهَر، حتَّى ضِمْنَ التَّعْريفِ يَمْتازُ الجَوْهَرُ مِنَ الشَّبَه، ولا يُفْلِتَ رأسُ خَيْطِ الاِحْتياطِ مِنْ يَدِنا، ومِنْ غَيْرِ رِضا اللهِ وأولياءِ اللهِ لا يُمْكِنُ أنْ يُقالَ كلامٌ، وهذِهِ أوصافُ أهْلِ الفَقْرِ والطَّريقَة.

67–**(لطيفة)** كانَتْ فاطِمَةُ عليها السَّلامُ مُتَصَرِّفَةً بِفَدْك، وكانَتْ مُدَّعِيَةً أنْ أبي أعطانيها، قالوا أنَّهُ في هذِهِ الدَّعْوى طُلِبَ مِنْها الشَّاهِدُ، وهذا بِغايَةِ العَجَب، إلى دَرَجَةِ أنَّهُ غَيْرُ مُمْكِنِ التَّصْديق، لأنَّ القُرآنَ كانَ شاهِداً بَيّناً على صِدْقِ الزَّهْراء، ولَمْ تَكُ ثَمَّةَ حاجَةٌ لِشاهِدٍ آخَر، إلاّ أنْ يكونَ شَخْصٌ لَمْ يَقْرَأْ آيَةَ التَّطْهيرِ في شَأْنِ أهْلِ البَيْتِ، أو لا يرى القُرآنَ كلامَ الحَقّ، والشَّيخانِ رَضيَ اللهُ عَنْهُما كانا مُجِدَّيْنِ في حِفْظِ الشَّرْعِ، وكانا يَعْملانِ في الأُمَّةِ بِحُكْمِ القُرآن، فكيفَ يكونُ مُمْكِناً أنْ يكونا قاما بِتَجاوُزِ القُرآن.

فإنْ قيلَ فَدْكُ لَمْ تَكُنْ هِبَةً لِفاطِمَة، وَلَمْ تَدَّعي مِثْلَ هذا الادِّعاء، ولا طَلَبَ مِنْها شَخْصٌ شاهِداً، أقولُ كيفَ وَقَدْ مُنِعَتْ مِنْ فَدْك، فإذا لَمْ تَكُنْ فَدْكُ هِبَةً لَها، ولَمْ تَقُمْ هيَ بِهذا الإدِّعاء، فقد كانَتْ فَدْكُ ميراثاً لها مِنَ النَّبِيّ، والنَّبِيُّ لَمْ يكُنْ لَهُ غَيْرَها وارِثٌ، والإتِّكالُ على كلامِ**(نحنُ معاشِرَ الأنبياءِ لا نُوَرّث)** لا مَحَلَّ لَهُ، ومعنى هذا الكلامِ هُوَ أنَّ النُّبُوَّةَ لَيْسَتْ خَلْقِيَّةً لِتَكونَ ميراثاً للمُتَأَخِّرين، إنَّها بِأَمْرِ اللهِ، يُعْطيها لِلشَّخْصِ الَّذي يَشاءُ، وحاصِلُ هذا أنَّ نُبُوَّتَنا لا تَصِلُ لِشَخْصٍ، ومَعْنىً آخَرُ أضْعَفُ مِنْ هذا هُوَ أنَّنا نَحْنُ الأنبياءُ لا نَدَّخِرُ الكَثيرَ مِنَ الذَّهَبِ والفِضَّةِ، ولا نَتْرُكُ خَزينَةً، لا أنَّهُ إذا بَقِيَ شَيْءٌ لا يَجِبُ أنْ يَصِلَ لأولادِنا.

فهذا القَولُ قبيحٌ وخِلافُ حُكْمِ اللهِ وَسيرَةِ جَميعِ الأنبياء، لأنَّهُ بَقِيَ مِنْ ميراثِ الأنبياء باقٍ، وَوَصَلَ إلى أولادِهِم، فلِماذا يصيرُ المُلْكُ المَوروثُ للرَّسولِ، الَّذي وَضَعَ قوانينَ الميراثِ بِنَفْسِهِ، فَيْئاً للمُسْلِمين، على فَرْضِ أنَّهُ فَيْءُ المُسْلِمين. فليَكُنِ التُّرابُ على رَأْسِ مُسْلِمٍ لا يَسْتَطيعُ أنْ يَجْعَلَ المالَ والرُّوحَ نِثاراً في طَريقِ وَلَدٍ باقٍ مِنْ أولادِ رَسُولِهِ، فكيفَ إذا كانَ يَطْلُبُ حَقّاً لَهُ.

هذا المَطْلَبُ لا يُمكِنُ تَوْضيحُهُ، وأيُّ شَخْصٍ اعْتَبَرَ صَحيحاً مَنْعَ فَدْك عَنْ فاطِمَةَ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ هذِهِ المِلَّةِ، وليسَ لَهُ نَصيبٌ مِنَ الآدَمِيَّة.

68-(**لطيفَة**) اِدِّعاءُ النِّيابَةِ الخاصَّةِ، مِنْ جانِبِ الغائِبِ الَّذي لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ، بادِّعاءِ العِلْمِ والاِطِّلاعِ أَكْثَرَ مِنَ الآخَرين، مَوجِبُ مَزيدِ مَظَنَّةٍ، ما مَحَلُّ أنْ يَصيرَ بابُ عِلْمٍ مِنْ ذاكَ مَفْتوحاً، خاصَّةً والمُدَّعي نَفْسُهُ يقولُ أنَّ رؤيَةَ ذاكَ غايَةُ المحال، وهذا المَعْنى مَوقوفٌ الرُّؤيَة، يَعْني مَوقوفُ كَونِ رُؤيَتِهِ مُمْكِنَةً، ولو لِقَليلٍ مِنَ الأشْخاصِ مِنَ العوامّ أو الخَواصّ، فَكَيْفَ لَمْ يَرَهُ أحَدٌ، كيفَ يُمْكِنُ أنْ يَحْصَلَ لنا اليَقينُ أنَّ هذا الشَّخْصَ نائبٌ خاصٌّ مِنْ جانِبِه، أو أنَّهُ يَمْلِكُ البَصيرَةَ في حَقِّهِ أَكْثَرَ مِنَ الآخَرين، إلاَّ أنْ يَقولَ رُؤيَتُهُ مُحالٌ للعوامّ، لا للخواصّ.

وهذا مُخالِفٌ للأَخْبارِ الَّتي وَصَلَتْ مِنْ ذلِكَ الغائبِ، وهذا المُدَّعي نَفْسُهُ لا يَسْتَطيعُ إنكارَها، أنْ *إذا قامَ شَخْصٌ بادِّعاءِ رُؤيَتي فَكَذِّبوه*، إذَنْ فلا يَسْتَطيعُ أنْ يَقولَ أنا أراه، وبِما أنَّهُ لا يراهُ فادِّعاءُ اخْتِصاصِ وامتيازِ المَحْجوبينَ لا مَعْنى لَهُ، ولو كانَ سابِقاً بالعَمَلِ والزُّهْد، ومُسَلَّماً، الحاصِلُ أنَّ هذا الاِدِّعاءَ غَلَطٌ.

69-(**لطيفَة**) ذِكْرُ فضائلِ الأنبياءِ والأوصياءِ الكِرامِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ باعْتِقادِ أَهْلِ الإسْلامِ ثوابٌ، ودليلٌ على أنَّهُم أصْحابُ كمالٍ ومقامٍ، لا على أنَّ هذا الذَّاكِرَ صاحِبُ كمالٍ ومقامٍ، كي يقومَ بِهذِهِ الواسِطَةِ بإظْهارِ الامْتيازِ والرَّجَحانِ على الآخَرين.

ومهما أكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ الفَضائل، فَذلِكَ كما لَو قالَ شَخْصٌ الماءُ يَرْفَعُ العَطَشَ، والشَّمْسُ تَهَبُ الضِّياءَ، فقد قامَ بإظْهارِ بَديهِيٍّ، أي قامَ بِتَعْريفِ الماءِ والشَّمْسِ

لا بِتَعْريفِ نَفْسِهِ، فإنَّ الظَّامِئَ في الصَّحْراءِ الحارَّةِ إذا وَصَلَ إلى الماءِ نَجا، وإذا لَمْ يَجِدِ الماءَ لمْ ينْتَفِعْ مِنْ تَعْريفِ الماء.

وكذلِكَ ما الحاصِلُ لو قامَ شَخْصٌ أعْمى بِتَعْريفِ الشَّمْس. إذَنْ فَهذا الكلامُ أنْ نَحْنُ مَخْصوصونَ بِذِكْرِ الفَضائلِ غَلَطٌ. تِلْكَ الفَضائلُ مُثْبَتَةٌ في الكُتُبِ، وكُلُّ شَخْصٍ عَلِمَها يستَطيعُ قَولَها، إلاَّ أنْ يكونَ الشَّخْصُ نَفْسُهُ شَمْساً، وفي هذِهِ الحالَةِ ليسَ مُحتاجاً ليقولَ أنا شَمْسُ الأمْسِ الحارَّةُ أو المُضيئةُ، فافْهَم.

70–**(لطيفة)** لو قالَ شَخْصٌ: أمْرُ الوِلايَةِ في ظَرْفِ المُدَّةِ مِنْ غَيْبَةِ شَخْصٍ إلى ظُهُورِ شَخْصٍ آخَرَ كانَ مَخْفِيّاً، ونورُ المَعْرِفَةِ لَمْ يَكُنْ يُشِعُّ على شَخْصٍ، فهذا الكلامُ غَلَطٌ بَيِّنٌ.

في أيِّ زمانٍ لَمْ يَكُنْ العالَمُ ولنْ يكونَ أبَداً خالياً مِنْ أسرارِ المَعْنى والأشْخاصِ الكامِلين، وإلاَّ فَلَنْ تكونَ الحُجَّةُ على أشخاصِ ذلِكَ العَصْرِ تامَّةً، ولنْ يكونَ لأيِّ شَخْصٍ اسْتِحقاقُ ثوابٍ وعِقابٍ، فإنْ قيلَ نَشْرُ الحقائقِ والمعارِفِ في زَمِنِ الشَّخْصِ الفُلانِيّ كانِ أكْثَرَ، فَهذا مُمْكِنٌ، لكِنْ يَجِبُ على هذا الشَّخْصِ أنْ يَجْعَلَ المُدَّعى ثابِتاً، أنْ ذلِكَ المَطْلَبُ وتِلْكَ المَعْرِفَةُ ما كانا، لِيكونا مِنْ قَبْلُ مَخْفِيَّينِ، وفي الوَقْتِ الفُلانِيّ، مِنَ الشَّخْصِ الفُلانِيّ، بَرَزا، ووجدا الكمالَ، وإلاَّ فهذا الكلامُ حَرْفاً حَرْفاً بلا فائدَةٍ، وليسَ لَهُ مأخَذٌ ولا أساسٌ، فافْهَم.

71–**(لطيفة)** أقولُ المُرادُ مِنْ غَيْبَةِ وَظُهُورِ المَهْدِيّ المَوعود، في كَشْفِ العارِفِ صاحَبِ الشُّهُود، استِتارُ وانكِشافُ شَمْسِ الوجود. حينَ يَصِلُ العارِفُ السَّالِكُ في قَوْسِ الصُّعودِ إلى مقامِ الغَيْبِ المُطْلَقِ، ويصيرُ لَهُ كَشْفُ الأعيانِ الثَّابِتَة، يرى موجوداتِ الإمكانِ تماماً بقبولِ وجودِ المَهْدِيّ، وفي تِلْكَ السَّاعَةِ

الَّتي هِيَ عَصْرُ الولايَة، وقيامُ القيامَة، فإنَّ سُلطانَ الوُجودِ الَّذي هُوَ الهادي الحقيقيُّ، يصيرُ ظاهِراً مِنَ الخفاءِ بِصورَةِ الإنسانِ الكامِل، ويستولي على مراتِبِ وجودِ السَّالِكِ بِبَساطَةِ وهيمَنَةِ نَفْسِهِ، ويَجْعَلُ عيسى الَّذي هُوَ عَبارَةٌ عَنْ روحِ القُدُسِ مُسْتَولياً على النَّفْسِ البَهِيْمِيَّةِ الَّتي هِيَ مُضِلُّ حواسِّ وقُوى الباطِنِ، والمُعَبَّرِ عَنْها بالدَّجَّال. يعني أنَّ جَميعَ الحواسِّ والقُوى الحَيَوانِيَّةِ تَصيرُ مَلَكوتِيَّةً، والقَلْبُ يَجِدُ السُّكونَ مِنْ انقِلابِ الخِصالِ غَيْرِ المَرْضِيَّة، والأشياءُ المُتَكَثِّرَةُ الخَلْقِيَّةُ والخياليَّةُ تَرْجِعُ لأصْلِ الوَحْدَةِ، لِهذا يُسَمُّونَ هذا المَنْزِلَ، في سَيْرِ العارِفِ، مَنْزِلَ التَّوحيد.

لأنَّ التَّوحيدَ مَعْناهُ رُجوعُ الأشياءِ المُتَكَثِّرَةِ لأصْلِ الوَحْدَة.

وفي هذا الظُّهُورِ تَصيرُ الأديانُ المُخْتَلِفَةُ ديناً واحِداً، ويصيرُ العارِفُ السَّالِكُ في حُضورِ السُّلطانِ الواحِدِ المالِكِ واحِداً.

أقاليمُ مَمْلَكَةِ الوجودِ تَصيرُ مُتَّصِلَةً أحَدُها بالآخَر، يعني خَراباتُ الغَفْلَةِ تَصيرُ عَمارَةً بالحُضورِ الدَّائم.

شَمْسُ الهَوِيَّةِ كما طَلَعَتْ مِنْ مَشْرِقِ الأسماءِ في قَوْسِ النُّزول، تَطْلَعُ في هذِهِ الحالِ مِنْ مَغْرِبِ الأكوان.

المَشْرِقُ والمَغْرِبُ مِنْ لوازِمِ الزَّمانِ والمكان، في عالَمِ اللاَّمكانِ لا زمانَ ولا مَكانَ، والحُدودُ مُنْتَفِيَةٌ. ما لَمْ يَحْصَلْ كَشْفُ هذا المقامِ ومُشاهَدَةُ هذا المَعْنى للسَّالِكِ فَهُوَ غائبٌ عَنْهُ، وبلا خَبَرٍ عَنْ هذِهِ الحالِ، وغَريبٌ عَنْ حالِ الظُّهُورِ هذِهِ.

وأحياناً يكونُ، مِنْ قَبْلِ وُصولِ السَّالِكِ إلى هذا المقامِ، نورٌ على قَلْبِ السَّالِكِ مِنْ سَحابِ الغَيْبِ وَحِجابِ الغَيْبَةِ، كَبَرْقٍ يَتَجَلَّى وَيَخْتَفي سريعاً، والسَّالِكُ يَظَلُّ مِنْ ذلِكَ بلا خَبَرٍ، أو يَخْبَرُ ولا يَعْلَمُ ما كانَ ذلِكَ، ومِنْ أيِّ مَشْرِقٍ طَلَعَ.

خواصُّ أهْلِ التَّوحيدِ مَخْصوصونَ بِهذا المَطْلَبِ، ولا دَخْلَ لَهُ بالعوامِّ لِيَفْهَمَهُ كُلُّ شَخْصٍ، ويستَطيعَ الوُصولَ إلى واحِدٍ بالألْفِ مِنْ أسرارِهِ.

العارِفُ شَخْصٌ يَقومُ بِحِفْظِ كُلَّ مَرْتَبَةٍ في نَفْسِهِ، وإنْ لَمْ يَفْعَلْ فَهُوَ ناقِصٌ، لأنَّ سُلوكَ الباطِنِ غَيْرُ أعمالِ الظَّاهِرِ، والمَلَكاتُ الخَلْقِيَّةُ غَيْرُ الأفْعالِ البَدَنِيَّة.

حَمْلُ مطالِبِ ومُكاشَفاتِ القَوْمِ على الظَّاهِرِ لا يَجِبُ، والقياسُ غَيْرُ مُمْكِنٍ.

ذلِكَ المَهْدِيُّ الَّذي قالَ عِنْهُ الصُّوفِيُّ، ورآهُ في كَشْفِ نَفْسِهِ، إذا ظَهَرَ تكونُ تَصَرُّفاتُهُ في عالَمِ المُلْكِ كما في باطِنِ العارِفِ الواصِلِ، وذاكَ المَهْدِيُّ غَيْرُ مُمْكِنِ الرُّؤيَةِ حَتَّى في النَّوم، فأيُّ مجالٍ للوصولِ لِمَرْتَبَةِ رُؤيَتِهِ، فافْهَمْ!.

أي عَزيزُ، قُلْتُ لُبَّ المَطالِبِ، الدَّرْوَشَةُ دَولَةٌ عَظيمَةٌ، هذِهِ الدَّولَةُ لا تُعْطى لِكُلِّ شَخْصٍ، كما قُلْتُ، هذِهِ الجَوْهَرَةُ وَسطَ صَدَفَةٍ في قَعْرِ بَحْرٍ عُمْقُهُ بِطولِ عُمْرِ الإنسان، والتَّماسيحُ في أطرافِهِ كثيرَةٌ، وفي كمينٍ، إلاَّ أنْ يَشاءَ اللهُ أنْ يَصِلَ شَخْصٌ لِذلِكَ المَوضعِ، فيغوصَ، ويحصَلَ على تِلَكَ الصَّدَفَةِ، ويَخْرُجَ سالِماً مِنْ ذلِكَ البَحْر.

تَصويرُ هذِهِ الحالِ مِنْ أجْلِ الأشخاصِ عَجيبٌ، فكيفَ بالوُصولِ إلى وُقوعِهِ.

بالأوراقِ والكُتُبِ والدَّعاوى بلا مَعْنى وإظْهارِ الشَّيخِيَّةِ والقُطْبِيَّةِ والمُريدِيَّةِ وَطَلَبِ الرِّئاسَةِ ورَدِّ وَقَبولِ العَدُوِّ والصَّديقِ لا يُمكِنُ الوُصولُ إلى هذِهِ الدَّولَةِ.

هذِهِ خيالاتُ ومقالاتُ أطْفالِ وغيرِ عاقِلين، وَمَعَ ذلِكَ لا تَقُلْ عَنْ كُلِّ شَخْصٍ رَأَيْتَ أو تَرَى أنَّهُ مِنْ هذِهِ الدَّوْلَةِ بلا نَصيبٍ، تُمْسِكُ عَنْهُ الخَيْرَ، وَتَمْنَعُ عَنْهُ الفَيْضَ، ولا تَقُلْ كُلَّ شَخْصٍ رأينا كانَ مُدَّعِياً، ولَمْ يَكُنْ يملكُ شَيئاً:

(لا تَأْخُذْ كُلَّ أجَمَةٍ على أنَّها خالِيَةً، رُبَّما يكونُ بها النَّمِرُ نائماً)

ولا أعْلَمُ مِمَّن:

(كُنْ غوَّاصاً إذا كانَ يلزَمُكَ الجَوْهَرُ، ويلزَمُ للغَوَّاصينَ أرْبَعَةُ فُنونٍ)

(رأسُ الخَيْطِ بِيَدِ الحَبيبِ ضَعِ الرُّوحَ بالكَفّ، يجِبُ الصَّمْتُ والسَّيْرُ على الرَّأس)

73–أيُّها الأخُ العَزيزُ لا تَقَعْ في الاِشْتِباه، قُلْتُ ليسَ كُلُّ ما هُوَ على شَكْلِ كُرَةٍ جَوزَةً، لا أنَّ الجَوزَةَ لَيْسَتْ على شَكْلِ كُرَةٍ!، قُلْتُ لا تَكُنْ قانِعاً بِدَعْوى الشَّيْخِيَّةِ والإرشادِ والكُتُبِ وَحْدَها، لا أنَّ هؤلاءِ جَميعاً لا شَيْء.

عليٌّ عليهِ السَّلامُ قالَ القُرآنُ المُبينُ أنا، ومِنْ دونِ أمْري وإطاعَتي لا شَيْءَ في الوَرَقَ والمَرْكَب.

لا تَظُنَّ أنَّهُ(ع) نَفى القُرآنَ، بَلْ عَظَّمَ القُرآنَ، يَعْني أنَّ في القُرآنِ دَقائقَ، ومِنّي تَظْهَرُ، ومِنْ دونِ ولايتي لا يُمْكِنُ الوُصولُ لِتِلْكَ الأسرار.

«النِّهاية»

رسالة

ميزان المعرفة وبرهان الحقيقة

في شرحِ معنى الإنسانيّة الَّتي مَعْرِفَتُها والعَمَلُ بها فَرضٌ على كُلِّ إنسان

تأليف

حَضْرَةُ صفي عليشاه قُدِّسَ سِرُّهُ

تَرْجَمَة

د. علي عبَّاس زليخة

رسالة

ميزان المَعْرِفَة وبُرهان الحقيقة

بسم اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم

أحْمَدُ الخالِقَ على كُلِّ نِعْمَةٍ وبالخاصَّةِ نِعْمَةِ المَقال، وأطْلُبُ مِنَ الصِّدِّيقينَ بِأعتابِ جلالِهِ الإعانَةَ على صِدْقِ المَقال.

حقُّ شُكْرِ نِعْمَةِ الباري تعالى الاستِقامَةُ، وحَقُّ اللِّسانِ قَوْلُ الصِّدْق.

أعطى الإنسانَ اللِّسانَ ليقولَ الصِّدْقَ، ويقولَ الحديثَ بِرِضا الخالِق، والكلامُ الصَّحيحُ والمُسْتَقيمُ لا يَطْلُبُ التَّطْويلَ، ولا يَحتاجُ التَّفْصيل.

لِسانُ العاقِلِ غالِباً ساكِتٌ، وإذا تَكَلَّمَ قالَ الحَديثَ صحيحاً ومُخْتَصَراً، وقالَ في الوَقْتِ، ولا يبْحَثُ عَنْ زيادَةٍ في الكلامِ للأداء، كَثْرَةُ أقوالِ النَّاسِ تُلقي في الحَيْرَةِ، وفي كُلِّ مقامٍ تُسَبِّبُ التَّعْطيلَ، لأَنَّها تكونُ مِنَ الأغْراضِ المُتَّصِلَةِ، لا الآراءِ المُعْتَدِلَةِ، الكلامُ الَّذي ينْبَعِثُ مِنَ القَلْبِ يقَعُ في القَلْبِ، ويكونُ مُؤَثِّراً.

أنتَ أي عزيزُ في كُلِّ كلامٍ تَعَقَّلْ، إذا كانَ بُرْهانُ صِدْقِهِ مَعَهُ رَفيقاً، والعَقْلُ السَّليمُ لَهُ شاهِداً، فهُوَ قَوْلُ عاقِلٍ ذَكِيٍّ، وَجاءَ مِنْ مقامٍ عَلِيٍّ، وإذا كانَ بلا بُرْهانٍ عَقْليٍّ، فَهُوَ حَشْوٌ وَنَقْلٌ، ولا يملِكُ وَزْناً، ولا يهَبُ حاصِلاً، وأربابُ المَعاني يقولونَ الكلامَ بالكُلِّيَّةِ، وذاكَ خارِجٌ عَنِ قَبولِ ورَدٍّ ومَدْحٍ وذَمٍّ وتَصْديقِ وتَكْذيبِ شَخْصٍ أو طائفَةٍ مُعَيَّنَةٍ، على خِلافِ صانِعي الكلامِ صُورَةً، الَّذينَ جَعَلوا مِنْ أقوالِهِمْ رَديفاً لِمَيْلِهِمْ ومُدَّعى أنْفُسِهِم، وَرَموها بِأيدي وأقدامِ النَّاس، وما بِها، إذا تَمَعَّنْتَ بِها، غَيرُ مَدْحِ مَحبوبيهِم وَذَمِّ مَبْغوضيهِم، ولو أَخْرَجْتَ ذَمَّ

وَمَدْحَ الطَّوائفِ مِنْ كلامِ أولئكَ، ووضَعْتَ جانِباً ما نَسَجوا مِنَ الكلامِ القبيحِ والجَميلِ في حَقِ المُخالِفينَ والمُؤالِفينَ المَوهومينَ لأنْفُسِهِم، ما بَقِيَ شَيءٌ آخَرُ. وحَيْثُ هُناكَ ما بَيْنَ الخلائقِ رِجالٌ أذكياءُ، وعِنْدَهُمْ أساسٌ مِنَ الإدراك، مِمَّنْ لمْ يقوموا بِتَحْصيلِ العِلْمِ والمَعْرِفَةِ، ليستَطيعوا التَّعَمُّقَ في كُلِّ مَطْلَبٍ، وليفْهَموا حَقيقَتَهُ، تكونُ الأقوالُ المُتناثِرَةُ لِغَيْرِ الواقِفينَ مُوجِبَ تَوَقُّفِ أولئكَ، إذْ يقومونَ بِقياسِ الماضينَ مِنْ أهْلِ الحَقِّ على المُدَّعينَ مِنْ أهْلِ زَمانِهِم، ويَظُنُّونَ مقالاتِ أهْلِ المَعْرِفَةِ والحَقيقَةِ مِنْ قَبيلِ أقوالِ الآخَرين، فَهُمْ ليسوا بلا أدنى قَدْرٍ مِنَ المَعْرِفَةِ لِيَقْبلوا كُلَّ كلامٍ بلا دَليلٍ، وليسوا بِقياسِ كامِلِ الحواسِّ لِيُمَيِّزوا الجَوْهَرَ مِنَ الشَّبَهِ، وَيَعْرِفوا نَفْخَةَ الحَقِّ مِنْ نَغْمَةَ الباطِلِ.

وهذا القِسْمُ مِنَ النَّاسِ إفراطُهُمْ وَتَفْريطُهُمْ في كُلِّ مَطْلَبٍ كَثيرٌ، وخاصَّةً إذا كانوا أهْلَ عِزَّةٍ ورِئاسَةٍ، يَرَونَ العَقْلَ والفَضْلَ مِنْهُم على قَدْرِ وَسَعَةِ مَعاشِهِم، وانتِظامِ أُمورِ دُنياهُم، وَلَمْ يَقُمْ شَخْصٌ بِرَدِّ أقوالِ أولئكَ في أيِّ مَطْلَبٍ أبداً، لا بَلْ إنَّ رجالاً مِنْ ضِعافِ النُّفوسِ يقومونَ بِتَصْديقِ مقالاتِ أولئكَ على الرَّسْمِ دائماً نَظَراً لِمَصْلَحَتِهِمُ الدُّنْيَوِيَّةِ، الخَوفُ والطَّمَعُ في مَحَلِّهِما وغَيْرِ مَحَلِّهِما مِنْ لوازِمِ البَشَرِيَّة.

النَّادِرَةُ يَجِبُ أنْ يُعْرِضَ بِوَجْهِهِ عَنِ الدُّنيا، كي لا يَسْمَعَ مِنَ الكلامِ غَيْرَ الحّقّ، ولا يقولَ غَيْرَ الحَقّ، وهكذا شَخْصٌ لا يَعْتَني بِأقْوالِ أهْلِ المَجازِ، ليقومَ بِرَدِّ قَوْلٍ أو قَبولِهِ. هُوَ بالنَّفْسِ مَشْغولٌ، ومِنْ سَماعِ كُلِّ قَوْلٍ مَلولٌ، لا يَبني مَنْزِلاً بِجَنْبِ عَمارَةِ شَخْصٍ أو بَيْتِهِ، ولا يُقيمُ في مَدينَةِ وَمَحَلَّةِ النَّاسِ، لِئلاَّ يَرْمِيَ أحَدٌ على جِدارِهِ أو أرْضِهِ المَدَرَ، أو يَجْعَلُ المِيزابَ إلى مَنْزِلِ الجارِ لِيَكونَ نِزاعٌ، ويصيرَ الأمْرُ للمُرافَعَةِ والمُدافَعَةِ، وتكونَ الغَوغاءُ.

اِفْهَمْ ما أقولُ، أولئكَ الَّذينَ يَصيرونَ أضْداداً لأهْلِ المِلَلِ والمذاهِبِ، وَيَجْعَلونَ مِنْ أنْفُسِهِمْ شُرَكاءَ أقوالِ وَعَقائدِ النَّاسِ، هُمْ بلا خَبَرٍ عَنِ الحَقيقَةِ، وغائصونَ في لُجَّةِ التَّقْليدِ، مِنْ ذلِكَ الوَجْهِ دوماً ينشَأُ النِّزاعُ وَالغَوغاءُ بَيْنَ أهْلِ التَّقْليد، وكُلٌّ في إثباتِ مَطْلَبِهِ وَمُدَّعاهُ، وليسَ مَنْ هُوَ غَيْرُ مُحتاجٍ لِنَفْيِ الآخَرين، وإنْ وُجِدَ فنادِرٌ، وهُمْ مَعذورونَ لأنَّهُم: (لمْ يَروا الحَقيقَةَ فَسَلَكوا طَريقَ الخُرافَةِ).

غُصْ قليلاً في هذِهِ الرِّسالَةِ، فَعَسى أنْ تَفْهَمَ شَيْئاً، وَتَفوزَ بالحَقائقِ، أو على الأقَلِّ تَطَّلِعَ على رُسومِ المَدنِيَّةِ وَوَضْعِ الإنسانِيَّةِ. في هذِهِ الأوقاتِ، هذا الفَقيرُ الضَّعيفُ حَسَن بن مُحَمَّد باقِر الأصْفهاني المُلَقَّبُ بِصفي علي السَّاكِنُ الآنَ في دارِ الخِلافَةِ بِطَهْران، مِنْ بَعْدِ نَظْمِ نُسْخَةِ بَحْرِ الحقائقِ الَّذي هُوَ الاصطِلاحاتُ المَخْصوصَةُ بِأَهْلِ التَّوحيدِ والتَّصَوُّفِ، والفَراغِ مِنْ طَبْعِ ذلِكَ نَظْماً، صِرْتُ لِتَفْسيرِ وتأويلِ كِتابِ اللهِ المَجيد، وَلَمْ يَكُنْ لَدَيَّ وَقْتٌ لِتَحريرِ هذِهِ الرِّسالَةِ، وَلَمْ أكُنْ حاضِراً، فَظَهَرَ باعِثٌ، وكانَتْ إشارَةٌ مِنْ جانِبِهِ، بِجوازِ تَوقيفِ وَتَعْطيلِ ذلِكَ الأمْرِ المُهِمّ عِدَّةً مِنَ الأيَّامِ، لِتَحْريرِ هذا الكِتابِ المَوسومِ بِميزانِ المَعْرِفَةِ وَبُرْهانِ الحَقيقَةِ، آمِلاً أنْ يكونَ للمُطالِعينَ نافِعاً، وَأَنْ يَهَبَهُمْ حاصِلاً.

في بيانِ أنَّ الإنسانِيَّةَ مَوقوفَةٌ بآدابِ الظَّاهِرِ وسُلوكِ الباطِنِ

اِعْلَمْ أنَّ رَفْعَ النُّقْصانِ والوُصولَ لِكمالِ العِرْفانِ حَقُّ الإنسانِيَّةِ، وأنَّ الفائِدَةَ الأصْلِيَّةَ مِنْ خَلْقِ عالَمِ الإمكان إدراكُ الآدَمِيَّةِ، وَتَحْصيلُ هذِهِ الفائدَةِ العُظْمى مُنْحَصِرٌ بِشَيْئَيْنِ، أحَدُهُما آدابُ الظَّاهِرِ وذاكَ ما يَدْعُونَهُ الشَّريعَةَ، والآخَرُ تَنْزيهُ الباطِنِ وذاكَ ما يَدْعُونَهُ التَّصَوُّف.

الشَّريعَةُ بِمَنْزِلَةِ نَظْمِ السُّلطانِ العادِلِ في المُلْكِ، ومِنْ دونِ ذاكَ لا تَكونُ لأحَدٍ قُوَّةُ تَمَدُّنٍ وتَمَكُّنٍ في البَلَدِ، ولا تَكونُ المَدينَةُ في مَأْمَنٍ مِنْ فِتْنَةِ السَّارِقينَ وطُغْيانِ المُعانِدينَ وفَسادِ المُفْسِدينَ واعْتِداءِ الغُرَباءِ وَتَعَدّي النَّاسِ بَعْضُهُمْ على بَعْضٍ، ولا يَكونَ لأحَدٍ مَجالُ رَاحَةٍ وفَراغٍ، وأنْ يِسْلُكَ الطَّريقَ بِشُغْلِ الحَياةِ إلى أيّ مَكانٍ بِهِ الفائدَةُ الأَصْلِيَّةُ اللائقَةُ بالمَراتِبِ الآدَمِيَّةِ، ولا يستَطيعُ أنْ يكونَ في طَلَبِ تَحْصيلِ ذلِك.

ورُبَّما بِأَقْصَرِ زمانٍ تَصيرُ المَدينَةُ خَراباً، والخَلْقُ مُتَفَرِّقاً ومُنْدَثِراً، لِذلِكَ جاءَ واجِباً تَنْبيهُ الشَّخْصِ إذا تَجاوَزَ قانونَ الشَّرْعِ وَدَسْتورَ المُلْكِ في كُلِّ مِلَّةٍ على قَدْرِ تَجَرُّئِهِ. ولَمْ يَجِدِ النَّحْلِيّونَ والدَّهْرِيّونَ المائلونَ للتَّهَوُّرِ القَوامَ في أيّ عَصْرٍ أَبَداً، لأنَّ أربابَ العُقولِ لَمْ يُوافِقُوهُمْ بِأيَّةِ مُلاحَظَةٍ، ولَمْ يَجِدوا ذاكَ الوَضْعَ مُوجِبَ أمْنٍ وراحَةٍ، وَعَدُّوهُ باطِلاً، وَدَلُّوا على قبائحِ هذا الإعْتِقادِ الشَّنيعِ عُمومَ النَّاس، بَلْ لَو أنَّ شَخْصاً لَمِ يَقُمْ بإبطالِ أولئكَ، لكانَ بالفِطْرَةِ ساعياً لاضْمِحْلالِهِم واستِئصالِهِم. ودليلٌ مِنْ جُمْلَةِ الدَّلائلِ على إرسالِ الرُّسُلِ وإنزالِ الكُتُبِ، أنَّ الخَلْقَ مُسَلِّمونَ اضْطِراراً بالنَّظْمِ والقانونِ، وَأَنَّ وَضْعَ القانونِ حَقُّ

الشَّخْصِ الَّذي هُوَ عارِفٌ بِصلاحِ وَفَسادِ العِبادِ في الظَّاهِرِ والباطِنِ، وَيَعْرِفُ كُلَّ مَرْتَبَةٍ مِنْ نَفْسِه.

وبديهِيٌّ أنَّ الخالِقَ أبْصَرُ بِحالِ العِبادِ مِنَ العِبادِ، وأنَّهُ ليسَ مِنْ حَقِّ الخلائقِ أنْ يَضَعوا الشَّريعَةِ لأنْفُسِهِم، ولا أَنْ يَضَعوا القانونَ، وإذا ما وَضَعوهُ فَسوفَ لَنْ يبقى، ولنْ يدومَ، وذلِكَ لأنَّ العُقولَ مُتفاوِتَةٌ ومُخْتَلِفَةٌ، والعُقولُ المُخْتَلِفَةُ لا تَسْتَطيعُ الاِتِّفاقَ بِسَبَبِ آرائها الوَهْمِيَّة، فلِكُلِّ واحِدٍ غَرَضٌ، والأغْراضُ تُوجِبُ الاِخْتِلاف. فما مِنْ عاقِلٍ سيكونُ راضِياً بإقامَةِ الحُدودِ وإجْراءِ القَصاصِ على زَوْجِهِ وَوَلَدِه.

إذَنْ يَجِبُ أنْ تكونَ الأحْكامُ مِنْ مَبْدَأِ صدْقٍ، جَعَلَهُ الخالِقُ بَيْنَ الخَلْق، كي يكونَ مُبَرَّأً مِنَ الأغْراضِ الخَلْقِيَّةِ، ومُنَزَّهاً، وَتَكونَ الخلائقُ مُطْمَئنَّةً لِكَوْنِ الحُكْمِ بِعَدالَةٍ، وأنَّ ظُلْماً لَنْ يَجْرِيَ على النَّاسِ مِنْ أمْثالِهِم، والَّذي ترى مِنْ بقاءِ واسْتِقْرارِ القواعِدِ الجَديدَةِ في المَمالِكَ البَعيدَةِ بِواسِطَةِ تَقْوِيَةِ الدَّوْلَةِ والسَّلْطَنَة، هُوَ بالقانونِ كقانونِ الأوروبِّيِّن الَّذي جَعَلوهُ بِمثابَةِ شَريعَةٍ ومِلَّةٍ لَهُم، فلا يَتَخَطَّونَهُ في كُلِّيَّاتِ الأُمورِ والأحكامِ مِنْ أُصولِ المِلَّةِ، إلاَّ في القواعِدِ الجُزْئيَّةِ، وهُمْ يَرَونَ ذلِكَ مُوجِبَ انتِظامٍ. وَهُمْ إنَّما أخَذوا ذاكَ أيضاً وانتَخَبوهُ مِنَ القواعِدِ الكُلِّيَّةِ الَّتي وَصَلَتْ مِنْ مُوجِدِ العالَمِ بِواسِطَةِ الأنبياء، لِتَسْتَطيعَ أنْ تكونَ دائرَةً بِضْعَةَ أيَّامٍ، ومُعِينَةً في نَظْمِ وقانونِ الحال.

مثلما لَو أنَّ طَبيباً حاذِقاً ذَكَرَ خاصِّيَّةَ دواءٍ، وَذَكَرَ مَورِدَ اسْتِعْمالِ ذاكَ الدَّواء وَمِقْدارَ جُرْعَتِهِ، وجاءَ شَخْصٌ واسْتَعْمَلَ ذاكَ في مَوارِدَ أُخْرى، فإنَّهُ يُمْكِنُ أنْ

يَعْمَلَ أيضاً، ويكونَ مُؤَثِّراً، ويُعْطِيَ خاصِّيَّةً، ذلِكَ لأنَّ عُقولَ الخلائقِ أشِعَّةُ وأضْواءُ العَقْلِ الكُلِّيّ، وتستَطيعُ أنْ تأخُذَ مِنْ مَبْدَئها الإفاضَةَ بالتَّأكيد.

فإذا كانَ اتِّفاقُ العُقولِ على راحَةِ الخَلْقِ وتَزيينِ المُلْكِ، وأعْطى النَّتيجَةَ فلا عَجَبَ، فتِلْكَ كُلُّها آثارٌ مِنَ الأنبياءِ بَقِيَتْ، ووصَلَتْ إلى الرَّعِيَّةِ مِنْ صاحِبِ المُلْك، وغَيْرُ بَعيدٍ أنْ تكونَ تَزيدُ بالتَّجْرِبَةِ وتُعْطي النَّفْعَ.

ولو أنَّهُمْ كانوا يَعْمَلونَ بِذلِكَ النَّظْمِ الأصْلِيِّ في كُلِّ الأُمورِ، لكانَ الصَّلاحُ أكْثَرَ والفَسادُ أَقَلَّ.

مَثَلاً المُخَدِّراتُ القَوِيَّةُ في الأوجاعِ الشَّديدَةِ رُبَّما تُوجِبُ تَسكينَ الألَمِ لكِنَّها لا تَقومُ بِدَفْعِ المَرَض، ويُمكِنُ أنْ تُورِثَ عِلَلاً أُخْرى تَبْرزُ بَعْدَها، لِذا فالطَّبيبُ الحَقيقِيُّ الَّذي كانَ بِمِزاجِ العالَمِ بَصيراً، أرسَلَ المُعالَجَةَ مِنْ وَجْهِ العِلْمِ والحِكْمَةِ، لا مِنْ وَجْهِ التَّجْرِبَةِ والقِياس، وقد تقَعُ التَّجْرِبَةُ في المقامِ مُفيدَةً أيضاً، ولا تُحْدِثُ عِلَّةً، إلاَّ أنَّ القِياسَ غَيْرُ العَيان جُمْلَةً، ولا يُمْكِنُ العَمَلُ بالقِياسِ والمَظِنَّةِ في كُلِّ مَورِدٍ، والعَقْلُ الَّذي تَحْصَلُ لَهُ التَّجْرِبَةُ يَغْلِبُ كُلَّ العُقولِ ولا تَكونُ لَهُ النُّبُوَّةُ، لأنَّ النُّبُوَّةَ مَنْصَبٌ إلهِيٌّ، لا يَحْصَلُ مِنَ التَّجْرِبَةِ، ولا مِنْ تَحْصيلِ العُلومِ والحِكْمَة.

عيسى(ع) تَكَلَّمَ في المَهْد، وأظْهَرَ النُّبُوَّةَ، ولو أنَّ شَخْصاً بَقِيَ في العالَمِ ألْفَ عامٍ، وكانَ حاصِلاً على التَّجْرِبَةِ، لَمْ يكُنْ لَهُ الحَقُّ بِوَضْعِ أيِّ قانونٍ، وَلَوْ وَضَعَ لَمْ يَبْقَ، كما أنَّ النَّبِيَّ، كما ذُكِرَ، غُيْرُ مُحتاجٍ لأيِّ تَعَلُّمٍ وَتَعْليمٍ، بَلْ مِنْهُ يُمكِنُ أنْ يُتَعَلَّمَ كُلِّ عِلْمٍ وأدَبٍ، ويُمْكِنُهُ أنْ يُعْطِيَ نَظْمَ العالَمِ وَحْدَهُ، بِشَرْطِ قَبولِ الخَلْقِ، وأنْ يَعْرِفَهُ الخَلْقُ كُلُّهُم نَبِيَّاً، ولا يتَجاوزوا أمْرَهُ. إنَّ المفاسِدَ الَّتي اسْتَقَرَّتْ

في العالَمِ هِيَ مِنْ كَونِ الخلائقِ لَمْ يَتَّفِقوا جَميعاً على إطاعَةِ الأنبياء، والبَعْضُ الَّذينَ فَعَلوا جَعَلوا مِنْ آراءِ أنْفُسِهِمُ الوَهْمِيَّةِ داخِلَةً في الأوامِرِ والنَّواهِي.

وكما لا يكونُ للخلائق تَعيينُ النُّبُوَّةِ والنَّبِيِّ والرِّسالَةِ والرَّسولِ، لا يُمْكِنُ أنْ يكونَ لَهُمْ تَعيينُ الوِصايَةِ والوَصِيّ، ذلِكَ لأنَّهُمْ عَنْ إدراكِ هذِهِ المَرْتَبَةِ عاجِزون، وغَيْرُ عارِفينَ بِمَرْتَبَتِهِ الكمالِيَة.

وكما أنَّ النَّبِيَّ ليسَ فاقِداً لأيَّةِ مَرْتَبَةٍ مِنْ مراتِبِ كمالاتِ الوُجود، فكذلِكَ خَليفَتُهُ، وإلاَّ صارَ تَرْجيحُ المَرجوحِ على الرَّاجِحِ لازِماً، وأنْ يكونَ نَبِيٌّ قامَ بالمَشْوَرِةِ مَعَ أُمَّتِهِ في أمْرٍ، أو قامَ بالأمْرِ بالإجْماعِ والشُّورى، والتَّأكيدِ عليهِما، فلا تَعارُضَ، بَلْ هُوَ في مَحَلِّهِ، وفي ذلِكَ حِكَمٌ كَثيرَةٌ يَعْرِفُها أربابُ العُقول، وذِكْرُها عَنْ مَطْلَبِنا خارِجٌ، وهذا القَدْرُ الَّذي ذَكَرْنا لَمْ يَكُنْ بِقَصْدِنا، وكانَ خارِجاً عَنِ المَطْلَبِ، لكِنَّ الكلامَ وَصَلَ بِنا بالتَّدريجِ إلى هُنا، فَلْنَعُدْ إلى أصْلِ المَطْلَب.

في بيانِ أنَّ الحُصولَ على مَرْتَبَةِ الإنسانِيَّةِ مُنْحَصِرٌ بِسُلوكِ التَّصَوُّف

كما صارَ مَعْلوماً فإنَّ تَكْليفَ الإنسانِ عُموماً تَحْصيلُ وتكميلُ الآدَمِيَّةِ، وذاكَ مُنْحَصِرٌ بِحِفْظِ آدابِ الظَّاهِرِ، وسُلوكِ الباطِنِ. الآدابُ الظَّاهِرَةُ حارِسُ مراتِبِ الشَّريعَةِ، وسُلوكُ الباطِنْ عَمَلٌ بِمراسِمِ التَّصَوُّفِ والطَّريقَة، يعني سَلْبُ الأوصافِ الحَيَوانِيَّةِ مِنَ النَّفْسِ، وَكَسْبُ الأخلاقِ الإنسانِيَّة. آدَميٌّ بِأوصافِ الحَيَواناتِ لا يُمْكِنُ أنْ يُعَدَّ آدَمِيّاً، ولا أنْ يُعَدَّ عَنْ سائرِ الحيواناتِ مُمْتازاً، حتَّى ولَو أنَّ تَمامَ أوصافِهِ بُدِّلَتْ خلا وَصْفاً واحِداً مِنَ الحَيوانِيَّةِ بَقِيَ فيهِ، يبقى بَعيداً عَنِ الإنسانِيَّةِ بِمِقْدارِ ذلِكَ الوَصْف، وعِنْدَما تَتَحَرَّرُ الرُّوحُ مِنَ البَدَنِ العُنْصُرِيِّ الَّذي يمِلِكُ صُورَةِ إنسانٍ، يصيرُ مُتَشَكِّلاً في عالَمِ المِثالِ على شَكْلِ ذلِكَ الحَيوانِ الَّذي كانَ مُتَّصِفاً بِصِفاتِهِ، والشَّخْصُ الَّذي عَيْنُ بَصيرَتِهِ مَفْتوحَةٌ، يراهُ في ذلِكَ القالَبِ العُنْصُرِيِّ كما يراهُ في البَرْزَخِ.

جُمْلَةً، الإنْسانِيَّةُ في الإنسانِ أصْلٌ، والأخْلاقُ السَّيِّئَةُ الَّتي هِيَ خِلافُ الإنسانِيَّةِ فَرْعٌ وَعَرَضٌ، يعني أنَّها عَرَضَتْ ثانِياً، وإذا ما تَصَدَّى لَها الشَّخْصُ تَنَحَّتْ جانِباً، بَلْ إذا التَفَتَ لأصْلِ الإنْسانِيَّةِ لا تكونُ عَوارِضٌ، وإذا سَعى في دَفْعِها كانَ زوالُها فَوْرِيّاً، يعَني إذا التَفَتَّ لِنَفْسِكَ أنَّكَ إنسانٌ، فَحَقُّ الإنسانِ الإحْسانُ يَفْعَلُهُ لأمثالِ نَفْسِهِ لا الأذى، حقُّ الإنسانِ الصِّدْقُ والأمانَةُ لا الكَذِبُ والخِيانَةُ، وهكذا، وبِحُكْمِ العَقْلِ والتَّحْقيقِ، كُلُّ واحِدٍ مِنَ المَوجوداتِ لَهُ خاصِّيَّةٌ، وكمالُهُ في ظُهُورِ وتَمامِ تِلْكَ الخاصِّيَّةِ، كالحِصانِ في الجَرْيِ، والسَّيْفِ في القَطْعِ، والشَّرابِ في الإسكارِ، فإنْ لَمْ يَكُنْ للحِصانِ فَنٌّ في الجَرْيِ وسائرِ أوصافِهِ المَخْصوصَةِ، كانَ جُزْءاً مِنْ ذَواتِ الأرْبَعِ الحَمَّالَةِ، والسَّيْفُ الَّذي لا يَقْطَعُ ولا يُظْهِرُ خاصِّيَّةَ نَفْسِهِ يحِلُّ مَحَلَّ المِسْمارِ أو المِنْقاشِ أو سِكِّينِ

المَطْبَخ، وَيَنْزِلُ عَنْ مَرْتَبَةِ نَفْسِهِ، والشَّرابُ الَّذي لا يُسْكِرُ ماءٌ، وماءٌ مُلَوَّثٌ لا يُسْتَعْمَلُ كماءِ الشُّرْبِ فَيُشْرَبُ، ولا يُمْكِنُ غَسْلُ شَيْءٍ بِهِ، وهكذا الإنسانُ الَّذي لا يكونُ بِخاصِّيَّةِ نَفْسِهِ، فإنَّهُ يكونُ بَهيمَةً، وَقَدْرُهُ أَقَلُّ مِنَ البَهائمِ، ولا مَصْرفَ لَهُ.

إذا وَجَدْتَ الوُقوفَ على هذِهِ المُقَدَّمَةِ فاعْلَمْ الآنَ أنَّ حاصِلَ دَعْوَةِ الأنبياءِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ كانَ مِنْ جِهَةٍ وَضْعُ الشَّريعَةِ وَنَظْمُ المُلْكِ وَرَسْمُ المَدَنِيَّةِ وإصلاحُ الدُّنيا، وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرى تكميلُ تَرْبِيَةِ النُّفوسِ بِمراتِبِ الآدَمِيَّةِ وإظْهارُ طَريقِ وَرَسْمِ المَعْرِفَةِ، والإيصالُ مِنَ المجازِ إلى الْحَقيقَةِ، وَحَيْثُ أنَّ أغْلَبَ النَّاسُ في كُلِّ الأعْصارِ كانوا وَحْشِيِّي الصِّفَةِ، وبعيدونَ عَنْ مراتِبِ الآدَمِيَّةِ، وجاهِلونَ إلاَّ نادِراً، قَدَّمَتِ النُّفوسُ الكامِلَةُ وَضْعَ قواعِدِ المَدَنِيَّةِ، وَتَكْميلَ مَراتِبِ الصُّورَةِ، على الأصْلِ المَقْصودِ والمُرادِ في تَرْبِيَةِ العِباد، وبِقَدْرِ ظَرْفِيَّةِ الزَّمانِ، وعلى قِياسِ حالِ النَّاسِ، وَضَعوا النَّاموسَ، لِيَعْرِفَ كُلُّ شَخْصٍ رَفاهِيَةَ نَفْسِهِ في حِفْظِ وَحْراسَةِ ذلِكَ النَّاموس، ويصيروا باتِّفاقِهِمْ مِلَّةً، ولِيَقِفوا على خواصِّ تِلْكَ المِلَّةِ وينتَقِلوا مِنَ المُقَدَّمَةِ إلى أَصْلِ النَّتيجَةِ إنْ أرادوا. حاصِلُ الدَّعْوَةِ مُمْتَنِعٌ لِعُمومِ النَّاسِ، لأنَّ إدراكَ العامَّةِ لا يَصِلُ إلى تِلْكَ المَرْتَبَة، وكانَ عَرْضُ بيانِ المعاني والحقائقِ ضِمْنَ قواعِدِ الصُّورَةِ، حتّى لا يكونَ نَقْصٌ مِنْ أيَّةِ جِهَةٍ في تكميلِ النُّفوسِ، وإذا وُجِدَ ذَوْقُ السُّلوكِ في شَخْصٍ، تكونُ الطَّريقُ في مُتَناوَلِ يَدِهِ، وما كانَ مِنْ قبائحِ النَّفْسِ مُوجِبَ فَسادِ المُلْكِ واخْتِلالِ القواعِدِ الكُلِّيَّةِ أُقِرَّ بِهِ الجَزاءُ والحَدُّ، كالقَتْلِ والزّنا والسَّرِقَةِ، وما كانَ باعِثاً للبُعْدِ عَنْ مَبْدَأِ الإنسانِيَّةِ وكانَ ظُلْماً للنَّفْسِ مِنْ دونِ أنْ يكونَ فيهِ تَعَدٍّ فاحِشٌ على الغَيْر، أو ضَرَرٌ يَصِلُ لأصْلِ النَّاموسِ، جاءَ ذَمُّهُ والنَّهْيُ عَنْهُ، كالكَذِبِ والغِيبَةِ والبُخْلِ والحَسَدِ،

وأمْثالِ ذلِكَ، وَلَمْ يُقَرَّرْ بِهِ التَّعْزيرُ والتَّنْبيهُ، لِيَقِفَ النَّاسُ على قُبْحِ الأخلاقِ والأفْعالِ الذَّميمَةِ ويَتْرُكوها، لِهذا ترى وحْشِيّي الصِّفَةِ الَّذينَ لَمْ يُدْرِكوا مَعْنى الآدَمِيَّةِ، وساروا تَحْتَ حِمْلِ الأحْكامِ الظَّاهِرَةِ قَهْراً، أيْ مِنَ الخَوْفِ والرَّجاءِ، لِتَكونَ أموالُهُمْ وأرواحُهُمْ في أمانٍ، يفْعَلونَ عَلَناً الكَذِبَ والغِيْبَةَ، اللَّذينِ لا حُدودَ شَرْعِيَّةَ عَلَيْهِما، ويفْعَلونَ خِفْيَةً السَّرِقَةَ والزِّنا وسائرَ الرَّذائلِ الأُخْرى ، والحالُ أنَّ هذِهِ جَميعاً خِصالٌ حَيَوانِيَّةٌ، ومُخالِفَةٌ للسِّيْرَةِ الآدَمِيَّة. ذاكَ الَّذي وَصَلَ مَشامَّ روحِهِ العَبيرُ مِنْ رَوْضِ وَرْدِ الآدَمِيَّةِ، يرى عُقوبَةَ الخُلُقِ السَّيِّئِ أشَدَّ مِنْ عُقوبَةِ الأفْعالِ القبيحَةِ، لأنَّ جَزاءَ تِلْكَ واقِعٌ على القَلْبِ، وجزاءَ هذِهِ واقِعٌ على البَدَنِ، إذنْ فذاكَ الَّذي عَقْلُهُ وإدراكُهُ أكْثَر، يَجِبُ أنْ يقومَ بِمُلاحَظَةِ أخلاقِ الباطِنِ أكْثَرَ مِنْ أعْمالِ الظَّاهِر، ويُقَدِّمَ رُؤيَةَ الآدَمِيَّةِ على نَظْمِ المُلْكِ وَقَواعِدِ الصُّوْرَةِ، لَيْتَكَ تَلْتَفِتُ لِما أقولُ، وانظُرْ لِمَنْ لَمْ يَلْتَفِتوا ولَمْ يُقَدِّموا الأصْلَ على الفَرْع، كيفَ صارَتْ أُمورُهُم.

لَقَدْ كانَ النَّاسُ في سابِقِ الأيَّامِ أكْثَرَ وَحْشِيَّةً مِنَ الآن، بِسَبَبِ كَونِهِم لَمْ يَمْتَلِكوا التَّرْبيَةَ بِقَدْرِ أهْلِ هذا الزَّمان، فكانَ أهْلُ المَعْنى يُخْفونَ أنْفُسَهُم أكْثَرَ، وإذا ما أظْهَرَ شَخْصٌ التَّصَوُّفَ وهُوَ نادِرٌ داسَتْهُ البَهائمُ والوُحوشُ، أمَّا في هذا العَصْرِ النَّاسُ أذْكياءُ، والكثيرونَ قادِرونَ على إدراكِ المعارِفِ والحقائق، كما أنَّ هُناكَ كثيراً مِنَ الأشخاصِ القادِرينَ على الحديثِ بِهذِهِ المعاني لَهُم، وحَديثُ العارِفينَ شائعٌ ما بينَ النَّاسِ الآن، كما لَمْ يَكُنْ في أيِّ زمانٍ مِنْ قَبْلُ.

في السَّابِقِ كانَ الجاهِلونَ في العالَمِ يُشَبِّهُونَ على الخَلْقِ حالَ الفُقَراءِ والعُرَفاء، ولِكَثْرَةِ ما قالوا وما كَتَبوا مِنَ الشَّنائعِ عَنْ هذِهِ الطَّائفَةِ، كانَ مِنَ المُسْتَحيلِ على النَّاسِ أنْ يَقِفوا على محاسِنِ هؤلاءِ القَومِ، وكَسَدَ البَيْعُ في بازارِهِم، وفي هذا

الزَّمانِ صارَ المَطْلَبُ واضِحاً، ولا يَسْتَطيعونَ أنْ يُشَبِّهوا الأمْرِ على أحَدٍ، إلاَّ أنْ تكونَ امْرَأَةً عَجوزاً، أو رِجالاً مزاياهُمْ في كُلِّ بابٍ أقَلُّ مِنَ المَرْأَةِ العَجوز.

في بيانِ تَشقيقِ وَتَمييزِ أهْلِ المَعْنى مِنَ المُدَّعي

جُمْلَةً، ليسَ لأهْلِ الفَهْمِ والفَطانَةِ تَأَمُّلٌ في أصْلِ المَوضوعِ وَنَوْعِ المَطْلَب. هذا الأمْرُ لَمْ يَكُنْ في الأعْصارِ الماضِيَةِ سَبَباً لِنَظْمِ مَعاشٍ ورِفْعَةِ دُنيا شَخْصٍ، كانَ أهْلُ الطَّريقَةِ يأكُلونَ الأشواكَ، وَيَحْمِلونَ الأحْمالَ، وَيَحْيَونَ بلا آمالٍ. ثُمَّ وَجَدَ العاطِلونَ العَيَّاشونَ الطَّريقَ لِهذا البِساطِ بالتَّدريج، فَقَدْ وَقَعوا في الطَّمَعِ حينَ رَأَوا أربابَ المناصِبِ مُهْتَمِّيْنَ بإرادَةِ هذِهِ الفِرْقَةِ، فَلَبِسَ جَمْعٌ لِباسَ التَّصَوُّفِ، واخْتارَتْ جَماعَةٌ الخَلْوَةَ باسْمِ التَّصَوُّف، لِيَصيروا مَعْروفي المَشْهُورينَ في الدُّنيا، ومَرْجِعَ العَديدِ مِنْ طالِبي الجاه، وبِما أنَّهُ لَيْسَ هُناكَ متاعٌ لَيْسَ لَهُ مُشْتَرٍ، اجْتَمَعَ النَّهِمونَ حَوْلَ أولئكَ، واخْتَلَطَ الشَّبَهُ بالجَوْهَرِ، وصارَ الأمْرُ مَغْشوشاً، وشاعَتِ الفِتْنَةُ، وحتَّى إبليسُ جاءَ بلباسِ آدَمَ، وَعَرَضَ نَفْسَهُ بِألْفِ نَوعٍ مِنَ الفَضائلِ، وصارَ تَمييزُ هذا الأمْرِ شَديدَ الإشْكالِ، وانْسَحَبَ الخَيْطُ إلى هذا العَصْرِ، حَيْثُ كُلُّ جاهِلٍ يَدَّعي التَّصَوُّفَ، وَيَشْهَرُ نَفْسَهُ باسْمِ القُطْبِيَّة، وبديهيٌّ أنَّ مِثْلَ هؤلاءِ الأشْخاصِ غَيْرُ مُتَّفِقينَ أو مُتَّحِدينَ واحِدُهُم بالآخَر، ويُصِرُّونَ على القَدْحِ والذَّمِّ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، وكُلٌّ مِنْهُم يرى ازدِهارَ بازارِهِ في فَسادِ حالِ وكسادِ بازارِ الآخَرين. نِزاعُ النَّاسِ العَوامِّ على المُلْكِ والمالِ أو المَنْصبِ والجاهِ، أو الكَسْبِ والعَمَلِ، وهؤلاءِ الأشْخاصِ نِزاعُهُمْ على شَيْءٍ لا يمْلِكُ مَفْهُومَ الوُجودِ أصْلاً، لَقَدْ جَعَلوا مِنْ اِسْمِ الدَّرويشِ شَبْكَةَ نَشْلٍ كسائرِ الشِّباكِ، مِنْ قَبيلِ التَّسْخيرِ والإكسيرِ وإحْضارِ الأرواحِ والعَزائمِ، وأمْثالِ ذلِكَ،

لِيَرَوا بِأيَّةِ شِباكٍ يَقَعُ المَنْظورُ، وما يَكونُ إدراكُهُ، والنَّاسُ مِنْ كُلِّ عارٍ مِنَ العَمَلِ يَظُنُّونَ الدَّرْوَشَةَ والتَّصَوُّفَ هذِهِ الأشياء، ولا يَرَونَ مَطْلَباً آخَرَ.

زَمانَ لَمْ يَكُنْ لأمْرِ الفَقْرِ وإسْمِ التَّصَوُّفِ وَوَضْعِ الإرشادِ دَخْلٌ بالمَعاشِ، لَمْ يَكُنْ يَسْلُكُ هذا المَسْلَكَ إلاَّ رِجالٌ تَرَكوا الدُّنيا، ولَمْ يكُنْ مِنْهُ حاصِلٌ لِواحِدٍ لَيْسَ مِنْ أهْلِهِ، كي يَدْخُلَ هذِهِ الدَّائرَةَ وَيَصيرَ مُدَّعِياً، ولمَّا صارَ رَسْماً أنْ يَعيشَ النَّاسُ مِنْ هذِهِ الوَسيلَةِ، جاءَ رِجالٌ غَيْرُ أولي تَجْرِبَةٍ، وصاروا مَحْرَماً، وصارَ العَمَلُ في يَدِ مَنْ يُرَبُّونَ البَدَنَ، وَيَطْلُبونَ الدُّنيا، وكُلُّ شَخْصٍ مِنْهُم اتَّخَذَ ذَريعَةً اِسْمَ سلسلةٍ وكِتابَ إرْشادٍ، لِيَكونَ في يَدِهِ مُسْتَمْسَكٌ للوُصولِ إلى مقاصِدِهِ، وكثيرونَ مِمَّنْ لَمْ يكونوا على اطِّلاعٍ على أسْرارِ وأعْمالِ هؤلاءِ القَوْمِ، ولم يكونوا على عِلْمٍ بِعِلْمِهِم وعقائدِهِم، قاموا بادِّعاءِ رِئاسَةِ الفَقْرِ وخِلافَةِ الإرشاد، ثُمَّ جَعَلوا جُزْءاً مِنْ هذِهِ الدَّعْوَةِ بلا لُبٍّ ولا مَعْنىً تَرِكَةً ميراثاً لأبنائهِمْ مِنْ بَعْدِهِم، لكِنَّ هذا الخَرابَ كُلَّهُ لَمْ يُوجِبِ اخْتِلالَ الطَّريقَةِ والتَّصَوُّفِ عِنْدَ أربابِ العُقول، بَلْ بَقِيَتْ هذِهِ الاِخْتِلافاتُ كَمَرَضٍ عارِضٍ على البَدَن.

ولا يُمْكِنُ تَرْكُ البَدَنِ بِواسِطَةِ مَرَضٍ، ولا يَجُوزُ مِنَ السَّوادِ الأعْظَمِ الجلاءُ عَنِ الوَطَنِ بِسَبَبِ كَثْرَةِ البَعوضِ وهُجومِ الذُّبابِ، ولا يُمْكِنُ التَّخَلِّي عَنْ أمْرٍ مُسَلَّمٍ بِسَبَبِ تَدَخُّلِ غَيْرِ الأهْلِ فيه، وقد كانَ مُسْلِمونَ غَيْرُ أهْلِ إسلامٍ اتَّفَقوا في بِدايَةِ الأمْرِ على قَتْلِ وَلَدِ رَسولِهِم، وَقَتَلوا بَني فاطِمَةَ بِذَنْبِ تَرْكِ بَيْعَةِ يَزيد، وَرَمَوا أجْسادَهُمُ الطَّيِّبَةَ في الصَّحْراءِ، بلا دَفْنٍ ولا كَفَنٍ، وأخَذوا عِيالَهُمْ أسرى، يقودونَهُم مِنْ بَلَدٍ إلى بَلَد.

وإذا كانَ هذا الأمْرُ الشَّنيعُ، بِأنْ يُقْتَلَ المُوحِّدونَ العابِدونَ للهِ، ويَتَباهَى بِقَتْلِهِمُ الفاسِقونَ سَيِّئو الأَصْلِ، ويصيروا مِنْ بَعْدِهِم رُؤساءَ للمُسْلِمين، أوْهَنَ هذِهِ الأُمَّةَ وَهَناً شَديداً، إلاَّ أنَّ التَّزَلْزُلَ مَعَ كُلِّ هذا الوَهَنِ لَمْ يَجِدِ الطَّريقَ لأرْكانِ هذِهِ الأُمَّةِ، ولَمْ يَنْطَفِئْ سِراجُ هِدايَةِ الهادِينَ للدِّين.

ومِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْتَبِرُ هذِهِ العارِضَةَ دَليلَ نَقْصٍ وَضَعْفاً في أصْلِ المَطْلَبِ، وهذا مِنْ عَدَمِ التَّأمُّلِ، فلا يَتَصَوَّرونَ أنَّ الحَرْفَ السَّيِّئَ لَيْسَ دَلَيلَ قُبْحِ اللِّسان، وأنَّ شَرارَةَ شياطينِ الإنْسِ لَنْ تُوصِلَ الضَّرَرَ لأُصولِ الدِّياناتِ ونواميسِ الأنبياء، يَجِبُ أخْذُ كُلِّ مَطْلَبٍ باليَدِ، وقياسُ زيادَةِ وَنَقْصِ ذلِكَ المَطْلَبِ، ما مِنْ أمْرٍ مِنْ أُمورِ الوجودِ إلاَّ ولَهُ ميزانٌ، وبالخُصوصِ أمْرٍ مدارُ الآدَمِيَّةِ عَلَيْه، وما لَمْ يَكُنْ لَدى الشَّخْصِ ميزانٌ فَهُوَ مُضْطَرٌّ في تمامِ الأمورِ للإفراطِ والتَّفريط، وخُصوصاً في أمْرِ المعارِفِ الَّتي تَتَطَلَّبُ ذَوقاً لَطيفاً، وَفَهْماً عَميقاً. الخواصُّ في تَحقيقِ هذا الأمْرِ وتَمييزِ أهْلِهِ عاجِزونَ، فمتى يَصِلُ إلَيْهِ العوامّ.

لِذا بَعْضُ النَّاسِ، بِحُسْنِ الفِطْرَةِ أو إظْهاراً للكمالِ أو بِمَحْضِ التَّقليدِ، مالوا إلى التَّصَوُّف، وهُمْ غُرَباءُ عَنْ مَعْرِفَةِ أهْلِهِ، ويَظُنُّونَ أنَّ العِرْفانَ قِراءَةُ أشْعارِ المَثْنَوي وحافِظَ، ومَعْرِفَةُ أسْماءِ أشخاصٍ والحَديثِ عَنْهُم، وصاروا مُشْتَبِهينَ، والبَعْضُ الآخَرُ بِمَيْلِ النَّفْسِ يَخْدشونَ المُرْشِدَ وَيَجْعَلونَ لَهُ تَعْريفاتٍ إلى مَرْتَبَةِ أنْ صارَ الأمْرُ مُشْتَبِهاً على ذلِكَ المِسْكين. خُصوصاً إذا كانَ مُريدَ ومُعَرِّفَ شَخْصٍ مُقْتَدِرٍ.

ومِنْ حُسْنِ تَرْحيبِ ذلِكَ الشَّخْصِ يَجْعَلونَ لَهُ الأوضاعَ في الخَيالِ، جَماعَةٌ مِنْ هذا الإفْراطِ وَقَعَتْ في الضَّلالَةِ، وجَماعَةٌ أُخْرى بالمُقابِلِ كانِتْ قُوَّةُ إنكارِها

غالِيَةً، وكانَتْ في طَرَفِ التَّفْريطِ واقِعَةً، ولو كانَ للشَّخْصِ ألفُ فَضْلٍ ولهُ عَيْبٌ واحِدٌ، لَمْ يَرَوا مِنْهُ مِئةَ الفَضْلِ، وتعلَّقوا بِذلِكَ العَيْبِ، وأظْهَروا مَضْمونَهُ، وَشَنَّعوا عَلَيْهِ، وَرَفَعوا عالياً أمْرَ النَّقْدِ، إلى مَرْتَبَةٍ صاروا بِها مُنْكِري الكُتُبِ والرُّسُل، ويَرَونَ ذلِكَ حُسْنَ فِراسَةٍ مِنْ أنْفُسِهِم، وعُلُوَّ إدراكٍ، فمِنْ هذا الإفْراطِ والتَّفْريطِ، لا يُوجَدُ مِيزانٌ مُعَيَّنٌ في يَدِ شَخْصٍ في أيِّ بابٍ، لا قَبولُ الخَلْقِ بِمِقياسٍ، ولا رَدُّهُم. لَقَدْ بَقينا بَعيدينَ عَنِ المَطْلَب.

تنبيه

أي عَزيزُ، أنتَ نَتيجَةُ خَلْقٍ وخُلاصَةُ إبداعٍ، تَمُرُّ سَنَةٌ وفي كُلِّ فَصْلٍ تَرْبيَةٌ لِنَباتٍ وحيوانٍ، ومِئةُ ألْفِ شَخْصٍ مَشْغولونَ، كُلٌّ بِشُغْلٍ، ليصيرَ طعامُكَ جاهِزاً، ويصيرَ لَكَ قُوتُ يَومٍ، قليلاً أُصْحُ، وتأمَّلْ بالنَّفْسِ، وانظُرْ ما الفائدَةُ مِنْ وجودِكَ، وبِماذا صَرَفْتَ عُمْرَكَ العَزيز.

أربابُ الغَفْلَةِ يُكْثِرونَ الحَديثَ بِهوى النَّفْسِ، ورَدِّ وقبولِ الأحاديثِ، أنتَ متى تَعْرِفُ التَّكليفَ، وَتَعْرِفُ وَتُدْرِكُ حقيقَةَ النَّفْسِ وَتَصِلُ إلى مَنْزِلِ الإنسانِيَّة، فحينَ يكونُ خلاصُ الرُّوحِ مِنْ قَيْدِ البَدَنِ، ما ثَمَّةَ غَيْرُ المَلَكاتِ الخُلُقِيَّةِ مِنْ حاصِلٍ، فما شُغْلُكَ بِرَدِّ وَقَبولِ الخَلْقِ، أيْنَ طَرَفُ الأقوالِ بلا حاصِلٍ، إنَّها أيضاً أحْمالٌ، وَقَدْ وَضَعوها على كَتِفِكَ، في كُلِّ مَوضِعٍ بِعُنوانٍ، وبَقيتَ مُضْطَرّاً لِحَمْلِها أيضاً، واعْتَدْتَ على سَماعِ الألفاظِ مِنْ طَويلي الأنفاسِ غيرِ ذَوي الإنصافِ الَّذينَ لا يَترُكونَ مجالاً لاسْتِماعِ كلامٍ آخَرَ، ولا تَنْظُرُ في مَأخَذِ ونَتيجَةِ ذاكَ، قاموا بالأمْرِ بلا حُجَّةٍ وَدَليلٍ، قالوا بالقَسَمِ والإلْتِماس، نَسَجوا نسيجَ الألفاظِ وَطَرَحوهُ لِكُلِّ مُسْتَمِعٍ، أنِ اسْمَعْ هذا واقْبَلْهُ، مِنْ دونِ أنْ تقومَ بِتَحْقيقِ حَقيقَتِهِ.

بُستانُ ألفاظِهِم أَخْضَرُ المَنْظَرِ إذا نَظَرْتَ، وإذا دَخَلْتَ فَمَقْبَرَةٌ ملأى بالعِظامِ المَيْتَةِ، لا عَمارَةٌ ولا بُستانٌ، كانَ طَلْسَمٌ تَحْتَ البُستانِ، وذاكَ الَّذي كانَ يَدْعوكَ ساحِرَةٌ عَجوز.

إذا فَهِمْتَ ما أقولُ فَلَنْ تَقَعَ بِأَيِّ طَلْسَمٍ أبَداً، ولَنْ تَضِلَّ الطَّرِيقَ بِحَرْفِ أيِّ مُخادِعٍ، ولو أَخَذَتِ الدُّنيا الجَميعَ بالجَهالَةِ والضَّلالَةِ لا تَزُلْ عَنِ الصِّراطِ المُسْتَقيم، وجانِبِ الإفراطِ والتَّفْريط، لا تَجْعَلِ الرَّأْسَ في الهواءِ ففي كُلِّ لَحْظَةٍ تَعْثَرُ قَدَمُكَ بِصَخْرَةٍ، وَتَقَعُ على الوَجْه، حيناً يَعْرِضُ لَكَ الجاهِلونَ صُورَةً، أنْ كُنْ عاشِقاً لِهذا النَّقْشِ بلا روحٍ، ولِغَيْرِ هذا لا تُسْلِمِ الخاطِرَ لِشَيءٍ، وحيناً قارئو القَصَصِ يُشَجِّعونَكَ أنْ رُسْتَم ذَهَبَ لِتوران، وأَخْرَجَ **بيژن** مِنَ البِئر، أنتَ فاعْرِفْ شِجاعَتَنا، وحيناً الجائعونَ يَرمونَكَ بالهَوَسِ، أنْ خُبْزُ السَّنَةِ الماضِيَةِ لا يُشْبِعُ هذِهِ السَّنَةَ، كُنْ حاضِرَ هذِهِ السُّفْرَةِ واجْلِسْ، فإنَّها مليئةٌ بأنواعِ النِّعَمِ، وكُنْ بِفَضائلِنا مُعْتَرِفاً.

وهذِهِ سُفْرَةٌ رأوها بالنَّوم، وحينَ صَحَوا كانَتْ طُيورُها المَشْوِيَّةُ طارَتْ، وأسماكُها المُسَمَّنَةُ ذَهَبَتْ في البَحْرِ، وهُمْ يقضَمونَ بالأسنانِ قُشورَ بِطِّيخِ السَّنَةِ الماضِيَةِ، بَلْ يتَعَيَّشونَ بِمَدْفوعِ الآخَرين، وحيناً النَّائمونَ الواقِعونَ بَعيداً عَنِ الطَّريق، يقومونَ بالتَّنبيهِ، ويُعَلِّمونَ المَعْرِفَةَ، أنْ شَمْسُ الولايَةِ طالِعَةٌ مِنْ قَبْضَتِنا قالِعَةِ بابِ خَيْبَرَ، فمِلْ هذا الجانِبَ لِتَرْتَوِيَ مِنَ الضِّياء، ومِنْ طَرَفٍ آخَرَ دَهْرِيُّو المَذاقِ بِأَلْسِنَتِهِمُ العَذْبَةِ وأَمْثِلَتِهِمُ الجَميلَةِ وكناياتِهِمُ المَليحَةِ يقولونَ أنْ آثارُ كُلِّ شَيْءٍ يَجِبُ أنْ تكونَ ظاهِرَةً، كما هِيَ صنائعُ الأوروبّيّينَ ظاهِرَةٌ، هذِهِ العُلومُ وهذِهِ المَعارِفُ الَّتي يَدَّعيها أهْلُ الظَّاهِرِ والباطِنِ، لماذا لا تَملِكُ مِنَ الآثارِ بِقَدْرِ صَنْعَةٍ، ولا تُعْطي مِنَ الأَثَرِ بِمِقْدارِ دواءٍ، فَمَعلومٌ إِذَنْ أَنَّها لا تَمْلِكُ

مَوضوعاً، وأنَّها مَحْضُ خيالٍ، يتَخَيَّلونَ أنَّ إدراكَ المَعْقولاتِ يَجِبُ أنْ يكونَ مِنْ الوَجْهِ المَحْسوسِ، وليسوا جَميعاً بِجِهَةٍ واحِدَةٍ مِنْ هذا القَولِ الَّذي يقولون.

مَحْضُ جَهالَةِ نَفْسٍ وَتَمْضِيَةُ وَقْتٍ، وإذا ما أَقْبَلَتْ مِحْنَةٌ عَلَيْهِم يصيرونَ مُتَوَسِّلينَ بالدُّعاءِ والصَّدَقَةِ، ويتوبونَ مِنْ مقالٍ وأعْمالِ طَبيعيّي المَذْهَبِ، فكيفَ تَسْمَعُ كُلَّ هذا جُمْلَةً ولا يَضْطَرِبُ وَجْهُكَ وَعَقْلُكَ، إلاَّ أنْ يكونَ في يَدِكَ ميزانٌ، لِتَزِنَ أَقْوالَ كُلِّ جَماعَةٍ، وتفْهَمَ حَقيقَتَها. أيْ دَرويشُ أهْلَ المَعْنى شَخْصٌ لو كانَتِ الأقاليمُ السَّبْعَةُ بإرادَةِ خِدْمَتِهِ قَلْباً واحِداً، وَجَهَةً واحِدَةً، ما صارَتْ قَدَمُ ثباتِهِ أطْوَلَ مِنْ سَجَّادَةِ مَسْكَنَتِهِ، وما اهْتَزَّ جَبَلُ وجودِهِ مِنْ هذِهِ الرِّياح.

إذا أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمُ الدُّنيا لا يَتَلَّوَثون، وإنْ لَمْ تُقْبِلْ لا يَحْزَنون، سلاطينُ وهُمْ سائلون، وفي تَبْديلِ رذائلِ النَّفْسِ بالفَضائلِ دَقيقون، وبِحِفْظِ مراتِبِ الصُّورَةِ والمَعْنى، للهِ، يقومون، ومِنْ وَجْهِ البَصيرَةِ ومِقياسِ العُقولِ يَفْعَلون، ولا يَجْعَلونَ مِنْ كمالِهِمْ عِنوانَ رئاسَةٍ على الجُهَّال، ولا يقومونَ بالمُوافَقَةِ لَهُمْ، أنْ نَحْنُ بالجِهَةِ الفُلانِيَّةِ أعلى مِنْكُم، وبالسَّبَبِ الفُلانِيِّ رَفيقٌ مَعَكُمْ، بَلْ يُخْفونَ مقامَهُمْ وكمالَهُمْ عَنْ عوامِّ النَّاس، ويقومونَ بالمُعاشَرَةِ بِقَدْرِ الضَّرورَةِ، لا يَجْعَلونَ مِنَ العوامِّ إلْفَةً، ولا ينظُرونَ بالعَيْنِ لِشَخْصٍ حَقارَةً، أو خَوفاً وَطَمَعاً، ولا يَظُنُّونَ أنَّ لَهُمْ على أولئكَ الأشْخاصِ فَضيلَةً، فَضْلاً عَنْ أنْ يقوموا بِذِكْرِ فَضائلِ أنفُسِهِم، لو نَظَرْتَ إلَيهِم بِعَيْنِ البَصيْرَةِ لا البَصَرِ لأيْقَنْتَ بِكُلِّ ما قُلْتُ.

أنتَ أي درويشُ كُنْ هكذا، إذا جاءتْ إلى أمامِكَ الدُّنيا مُجْتَمِعَةً بِتَمامِها لا تتأثَّرْ بِها، وإذا لَمْ تُقْبِلْ عَلَيْكَ حافِظْ على شَرافَةِ نَفْسِكَ، لا تَبِعْ يُوسُفَكَ بالثَّمَنِ البَخْسِ، ولا تَسْعَ بلا طائلٍ في طَلَبِ ما لَيْسَ لَكَ، فَرِزْقُكَ مَقْسومٌ، ولَنْ تَجِدَ

أكْثَرَ مِنْهُ إذا طَلَبْتَ، بَلْ تَقَعُ في العَناءِ والشَّقاء، وتكونُ دائماً مهموماً، وآخِراً تَموتُ كالحيواناتِ الحَمَّالَةِ في خرابَةِ الدُّنيا، وتروحُ بلا أيِّ نَصيبٍ مِنْ حياتِكَ. حافِظْ عَلى الدَّرويشِ عَزيزاً فذلِكَ دَولَةٌ، ولا تكُنْ بِحَيْثُ يُرَجِّحُ القِشْرِيُّونَ صُورَتَكَ على مَعْناك، يعني لا تَكُنْ باسْمِ الفَقْرِ وَمَشْرَبِ التَّصَوُّفِ عابِدَ الدُّنيا، امتيازُكَ عَنِ المُدَّعينَ بلا حَقيقَةٍ هُوَ في تَرْكِ زوائدِ الدُّنيا، وإلاَّ فَلَنْ تكونَ لَكَ مَزِيَّةٌ عَنْ تِلْكَ الجَماعَةِ، مِمَّنْ يقومونَ بِتَعْريفِ دُوَلِ الآخَرين، وينامونَ اللَّيْلَ جائعين.

خِزانَةُ السَّلاطينِ قَبْلَ ألْفِ عامٍ ما تَنْفَعُكَ في الحالِ الحاضِرِ، وأنتَ في حاجَةٍ لِرِزْقِ اليَوم، وكذا مِنْ سوءِ حالِ الأقوامِ الماضِيَةِ والآتيَةِ ما ضَرَرُكَ لِتَلومَ غاصِبي فَدْكٍ، وتُرْسِلَ اللَّعَناتِ للدَّجالِ الَّذي لَمْ يجِئْ بَعْدُ، وأنتَ عَنْ تَحْصيلِ وتكميلِ إنسانِيَّتِكَ غافِلٌ، مِنْ غَصْبِ فَدْكٍ وَغَصْبِ الخِلافَةِ لا تَبْكِ، وَبِقَدْرِ حالِكَ على بني فاطِمَةَ قُمْ بالإحسان، وكُنْ ثابِتاً على الصِّراطِ المُستقيمِ لولايَةِ أهْلِ البَيْت، وساعِياً في تَحصيلِ أوصافِهِمُ المَرْضِيَّةِ، أولئكَ لَمْ يجيئوا إلى الدُّنيا مِنْ أجْلِ جَلْبِ فَدْكٍ وأخْذِ الخلافَةِ والرِّئاسَةِ، ولمْ يتَحَزَّموا لِذلِكَ، ولمْ يكونوا مَهْمومينَ للجِهاتِ الَّتي تَظُنُّ، أنتَ فَلْتَبْكِ على عَجْزِكَ، لا على جَوْزَةٍ فُقِدَتْ مِنْ مَمْلَكَةِ الشَّاه، جُمْلَةً اجْعَلْ آدَمِيَّتَكَ في الحِساب، واجْعَلْ بِناءَ أخْلاقِ الصِّدِّيقينَ في نَفْسِكَ مُسْتَقيماً، ولا تَقْضِ عُمْرَكَ العَزيزَ بِذَمٍّ وَمَدْحِ الطَّوائفِ، ولا تَقْنَعْ بالكلامِ، النِّزاعاتِ الَّتي تَرَى كُلُّها مِنْ ذلِكَ، أتُسْلِمُ بَيْتَ نَفْسِكَ الَّذي هُوَ بالبَديهَةِ مَوضعُ الكَنْزِ إلى يَدِ الأوباشِ لِيَجْعَلوا مِنْهُ مَنْزِلَ قِمارٍ لَهُم، وتجري لِكُلِّ طَرَفٍ إلى مكانِ الكَنْزِ الموهومِ، إلى حَيْثُ يجري أشخاصٌ مَعلومونَ ومَجهولون، يقومونَ بِوَصْفِ الخزائنِ المَلأى بالذَّهَبِ والجواهِرِ مِنَ المُلوكِ القُدَماء.

جاءَ الوَقْتُ ليَظْهَرَ ويُطَهِّرَ العالَمِ مِنْ لَوثِ الشِّرْكِ، لكِنَّكَ لَنْ تكونَ في ذلِكَ الوَقْتِ لِتَفوزَ بِسَعادَةِ خِدْمَتِه، الشَّرافَةُ أنْ تَرى نَفْسَكَ الآنَ في عَصْرِهِ، وَتَجْعَلَ نَقْدَ وُجودِكَ بإخلاصٍ في مُتابَعَتِهِ، تَمييزُ الخالِصِ يكونُ بامْتِحانِهِ بالنَّار. مقامُ تَحقيقٍ جاءَ مُناسِباً رَغْمَ أنَّهُ خارِجٌ عَنْ طَرْزِ الكلامِ وَرُؤيَةِ المَطْلَبِ، رُبَّما يَدْفَعُ أهْلَ المَعْنى للعَمَل.

تَحقيقٌ في بيانِ ظُهُورِ المَهْدِيّ

(عَجَّلَ اللهُ فَرَجَه)

أقولُ أنَّ ظُهُورَ المَهْدِيّ كما سَيَقَعُ في عالَمِ الظَّاهِرِ، يَقَعُ أيضاً في باطِنِ العارِفِ صاحِبِ الشُّهُود، وذاكَ انكِشافُ شَمْسِ الوُجودِ في قَوْسِ الصُّعودِ. حينَ يَصِلُ سَيْرُ العارِفِ للغَيْبِ المُطْلَقِ، وتتكَشِفُ لَهُ الأعْيانُ الثَّابِتَةُ، يرى موجوداتِ الإمكانِ بِقَبولِ وجودِ المَهْديّ، وفي تِلْكَ السَّاعَةِ الَّتي هِيَ عَصْرُ الوِلايَةِ وقيامُ القِيامَةِ، يَظْهَرُ سُلطانُ الوجودِ، الَّذي هُوَ الهادي الحقيقِيُّ، مِنَ الحِجابِ الخَفِيّ في صُورَةِ الإنسانِ الكامِلِ، ويستولي على مراتِبِ وجودِ السَّالِكِ بِبَساطَةِ وَهَيْمَنَةِ نَفْسِه.

وعيسى رُوحِ القُدُسِ يسيطِرُ على النَّفْسِ البَهِيمِيَّةِ الَّتي هِيَ مُضِلُّ الحواسِّ والقُوى، والمُعَبَّرُ عَنْها بالدَّجَّال، يعني أنَّ الحواسَّ والقُوى الحَيوانِيَّةَ تَصيرُ مَلَكوتِيَّةً، والقَلْبُ يَجْدُ السُّكونَ مِنَ الإخْتِلافاتِ المُخْتَلِفَةِ غَيْرِ المَرْضِيَّةِ، والأشياءُ المُتَكَثِّرَةُ الخَلْقِيَّةُ والخيالِيَّةُ تَرْجِعُ لأصْلِ الوَحْدَةِ، وفي هذِهِ الحالِ تَصيرُ الأديانُ المُخْتَلِفَةُ ديناً واحِداً.

يعني يصيرُ العارِفُ السَّالِكُ في حُضورِ السُّلطانِ القاهِرِ المالِكِ واحِداً، ومملكَةُ الوُجودِ العامِرَةُ يَصيرُ بَعْضُها بِبَعْضٍ مُتَّصِلاً، يعني خراباتُ الغَفْلَةِ تَصيرُ بالحُضورِ الدَّائمِ عَمارَةً، وكما شَمْسُ الهَوِيَّةِ في قَوْسِ النُّزولِ طَلَعَتْ مِنَ المَشْرِقِ، تَطْلَعُ في هذا الوَقْتِ مِنْ مَغْرِبِ الأكوانِ، وهذِهِ إشارَةٌ لِنَفْيِ الحُدودِ، يعني المَشْرِقُ والمَغْرِبُ مِنْ لوازِمِ الزَّمانِ والمَكانِ، في عالَمِ اللاّمكانِ الحُدودُ مُنْتَفِيَةٌ، ولا زمانَ ولا مكانَ، وما لَمْ يَنْكَشِفْ هذا المقامُ للسَّالِكِ فإمامُهُ غائبٌ، وهُوَ عَنِ الحَقيقَةِ بلا خَبَرٍ.

خواصُّ أَهْلِ التَّوحيدِ هُمُ المَخْصوصونَ بِهذا المَطْلَبِ، ولا دَخْلَ لَهُ بِكُلِّ شَخْصٍ، العارِفُ يَحْفَظُ كُلَّ مَرْتَبَةٍ في نَفْسِهِ(لِكُلِّ كلامٍ مكانٌ ولِكُلِّ نُكْتَةٍ مقامٌ).

المُكاشَفَةُ مُقَوٍّ ومُعاوِنٌ لأحكامِ الصُّورَةِ لا مُنافِيَةٌ لِتَصَرُّفاتِ ذاكِ المَهْدِيِّ الَّذي قالَ الصُّوفِيُّ، والَّذي يُرى بالكَشْفِ حينَ يَظْهَرُ في عالَمِ المُلْكِ، كما يكونُ مُتَصَرِّفاً في مَلَكوتِ العارِفِ، فافْهَمْ.

فَصْل

قُلنا مَدارُ الآدَمِيَّةِ مُنْحَصِرٌ بآدابِ الظَّاهِرِ وسُلوكِ الباطِنِ، وكُلُّ واحِدٍ مِنْ هذَيْنِ الإِثْنَيْنِ لازِمٌ للآخَرِ وَمَلزومٌ، يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَعْلَمَ آدابَ الآدَمِيَّةِ كما هِيَ، وأَنْ تَعْمَلَ بِها، وأَنْ تَرْفَعَ وَتَدْفَعَ موانِعَ الآدَمِيَّةِ مِنْ نَفْسِكَ مِنْ كِلا الوَجْهَيْنِ، يَعني مِنَ الصُّورَةِ والمَعْنى، وكُلَّما تَذَكَّرَ الشَّخْصُ إنسانِيَّتَهُ أَكْثَرَ، عَمِلَ في ضَبْطِ آدابِ الظَّاهِرِ والباطِنِ أَكْثَرَ، وعَمِلَ العَمَلَ في كُلِّ مقامٍ، وَطَلَبَ التَّوفيقَ مِنَ اللهِ فَهُوَ أَصْلُ التَّوفيق.

ومِنَ الأفْضِلِ أنْ نقومَ ببيانِ أعمالِ وأفعالِ الباطِنِ الَّتي هِيَ سُلوكُ التَّصَوُّفِ مُقَدَّماً، ونقومُ بَعْدَها بِشَرْحِ آدابِ الظَّاهِرِ الَّتي هِيَ خَيْلُ المَدَنِيَّةِ.

في بيانِ الأوصافِ والأعمالِ المُتَعَلِّقَةِ بِسُلوكِ التَّصَوُّفِ وأُصولِ التَّوحيدِ والعِرفان

الأوَّلُ مِنَ الأعْمالِ مُراعاةُ الأكْلِ، يعني لا يأكُلُ كثيراً، ولا يأكُلُ حراماً ومُشْتَبْهاً، ولا يأكُلُ مَعَ السَّكْرانَ والمَجنونِ والنَّجِسِ، ولا يَجْلِسُ على مائدَةِ البُخَلاءِ والمُتَكَبِّرينَ وسَيِّئي الاِعْتِقادِ عَمْداً، ولا يأكُلُ شَيْئاً يُحْدِثِ سُكْراً وَضَعْفاً وَقَسَاوَةَ قَلْبٍ وخُرافَةَ عَقْلٍ.

الثَّاني مُراعاةُ النَّومِ، لا ينامُ في غَيْرِ وَقْتٍ ولا ينامُ كثيراً، ولا ينامُ مَعَ أُناسٍ غَيْرِ مُمْتَحَنينَ في مكانٍ واحِدٍ، ولا ينامُ في مكانِ الخَوْفِ ومواضِعِ التُّهْمَةِ وَمَحَلِّ المَجانين والحَيوان.

الثَّالِثُ مُراعاةُ الكلامِ، لا يقولُ الكلامَ في غَيْرِ مَحَلِّهِ ولا يقولُ كثيراً ووقاحَةً وَطَعْناً وَسُخْراً وغَرَضاً وَتَمَلُّقاً وكَذِباً وإصْراراً وَجَدَلاً.

لا يُصْغي لِلتُّهْمَةِ وَالغِيْبَةِ والأحاديثِ باعِثَةِ الفِتْنَةِ وَمَذَمَّةِ أهْلِ الدَّولَةِ والدِّيوان، ولا يُمَزِّقُ حِجابَ أيِّ شَخْصٍ بِأيِّ عَيْبٍ، ولا يُطلِقُ اللِّسانَ بِسَبِّ شَخْصٍ.

ولو أرَدْتُ تَسطيرَ كُلِّ شَيْءٍ بِتَفْصيلٍ لطالَ مُطَوَّلاً المَطْلَبُ وجاءَ بالملالَةِ، فَخَيْرٌ الإجمالُ والاِخْتِصار.

وفي التَّصَرُّفِ فإنَّ أصْلَ الأعمالِ خِدْمَةُ المُرشِدِ، ثُمَّ تَعظيمُ الشَّعائرِ وأداءُ الحُقوقِ وحِفْظُ الأمانَةِ ودوامُ الطَّهارَةِ ورِعايَةُ الأرحامِ وَمَبَرَّةُ الأيتام، والتَّوَكُّلُ في

الأمور، والشَّفَقَةُ على الخَلْق، والأَدَبُ في الكلام، والعَطاءُ في المَقام، والتَّأمُّلُ في الجَواب، والإيثارُ للمِسْكين، والتَّواضُعُ مَعَ الكِرام، والقُصُورُ في الشَّهْوَة، والاِقْتِصادُ في المعاش، والمُخالَفَةُ للنَّفْسِ، والتَّجاهُلُ مَعَ الخَصْمِ، والتَّقَدُّمُ في السَّلام، والصَّبْرُ في المصائبِ، والصِّدْقُ مَعَ الرَّفيق، والوفاءُ بالعَهْدِ، والتَّخْفيفُ باللِّباس، والوقارُ في المَسْلَكِ، والسُّرْعَةُ في الخَيْرِ، والتَّعطيلُ في الاِنتِقام، والإصرارُ في الطَّاعَة، والسَّعْيُ في الإخلاص، والحِكْمَةُ في الأفْعال، والإكرامُ للضُّيوف، والإسعادُ للغَريب، والبَشاشَةُ مَعَ العيال، والتَّواضُعُ مَعَ المُحتاج، والحِلْمُ في الرُّجوع، والتَّفَضُّلُ على مَنْ تَحْتَ اليَد، والشَّوقُ إلى الإحسان، والشُّكْرُ على النِّعْمَة، والرِّضا مِنَ المُنْعِم، والأُنْسُ بالذِّكْر، والهَرَبُ مِنَ الفِتْنَةِ، والنُّصْرَةُ في الجِهادِ، والمُعاوَنَةُ على الدِّفاع، والإمدادُ في النَّظْم، والمُداراةُ مَعَ الجُهَّال، والنُّدْرَةُ بالمزاح، والتَّلَطُّفُ على الأطفال، والفَرارُ مِنَ الطَّمَع، واجْتِنابُ الطَّلَب، والإكثارُ مِنَ الفِكْر، والتَّقليلُ مِنَ المُراوَدَة، والخَوْفُ مِنَ التَّفاخُر، والتَّذَكُّرُ للمَوت، والدِّقَّةُ في الحِساب، والسُّكوتُ مَعَ الجاهِلين، والمُصانَعَةُ مَعَ غَيْرِ الأهْل، والتَّفَقُّدُ للمريض، والتَّرَحُّمُ على الضَّعيف، والرِّقَّةُ على المَظلوم، والاِسْتِقامَةُ في القُدس، والرَّغْبَةُ في الصَّوم، والمُوافَقَةُ مَعَ الصَّديق، والمُخالَطَةُ مَعَ جِنْسِ النَّفْس، والمَشْورَةُ مَعَ أهْلِ الخِبْرَة، والغيرَةُ على النَّاموس، والمُسافَرَةُ مَعَ الزَّاد، والمُناجاةُ في الخَلْوَة، والتَّحاشي عَنِ الفِتْنَة، والاِستِفسارُ مِنَ العالِم، والدِّيانَةُ مَعَ الخَلْق، والنَّدامَةُ على الذَّنب، والتَّنْظيمُ في البَيْت، والاِعْتِمادُ على الرِّزْق، والاِكْتِفاءُ بالقِسْمَة، والمُؤاخَذَةُ في المَوقِع، والنَّصيحَةُ للمُطيع، والعَدْلُ في الأحكام، والمُساواةُ في الحُدود، والمُروءَةُ مَعَ الشَّريكِ، والإنصافُ مَعَ الطَّرَف، والشَّجاعَةُ في الحَرْب، والبُعْدُ عَنِ الغَمَّاز، والعُبوسُ في الحَرْب، والثَّباتُ في

الدِّين، ورَفْعُ الصَّوتِ في الحَرْب، والتَّجاوُزُ عَنِ المَغلوب، والقَهْرُ للظَّالِم، والمُداهَنَةُ مَعَ المَرأة.

إذا كانَ الشَّخْصُ دائمَ التَّذَكُّرِ لإنسانِيَّتِه، لا تَفوتُهُ نُكْتَةٌ في المقام، ولو قالَ شَخْصٌ بِأيَّةِ علامَةٍ يُعْرَفُ صاحِبُ هذِهِ المحامِدِ، قُلْتُ المَقْصودُ مِنْ هذِهِ الرِّسالَةِ انتِقالُ كُلِّ شَخْصٍ إلى آدَمِيَّةِ نَفْسِه، لا إلى آدَمِيَّةِ الغَيْر، وإذا ما وَجَدَ الشَّخْصُ نَفْسَهُ، فيُمكِنُهُ أنْ يَجِدَ الغَيْرَ أيضاً، بالهَوَسِ لا يُمكِنُ تَمييزُ المَحسوسِ، فمتى يصِلُ للمعقول.

في بيانِ الآدابِ المُتَعَلِّقَةِ بِرُسومِ المُعاشَرَةِ وأُصولِ المَدَنيَّةِ وأنَّ مُراعاةَ هذِه الآدابِ مِنْ لوازِمِ الصُّورَةِ الآدَمِيَّةِ، وبيانُ ذلِكَ بِطَوْرِ النَّصيحة

الأوصافُ والأعْمالُ الَّتي يحتاجُها الإنْسانُ في تَكْميلِ النَّفْس رُسِمَتْ بِعَونِ اللهِ تَعالى، فأنْصِتِ الآنَ للآدابِ وَرُسومِ المُعاشَرَةِ وَسُلوكِ المَدَنِيَّةِ الَّتي هِيَ زِيْنَةُ ظاهِرِ الإنسان، بَلْ ومُعينُ باطِنِهِ. فَلَوْ جِئتَ بِكُلِّ واحِدٍ في مَقامِهِ لَنْ تَتَوقَّفَ في أيِّ عَمَلٍ أبَداً، وَلَنْ تَحْمِلَ المَشَقَّةَ، وَلَنْ تَصيرَ نادِماً إنْ شاءَ الله.

أوَّلاً اعْلَمْ أنَّ اِسْمَ سُلطانِ العَصْرِ يَهَبُ الزِّيْنَةَ لِكُلِّ دَفْتَرٍ، مِثْلَما اِسْمُهُ المُبارَكُ يُوجِبُ الأمْنَ والطُّمَأنينَةَ للبِلادِ والعِبادِ، ولمْ يَجِدْ أمْرُ التَّمَدُّنِ الاِعْتِبارَ في أيِّ عَصْرٍ مِنَ الأعْصارِ وفي أيَّةِ نُقْطَةٍ مِنْ نِقاطِ الأرْضِ، مِنْ دونِ سُلطانٍ عادِلٍ مُقْتَدِرٍ، وفي كُلِّ زمانٍ كانَ فيْهِ سُلطانٌ عادِلٌ وفاضِلٌ على وَجْهِ الأرْض، كانَتْ حوادِثُ الدَّهْرِ أقْصَرَ عَنْ طَوْقِ عُنُقِ الأمان، وكانَتِ الخلائقُ أكْثَرَ انتِفاعاً مِنْ الحياةِ وَمِنَ الخَيراتِ الإلهِيَّةِ، نَظَراً لِوُجوبِ كَونِ اللُّطْفِ مُتَّصِلاً يجري على عُمومِ خَلْقِ العالَمِ بِتفاوُتِ الأزْمِنَة، وفي كُلِّ ما عُلِمَ مِنَ

التَّواريخِ كانَتْ إيرانُ على الدَّوامِ مَحَلَّ السَّلاطينِ العِظامِ مِنْ ذَوي العَدْلِ والإنصاف، ونَظَراً لِكَونِ الإنصافِ بلا مُلاحظاتٍ دُنيويَّةٍ، كانَ المُلْكُ مُزَيَّناً بِتَمامِ أوصافِ السَّلْطَنَة، ومُتَمَتِعاً بِتمامِ الشَّرائطِ لِبَسْطِ السُّلْطَةِ على العالَم، كما قيلَ (المُلوكُ آيَةُ المَلِك). سُلطانُ العالَمِ مَلْجَأُ المُلوكِ صاحِبُ جاهِ جمشيد وبِلاطِ الفَلَك، مُعينُ مِلَّةِ الإسلامِ، ناصر الدِّين شاه، الَّذي بِظِلِّهِ يستَظِلُّ القَمَرُ، خَلَّدَ اللهُ مُلْكَهُ وحَفِظَهُ، إلى الآنَ ما تَحَزَّمَ في إيرانَ مَلِكٌ مِثْلَهُ، ولا جَلَسَ على سَريرِ المُلْكِ في العالَمِ نَظيرٌ لَه.

في أرْبَعينَ عاماً مِنْ سَلْطَنَتِهِ، بِقَدْرِ أربَعينَ سُلطانِ عالَمٍ مالِكِ دُنيا، عالِمٍ عامِلٍ كامِلٍ فاضِلٍ عادَلٍ جَعَلَ مَمْلَكَةَ إيرانَ عامِرَةً، وقامَ بِتَرْبِيَةِ شَعْبِ آسيا مِنْ كُلِّ جِهَةٍ.

صارَ أغْلَبُ النَّاسِ في عَهْدِهِ أصحابَ عِلْمٍ وَفَضْلٍ، ووَجَدوا آدابَ الآدَمِيَّةِ إلاَّ شِرْذِمةً مِنْ وَحْشِيِّينَ لَمْ يَجِدوا التَّرْبِيَةَ للآنَ، مِثْلَ أولئكَ الَّذين قاموا بإشعالِ النَّارِ بِعَرَباتِ قِطارِ البُخار، الَّتي هِيَ أسبابُ استِراحَةٍ لأولئك، وطالَتْ أيدي تَعَدّيهِم فقاموا بالقَتْلِ والغارَةِ بَعْضُهُمْ على بَعْض، وَكَدَّروا الخاطِرَ المُبارَكَ للسُّلطان، فَوَجَدوا المُجازاةَ، أو قَليلاً مِنْ مُلازِمي الحُكَّامِ الكائنينَ في الولايات، الَّذينَ مِنْ عَدَمِ اسْتِعْدادِ وقابليَّةِ أنْفُسِهِم قاموا بِظُلْمِ الرَّعِيَّةِ، وحينَ عُرِضَ ذلِكَ لِجلالَتِهِ، أُحْضِروا لِمَحْضَرِ الخِلافَة، وصاروا مَورِدَ أقسامِ العُقوبات، أو عِدَّةً مِنْ فُضوليِّينَ لا يزالونَ وحْشِيّينَ مِنَ الجَهْل، قاموا بِتَقبيحِ العُرَفاءِ والصُّوفِيّينَ على المَنابِر، أو بَعْضِ كُهولٍ بلا عِلْمٍ وَفَضْلٍ مالوا للتَّهَوُّرِ وصاروا نَحْليّينَ وَطَبيعِيّين، وقاموا بإنكارِ الكُتُبِ والرُّسُل، وهُمْ يقومونَ في المجالِسِ في هذا الباب بِبُحوثِ الجَهْلِ والصَّبْوَةِ مَعَ كُلِّ شَخْصٍ، ومِنْ هذِهِ الأسبابِ كُلِّها كانَ

سَعْيُ السُّلطانِ مالِكِ الرِّقابِ كثيراً لِجِهَةِ حِفْظِ دِينِ ورِفْعَةِ دُنيا أَهْلِ هذِه المَملَكَةِ، لِيَجِدَ النَّاسُ البَصيرَةَ ويصيروا مُوَحِّدين، ويميلوا لإغلاقِ العَيْنِ عَنْ خِلافِ المَقْصود، ومِنْ هذا القبيلِ صارَ الوَحْشِيُّونَ نادِرينَ، وهذا أيضاً مِنْ عَدَمِ لياقَةِ أَنْفُسِهِم، لا مِنْ قُصورِ الدَّولَة.

مِنْ هذا جَعَلَ مَذْهَبَ الإثْنَي عَشَرِيَّةِ عالي المَنْزَلَةِ، عَزيزاً وقَوِيَّاً على تَمامِ وَجْهِ الأَرْض، مِنْ دونِ حَرْبٍ وفِتْنَةٍ، وَجَعَلَ الأَعْلَيْنَ والأَدْنَيْنَ مِنْ أهْلِ إيرانَ مُحْتَرَمينَ في أنظارِ السَّلاطينِ العِظامِ والدُّوَلِ العُظْمى.

ولَمْ يَرُحْ أيُّ مُحتاجٍ مِنْ قَصْرِ سَلْطَنَتِهِ خائباً، ولَمْ يَبْقَ أيُّ آمِلٍ مِنْ مقاصِدِهِ مَحروماً. وفي سابِقِ الأيَّامِ لَمْ يَكُنْ فَرْسَخٌ مِنْ أرْضِ إيران خالِياً مِنْ لِصٍّ ومكَّارٍ، وكانَ العُبورُ مِنَ الشَّوارِعِ والمَعابِرِ مُمْتَنِعاً إلاَّ في الجَماعاتِ كثيرَةِ العَدَد، والآنَ صارَ الأَمْنُ قياسِيَّاً، حتَّى أنَّ الأطْفالَ صِغارَ الأعمارِ قادِرونَ على الإنتِقالِ مِنْ مَدينَةٍ إلى مَدينَةٍ وحيدينَ وهُمْ يَحْمِلونَ الذَّهَبَ والجواهِر.

المِنَّةُ للهِ أنَّ هذا الفقيرَ الضَّعيفَ كانَ مَوجوداً في هذا الجُزْءِ مِنَ الزَّمانِ، وساكِناً في هذِهِ النُّقْطَةِ مِنَ العالَم، لا أمْلِكُ لِساناً لِشُكْرِ هذِهِ النِّعْمَةِ، أدامَ الخالِقُ المنَّانُ هذِهِ النِّعْمَةَ بلا حُدودٍ ثابِتَةً على أهْلِ إيران، واستِحقاقَ الخَلْقِ لامْتِلاكِ مِثْلِ هذا السُّلطان، وزادَ اللهُ في عُمْرِ وإقبالِ حَضْرَتِه.

نَصيحَة

أنْتَ أي عَزيزُ إنْ كُنْتَ في سِلْكِ العارِفينَ والمُرْشِدينَ والجالِسينَ في الزَّوايا قُمْ أوَّلاً بِتَصْحيحِ الاِعْتِقاد، واحْبِسِ المُريدينَ على العقائدِ الحَسَنَةِ، وقُمْ بالتَّرغيبِ بالشَّريعَةِ، ولا تَكُنْ دليلَ الإباحَةِ، ولا تَعْتَنِ بِكَثْرَةِ المُريدين، ولا تَفْخَرْ بالكَشْفِ

والكرامات، وانْهَ المُريدينَ عَنْ قَوْلِ غَيْرِ الحَقِّ فيكَ جُزافاً، ولا تَذْهَبْ في المَجالِسِ تُراقِبُ الفَرْو، ولا تَجْعَلْ مِنْ نَفْسِكَ مُشْتَهِراً بالعُلومِ الغَريبَةِ كالإكسيرِ والتَّسْخير، ولا تَقُمْ بادِّعاءِ المقاماتِ العالِيَةِ مَعَ الغَريبِ والقَريب، ولا تُخْرِجْ مِنَ التَّقَدُّسِ والتَّقوى أكْثَرَ مِنْ قَدْرِ الضَّرورَةِ الَّذي هُوَ مِنْ لوازِمِ التَّمَدُّن، ولا تَبِعِ الزُّهْدَ، ولا تَقُلِ الكلامَ الَّذي يكونُ خارِجاً عَنْ قياسِ العُقُول، وكُنْ مانِعَ أتباعِكَ مِنَ الحَرَكاتِ المُوجِبَةِ للسُّخْرِيَة، ولا تَتَدَخَّلْ في أُمورِ المُريدينَ الظَّاهِرَة، ولا تُلْقِ بِأهْلِ بَيْتِ أولئكَ في المَشَقَّة، وكُنْ في غِنىً عَنْ مالِ وأسبابِ مُريديك دائماً، ولا تَطْلُبْ شَيْئاً، ولا تَكُنْ مُتَوَقِّعَ الإنعامِ والإكرام، حتَّى إذا لَمْ يَفْعلوا تألَّمْتَ وَصِرْتَ مَحزونَ الخاطِر، وقُمْ بإعانَةِ المُريدِ المُعْدِمِ بالقَدْرِ المَقْدور، ولا تَقُمْ بالشِّكايَةِ مِنْ ضيقِ ذاتِ اليَدِ أمامَ أحَد، ولا تَنْظُرْ إلى أحَدٍ بِعَيْنِ الحَقارَة، ولا تُعْطِ وَعْداً لا تَسْتَطيعُ الوَفاءَ بِهِ لِشَخْصٍ، ولا تَقُمْ بِتَكْليفِ المُريدِ فَوقَ الطَّاقَة، ولا تُسَبِّبِ الأذى والخَجَلَ لِشَخْصٍ بالقَول، ولا تَعُدَّنَّ عِصيانَ المُريدينَ سَهْلاً، ولا تَدْخُلْ إلى مَنْزِلِ أحَدٍ بِغَيْرِ اسْتِئذانٍ ومِنْ دونِ ضَرورَةٍ، ولا تَتَّخِذْ مِنْ مالٍ جُلِبَ لَكَ ذَخيرَةً، ولا تَقُمْ باغْتيابِ صَديقٍ وَعَدُوٍّ بِأيِّ عَيْبٍ، ولا تتحدَّثْ إلى النِّساءِ الغَريباتِ في الخَلْوَة، ولا تَحْرِمْ أحَداً مِنْ خِدْمَةٍ تكونُ عَنْ يَدِكَ، فإنَّ أساسَ الفَقْرِ خِدْمَةُ الخَلْق، وإنْ كُنْتَ فقيهاً وإماماً لأيَّامٍ قُمْ بالاِحْتياطِ مِنْ وُكَلاءِ الشَّرْعِ أوَّلاً لِتَكونَ أقَلَّ احْتياجاً لِكِتابَةِ النَّاسِخِ والمَنسوخ، ولا تَأْخُذِ الرَّشْوَةَ ولو كُنْتَ مُعْسِراً فرِزْقُكَ يَصِلُ مِنَ اللهِ لا مِنَ الخَلْق، وفي كُلِّ ما أعْطى اللهُ بَرَكاتٌ، وفي كُلِّ ما أخَذْتَ مِنَ الخَلْقِ رَشْوَةً دَرَكات.

لا تَكُنْ طالِبَ الضِّيافَةِ ولا تُكْثِرِ الذَّهابَ إلى منازِلِ النَّاس فَتَفْقِدَ التَّعْظيمَ في الأنظار، ولا تَتَصَرَّفْ بالمالِ الوَقْفِ فَتَصيرَ مَبغوضَ المُفلِسينَ الجاهِلين، ولا

تَغْفَلْ عَنْ أتباعِكَ فيقوموا بالعَمَلِ خِلافَ الشَّرْع وأنتَ بلا خَبَرٍ فيُحَمِّقَكَ مَنْ يراهُم.

لا تَدْخُلْ في غَوغاءِ الخَلْقِ فَتَبقى وحيداً ولا تَجِدَ النُّصْرَة، ولا تُعِنِ الظَّالِمِ فَيَذْهَبَ دينُكَ ولا تَحْصَلَ على حاصِلٍ مِنْ دُنياك، وقُمْ بالأمْرِ بالمَعْروفِ للهِ كي يُعينَكَ الله، وكُنْ دائِمَ المُلاحَظَةِ لِمقامِهِ كي لا تَصيرَ مَسْخَرَةَ الخَلْق.

ولا تَجْعَلْ مالَ السَّاداتِ والطُّلاَّبِ بِتَصَرُّفِ نَفْسِكَ كي لا تَفْتَضِح، ولا تَجْعَلْ مَنْزِلَ نَفْسِكَ بُستاناً كي لا يَصيرَ مَرْجِعَ الأشْرار، ولا تَضايَقْ مِنْ سؤالِ وجوابِ المجانين، ولا تُعْطِ مالَكَ أو مالَ الغَيْرِ قرْضاً ورِباً فيُمحى اِسْمُكَ مِنْ دَفْتَرِ أهْلِ العِلْم، ولا تَأخُذْ نَسيئةً مِنْ أهْلِ البازارِ فَتَصيرَ على ألْسُنِ العوامّ، ولا تَجْمَعِ عِدَّةَ نِساءٍ في مَنْزِلٍ واحِدٍ فلا يَتَّفِقْنَ وَيَذْهَبْنَ بِصَفائك، ولا تَسْتَعْمِلِ الحِيلَةَ في أحكامِ الشَّرْع، ولا تَقُمْ بِتَعليمِ العوامِّ فلا تصيرَ مُؤتَمَناً، ولا تَجْلِسْ في المَجالِسِ بالعُبوسِ فَتَنْفِرَ مِنْكَ طِباعُ المُقَلِّدينَ والمأمومين، ولا تَكُنْ بَشوشَ الوَجْهِ زِيادَةً عَنِ الحَدّ فَتَنْفَتِحَ عَلَيْكَ وُجوهُ العوامّ، ولا تكُنْ وَكيلاً عن نِساءٍ ماتَ أزواجُهُنَّ طَمَعَ المالِ والجَمال، فَيَذْهَبَ مِنْكَ النَّاموسُ في الرِّيحِ وَتَصيرَ مَفْضوحاً، ولا تَحْمِلْ حاجَتَكَ إلى حُكَّامِ وأعيانِ البَلَدِ فإنْ فَعَلْتَ خَسِرْتَ.

وإنْ كُنْتَ واعِظاً أو قارِئَ عزاءٍ فقُلْ على المَنْبَرِ ما يُقالُ وكُنْ مُعْتَقِداً بِذلِكَ المقال، ولا تَطْعَنْ بِأحَدٍ فَتَصيرَ مَبْغوضاً ولا يعودَ لِكلامِكَ وَقْعٌ، ولا تَكُنْ مُبْرَماً في ذَمِّ طائفَةٍ فلا يَعودَ وَعْظُكَ مُحَبَّباً للقُلوب، ولا تَكُنْ فُضوليّاً في أمْرِ الحُكومَةِ وَعَمَلِ الدِّيوانِ فَتَصيرَ مَورِدَ تَهْديدٍ ولا يَكونَ أيُّ شَخْصٍ مَمنوناً مِنْك، ولا تَقُلْ

الكلِماتِ المُسْتَهْجَنَةَ على المَنْبَرِ فَتَصيرَ خَفيفاً وبلا قَدْر، واسْعَ في صِحَّةِ الأخْبار ولا تَقُلْ كلاماً مُخالِفاً لِما كُنْتَ قُلْتَ فَجْأَةً لِكَي لا يَرَوكَ كاذِباً.

وإنْ كُنْتَ فَيلَسوفاً فلا تَقُمْ بالمُعاشَرَةِ مَعَ النَّاسِ فَتَظْهَرَ أقوالُ وأفعالُ النَّاسِ في نَظَرِكَ قبيحَةً، ويجيءَ حَديثُكَ في سَمْعِ النَّاسِ عَجيباً، ولا يكونَ لَكَ مِنْ مُعاشَرَةِ النَّاسِ حاصِلٌ، ولا للنَّاسِ مِنْ مُعاشَرَتِكَ فائدَةٌ، إلاَّ لِبَعْضٍ مِنَ النَّاسِ ليسوا فاقِدي الإرتِباطِ بِاصطلاحاتِ وشرافَةِ الحِكْمَةِ، وإنْ كُنْتَ مُضْطَرّاً لِمُعاشَرَةِ الخَلْق فقُلْ الحَديثَ للعوامّ على قَدْرِ فَهْمِهِم، ولا تُلْقِ جواهِرَ الحِكْمَةِ في اِصْطَبْلِ الحَيوانات، وإذا تَحَدَّثْتَ لِشَخْصٍ فاعْرِفْ مِقْدارَهُ أوَّلاً واسْألْهُ شَيئاً ليصيرَ قَدْرُ فَهْمِهِ لَكَ مَعْلوماً، وبِمَحْضِ إيلافِ القُلوبِ وَجَعْلِ العوامّ راغِبينَ فيكَ لا تَقُلْ الكلامَ بِخِلافِ البُرهانِ ومُعْتَقَداتِ النَّفْس، فذاكَ مِنْكَ يبقى وتَصيرَ مَسْخَرَةَ الفلاسِفَةِ الدَّهْرَ، كما فَعَلَ حَكيمٌ لا ارتِباطَ لَهُ بالحِكْمَةِ في هذِهِ الأوقاتِ، بِمَحْضِ إيلافِ قُلوبِ أمثالِ نَفْسِهِ، كَتَبَ رِسالَةً في إثباتِ المَعادِ الجِسْمانيّ مُسْتَدِلاًّ بِبَعْضِ المُسْتَحْسَناتِ الضَّعيفَةِ، فَلَمْ يَكُنْ مَقبولاً مِنْ أحَدٍ مِنْ عُلَماءِ المَعقولِ وقالَ الحُكَماءُ الكِبارُ أنَّ هذِهِ الدَّلائلَ دَليلٌ على أنَّهُ لَمْ يَفْهَمْ أُصولَ مَسائلِ الحِكْمَةِ، وَرَفَضوهُ لأنَّ ذلِكَ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ خالِصاً، ولَمْ تَجِئْ براهينُهُ موافِقَة.

وإنْ كُنْتَ طَبيباً فلا تَقُمْ بالعِلاجِ بِخِلافِ المُعْمولِ في البَلَدِ، وما لَمْ تُمَيِّزِ المَرَضَ لا تُعْطِ الدَّواء، ولا تُخَوِّفِ المَريضَ ومُحِبِّيْهِ مهما كانَ المَرَضُ صَعْباً، وقُمْ بِتَهْدِئتِهِم، فذاكَ نَوعٌ مِنَ المُعالَجَة أيضاً، وإذا كُنْتَ مُتَحَيِّراً في تَمييزِ المَرَضِ فاسْتَشِرْ طَبيباً آخَرَ واجْعَلْهُ مَعَكَ شَريكاً حتَّى يَتِمَّ حِفْظُ دينِ ودُنيا الاثنَين، وفي حالِ السُّكْرِ وتَشَتُّتِ الحواسِّ لا تأخُذْ نَبْضَ أيِّ مَريض، ولا تَقُمْ

بِتَجويزِ الدَّواءِ أو الفَصْد، وإنْ كانَ بِكَ عِلَّةٌ فلا تُقْدِمْ على مُعالَجَةِ آخَر، ولا تَكُنْ في العِلاجِ ضامِناً فهذا نِزاعٌ مَعَ القَضاء، ولا يَليقُ بِغَيْرِ الأحْمَق، ولا تَصِفِ الدَّواءَ النَّادِرَ الوجودِ والباهِظَ القيمَةِ لِكُلِّ مَريض.

وإذا كانَ المَريضُ فقيراً وعاجِزاً فلا تَعُدَّنَّهُ حقيراً، ولا تَسْتَسْهِلَنَّ مُعالَجَتَهُ، كي يُنْقِذَكَ اللهُ ويُبَلِّغَكَ مُناكَ في مقامٍ آخَر، ومِنَ اللازِمِ على الطَّبيبِ أنْ يكونَ على كُلِّ مَذْهَبٍ، وأنْ يكونَ رَفيقاً وأميناً وخليقاً وَشَفيقاً وحليماً، وأنْ يكونَ يَخْشى الله.

وإنْ كُنْتَ صَدْراً أعْظَمَ وَسَيِّداً عَظيماً فهذا شُغْلُ عَظيمٍ، يَطْلُبُ شَخْصاً عَظيماً وعاقِلاً ومُسِنّاً وأصيلاً ومُدْرِكاً لِحالِ كُلِّ شَخْص.

فأوَّلاً قَدِّمْ حِفْظَ حَياةِ المَلِكِ على ضَبْطِ مالِهِ وَجَمْعِ أملاكِه، وذاكَ مَوقوفٌ على رِعايَةِ الرَّعايا، فلا يَصْدُرْ مِنْكَ حُكْمٌ بِظُلْمٍ وَخرابٍ، وَدَقِّقْ في كُلِّ عَمَلٍ تَدقيقاً، كي لا تَنْسَخَ حُكْمَكَ، فلا عَيْبَ أكْبَرُ مِنْ هذا، بِأنْ تَكْتُبَ في كُلِّ يَومٍ مِنَ الطَّمَعِ أو عَدَمِ الفَطانَةِ ناسِخاً وَمَنْسوخاً، مِثْلُ هذا الحاكِمِ في الشَّرْعِ والعُرْفِ بلا قَدْرٍ، وخاصَّةً شَخْصٍ أحكامُ المِلَّةِ والدَّولَةِ راجِعَةٌ لَه، وعَيِّنْ رِجالاً أذكياءَ ومِنْ أهْلِ الدِّينِ لِتَحْقيقِ أُمورِ ومطالِبِ النَّاس، بِحَيْثُ يكونُ أمْرُهُمْ مُنْحَصِراً بِهِم، حتَّى إذا ما صَدَرَ حُكْمٌ يكونُ بعيداً عَنِ السَّهْوِ والغَلَط، ولا يَصْدُرَ باشْتِباهٍ، ولا يُكْتَبَ ناسِخٌ لَه، واجْعَلْ كُلَّ كلامٍ بلا عَيْبٍ وعِلَّةٍ، حتَّى لا يكونُ نَقْدٌ للفْظِ ومَعنى ما تقولُ حينَ تَقولُ، وتَظْهَرَ عَظيماً في نَظَرِ العُظَماء، ولا تكونَ بلا مَظْهَرٍ، لأنَّ ميزانَ المَرْءِ اللِّسانُ، ولا تَنْظُرْ إلى كُلِّ شَخْصٍ نَظَرَ المُراقَبَة، مهما قامَ بِمُراقَبَتِكَ شَخْصٌ، ولا تَسْلُكْ مَعَ أحَدٍ بالغَرَضِ والنَّقْض فَيَنقُصَ شأنُكَ،

واكْتُبْ جَوابَ العرائضِ مِنْ كُلِّ شَخْصٍ باحْتِرامِهِ وبِمِقْدارِ قَدْرِه، ولا تَجْعَلْهُ بِعُهْدَةِ كُتَّابٍ مُغْرِضين كي لا تَنْطَلِقَ ألسِنَةُ أولئكَ بالطَّعْنِ فيك.

ولا تَنتَقِصْ مِنْ مَرسومِ شَخْصٍ، ولا تَبْتَدِعْ في قَطْعِ أُجْرَةِ العامِلِ المُبْتَدِئِ ومعاشِ النَّاس فيجْعلوا بُغْضَكَ بَدَلاً.

وإذا صِرْتَ مَعْزولاً فلا تُنْقِصْ مَرْتَبَةً مِنْ احْتِرامِك، ولا تَقُمْ بالمُناقَشَةِ غيرِ المُلائمَةِ مَعَ السَّفَلَةِ وَجْهاً لِوَجْه، فإذا كانَ النَّاسُ مُحِبِّينَ لَكَ كانَ رَفْعُ كُلِّ فِتْنَةٍ ونَكْبَةٍ في البلاءِ الواقِعِ مُمْكِناً لَكَ بِسهولَةٍ، وإذا كانوا لَكَ أعْداءً صارَ كُلُّ عَمَلِكَ مُشْكِلاً، وطَهِّرْ لِسانَكَ مِمَّا لا يليق، فَلَو أنَّكَ فَعَلْتَ كُلَّ مَحَبَّةٍ لأجْلِ شَخْصٍ لَذَهَبَتْ في الرِّيْحِ مِنْ سَبٍّ واحِدٍ.

وقُلْ في المَجالِسِ الحَديثَ بِقياسِ مَنْصَبِك، واحْفَظْ لِسانَكَ مِنَ اللَّغْو، كي لا يقولوا الحَديثَ المُضْحِكَ عَنْ قَولِكَ في المَجالِس، ولا تُعْطِ الوَجْهَ للسَّاخِرِ والمُقَلِّدِ ليقومَ بِتَقْليدِ النَّاسِ أمامَكَ، ويقولَ بالهَزْلِ فَيَقِلَّ وقارُكَ، ويألَمَ النَّاسُ، وأسْرِعْ في العَطاءِ لكُلِّ شَخْصٍ يَجِبُ عَلَيْكَ عَطاؤهُ، وأعْطِ نَقْداً، ولا تُعْطِ وَعْداً، وخاصَّةً الشُّعراءَ وأهْلَ المَنْبَرِ، لئلاَّ يَنْفَتِحَ لِسانُهُمْ بِهَجْوِكَ وَالطَّعْنِ بِكَ، ولا تَقُمْ بالعَداوَةِ والمُغايَرَةِ جِهَةَ أصْدِقائكَ مَعَ النَّاس، فهذا العَمَلُ لا يَليقُ بالعُظَماء، واجْعَلْ ما استَطَعْتَ الأعْداءَ أصْدِقاءَ مَعَ أصْدِقائك، وفي وَقْتِ الغَضَبِ لا تكُنْ عَقوراً، ولا تُؤذِ بالخُصومَةِ قَلْباً، فالحِلْمُ والسُّكونُ مِنَ العَظيمِ مُسْتَحْسَنٌ أكْثَرَ مِنَ الآخَرين.

وانتَخِبْ مِنَ النَّاسِ بلا عَمَلٍ مُفَتِّشين، كي يقولوا الجَوابَ مُلائماً، ولا يُلقوا الحِمْلَ ويُضيِّعوا لَكَ الوَقْت، ولا تُعَطِّلْ أولئكَ الَّذينَ لَهُمْ عَمَلٌ، اِسْألْ وأرْسِلْ، ولا

تُعْطِ وَعْداً كاذِباً وفي غَيْرِ مَحَلٍّ مِنْ عِنادِكَ، فَمَنْ هذا العَمَلِ لا يَحْصَلُ غَيْرَ أحداثِ العِنادِ حاصِلٌ، وإلى أمامِ السُّلطانِ لا تَقُمْ بالسِّعايَةِ بأيِّ شَخْصٍ، فيقومَ بالسِّعايَةِ بِكَ يَوماً، وفي عَمَلِكَ اسْتُرِ العَيْنَ عَنْ مالِ ومُلْكِ النَّاسِ كي تَزيدَ عَظَمَتُك، ولا تُرْسِلْ شَخْصاً تَعْلَمُ أنَّهُ لا يَعِفُّ عَنْ مالِ وعيالِ النَّاسِ للحُكومَةِ فتكونَ أنتَ المُؤاخَذَ عَنْ كُلِّ سوءِ عَمَلٍ يظْهَرُ مِنْهُ، وخَوِّفِ الحُكَّامَ دائماً مِنْ سَخَطِ الشَّاهِ بِشَأنِ أحكامِهِم، وقُمْ بالتَّرغيبِ بالعَدْلِ والإنصاف.

وإذا سَمِعْتَ بِظُلْمٍ فَقُمْ بالتَّهْديدِ الشَّديد، وانتَخِبْ مأمورينَ ليقوموا بالجَبْر، ليكونَ ظاهِراً شُكْرُكَ نِعْمَةَ الرَّبِّ بِكُلِّ ما تَفْعَلُ، واعْلَمْ أنَّ عِبادَتَكَ تكونُ بإجْراءِ العَدْلِ وَرَفْعِ الظُّلْمِ بِمِقْدارِ ما لَكَ مِنْ سَعادَةٍ وتوفيق.

وقُمْ بالمَشْوَرَةِ مَعَ الشَّخْصِ ذي الفَقْرِ والفاقَةِ الغَنِيِّ عَنْ مَنْصَبِكَ ومالِك، وقُمْ بِمُجالَسَةِ الحكيمِ العاقِلِ، أو الأميرِ العادِلِ، أو الدَّرويشِ الكامِلِ، وبَعْضُ الصِّفاتِ مِنْ لوازِمِ هذا الشُّغْل.

حُسْنُ السُّلوكِ والفراسَةُ التَّامَّةُ واللِّسانُ الطَّاهِرُ، والعَيْنُ الملأى والخُلُقُ الحَسَنُ، والقَلْبُ الواسِعُ والطَّبْعُ العالي، والصَّبْرُ العَظيمُ والقَلَمُ الصَّحيحُ واليَدُ المفتوحَةُ والنَّفْسُ المُطيعَةُ والعَزْمُ الثَّابِتُ والرَّأيُ المَتينُ والقَولُ الصَّادِقُ.

وإنْ كُنْتَ قائدَ جَيْشٍ أو ضابِطَ جَيْشٍ فأصْلُ هذا الأمْرِ قُوَّةُ القَلْبِ والشَّجاعَةُ، فلا تَخَفْ مِنَ القَتْلِ والمَوت، وما دُمْتَ لا تَخافُ لا تَفِرَّ مِنَ الحَرْب، ولا تُلَوِّثْ سُمْعَتَكَ الحَسَنَةَ بِهذا العار، وأعْطِ الرَّايَةَ مِنْ وَجْهِ العَقْلِ والعِلْمِ لِبَطَلٍ واعٍ، ولا تَكُنْ مُتَهَوِّراً لا تُبالي، ولا تُعْطِ روحَكَ وجُنودَكَ للرِّيحِ عَبَثاً، وتَفَقَّدِ العَسْكَرَ والنَّظافَةَ، واطَّلِعْ على لباسِ الجُنود، وغُضَّ النَّظَرَ، وكُنْ سَخِيّاً، فالسَّخاءُ رُكْنُ

الشَّجاعَةِ، ولا تُضايِقِ الجَيْشَ ما أمكَنَكَ، واجْعَلْ قادَةَ الجَيْشِ حاضِرينَ على سُفْرَتِك، وَتَحَدَّثْ لِكُلِّ واحِدٍ بِوَجْهٍ حَسَنٍ ورَحْمَةٍ واسْألْ عَنْ حالِه.

وإذا تَخَلَّفَ شَخْصٌ عَنْ نَظْمِ النّظامِ فقُمْ بالتَّنبيه، واجْعَلِ العَفْوَ مُقَدَّماً على الاِنتِقامِ في كُلِّ مقامٍ، واقْبَلْ شفاعَةَ القائِدِ في حَقِّ التَّابِعِ، ومَهْما كانَ جَيْشُ الطَّرَفِ المُقابِلِ زائداً لا تَفْتَحْ للخَوفِ طريقاً إلى قَلْبِك، وقُمْ بِتَشْجيعِ الجَيْشِ، واعْتَبِرِ المَوتَ لِنَفْسِكَ لِباسَ مُفاخَرَةٍ، ولا تُخْفِ نَفْسَكَ وَسَطَ الجَيْش فَيَعْرَفوكَ خائفاً، ويصيرَ قَلْبُ الجَيْشِ ضَعيفاً، ولا ترتَفِعَ رأسُكَ بَعْدَها أبَداً، لأنْ يَكونَ الرَّأسُ مَرفوعاً على الرُّمْحِ، خَيْرٌ مِنْ أنْ يَظَلَّ سالِماً تَحْتَ أقدامِ مَنْ هُمْ تَحْتَ اليَد.

الشَّرابُ وسُرورُ العَيْشِ مُناسِبٌ في الحَفْلِ لا في الحَرْب، فتكونَ عَنْ عَزْمِ الخَصْمِ وَنَظْمِ النَّفْسِ بلا خَبَرٍ، وإذا صِرْتَ غالِباً على الخَصْمِ كُنْ في القَتْلِ والغارَةِ بلا مُحاباةٍ، وكُنْ ذا مُروءَةٍ، واحْذَرْ مِنْ إراقَةِ الدِّماء، واجْعَلْ أساراكَ مِنْ خَوفِ القَتْلِ وَهَتْكِ النَّاموسِ آمِنين، وخَفْ مِنْ ذلِكَ وأنْ يبقى اِسْمُكَ في العالَمِ بلا عِصْمَةٍ، وتصيرَ مَطْعونَ الرِّجالِ، وتسريَ المُكافاةُ في العَمَلِ لِسابِعِ أولادِكَ، وإذا طَلَبَ الخَصْمُ الأمانَ فالعَجَبُ مِنْ بَطَلٍ يَمنَعُهُ عَنْهُ، إلاَّ أنْ يكونَ قَبْلَ الحَرْب، وأنْ يكونَ طَلَبَ الأمانَ لأجْلِ الحَرْبِ، فذاكَ مقامُ تأمُّلٍ، وَمَحَلُّ تَعَقُّلٍ، لِئلاَّ يكونَ كَيْدٌ، وإذا وَصَلَ الأمْرُ للمُصالَحَةِ فقُمْ بِرِعايَةِ صلاحِ الدَّولَةِ والمِلَّةِ وَوَلِيِّ النِّعْمَة، وقَدِّمِ الحَزْمَ، ولا تَقُمْ بالعَمَلِ بأغْراضِ النَّفْسِ والطَّمَعِ فيكونَ نَقْصٌ في عُمُرِكَ وماءِ وَجْهِكَ، وفي الغنائمِ قَدِّمْ مَنْ هُمْ تَحْتَ يَدِكَ على نِفْسِك، ليجْعَلوا الرُّوحَ عَنْ رَغْبَةٍ فِداءً لك، ويجْعلوا مَحَبَّتَكَ في القَلْب، ومَنْ يَعْمَلْ

بِشَرائطِ الشَّجاعَةِ يَبْقَ إلى آخِرِ العُمُرِ عَزيزاً ورفيعَ القَدْر، والشُّجاعُ في الحَرْبِ يُقَدِّمُ نَفْسَهُ وفي الغَنيمَةِ يُقَدِّمُ الجَيْش.

ويجِبُ في الحَرْبِ أنْ لا يَجْعَلَ جَمْعَ جَيْشِ الخَصْمِ في النَّظَر، وأنْ لا يَتَخَيَّلَ غَيْرَ المَوت، فالرَّجُلُ الَّذي تنازَلَ عَنِ الرُّوحِ مِئةُ رَجُلٍ، وكُلُّ عُضْوٍ مِنْهُ قائدُ جَيْشٍ لِمِئةِ حَرْبٍ، وكُلُّ واحِدٍ مِنْ عساكِرِهِ يَجِدُ قُوَّةَ مِئةِ رَجُلٍ، وفي مِثْلِ هذِهِ الصُّورَةِ فلا بُدَّ أنْ يكونَ الظَّفَرُ مَعَك.

وذاكَ الَّذي كَوكَبُ إقبالِهِ بَعيدٌ لا يَملِكُ ولا يَجِدُ مِثْلَ هذِهِ الجُرْأةِ والشَّجاعَةِ في الحَرْبِ أبَداً، والشَّجاعَةُ ليسَتْ باللِّسان، في الحَرْبِ تُعْرَفُ، والعلامَةُ الأوَّلِيَّةُ عَنها في أوصافِ الشُّجْعانِ مِنْ أهْلِ كُلِّ مَذْهَبٍ خَوفُ اللهِ وَطَلَبُ التَّقوى، وذاكَ الَّذي هُوَ بلا تَقوى لا نَصيبَ لَهُ مِنَ الشَّجاعَةِ، ولا يحسُنُ مِنَ الشَّاهِ أنْ يُعَيِّنَهُ قائداً للجَيْش، وخُصوصاً إذا كانَ أمْرَدَ ومُحِبّاً للقمارِ وَنَهِماً وَغَيْرَ طاهِرٍ.

وإذا ما ظَهَرَ فَضْلٌ مِنْ قائدٍ في الجَيْشِ في الحَرْبِ فَيَجِبُ أنْ تَشْهَرَ ذلِكَ باسْمِهِ، وأنْ تُوصِلَهُ إلى الشَّاه، ولو كُنْتَ في الباطِنِ غَيْرَ مُحِبٍّ لَهُ فَيَجِبُ عَلَيْكَ أنْ لا تُغَطِّيَ فَضْلَهُ، وأنْ لا تَنْسِبَ فَضْلَهُ إلى نَفْسِكَ أو إلى آخَرٍ، فاللهُ في كُلِّ حالٍ حاضِرٌ وسيجْعَلُ ذلِكَ فاشياً، وأنتَ تَذْهَبُ أنانيّاً وقليلَ الوَزْنِ في القَلَم، ويصيرُ الجَيْشُ مُتَنَفِّراً مِنْكَ، وتَسْقُطُ مِنْ نَظَرِ الشَّاه، وإذا طالَتِ الحَرْبُ فَنَصْبُ المُعَسْكَرِ وأخْذُ الجَيْشِ سَهْلٌ، أمَّا العَمَلُ بِشَرائطِ ولوازِمِ ذاكَ العَمَلِ فَمُشْكِلٌ كَثيراً، ولا تُعْطِ الطَّريقَ لِمُعَسْكَرِكَ للدَّهْرِيّينَ والنَّحْلِيّينَ وغَيْرِ أولي المَذْهَبِ، ولا تَقْطَعْ بِرِفاقِكَ، وإذا وَجَدْتَ مِنْ جُنودِكَ شَخْصاً بلا مَذْهَبٍ فأخْرِجْهُ،

فالرَّجُلُ بلا دينٍ لا يكونُ شُجاعاً، ويُفْرِغُ بالحَديثِ قَلْبَ الجَيْشِ، وامنَعْ مِنَ الأعمالِ القبيحة، وهذِهِ التَّجْرِبَةُ صارَتْ مَعلومَةً.

وإنْ كُنْتَ لا تُصَدِّقُ فاخْتَبِرْهُ، وتحدَّثْ مَعَهُ في الخَلوَة، ورُبَّما يكونُ مِنْهُ رَشْحٌ في الخَلْوَةِ أيضاً، فدائماً ينطِقُ الحَرْفَ بِضَعْفِ المُلْكِ والمِلَّة، وتفصيلُهُ غَيْرُ قابِلِ التَّحرير، والعاقِلُ تَكفيهِ الإشارَة.

بالجُمْلَةِ، الجُبْنُ مِنْ لوازِمِ عَدَمِ الاِعْتِقادِ وسوءِ الاِعْتِقاد، اِرْجِعْ إلى التَّواريخ، أيُّ شُجاعٍ في العالَمِ لَمْ يَكُنْ أنانيَّاً أو بلا دينٍ أو بخيلاً أو حريصاً أو بلا عِفَّةٍ أو مُحيلاً أو سَيِّئَ العَهْدِ أو كاذِباً، هذِهِ الصِّفاتُ كُلُّها ضِدَّ الشَّجاعَةِ، ولا تكُنْ خائناً ومُتَمَلِّقاً مَعَ أيِّ شَخْصٍ في أيِّ مقامٍ، فهذِهِ خصْلَةُ النّسوان.

وأمَّا بِشَأْنْ الوزارَةِ والإمارَة، فقبلَ أنْ تكونَ كِفايَتُكَ مَعْلومَةً لا تَطْلُبْ أيَّ مَنْصَبٍ، فَلَنْ تكونَ لَكَ قُوَّةٌ بِذلِك، وإذا ما أُعْطِيْتَهُ فَلَنْ يدوم، وإذا وَجَدْتَ مَنْصباً مِنْ دونِ طَلَبٍ، اِسْعَ أنْ تكونَ عارِفاً بالعَمَل، وأنْ يصيرَ صَحيحُ العَمَلِ مَعلوماً لَك، فالأميرُ الكافي لا حاجَةَ بِهِ لأنْ يَطْلُبَ المَنْصَب، الشُّغْلُ والعَمَلُ يَجريانِ في إثْرِهِ، وإذا عُزِلْتَ مِنْ مَنْصَبٍ فلا تَجْعَلْ سريعاً مِنْ شَخْصٍ واسِطَةً، ولا تُرْسِلْ في طَلَبِ مَنْصَبٍ عَريضَةً، فَلَنْ تُجْدِيَ نَفْعاً، وَسَيَنْقُصُ قَدْرُكَ.

ولا تَقُمْ بإظْهارِ كِفايَتِكَ أمامَ أقرانِكَ وأمثالِكَ فيقِلَّ وَزْنُكَ، إنْ كُنْتَ كافياً لا حاجَةَ بِكَ لإظهارِ كِفايَتِك، أولئكَ الَّذينَ هُمْ أهْلُ الأمْرِ يعلمون، حتَّى العَدُوُّ لا يقْدِرُ على إظهارِ إنكارِ ما هُوَ ظَاهِرٌ، ولا تَقُمْ بإظهارِ ضيقِ ذاتِ اليَدِ فلا فائدَةَ في ذلِكَ غيرَ أنْ يَسْعَدَ مِنْهُ أعداؤكَ، ويُسْقِطَكَ مِنَ النَّظَرِ أصْدِقاؤك، ويعُدُّوكَ مِنَ العاجِزينَ في مَحْضَرِ الشَّاهِ، ويَجْعَلوكَ في الخَرْجِ بلا مَصْرَفٍ، وتصيرَ مُبْعَداً

مِنَ البلاطِ دُفْعَةً واحِدَةً، ولا تَتَوَقَّعْ مِنْ شَخْصٍ أنْ يَذْكُرَكَ في حُضورِ السُّلطانِ في الشِّدَّةِ ابتِداءً، إلاَّ أنْ يكونَ اسْمُكَ مذكوراً بالتَّقريب، ليقولَ ذاكَ الَّذي هُوَ صَديقٌ لَكَ في المُناسَبَةِ حَرْفاً.

ونادِراً ما اتَّفَقَ وُقوعُ أنْ كانَتْ مَوَدَّةُ شَخْصٍ لِشَخْصٍ بالقَدْرِ الَّذي لا ينساهُ في حُضورِ السُّلطان، وليُبادِرَ بِعَرْضِ حالِهِ، وإنْ قالَ مَرَّةً ولم ينجَحْ لَمْ يَضْعُفْ وَكَرَّرَ، ولا ثَمَرَ مِنْ ذِكْرِ خَدَماتِ الآباءِ والأجْداد، ولا يُحْدِثُ انبِعاثَ المَحَبَّةِ، ولا يكونُ مُوجِبَ قُربٍ، وسيقولونَ مَنْ قامَ بالخِدْمَةِ أخَذَ النِّعْمَةَ، وأنتَ مِنْ دونِ خِدْمَةٍ بِقَدْرِ الحالِ مُتَنَعِّمٌ، فَهَلْ يَجْمُلُ عِنْدَكَ دوامُ النَّظَرِ إلى العِظامِ المَيْتَةِ للآباءِ الَّذينَ كانت مِنْهُمْ خِدْمَةٌ، ولا تُرْسِلْ في كُلِّ يَومٍ رَسولاً بِطَلَبِ التَّخفيفِ والإنعامِ ومَزيدِ حُقوقٍ وتصديقِ مرسومٍ فَتَسْقُطَ كُلِّيّاً، وفي حالِ صِرْتَ مَعْزولاً أقِلَّ خَرْجَ نَفْسِكَ ما اسْتَطَعْتَ، كي لا تَصيرَ مُشَوَّشاً.

إذا وَجَدْتَ مَنْصَباً لا يستَطيعُ أيُّ شَخْصٍ ملامَتَكَ بمعاشِ العَقْلِ والقَناعَةِ بما تَملِكُ، ما الحاصِلُ مِنْ ذلِكَ العامِلِ الجَديدِ الَّذي لا يَصِلُ إلى حُقوقِهِ، ويقومُ بالخِدْمَةِ عَنْ كراهَةٍ، ويقولُ الفُحْشَ أمامَ النَّاسِ، ويفْضَحُكَ في المَدينَةِ والمَحَلَّة، ما النَّفْعُ مِنْ ذلِكَ الجَوادِ الَّذي جُلُّهُ لِدُكَّانِ العلاَّفِ مُرْتَهَنٌ بِثَمَنِ التِّبْنِ والشَّعير، وحينَ تَمْتَطيهِ يَضْحَكُ النَّاس، وأيَّةُ لَذَّةٍ مِنْ تِلْكَ السُّفْرَةِ والدَّائنونَ بالبابِ جالِسونَ يَطلبونَ ثَمَنَ الرُّزِّ والزَّيْت، ويجْعَلونَ تِلْكَ اللُّقْمَةَ سُمّاً في الحَلْق. لا تَقُمْ بِجَمْعِ الرَّمَّالينَ والدَّاعِينَ مِنْ حَولِكَ حالَ عَزْلِكَ، فَيَسْمَعَ العرابيدُ، ويُظْهِرونَ بألْسِنَةٍ مُخْتَلِفَةٍ المَضْمونَ، لا تَقُلْ شَيْئاً عَنْ عَدَمِ نَجابَةِ ولياقَةِ الآخَرينَ الَّذينَ اعْتُمِدوا لِمَنْصَبٍ كنايَةً أو تَصْريحاً، فذاكَ أيضاً قبيحٌ، وذاكَ لا يُثْمِرُ غيرَ أنْ يُسَبِّبَ لَكَ الحَدّ، وأنْ تتأخَّرَ عَنْ مَرْتَبَةِ نَفْسِك، ويزيدَ أعداؤكَ، ولو جَعَلَ المَلِكُ أمينَ نَفْسِهِ

شابَّاً أو شَيخاً عاقِلاً أو سفيهاً، ولم يَجْعَلْكَ أنتَ، فلا تَعْتَرِضْ، فالاِعْتِراضُ على وليِّ نِعْمَتِكَ لا يُعطي ثَمَراً، جَلْبُ قَلْبِهِ يكونُ بالعُبوديَّةِ لا بالاِعْتِراض، ولا تَصْرِفْ أمْرَ دُنياكَ وآخِرَتِكَ للجاهِ والمَنْصبِ وَطَلَبِ الدُّنيا، كما يفعَلُ بِهذِهِ النِّيَّةِ زاهِدٌ وعابِدٌ وزوَّارُ قُبورِ الأئِمَّةِ لِجِهَةِ الدُّنيا، تَخْدَعُ جبرائيلَ بِجَوْزٍ بلا لُبٍّ، ليُعْطِيَكَ أمانِيَكَ غَيْرَ المُقَدَّرَة.

وإنْ كُنْتَ والياً وحاكِمَ مَدينَةٍ لا تَجْعَلْ أمْرَ النَّاسِ في عُهْدَةِ مُخْتارينَ ظالِمينَ أو عادلين، فتكونَ أنتَ المَسؤولَ ويأخُذُ مَنْفَعَةَ الإجراءِ دَيِّنٌ أو غَيْرُ ذي دين، أُحْكُمْ بِعَدالَةٍ، وخُذِ الهَديَّةَ بإنصاف، وكُنْ غَيوراً في ناموسِ النَّاسِ كي لا يَذْهَبَ ناموسُكَ في الرِّيح.

عنِ الأشْخاصِ الَّذينَ يستحِقُّونَ التَّأديبَ لا تَعْفُ طَمَعَ المالِ فيزيدَ الأشْرارُ، ويصيروا أجْرَأَ، ولا تُعْطِ الأُذُنَ لِسِعايَةِ النَّاسِ بَعْضُهُمْ بِبَعْض، أهْلُ كُلِّ بَلَدٍ بَعْضُهُم لِبَعْضٍ مُغْرِضٌ. كُنْ حيادِيَّاً لئلاَّ يَكونَ ظُلْمٌ، لا تقُمْ بِمُجازاةِ أيِّ شَخْصٍ بِطَلَبِ آخَرَ فعِقابُ هذا العَمَلِ شَديدٌ، اِجْعَلْ مُلْحَقَ تَفتيشٍ، وانتَخِبْ نُقَباءَ لكَي لا يكونَ مِنْ أتباعِكَ تَعَدٍّ على شَخْصٍ، فلو قُمْتَ بِأَلْفِ عَدْلٍ ذَهَبَتْ هَدْراً بواحِدٍ مِنْ مِثْلِ هذا الجَور. لا تَطْلُبْ قَرْضاً مِنَ التُّجَّارِ والكَسَبَةِ، ولا تأخُذْ نَسيئةً فَتَقِلَّ عَظَمَتُكَ، ولا تَقُمْ ببناءِ عَمارَةٍ وبُستانٍ في تِلْكَ المَدينَةِ فحينَ تَصيرُ مَعْزولاً يصيرانِ خراباً، ولا يبقيانِ مِنْ أجْلِكَ، لا تُتاجِرْ بالغِلالِ واللّحم فذاكَ مُوجِبُ اضْطِرابٍ وموجِبُ جُرْأةِ العوامِّ عَلَيْك، لكِن احْتَفِظْ بالغلَّةِ احتياطاً في وَقْتٍ مُعَيَّنٍ، وأعْطِ للنَّاسِ إجازَةَ الورودِ إلى مَجْلِسِكَ بحَيْثُ يستَطيعُ كُلُّ شَخْصٍ أرادَ أنْ يراك، وأنْ يَعْرِضَ عليكَ الحال.

لا تَقُمْ بِمؤاخَذَةِ أيّ شَخْصٍ مِنْ آخَرٍ، إلاَّ أنْ يكونَ شَريكاً في ذلِكَ الخِلاف، ولا تَجْلِسِ النَّهارَ بِعَيْشِ الطَّرَبِ فتكونَ عَنْ وَضْعِ المَدينَةِ وحالِ النَّاسِ بلا خَبَرٍ.

ولا تَشْرَبِ الشَّرابَ مَعَ أحَدٍ وخُصوصاً مِنْ أهْلِ تِلْكَ المَدينَةِ الَّتي أنتَ بِها حاكِمٌ، قُمْ بالحِمايَةِ لأصْدِقائكَ بِمِقْدارٍ، بحيثُ لا تصيرَ حِمايَتُكَ لهُم أسبابَ مَشَقَّةٍ مِنْ بَعْدِكَ، ويقومَ الحاقِدونَ عَلَيْكَ بِعِقابِهِم انتِقاماً، يعني لا تَرْفَعْ وتُفَضِّلْ بالصَّداقَةِ قَليلَ الشَّأنِ على ذي الشَّأنِ، ولا تُضَيِّقْ على العالي والدَّاني بِأعْذارٍ غَيْرِ مُوَجَّهَةٍ، وفَكِّرْ في كُلِّ أمْرٍ بالعاقِبَةِ، وحينَ تُعْزَلُ يَجِبُ أنْ لا تبقى وراءكَ ثلاثَةُ أشياء، عارِضٌ ومُطالِبٌ وداعٍ بالسُّوء.

وإنْ كُنْتَ مِنَ العَسَسِ وشُرَطَةِ اللَّيلِ فأنتَ تقدِرُ في هذِهِ الحِرْفَةِ على فِعْلِ أشياءٍ حَسَنَةٍ تكونُ مُوجِبَ رِضا الله، لا تَكُنْ مَعَ لُصوصِ المَدينَةِ شَريكاً ورفيقاً، فعاقِبَةُ هذا العَمَلِ سَيِّئَةٌ، وقريبَةٌ جِدّاً، وتَذْهَبُ روحُكَ مِنْ هذا العَمَل، وإنْ لَمْ تَذْهَبْ وبقِيَ لَكَ عُمْرٌ في الدُّنيا وَقَعْتَ في الذِّلَّةِ والمهانَةِ ولمْ يَقُمْ أيُّ شَخْصٍ بِمُراعاتِك.

كانَ في أصفهانَ شَخْصٌ يكذِبُ لِسَنواتٍ، ثُمَّ صارَ جالِساً في الدَّارِ مُنْعَزِلاً، وبِقَدْرِ نَفْسِهِ لَمْ يكُنْ بلا قُدْرَةٍ، ولكِنْ وَضْعُ حالِهِ كانَ في عُسْرَةٍ ونكبة، وأنا الفَقيرُ كُنْتُ في تِلْكَ الأوقاتِ أراهُ، قُلْتُ لَهُ مَرَّةً أنتَ لَسْتُ مُعْدِماً بلا شَيء، فَلِمَ صِرْتَ سَيِّئَ البَخْتِ وعاجِزاً، قالَ وَقْتَ كُنْتُ كاذِباً كُنْتُ أُعَقِّدُ الأسبابَ للنَّاس، وكُنْتُ أُلَفِّقُ التُّهْمَةَ لِلرَّجُلِ والمَرْأةِ المَيسورَين، والنَّاسُ لِجِهَةِ حِفْظِ الشَّرَفْ كانوا يَدْفَعونَ ليَ العَطاء، وكُنْتُ مَعَ سُرَّاقِ المَدينَةِ شَريكاً، وأنا في هذا الزَّمانِ مأخوذٌ

بِجَزاءِ تِلْكَ الأعمال، هذِهِ النَّكْبَةُ الَّتي تُشاهَدُ عَلَيَّ مِنْ هذِهِ الجِهَةِ وليسَتْ مِنْ لا شَيْء.

فخَفْ مِنْ أنْ يَقَعَ غَريبٌ بِحَبْسِكَ، وأنْ يَصِلَ أذاكَ للضُّعَفاء، وأنْ يكونَ النَّاسُ مِنْ شَرّكَ غَيْرَ آمِنين.

لو رأيتَ عاقِبَةَ نَفْسِكَ ما فَعَلْتَ ذلِكَ أبَداً، وما جَعَلْتَ مَنْزِلَكَ مَحَلَّ عَيْشِ الأشرارِ والأنذالِ، لِتَذْهَبَ روحُكَ وناموسُكَ مَعَ الرِّيحِ في العاقِبَة.

وعلى الخِلاف، إذا كُنْتَ طاهِرَ الثَّوبِ وكُنْتَ تَخشى اللهَ فإنَّكَ في كُلِّ عَمَلٍ تَجِدُ النُّصْرَةَ مِنَ الله، وحينَ تَحْصَلُ سَرِقَةٌ في المَدينَةِ، ومِنْ دونِ أنْ يُتَّهَمَ النَّاسُ الأبرياءُ، تَطَّلِعُ على حالِ السَّارِقين، وتُمْسِكُ بِهِم.

كانَ صاحِبُ إدارَةِ الشُّرْطَةِ في بومباي وجيهاً، وسُرِقَ مالٌ كثيرٌ مِنْ حُجْرَةِ هندوسيّ، وكُلَّما أعطَوهُ إشارَةً عَنْ شَخْصٍ لَمْ يَعْتَقِدْ بِهِ، ولَمْ يَقْبِضْ على أحَدٍ، ولمْ يَسْألْ عَنْ أحوالِ أولئكَ، كانَ يقولُ أنا لا أقومُ بالأمْرِ بالمَظَنَّةِ، ولا أُريقُ ماءَ وَجْهِ النَّاس، وأعْلَمُ أنَّ اللهَ سَيُرْشِدُني، وسَيَظْهَرُ السَّارق، وفي يَومٍ آخَرَ قَبَضَ على السَّارِقِ وَمَعَهُ المالُ، وكانَ السَّارِقُ شَخْصاً لا يَذْهَبُ إلَيْهِ ظَنُّ أحَدٍ، فقيلَ لَهُ مِنْ أيْنَ وَجَدْتَ هذِهِ الفَراسَةَ، قالَ مِنْ ذلِكَ الَّذي هُوَ رَزَّاقي، فلا أقومُ بالدَّغَلِ مَعَهُ أبَداً، ولا أؤذي عَبيدَهُ، وأعْلَمُ أنَّ وَعْدَهُ حَقٌّ.

اذْكُرْني لأذْكُرَكَ، كلِماتٌ حكيمَةٌ سَمِعْتُها مِنْهُ، شَرْحُها خارِجٌ عَنْ مَطْلَبِنا.

بالجُمْلَةِ، اللهُ مِنْ كُلِّ شَيءٍ أظْهَرُ، العُميانُ مَوتى القُلوبِ لا يَرَون.

إذا كُنْتَ مِنْ أهْلِ البازارِ وبائعاً لا تَبْخَسْ في البَيعِ فَتَذْهَبَ البَرَكَةُ مِنْ مالِكَ، ويكونَ مالُكَ وثَروَتُكَ دائماً في نُقصانٍ.

ولا تُقْسِمْ فالقَسَمُ الكاذِبُ يُمْرِضُ الشَّخْص، وتمتَدُ يَدُ الخيانَةِ إلى مالِه.

وكُنْ ذا مُروءَةٍ في البَيْعِ والشِّراءِ، فَغَيْرُ ذي المُروءَةِ دائماً مَغبونٌ، ومتاعُهُ دائماً في نُقْصان.

ولا تَقُمْ بالحَرْبِ والنِّزاعِ مَعَ المُشْتَري فيَجِدَ الشَّيطانُ يَداً، وما عَمِلْتَ مِنْ شَيءٍ مِنْ ذلِكَ النِّزاعِ يَقسِمُهُ على أبنائِهِ، وتَصيرُ مُفْلِساً.

لا تُرافِقِ النَّاسَ العاطِلين فتبقى بلا عَمَلٍ، وَيَذْهَبَ مالُكَ كذلِكَ، وَتَقَعَ في المَفْسَدَةِ والفِتْنَة.

لا تَقُمْ بالتَّفريطِ بِمالِ النَّاسِ فَتَصيرَ مُشَتَّتَ الوَقْتِ وتتأخَّرَ في الحياة.

ولا تَجْعَلْ مِنْ دُكَّانِكَ مَجْمَعَ الأصْدِقاءِ والمَعارِف، فَيَصيرَ دُكَّانُكَ بلا رَونَقٍ، ويهْرُبَ المُشْتَري.

ولا تَبِعْ نَسيئَةً للرِّجالِ والنِّساءِ، فذاكَ بَعيدٌ عَنِ الاِحْتياط، وقريبٌ مِنَ الفِتْنَة، وخُصوصاً إنْ لَمْ يَدْفَعوا وَقُمْتَ بالمُطالَبَةِ بِشِدَّةٍ.

لا تَجْعَلْ خَرْجَ مَنْزِلِ النَّاسِ بِعُهْدَتِكَ فهذا العَمَلُ إنْ لَمْ يُسَبِّبِ الضَّرَرَ لَنْ يكونَ مِنْهُ نَفْعٌ أبَداً.

مِنَ الوَلَدِ والغُلامِ الأسْوَدِ والنِّساءِ المَجْهُولاتِ لا تَشْتَرِ شَيْئاً مهما أعْطَوكَ إيَّاهُ رَخيصاً.

ولا تَقُمْ بِقَبولِ الأمانَةِ أيضاً فَتِلْكَ مَحَلُّ خَطَرٍ.

مِنَ العامِلِ الجَديدِ والتِّلْميذِ الأعْزَبِ بلا مَنْزِلٍ لا تَكُنْ مُطَمَئِنّاً، واحْذَرْ مِنْ أنْ تُسَلِّمَ مَنْزِلَكَ ودُكّانَكَ لأولئك.

وإنْ كُنْتَ تاجِراً فلا تُضَيِّقْ على نَفْسِكَ في المعاش، فَتَجْمَعَ مالاً بالمَشَقّاتِ ويقومَ مِنْ بَعْدِكَ أولادُكَ غَيْرُ الأهْلِ بالفَضائحِ بِأَكْلِهِ، ومِثْلُ هذِهِ الحياةِ لا تَليقُ بالآدَمِيّ.

ولا تَقُمْ بالإسرافِ والتَّبْذيرِ في الخَرْجِ وفي المال فذلِكَ خارِجٌ عَنْ عَقْلِ المعاش، وما دامَ طريقُ المُعامَلَةِ مَفْتوحاً فلا تُعْطِ مالَكَ بالفائدَة.

ولا تَحْتَفِظْ بِأمانَةِ النّاسِ في المَنْزِل، إلاّ إذا كُنْتَ مُطْمَئِنّاً لأمانَةِ أهْلِكَ وعِيالِك، حتّى إذا ما وَصَلَ أَجَلُكَ فَجْأَةً تكونُ عالِماً أنَّ مالَ النّاسِ سَيَصِلُ لِصاحِبِهِ، ولن يكونَ تَفْريطٌ.

دَفْتَرَ حِسابِكَ حافِظْ عَلَيْهِ حَسَناً، واجْعَلْهُ نَظيفاً مِنَ الشُّبُهاتِ وبلا غَشٍّ، فالرَّجُلُ المُسْتقيمُ دَفْتَرُ حِسابِهِ بلا عَيْبٍ، ومَحَلُّ رُجوعٍ دائماً.

وكُنْ في الخَرْجِ دَقيقاً فلا يَكونَ أكْثَرَ مِنْ دَخْلِكَ، فخرابُ أعمالِ الخَلْقِ أكْثَرُهُ مِنْ هذِهِ الجِهَة، وكُنْ مُعْتَدِلاً في اللِّباسِ والطَّعامِ حتّى يدومَ اعتِبارُك.

لا تَكُنْ ضَيْفاً إلاّ في مقامِ الوجوب، ولا تَمُدَّ سُفْرَةً أكْثَرَ مِنْ قَدْرِ الضَّرورَةِ فَتَنْكَسِرَ وَيَصِلَ بِكَ الأمْرُ للإفلاس.

لا تُسافِرْ وحيداً، ولا تُرافِقْ أُناساً مَجْهُولين، ولا تَكُنْ مَعَهُمْ بِنَفْسِ الخَرْج.

سَلِّمْ خَزينَةَ نَقْدِكَ للمُكاري، ولا تَتْرُكْها في المَنْزِلِ، ولا تأخُذْها مَعَكَ في السَّفَر.

ومِنْ خِدْمَةِ الغَريبِ لَكَ احْذَرْ، ومِنْ عابري الطَّريقِ لا تأخُذْ شَخْصاً لِخِدْمَتِك، فتقْرُبَ مِنَ الآفَة.

وحينَ تَذْهَبُ في سَفَرٍ لا تُسْلِمِ اختيارَ بيتِكَ وعيالِكَ لِشَخْصٍ، فالعَقْلُ في هذا البابِ مُتَوَقِّفٌ، وخَيْرٌ أنْ تكونَ مَخارِجُ كُلِّ شَخْصٍ بِيَدِ أهْلِهِ، فهُوَ أقْرَبُ للحَزْم.

في مُراسَلاتِكَ لا تكْتُبْ شَيْئاً غَيْرَ قِيْمَةِ الأجناسِ، ولا تَقُمْ بِنَشْرِ خَبَرِ الأراجيفِ في الولايات، صحيحاً كانَ أمْ كاذِباً، خُصوصاً إذا كانَ مُتَعَلِّقاً بالدَّولَة.

ولا تَحْمِلْ خَبَرَ فَوتِ شَخْصٍ مِنْ مَدينَةٍ إلى مَدينَةٍ، ولا تَكْتُبْهُ.

التَّاجِرُ المُستَقيمُ لا تكونُ الإضافاتُ في حَديثِهِ ولا قَلَمِهِ.

ولا تَبِعْ مالَكَ بالوَعْدِ ما أمْكَنَ في الوَطَنِ والغُربَة، فالإنسانُ الَّذي يخافُ اللهَ نادِرُ الوجود، إلاَّ أنْ تَبيعَ وَعْداً لِشَخْصٍ لِيْسَ في حاجَةٍ لِمالِك، وتَعْلَمُ عَنْهُ أنَّهُ لا يَتَقَلَّبُ في المُعامَلَةِ أَبَداً مِعَ أيِّ شَخْصٍ، وليسَ مَديناً للنَّاس.

أخْرِجِ الحُقوقَ الإلهِيَّةَ مِنْ مالِكَ، وأوصِلْها إلى أهْلِها، فالمُحَصِّلونَ كثيرونَ، وإنْ لَمْ تُعْطِ تَخْسَرْ، ويأخُذوا مِنْكَ قَهْراً، وينقُصُ مِنْ حياتِكَ ومالِكَ.

في بيانِ الأوصافِ غَيْرِ المُناسِبَةِ لأربابِ العُقول، وتَرْكُها على أهْلِ العِلْمِ واجِبٌ، وارتِكابُها مُوجِبٌ للحَسْرَةِ والنَّدامَة

أوَّلاً اعْلَمْ أنَّ الجُهَّالَ على ثلاثَةِ أقسامٍ، القِسْمُ الأوَّلُ ذاكَ الَّذي لا يَعْلَمُ وليسَ في أسْرِ جَهْلِهِ، ومِنْ ذاكَ لا خَوفَ، فذاكَ يُدعى جاهِلاً، وتمامُ هَمِّهِ مَصروفٌ لِجَلْبِ المنافعِ الدُّنيَويَّة، إلى دَرَجَةِ أنْ لا يُصْغِيَ إلى أيِّ كلامٍ بِخِلافِ مُرادِ نَفْسِهِ إذا سَمِعَهُ، ولا يَجْعَلُ حَواسَّ نَفْسِهِ مُتَوَجِّهَةً لاسْتِماعِهِ، ولو وَجَدَ رفيقاً لقامَ بالسَّعْيِ لَيْلاً، وليسَ لَهُ التِفاتٌ للحُسْنِ والقُبْحِ والخَيْرِ والشَّرِّ أصْلاً، إلاَّ أنْ تَعْرِضَ لَهُ حادِثَةٌ فيقومَ بالصُّراخِ، ويذْهَبُ بالتَّظَلُّمِ إلى كُلِّ مَنْ هُوَ أعْجَزُ مِنْهُ.

ويَقْفِزُ مِنْ تِلْكَ الشَّوكَةِ الَّتي وَضَعَها الدَّهْرُ تَحْتَ ذَنَبِهِ بلا جَدوى، وعِلاجَ ذلِكَ لا يَعْرِفُ، وبِغَيْرِ مِثْلِ هذا المقامِ لا يَصْرِفُ ديناراً مِنْ مالِهِ، وإذا صارَ مُفْلِساً وعاجِزاً ذَهَبَ إلى أمثالِ نَفْسِهِ باكِياً وشاكياً، ليكونَ لَهُ دَفْعُ ضَرَرٍ أو جَلْبُ نَفْعٍ، ويَجْعَلُ النَّاسَ مِنْ إلحاحِهِ والْتِماسِهِ في ضَيق. وإذا كانَ غَنيَّاً فإنَّهُ، مِنَ الخَوفِ أنْ يَخْرُجَ دينارٌ مِنْ مالِهِ أو يَنْقُصَ، يقومُ بالتَّمَلُّقِ لِكُلِّ شَخْصٍ.

عاشَ الحياةَ بِمرارَةٍ ولَمْ يَتَصَوَّرْ مَعَ هذِهِ الجَهالَةِ العَقْلَ والجَهْلَ أبَداً في كُلِّ عُمْرِهِ، وَلَمْ يَفْهَمْ النَّقْصَ والكمال، وهُوَ في حِرْفَةِ نَفْسِهِ ذُو مهارَةٍ تامَّةٍ، وذِكْرُهُ خارِجٌ عَنْ مَطْلَبِنا.

ورُبَّما رأى العَقْلَ والعِلْمَ مُنْحَصِرَيْنِ بِمِهْنَتِهِ وَحِرْفَتِه، كحافِرِ البِئرِ يقولُ الأذانُ يُمْكِنُ أنْ يكونَ في البِئرِ فما الحاجَةُ للمَنارَة، وحَدَّادٍ قالَ المِعْوَلُ والفَأسُ مُفيدانِ لِنَظْمِ العالَمِ ولا لُزومَ للاِصْطِرلاب، وهكذا إلى آخِرِ وَجْهِ الخِطاب، ونَحْنُ لَسْنا بِهذا القِسْمِ مِنَ الجُهَّال.

القِسْمُ الثَّاني جاهِلٌ لا يَعْلَمُ وَيَعْلَمُ أَنَّهُ لا يَعْلَمُ ولا يَفْهَمُ، ولكِنَّهُ لا يُريدُ أَنْ يَعْرِفَهُ النَّاسُ جاهِلاً، أو يَدعوهُ جاهِلاً، ويُريدُ أَنْ يَجْعَلَ أَمْرَهُ مُشْتَبِهاً على كُلِّ شَخْصٍ، ولا يَعْرِفُ طريقاً لِذلِكَ، فيخْرُجُ مِنْ كُلِّ بابٍ(كأَنَّهُ الجَمَلُ على السُّلَّم).

فإذا سَمِعَ كلاماً بِخِلافِ مَعْلومِهِ انتَقَدَهُ وأَنْكَرَهُ، وجاءَ مُجادِلاً فيه، ولَو كانَ في وَقْتٍ آخَرَ أو قَبْلَ ساعَةٍ قالَ ضِدَّ ذلِكَ، لا يَلْتَفِتُ لِما قالَ، ولِما يقول، هُوَ في كُلِّ مَطْلَبٍ كانَ أَجْهَلَ قامَ بالبَحْثِ والجَدَلِ فيهِ أكثَرَ، وقامَ بالنَّقْدِ لِقَولِ كُلِّ شَخْصٍ حَيٍّ أو مَيِّتٍ، ولا يطلُبُ المَشْوَرَةَ مِنْ أيِّ شَخْصٍ في الأعْمال، إلاَّ وَقْتَ يَصيرُ عَمَلُهُ خراباً ويقَعُ في الفِتْنَةِ ولا يَدري ما يَفْعَلُ، فيصيرُ مُضْطَرِباً، ويَسْأَلَ كُلَّ شَخْصٍ، فَعَجْزُهُ وَخُضوعُهُ مُنْحَصِرانِ بِهذا الوَقْتِ.

وهذا القِسْمُ مِنَ الجُهَّالِ يرى النَّميمَةَ سَبَباً لِصَداقَةِ وَمَوَدَّةِ النَّاس، وإذا سَمِعَ أَنَّ ذلِكَ الخَبَرَ وَصَلَ إلى أُذُنِ المُدَّعي جاءَ بِأعْذارٍ أَقْبَحَ مِنَ الذَّنْب، وجاءَ بِأَخْبارٍ أُخْرى جَعَلَها لِعُذْرِ ذلِكَ الخَبَر، أَغْلَبُ هَمِّهِ مَصْروفٌ لِلنَّميمَةِ ونَسْجِ الأخبارِ وَطَلَبِ العُذْرِ مِنْ تِلْكَ الأخبار، ويُريدُ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَعْتَبِروهُ صَديقاً ومحرماً لأَنْفُسِهِم.

علامَةُ هذا النَّوعِ مِنَ الجاهِلِ أَنَّهُ لا يكادُ يَجْلِسُ في المَجْلِسِ حَتَّى يَبْدَأَ بالكلام، ويقومَ بِعِتابِ الجالِسينَ في المَجْلِسِ حَتَّى يصيرَ المُسْتَمِعُ مُتَحَيِّرا، كَقَولِهِ لِماذا لَمْ تَذْهَبوا إلى الصَّدْرِ الأَعْظَمِ وتقوموا بِتَحْريكِهِ ليجيءَ لِعِيادَتي. والحالُ أَنَّ الصَّدْرَ الأَعْظَمَ لَمْ يَسْمَعْ باسْمِهِ مِنْ قَبْلُ، وهذا مَحْضُ مَثَلٍ.

وأَغْلَبُ مقالاتِهِ مِنْ هذا القبيل، وفي الحَديثِ لا يُعطي فُرْصَةً لأَحَدٍ، وأَكْثَرَ ما يَذْكُرُ أحوالَ الأعاظِمِ ورِجالَ الدَّولَةِ مِنَ النَّاس، ويقومُ بِإظهارِ الشَّأنِ بِصَداقَةِ

وَعَداوَةِ الأكابِرِ، مِمَّا تَفْصيلُهُ مُناسِبٌ للضَّحِكِ، وخارِجٌ عَنْ مَطْلَبِنا، ويُكْثِرُ الكلامَ عَنْ كمالاتِ نَفْسِهِ وشُؤونِها، وعَنِ النَّاسِ المَجْهولينَ في المُدُنِ البَعيدَةِ، مِمَّنْ لَمْ يَكُنْ شَخْصٌ رآهُمْ أو سَمِعَ بِهِم، يحيكُ الأباطيلَ ويجْعَلُها كأنَّها مُرَتَّبَةٌ.

وعُموماً فإنَّ وَجْهَ كلامِنا ليسَ مَعَ هذا القِسْمِ مِنَ الجُهَّال، لأنَّهُمْ لا يَعْتَرِفونَ بِنَقْصِ أنْفُسِهِم.

القِسْمَ الثَّالِثُ جاهِلٌ جَهْلُهُ مُقَدّمَةُ عَقْلٍ وَعِلْمٍ، فَهُوَ يَعْلَمُ أنَّهُ لا يَعْلَمُ ويُريدُ أنْ يَعْلَمَ، ويُريدُ أنْ يَعْمَلَ بالخَيْر، ويَنْدَمُ مِنْ عَمَلٍ عَمِلَهُ بِوَجْهِ الغَفْلَةِ بِخِلافِ الآدابِ المَرْضِيَّةِ، فَوَجْهُ حَديثِنا وَخِطابِنا مَعَ هذِهِ الفِرْقَة.

ففي هذِهِ الصُّورَةِ اسْمَعْ واحفَظْ، لا تَقُمْ في مَقامِ نَفْسِكَ بإظْهارِ الاِتِّحادِ والمَعْرِفَةِ بالنَّاسِ ذوي الشَّأنِ أعلى مِنْ شَأنِك، فرُبَّما لا يأخُذُ أَحَدُهُم بِمَعْرِفَتِكَ بِهِ وتبقى خَجِلاً. ولا تَرِدْ إلى مَجالِسِ القَومِ غَيْرَ مَدْعُوٍّ وبلا ضَرورَةٍ وبالخُصوصِ لا تَرِدْ جاهِلاً، وإذا وَرَدْتَ غَيْرَ عالِمٍ فلا تَتَأخَّرْ، لا تُعْطِ أمْراً لِخادِمِ القوم، ولا تَتَغَيَّرْ مَعَ خادِمِكَ بِحُضورِ القوم، لا تَجْعَلْ مِنْ نَفْسِكَ الكَبيرَ في مَنْزِلِ القومِ إلاَّ أنْ يُطْلَبَ مِنْكَ، ولا تُطِلْ في الحَديثِ ولو كُنْتَ تَعْرِفُ، ولا تُعَطِّلِ القَومَ بِحَديثِك، ليقولوا بِكَ الفُحْشَ في القَلْب، وكثيراً ما يُقالُ ذلِكَ في الوَجْه.

لا تُصْغِ لِنَجوى شَخْصَين، ولو كُنْتَ مَحْرَماً لَهُما، إلاَّ أنْ يَقوما باسْتِشارَتِكَ، ولا تَقُلْ كُلَّ ما تَعْرِفُ، ولا تَقُمْ بِنَقْلِ الأخبارِ مِنْ مَجْلِسٍ إلى مَجْلِسٍ، فإنَّكَ إنْ كانَ الخَبَرُ خاصَّاً كُنْتَ غَيْرَ مَحرمٍ وواشياً، ولنْ يُعْطِيَكَ أَحَدٌ إنعاماً، وإنْ كانَ عامَّاً فسَيَسْمَعُهُ الجَميعُ، ولا تَكُنْ مُتَحَسِّراً على دَولَةٍ أو نِعْمَةٍ وَصَلَتْ لآخَر، ولا تَقُمْ بالتَّعْريفِ كما يَفْعَلُ البُخلاء.

ولا تَقُمْ بالتَّدَخُّلِ في عَمَلٍ لا يَرْجِعُ إلَيْك، ولا تَقُمْ بالجَوابِ عَنْ كلامٍ طُلِبَ مِنْ غَيْرِكَ، فذاكَ واحِدٌ مِنْ أقسامِ الفُضول.

ولا تَسألِ الأسْئِلَةَ لِقَومٍ أعلى مِنْكَ شَأناً بلا مَوقعٍ ولا ثَمَرٍ، فذاكَ بَعيدٌ عَنِ الأدَبِ، إلاَّ أنْ يكونَ في المسائلِ الدِّينيَّةِ والعِلْمِيَّة.

ولا تَتَّخِذْ مِنْ مَدْحِ أيِّ شَخْصٍ وَذَمِّهِ وسيلَةً لِمُراوَدَةِ الخَلْق، فلا يبقى أَحَدٌ مُطْمَئِنّاً مِنْكَ، أو يَتَّخِذَكَ صَديقاً.

ولا تَكُنْ دائماً مُعْتَذِراً شاكياً، ولا تَقُمْ بالشَّكوى في الحُضورِ والغياب، فهذا مِنْ عَمَلِ النِّساءِ، ويُقَلِّلُ المَحَبَّةَ، ولا يجيءُ بِنَفْعٍ.

ولا تَقُمْ بالاِسْتِخْبارِ عَنْ مَنْزِلِ وعيالِ شَخْصٍ، ولا تَتَصَرَّفْ بِأموالِ المعارِفِ والغُرَباءِ بِغَيْرِ إذْنٍ، كي لا تَصيرَ مَحسوباً في السُّفَهاء، وفي حالِ الإذْنِ حافِظْ على الحِساب ولا تَكُنْ لامُبالياً.

ولا تَقُلْ كلاماً لا يُصَدِّقُهُ النَّاسُ ولو كانَ صحيحاً كي لا تَصيرَ مَورِدَ ضَحِكِ المُسْتَمِعين.

ولا تُحَرِّكِ الرَّأْسَ عِنْدَ التَّكَلُّمِ فهذِهِ علامَةُ حُمْقٍ، ولا تُحَرِّكِ اليَدَ كثيراً فهذِهِ علامَةُ جَهْلٍ وَتَهَوُّرٍ.

ولا تَقُمْ بالحَرَكَةِ مِنَ المكانِ فهِيَ علامَةُ عَدَمِ المَعْرِفَة، ولا تأخُذْ كلاماً مِنْ فَمِ القَومِ فهذا دليلُ الكَونِ بلا عَقْلٍ.

ولا تَقُمْ بِتَعْريفِ نَفْسِكَ بالعِلْمِ والكمالِ والصَّفاء، فهذا شاهِدٌ على الإفلاس، ولا تَقُمْ بالجِدالِ في الكلامِ، ولا تَنْسِبِ الجَهْلَ للطَّرَفِ المُقابِل، فهذِهِ آثارُ عَجْزٍ وَعَدَمِ نُضْجٍ.

ولا تَرْوِ الحَديثَ عَنْ عِصْيانِكَ وطاعَتِكَ، فَذِكْرُ عِصْيانِكَ سَفاهَةٌ، وَإِظْهارُ طاعَتِكَ رياءٌ ونِفاقٌ.

ولا تَقُمْ بإنكارِ شَيءٍ يَعْتَقِدُ بِهِ عُمومُ النَّاس، فهذا فُضولٌ وَفَسادٌ ولا يُثْمِرُ غيرَ أنْ يُعَدَّ باطِلاً، ويَقَعُ في الأنظارِ بلا وَقْعٍ.

لا تَقُلِ الحَديثَ بالتَّمَلُّقِ للأغنياءِ عَبَثاً فَلَنْ يُعْطوكَ دينارَهُمْ بلا عِوَضٍ، كما لا تَقُمْ بِغيبَتِهِم فَلَنْ يزيدَ ذلِكَ مِنْ قَدْركَ وستكونُ قائلَ لَغْوٍ.

ولا تَقُمْ بالتَّصَرُّفِ بِكلامِ الأكابِرِ فلا مَنْفَعَةَ في ذلِكَ، غَيْرَ أنْ يكونَ أذىً يَصِلُ إلَيْكَ إذا سَمِعَ ذلِكَ الكَبير.

مِنْ شَخْصٍ وَصَلَ إلَيْكَ خَيْرُهُ دُفْعَةً واحِدَةً لا تَتَوَقَّعِ التِّكْرارَ، فإنَّكَ تَصيرُ نادِماً مِنْ ذلِك.

لا تَجْعَلْ بِعُهْدَتِكَ عَمَلاً تَعْلَمُ أنَّكَ لن تَقومَ بِهِ فعاقِبَتُهُ تَصيرُ إلى عَداوَةٍ.

لا تَقُمْ بالإصرارِ في أيِّ كلامٍ فذاكَ يَجرُّ للخُصومَة.

لا تَرْبِطْ بِنَفْسِكَ الألقابَ الَّتي تكونُ أكْثَرَ مِنْ قَدْرِكَ، ولا تزيدُ في مائدَتِكَ وخُبْزِكَ، فَتَصيرَ مَورِدَ مَضْحَكَةٍ.

واحْذَرْ مِنَ المُسْكِراتِ والمُكَيِّفاتِ ليبقى لَكَ الإدراكُ وماءُ الوَجْه.

ولا تَصْرِفْ مالَكَ في طَلَبِ الإكسيرِ فَتَكونَ أسْلَمْتَ القَلْبَ لِمَعْشوقٍ مَيّتٍ، مِنْ غَيْرِ احتِمالٍ للوِصال.

ولا تَقُمْ بالخُصومَةِ مَعَ الزَّوجِ غَيْرِ الموافِقِ، ففي ذلِكَ خَوفُ الرُّوح وكُنْ في طَلَبِ العِلاجِ، فإنْ كانَ قَلْبُها مَعَ آخَرَ فَقُمْ قَطْعاً بالطَّلاقِ، فما مِنْ عِلاجٍ آخَرَ، وإنْ كانَ مَحْضَ سوءِ طَبْعٍ فالتَّدبيرُ مُمْكِنٌ.

في دارٍ فيها نَقْدٌ أو جَميلَةٌ لا تَنَمْ وحيداً، ولا تَكُنْ بِغَيْرِ احتياط، فمِنْ ذاكَ تَجيءُ رائحَةُ الدِّماء.

ولا تَضَعِ اليَدَ في الأنْفِ والفَمِ والأُذُنِ في المَجالِسِ فَتَنْفِرَ مِنْكَ الطَّبائعُ.

ولا تَغْفَلْ عَنْ نَظافَةِ البَدَنِ والثَّوب، فذاكَ مِنَ الأركانِ الأرْبَعَةِ للمُعاشَرَة، ويَجِبُ بالخُصوصِ غَسْلُ الفَمِ باتِّصالٍ، وإنْ كانَ فيهِ بَخَرٌ فَيَجِبُ العِلاج.

لا تَزِدْ مُراقبي العقارِ والضّياع فيسوءَ عَمَلُكَ ويَضْطَرِب، ولا تَهْرَبْ مِنْ نَظْمِ المَلِكِ وقانونِ المُلْكِ فتَصيرَ مَحْسوباً مِنْ أشرارِ المَدينَة، وتَجِدَ العِقاب، ولا تَتْرُكْ تَحصيلَ العِلْمِ وَكَسْبَ العُلومِ فَتُعَدَّ مِنَ البهائم.

ولا تَسْتَسْهِلْ أمْرَ الدّينِ والمَذْهَب، فالرَّجُلُ بلا دينٍ لَيْسَ مَحَلَّ اعْتِمادٍ، وينفِرُ مِنْهُ كُلُّ شَخْصٍ.

إذا أقْبَلَ عَلَيْكَ الدَّهْرُ لا تَقْسُ على النَّاس، فتبقى إذا انقَلَبَ عَلَيْكَ الزَّمانُ بلا شَخْصٍ، ولا يفْتَحُ بِخَيْرِكَ أيّ شَخْصٍ لِساناً، فالمُرْتَفَعُ والمُنْخَفَضُ لِكُلِّ شَخْصٍ، ولازِمَةُ الأيَّام.

في مَجْلِسٍ يقولونَ فيهِ السُّوءَ برئيسِ وحاكِمِ البَلَدِ، وفيهِ غَوغاءُ فِتْنَةٍ، لا تَجْلِسْ، لأنَّهُ قريبٌ مِنَ الخراب.

كُنْ صَبوراً في العُسْرِ، فليسَ في التَّشويشِ والاِضْطِرابِ عِلاجٌ، ويُضَيِّقُ الدَّهْرُ عَلَيْكَ أكْثَرَ، ولا تَقُمْ بالشِّكايَةِ عِنْدَ شَخْصٍ فَيَزيدَ حُزْنُكَ، إلاَّ لِشَخْصٍ مُحِبٍّ لَكَ وقادِرٍ على العِلاجِ، وَعَرْضُكَ الحاجَةَ على اللهِ أفْضَلُ، واليُسْرُ أسْرَعُ وأسبابُهُ أكْثَرُ.

ولا تَقُلْ سِرَّكَ لِغَيْرِ صَديقٍ، والصَّديقُ شَخْصٌ يَجِدُ أسْهَلَ شَيْءٍ بَذْلَ روحِهِ نِثاراً لَكَ وَقْتَ الشِّدَّةِ، فَمَا يكونُ المالُ، ومِثْلُ هذا الصَّديقِ نادِرُ الوُجود، إلاَّ أنْ يكونَ عاشِقاً، أو مُريداً صافياً، أدرَكَ الفَناءَ في الشَّيْخ، وإلاَّ فالرَّجُلُ المُجَرِّبُ لا يَتَّخِذُ مِنْ كُلِّ شَخْصٍ صَديقاً، ولا يُلقي لِكُلِّ شَخْصٍ بِأسرارِهِ وَعَقائِدِه.

بَعْدَ هذا نَصائحُ

أقولُ لَكَ حَديثاً وأخْتِمُ، هُناكَ مَطْلَبٌ في العالَمِ لا يَجيءُ بالقَولِ ولا يَحْتَويهِ أيُّ كِتابٍ وَخِطابٍ، ولا يُمْكِنُ إدراكُ حَقيقَتِهِ بِهذِهِ العُلومِ والعُقولِ الرَّسْمِيَّةِ الشَّائعَةِ بَيْنَ الخلائق، والشَّخْصُ الَّذي وَجَدَ ذاكَ لَنْ يَقولَهُ لآخَرَ أَبَداً، قابِلاً كانَ أمْ غَيْرَ قابِلٍ، يعني أنَّهُ وراءَ اللَّفْظِ والبيانِ وإمكانِيَّةِ القَول، وَفَهْمُهُ مَوقوفٌ بِمَوْهِبَةٍ مِنَ الله، فاسْأَلِ اللهَ أنْ تَفْهَمَ ذاكَ، فإنْ فَهِمْتَ فَنِعْمَ الشَّرَفَ، وإنْ لَمْ تَجِدْ ذاكَ وَلَمْ تَفْهَمْهُ فاجْتَهِدْ أنْ تَصيرَ أخْلاقُكَ مُهَذَبَةً، وخِصالُكَ حَسَنَةً، كَيْ تُعَدَّ آدَمِيَّاً، فالآدَمِيَّةُ بَعْدَ تِلْكَ المَرْتَبَةِ مِنَ الكَمال، وإدراكُها أسْهَلُ مِنَ المَرْتَبَةِ الأولى، لأنَّ تَهْذيبَ الأخْلاقِ حَقُّ الآدَمِيّ، وعجيبٌ أنْ يَطْلُبَ الشَّخْصُ حَقَّهُ ثُمَّ لا يَصِلُ إلَيْه، بَلْ مُحالٌ، وذاكَ يَحْصَلُ بالخِدْمَةِ، لا بالدَّرْسِ والكِتاب، تِلْكَ الَّتي ظَنَنْتَ

وَقَرَأْتَ في الكُتُبِ وَتَعَلَّقْتَ بِها لَيْسَتِ أخلاقاً، لا تَشْتَبِهْ، الصُّورَةُ على الجِدارِ غَيْرُ الصُّورَةِ الجِسْمانِيَّةِ، والهَيْكَلِ مَعَ الرُّوحِ، والمَعْشوقُ مُتَكَلِّمٌ مُجَسَّمٌ، وأمَّا إذا لَمْ تَفُزْ بأيٍّ مِنْ هاتَيْنِ المَرْتَبَتَيْنِ، فعلى الأَقَلِّ اعْمَلْ بِآدابِ الآدَمِيّين كي لا تَكونَ جُزْءَ البَهائمِ والسِّباع، فائِدَةُ حُسْنِ الآدابِ هذِهِ، فالشَّخْصُ المُؤدَّبُ إنْ لَمْ يَحْصَلْ مِنْ وُجودِهِ نَفْعٌ، لا يكونُ مِنْهُ ضَرَرٌ، وإذا لَمْ يَصِلْ مِنْهُ ضَرَرٌ لِشَخْصٍ يُمْكِنُ أنْ يكونَ آمِناً مِنَ الأضرار، وَينجُوَ في العالَمَيْن.

تَنبيه

الماءُ الَّذي يَظَلُّ في الغَديرِ طَويلاً يصيرُ لَزِجاً وَآجِناً، ويُمْكِنُ أنْ يَصيرَ سامَّاً مِنْ سُمومِ أحياءِ الصَّحْراء والهواءِ الرَّديءِ والأرْضِ الفاسِدَة، ويُوجِبُ شُرْبُهُ ضَعْفَ الباصِرَةِ والأمراضَ المُزْمِنَة، ويُحَوِّلُ كُلَّ مِزاجٍ مُعْتَدِلٍ عَنِ الإعْتِدال، والمُسافِرُ في اليَومِ الحارّ واستيلاءِ العَطَشِ إذا وَصَلَ إلى مِثْلِ هذا الغَديرِ مُضْطَرٌّ لأنْ يَشْرَبَ مِنْهُ، ويصيرَ عُرْضَةً للإِبْتِلاءِ بالعَمى والعِلَلِ الأُخْرى.

عَيْشُ الدُّنيا وَحُظوظُ النَّفْسِ ذلِكَ الماءُ الَّذي يُظْلِمُ عَيْنَ العَقْلِ، ويُزيلُ نُورَ الفَهْم، فالعارِفُ دقيقُ النَّظَرِ يَشْرَبُ مِنْ ذلِكَ الماءِ بِقَدْرِ الكِفايَةِ، ويجْرَعُ بِمَقْدارِ دَفْعِ الهلاك، ويُعالِجُ ذاكَ أيضاً بِتِرياقٍ يكونُ خاصّاً بِهِ، والجاهِلُ قَصيرُ النَّظَرِ يَتَجاوَزُ قَدْرَ الضَّرورَةِ، ويرى حاصِلَ حياتِهِ وبقاءَ نَفْسِهِ مُنْحَصِراً بِشُرْبِ ذلِكَ الماء، بَلْ وَيَظُنُّهُ دواءً للعَمى وعِلاجاً للمَوت، ويُريدُ أنْ يَجْعَلَ الآخَرينَ مِنْهُ بلا نَصيب، ويُنازِعُ أمْثالَهُ الطَّامِعينَ بِذلِكَ الماءِ، والحائمينَ حَولَ ذاكَ الغَدير، ويُقاتِلُهُمْ بالسَّيْف، وبالجُمْلَةِ يُريدُ أنْ يُقْصِرَ يَدَ الآخَرينَ عَنِ التَّصَرُّفِ بِذلِكَ الماءِ المُنْتِنِ، وَيَجْعَلَهُ خاصّاً بِهِ.

والفُقراءُ الَّذينَ لا يَملكونَ مُكْنَةً وقُدْرَةً يُراقِبونَ مُنتَظِرينَ في الكمين، ليَجِدوا فُرْصَةً وَيَملؤوا سَرِقَةً مِنْ ذلِكَ الماءِ جَرَّةً، أو يَشْرَبوا بالكَيْدِ شُرْبَةً، أو يَجْرَعوا بالخِداعِ والحِيْلَةِ جُرْعَةً، أقسامُهُمْ مُخْتَلِفَةٌ بِمِقْدارِ هِمَّةِ كُلِّ شَخْصٍ في التَّحصيل، وأَقَلُّهُم فَضْلاً المُدَّعونَ الكَذّابونَ والعُميانُ بائعوا البَصيرَةِ الَّذين يَمُرُّ عُمُرُهُم بالخيالاتِ الفاسِدَةِ والدَّعاوى بلا مَعْنى، وقِسْمٌ لا يَصِلُهُ بِكُلِّ هذا السَّعْيِ إلاَّ الأَقَلُّ، إلاَّ أنْ يكونَ واحِداً صادَفَهُ البَخْتُ نادِراً، وَنَصَبَ شِباكَ مُرادِهِ في قَصْرٍ عالٍ مِنْ قُصورِ أعاظِمِ الدُّنيا والوُزَراءِ العِظام، وكُلٌّ يَطْلُبُ المَعاشَ مِنْ طَريقٍ، ومِنْ ذاكَ الطَّريقِ إليهِ يَصِل، والخالِقُ الحَكيمُ يُوصِلُ رِزْقَ كُلِّ شَخْصٍ إلَيْهِ مِنَ المَحَلِّ الَّذي يَعْلَمُهُ مُناسِباً لَهُ(**أولئكَ لَهُمْ رِزْقٌ ومقامٌ مَعلوم**).

خاتِمَة

المِنَّةُ للهِ بِتَمامِ نِعَمِهِ الَّتي لا تَسْتَطيعُ المُمْكِناتُ بِتَمامِها إحْصاءَ أَقَلِّها، سِيَّما بِنْعَمِهِ الخَفِيَّةِ الَّتي عارِفو الحَقِّ يَعْرِفونَها، وعابِدو اللهِ يَعْلَمونَها.

إلهي كُلَّ ما لَيْسَ لي أعْطِني، وإنْ كُنْتُ غَيْرَ مُسْتَحِقٍّ فاجْعَلْني مُسْتَحِقّاً، أنتَ القادِرُ على أنْ تُعطِيَ استِعْدادَ العِنايَةِ لِمَنْ تَشاء(هذا الدُّعاءُ جاءَ صَفي بِغَيْرِ اختيار). العَدَمُ حَقُّنا والوُجودُ لائقٌ بِكَ(**لا حَولَ ولا قُوَّةَ إلاَّ بالله**)

إلهي اغْفِرْ كُلَّ خَطَأٍ كانَ مِنّا، الخَيْرُ مِنْكَ جاءَ والشُّرورُ مِنّا؛ الشُّرورُ مِنَ العَدَمِ والخَيْرُ مِنَ الوجود، مِنْ أينَ كانَ للعَدَمِ الكَونُ والظُّهور؛ كُلُّ خَيْرٍ كانَ مِنْ وجودِ الله، كُلُّ قَولٍ وَفِعْلٍ سوءٍ كانَ مِنّا؛ العَرْضُ كانَ أسوَدَ اللَّون، هَبْهُ لأَصْلِنا بلا لَون.

قد تَمَّتْ هذِهِ الرِّسالَةُ الشَّريفَةُ المَوسومَةُ بميزانِ المَعْرِفَةِ وبُرْهانِ الحَقيقَةِ في آدابِ السُّلوكِ والطَّريقَةِ، مِنْ مُصَنَّفاتِ العارِفِ الكامِلِ الواصِلِ العالِمِ العامِلِ الباذِلِ سِراجِ العارِفين ومِنْهاجِ السَّالِكين هادي الصِّراطِ المُستقيمِ الطَّريقة حاوي الأُصولِ والفُروعِ الشَّريعَة المُؤيَّدِ بِتأييداتِ الإله الحاجّ ميرزا حَسَن المُلَقَّب بصفي عليشاه نِعْمَة الله أراهُ اللهُ حقائقَ الأشياءِ كما هِيَ، وكانَ الفراغُ مِنْ تَسويدِها في شَهْر جُمادى الأولى مِنْ شُهورِ سَنَةِ سبْعَةٍ وخَمسينَ وثلاثمائةٍ بَعْدَ الألف مِنَ الهِجْرَةِ النَّبويَّةِ على مُهاجِرِها آلافُ الثَّناءِ والتَّحِيَّة(1375).

تَمّت